

بحوث فى الملل والنحل

دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية

الجزء السابع

يتناول شخصية وحياة الإمام الثائر زيد بن علي
وتاريخ الزيدية وعقائدهم

تأليف

جعفر السبحاني

- دام ظله -

(١)

هوية الكتاب

اسم الكتاب:	بحوث في الملل والنحل
الموضوع:	تاريخ الزيدية وعقائدهم
الجزء:	السابع
المؤلف:	جعفر السبحاني
الطبعة:	الأولى
المطبعة:	اعتماد - قم
التاريخ:	١٤١٦ هـ
الكمية:	٢٠٠٠ نسخة
السعر:	١٠٠٠ تومان
الناشر:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم
الصف والإخراج بالآل إنوترون:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - قم

توزيع

مكتبة التوحيد

قم - ساحة الشهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه وصفيّه محمّد وآله الطيبين الطاهرين.
أمّا بعد: فهذا هو الجزء السابع من موسوعتنا في الملل والنحل نقدّمه إلى القراء الكرام راجين
منهم النقد والإصلاح، فإنّ العصمة لله ولمن عصمه.
ونخصّ هذا الجزء ببيان مذهب الزيدية المنتمية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي
بن أبي طالب عليه السلام ذلك الإمام الثائر الذي ضمّ إلى ثورته العارمة بوجه الظلم والطغيان، التجافي عن
الدنيا، والزهد في صفرها وبيضها، والتهجد آناء الليل وغياهبه بالصلاة وتلاوة القرآن، وكان فقيهاً
في الدين، محدّثاً في الإسلام، مفسّراً للقرآن، ولم يكن له في الفقه منهج كما لم يكن له في مجال
الأصول والعقائد مذهب خاص سوى ما عليه العترة الطاهرة عليه السلام عامة، من أصول التوحيد والعدل
وبطلان الجبر والتشبيه، وقد نشرت منه آثار في الحديث والتفسير والفقه وسواها تفصيلها.
نعم تأثّر المذهب الزيدي الحاضر بمبادئ الاعتزال كثيراً كما تأثّر بفقه بعض المذاهب
الأربعة، وأمّا ما هو السبب لتأثّره بأراء المعتزلة في العقائد،

وتفتّحه مع مدرسة الرأي في الفقه، فيحتاج إلى بسط في الكلام وسنوقفك على جليّة الحال في المستقبل.

وبما أنّ لزيد الشهيد بين الأمة الإسلامية، وعند أئمة العترة الطاهرة مكانة خاصة، ومنزلة كبيرة لم تكن لسائر أئمة الزيدية، من الحسينيين والحسينيين الذين شايعوا زيدا في الخروج على الخلفاء، ومارسوا خطّه في الجهاد، - وكانت مساعي الجميع مشكورة - لم نجد بداً من فتح بابين، يتكفل أحدهما، لبيان حياة زيد وآثاره وجهاده ونضاله، ويختص الآخر، ببيان حياة أئمة الزيدية والإيعاز إلى الدول التي أسسوها، والأصول التي اختاروها في مجال العقيدة، والمنهج الذي سلكوه في استنباط الأحكام الشرعية إلى غير ذلك من مباحث جانيّة، تسلط الضوء على الموضوع.

ولأجل إيضاح تاريخ زيد وأتباعه قسمنا الكتاب إلى قسمين:

١- ما يرجع إلى زيد من ولادته إلى شهادته وذلك في ضمن أربعة عشر فصلاً.

٢- يتكفل ببيان السائرین على دربه وما يمت إليهم بصلة .

وقبل أن ندخل في صلب الموضوع نشير إلى بعض الفرق التي خلقتها السياسة في أوساط الشيعة في عصر الأئمة الثلاثة: السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام بوجه موجز، مع الإشارة إلى الفرق الواقعية وإن كانت قليلة.

المؤلف

٢٩ ربيع الثاني ١٤١٥

القسم الأول:

وإليك مجمل ما فيه من فصول:

الفصل الأول: فرق الشيعة بين الحقائق والأوهام.

الفصل الثاني: في حياة زيد في عصر الأئمة الثلاثة عليه السلام.

الفصل الثالث: في خطبه، وكلماته، وأشعاره، ومناظراته، وعبادته.

الفصل الرابع: في مشايخ زيد وتلاميذه في الحديث والتفسير.

الفصل الخامس: الآثار العلمية الباقية عن زيد.

الفصل السادس: دراسة مسند الإمام زيد سنداً ومضموناً.

الفصل السابع: هل كان زيد معتزلي المبدأ والفكرة.

الفصل الثامن: هل كان زيد أماماً في الأصول والعقائد، والفروع والأحكام.

الفصل التاسع: هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة.

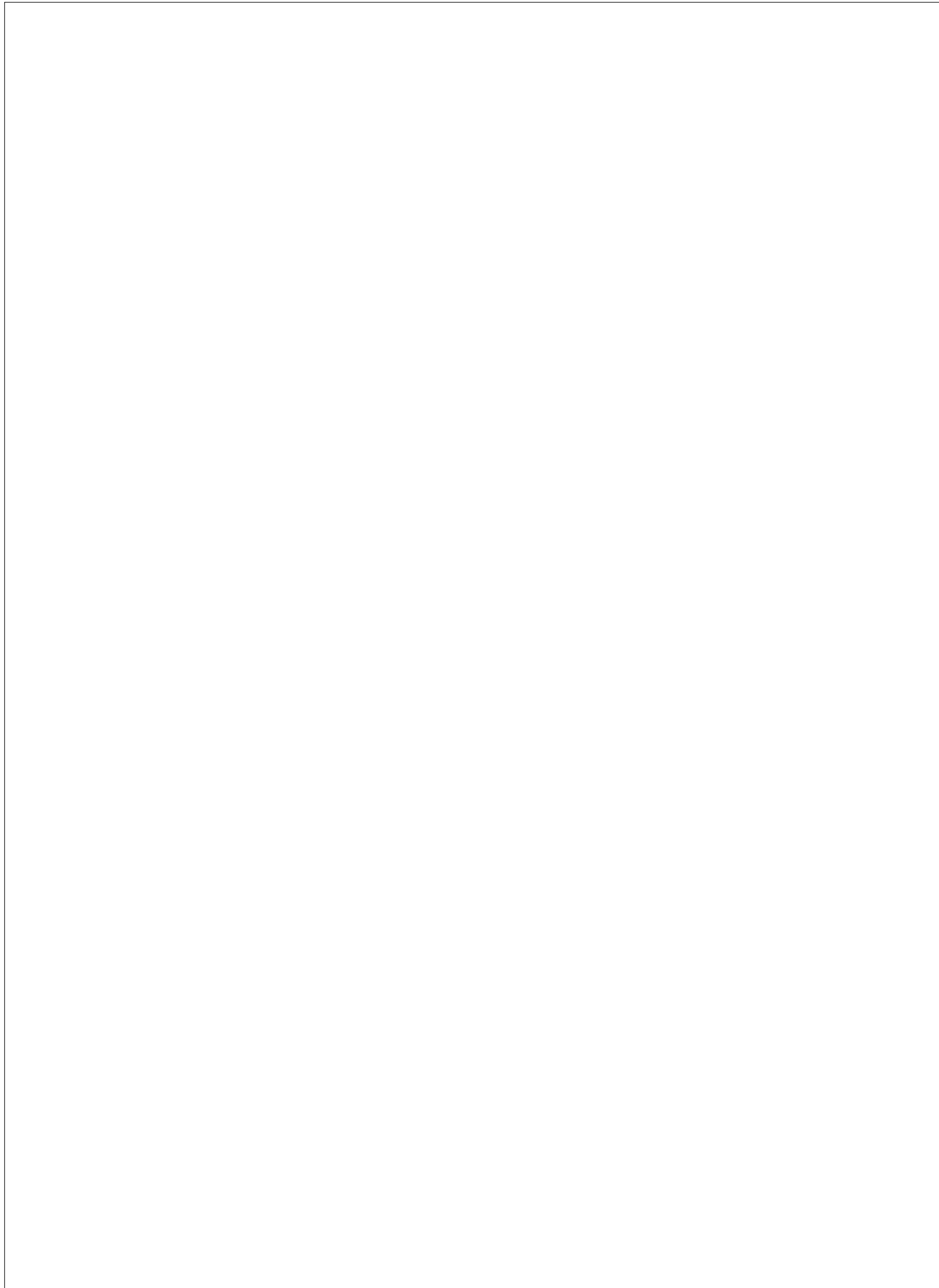
الفصل العاشر: موقف أئمة أهل البيت من خروج زيد وجهاده.

الفصل الحادي عشر: الخط الثوري المدعم من قبل أئمة أهل البيت.

الفصل الثاني عشر: موقف علماء الشيعة من زيد الشهيد.

الفصل الثالث عشر: الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام.

الفصل الرابع عشر: ثورة زيد كانت استمراراً لثورة الحسين عليه السلام.



الفصل الأول

فرق الشيعة بين الحقائق والأوهام

إنّ من ثمرات وجود النبي المعصوم بين الأُمّة هو رأب الصدع بعد ظهوره بينهم، وفصل القول، عند اندلاع النزاع، والقضاء على الفتنة في مهدها، وكان رسول الله ﷺ يلّمّ الشمل، ويُزيل الخلاف عند بروزه فلاجل ذلك كان اختلاف الصحابة في عصره ﷺ غير مؤثر في تفرق الأُمّة، لأنّه صلوات الله عليه وآله بحنكته، واعتقاد الأُمّة بعصمته، كان يأخذ بزمام الأمور، ويكسح أسباب الشقاق من جذوره.

فعندما اعترض عليه ذو الخويصرة عند توزيع الغنائم بين المسلمين بقوله: إعدل يا محمد فإنّك لم تعدل، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن لم أعدل، فمن يعدل» ثم أعاد اللعين وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فعند ذاك لم يجد النبي ﷺ بُدّاً من أن يعرّفه للأُمّة الإسلامية وقال: «سيخرج من ضُضّي هذا الرجل قوم يمرقون من الدين، كما يمرق السهم من الرمية»^(١).

(١) مضت اسناد الرواية في: ٤٨٠/٥ - ٥٠٢، من هذه الموسوعة

وليس قصة ذي الخويصرة وحيدة في بابها، فقد حدثت حوادث وكوارث في زمانه كادت تفرّق الأمة ولكنّه ﷺ قضى عليها بعلمه وحلمه وحكمته، ولا يقصر حديث الإفك (١) عن قصة ذي الخويصرة، أو قعود بعض الصحابة عن الخروج مع رسول الله ﷺ في جيش العسرة، أو ما حدث في أيام مرضه، حيث طلب دواة وقرطاساً حتى يكتب كتاباً لاتصل الأمة بعده، فخالف بعضهم، ووافق البعض الآخر، فقضى النبي ﷺ على الاختلاف وقال: «قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع» (٢). إلى غير ذلك من حوادث مريّة في عصر الرسالة، فقد استقبلها القائد الكبير برحابة صدر في غزواته وفي إقامته في المدينة.

وقد كانت وحدة الأمة الإسلامية رهن قائد مطاع معصوم، لا يخضع لمؤثرات الهوى، وتكون الأمة مأمورة باتّباعه قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب - ٣٦). ولئن تفرقت الأمة إلى فرقتين أو أكثر فإنّما تفرّقوا بعد رحيله، وسرّ الاختلاف يكمن في تناسي الأمة الإمام المعصوم الذي نصبه النبي مرجعاً عند الخلاف، غير أنّ المهتمّين بأمر الرسول ونصوصه تعلّقوا به تعلّقاً دينياً ولأجل ذلك قلّ الاختلاف بينهم أو لم يتحقّق إلى عصر الصادقين عليه السلام وما يذكر من الفرق في عهدهما، لا صلة لهم بالإسلام فضلاً عن التشيّع وإنّما كان التفرّق آنذاك ارتداداً عن الإسلام وخروجاً عن الدين كما سيّتضح.

(١) اقرأ تفصيل القصة وتشاجر الحيين: الأوس والخزرج في مسجد النبي بحضرته في صحيح البخاري: ١١٩ / ٥ باب غزوة بني المصطلق، والسيرة النبوية: لابن هشام: ٣١٢/٣. وذكرها الشهرستاني في الملل والنحل في فصل بدايات الخلاف: ٢١/١.

(٢) لاحظ صحيح البخاري: ٢٢/١، كتاب العلم، ١٤/٢، والملل والنحل: للشهرستاني: ٢٢/١ عند البحث في بدايات الخلاف.

يقول أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي صاحب كتاب الزينة: «كانت طائفة من^(١) الشيعة قبل ظهور زيد بن علي مجتمعين على أمر واحد، فلما قتل زيد انحازت منهم طائفة إلى جعفر بن محمد وقالوا بإمامته»^(٢).

إنّ الشيعة هم الذين شايعوا علياً وولديه الحسن والحسين عليهما السلام وكانوا متمسكين بإمامتهم وقيادتهم ولم يبرز أيّ اختلاف ديني بينهم إلى زمن الإمام الصادق عليه السلام، لأنّ الاعتقاد بوجود المعصوم، كان يدفعهم إلى سؤاله ورفع الإبهام عن الملابسات في وجوه المسألة، وأمّا تاريخ الكيسانية الناجمة في عصر الإمام السجاد عليه السلام فسندرسها حسب التاريخ وكلمات أصحاب المقالات. هذا ما يلّمسه الإنسان من قراءة تاريخ الشيعة، ولكن نرى أنّ أصحاب المقالات يذكرون للشيعة فرقاً كثيرة، وهم بين غلاة وغيرها.

قال الشهرستاني تبعاً لعبد القاهر البغدادي^(٣): والشيعة خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة وإسماعيلية^(٤). ثم ذكر لكل فرقة طوائف كثيرة ولعل الغاية من إكثار الفرق تطبيق حديث الرسول صلى الله عليه وآله في انقسام أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، عليهم. ونحن نقف أمام هذا التقسيم وقفة غير طويلة، فنذكر أمرين:

الأول: إنّ الغلاة ليسوا من الشيعة، ولا من المسلمين، وإنّ عدهم من الطوائف الإسلامية جناية على المسلمين والشيعة، وعلى فرض كونهم فرقاً، فلم يكن لهم أتباع ولم يكتب لهم البقاء إلاّ أياماً قلائل.

(١) كذا في النسخة، ولعل لفظة «من» زائدة أو بياينة. (٢) أبو حاتم الرازي: كتاب الزينة: ٢٠٧.

(٣) عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢١. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٤٧/١.

الثاني: إنّ الكيسانية لم تكن فرقة نجمت بين الشيعة، وإنّما خلقتها أعداء أئمة أهل البيت، ليستغلّوها ويقضوا بها على تماسك الشيعة ووحدتهم، وأكثر ما يمكن أن يقال في المقام: إنّّه كانت هناك شكوك وأوهام عرت بعض البسطاء ثم أزيلت، فتجلى الصبح لذي عينين، وإليك الكلام في كلا المقامين:

الغلاة ليسوا من المسلمين:

قد ذكر أصحاب الفرق فرقاً للشيعة باسم الغلاة ومع أنّهم يصرّحون بأنّهم ليسوا من فرق المسلمين ولكن يذكرونها فرقاً للشيعة ويحملون أوزار الغلاة على الشيعة. والشيعة طائفة من المسلمين فكيف يصح عدّ الغلاة منهم!!

قال البغدادي: «فأمّا غلاتهم الذين قالوا بإلهية الأئمة وأباحوا محرّمات الشريعة وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة كالبيانة، والمغيرة، والجناحية، والمنصورية، والخطابية، والحلولية، ومن جرى مجراهم فماهم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه»^(١).

وقال أيضاً: الكلام في ذلك (الفرق الإسلامية) يدور على اختلاف المتكلمين فيمن يعد من أئمة الإسلام ومملّته - إلى أن قال: - فإن كان على بدعة الباطنية، أو البيانية، أو المغيرة، أو المنصورية، أو الجناحية، أو السبئية، أو الخطابية من الرافضة، أو كان على دين الحلولية أو على دين أصحاب التناسخ أو على دين الميمونية، أو اليزيدية من الخوارج أو على دين الخابطية، أو الحمارية من

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٣-٢٤.

القدرية، أو كان ممن يحرم شيئاً ممن نص القرآن على إباحته باسمه، أو أباح ما حرم القرآن باسمه فليس هو من جملة أمة الإسلام - إلى أن قال -: فالفرق المنتسبة إلى الإسلام في الظاهر مع خروجها عن جملة الأمة، عشرون فرقة هذه ترجمتها:

سبئية، وبيانية، وحربية، ومغيرية، ومنصورية، وجناحية، وخطابية، وغرابية، ومفوضية، وحلولية، وأصحاب التناسخ، وخابطية، وحمارية، ومقتعية، ورزامية، ويزيدية، وميمونية، وباطنية، وحلاجية، وعذافية، وأصحاب إباحة، وربما انشعبت الفرقة الواحدة من هذه الفرق أصنافاً كثيرة^(١).

أقول: إنَّ البحث في هذا الفصل في كتب الملل والنحل هو التحدث عن الفرق الإسلامية ولا تكون الفرقة، إسلامية إلا إذا كان المقسم (الإسلام) موجوداً فيها، فالإسلام هو الشهادة على توحيدة ورسالة نبيه وحشر الخلق يوم المعاد، والتصديق بما جاء به النبي الأكرم ﷺ على وجه الإجمال، فمن أنكر واحداً من هذه، فليس بمسلم ولا يحمل عقيدة إسلامية، وهذه الفرق التي جاء بها الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين وتبعه البغدادى في الفرق بين الفرق ليسوا من الإسلام ولا الشيعة بشيء وإنما هي فرق مرتدة عن الإسلام ولا يمكن الحكم عليهم بالإسلام، فالأولى حذف هؤلاء المرتدين عن كتب الملل والنحل، والبحث عنهم تاريخياً فقط.

لا شك أنَّ هؤلاء تنزلوا من علياء الإسلام إلى حضيض الكفر وما جرَّتهم إلى ذلك إلا مطامع وشهوات استهوتهم إلى هذه المقالات الباطلة ومن حسن الحظ أنَّه لم تكتب عليهم حياة معروفة إنما كانت أياماً قلائل قطعت معرَّتهم حمائمهم فلم يبق منهم ذكر إلا بين أسطر التاريخ.

على أنَّ قسماً منهم قاموا بهذه الدعايات من قبل السياسات الزمنية روماً

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق: ٢٣٢.

لتشتيت كلمة الشيعة أو المسلمين، لكن سرعان ما قلب عليهم الدهر ظهر المجنّ لما تمكنت السياسة من الحصول على غاياتها المنشودة فأخذوا وقتلوا تقتيلاً.

هكذا يعامل مع كل عميل يعمل لصالح المستكبر. على أنه لم يكن لمنهجهم معتنق قابل للذكر إلا شذاذ الآفاق أو ساقاة الناس فمن مال إليهم لغاية دنيوية أو لشكوك وأوهام عرت لهم لا يتجاوز عددهم عدد الأصابع إلا شيئاً طفيفاً حتى أصبح الجميع في حديث الأمس الدابر.

والذي يتحمّل وزر ذكر هؤلاء من الفرق الإسلامية الشيعية هو الشيخ المتكلم الجليل الحسن بن موسى النوبختي^(١) الشيعي من أعلام القرن الثالث المتوفى حوالي عام ٣١٠هـ في كتابه «فرق الشيعة» ثم الشيخ الأشعري^(٢) في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، وتبعهما من جاء بعدهما كالبغدادي في «الفرق بين الفرق»^(٣) والإسفرائيني في «التبصير»^(٤) والشهرستاني في «الملل والنحل»^(٥).

وإنّي لأضن بالحبر والورق على تسطير عقائد هؤلاء وكفرياتهم الذين قضى عليهم الدهر وشرب، ولكن لأجل إيقاف القارئ على إجمال ما كانوا يعتقدونه نذكر أسماء الفرق مع التعريف الإجمالي لمبادئهم حتى يقف على صدق ما قلناه.

قال الأشعري: فمنهم الغالية وإنّما سمّوا الغالية لأنّهم غلّوا في علي عليه السلام وقالوا فيه قولاً عظيماً وهم خمس عشرة فرقة:

(١) الحسن بن موسى النوبختي: فرق الشيعة: ٣٦، وما بعدها.

(٢) الإمام الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: ٥، وما بعدها.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٢٥، وما بعدها. (٤) الإسفرائيني: التبصير: ١٢٣، وما بعدها.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٥٠/١، وما بعدها.

الأولى: البيانية:

وهؤلاء يزعمون أنَّ أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ^(١) نص على إمامة بيان بن سمعان التميمي ونصبه إماماً، يقولون بأنَّ الله عزَّ وجلَّ على صورة الإنسان وأنَّه يهلك كلَّه إلَّا وجهه وادَّعى «بيان» أنه يدعو (كوكب) الزهرة فتجيبه وأنَّه يفعل ذلك بالاسم الأعظم فقتله خالد بن عبد الله القسري، وقيل: إنَّ كثيراً منهم يثبت لبيان بن سمعان، النبوة ^(٢).

وقال النوبختي: فكان «بيان» تبناً يتبن التبن في الكوفة وأخذه خالد بن عبد الله القسري هو وخمسة عشر رجلاً من أصحابه، فشدهم بأطنان القصب وصبَّ عليهم النفط في مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فأفلت منهم رجل فخرج بنفسه ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فركَّز راجعاً إلى أن ألقى نفسه في النار فأحرق معهم ^(٣).

أقول: إنَّ البيانية - على فرض صحَّة وجودها - مشتقة من القول بإمامة محمد ابن الحنفية بعد شهادة السبط الأكبر الحسين بن علي سلام الله عليهما وانتقال الإمامة منه إلى ابنه أبي هاشم، فلما مات أبو هاشم اختلفوا في وصيِّه إلى أقوال فمن قائل بأنَّه ابن أخيه الحسن بن علي بن محمد الحنفية، إلى آخر بأنَّه أخوه علي بن محمد، وعليَّ أوصى إلى ابنه الحسن فالإمامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج إلى غيرهم، إلى ثالث أنَّه عبد الله بن عمرو بن الكندي، وأنَّ الإمامة خرجت من بني هاشم وتحركت روح أبي هاشم إلى عبد الله الكندي، إلى رابع بأنَّه أوصى إلى بيان ابن سمعان التميمي ^(٤).

(١) كل فرقة تنتمي إلى أبي هاشم فهي من فروع الكيسانية الممسوخة والفرق الثلاث الأولى: البيانية، الجناحية، والحربية، من هذا الصنف.

(٢) الإمام الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٥ - ٦.

(٣) النوبختي: فرق الشيعة: ٢٨، طبع بيروت، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، ولاحظ الفرق بين الفرق: ٢٣٦.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٥١/١ - ١٥٢.

الثانية: الجناحية:

أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين، يزعمون أنَّ عبد الله بن معاوية كان يدَّعي أنَّ العلم ينبت في قلبه كما ينبت الكماة والعشب وأنَّ الأرواح تناسخت وأنَّ روح الله جلَّ اسمه كانت في آدم ثم تناسخت حتى صارت فيه، قال: وزعم أنَّه ربَّ وأنه نبي فعبدته شيعته وهم يكفرون بالقيامة ويدعون أنَّ الدنيا لا تنفنى ويستحلُّون الميتة والخمر وغيرهما من المحارم ويتأولون قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾^(١).

هذا ولم يذكر الأشعري اشتقاقهم من أي فرقة ولكن جاء به النوبختي، وقال: «فرقة قالت أوصى أبو هاشم عبد الله بن محمد الحنفية إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الخارج بالكوفة، وهو يومئذ غلام صغير فدفعت الوصية إلى صالح بن مدرك وأمره أن يحفظها حتى يبلغ عبد الله بن معاوية فيدفعها إليه فهو الإمام وهو العالم بكل شيء حتى غلوا فيه وقالوا: إنَّ الله عزَّ وجلَّ نور وهو في عبد الله بن معاوية قتله أبو مسلم في حبسه»^(٢).

الثالثة: الحربية:

هم أصحاب عبد الله بن عمر بن حرب، ويسمَّون الحربية، يزعمون أنَّ روح أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية تحولت فيه وأنَّ أبا هاشم نصَّ على إمامته^(٣). ويرجع جذور هذه الفرق إلى القول بإمامة محمد الحنفية ثم أبي هاشم كما تقدم.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٦، والآية ٩٣ من سورة المائدة.

(٢) النوبختي: فرق الشيعة: ٣٢، ولاحظ الفرق بين الفرق: ٢٤٥.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٦، لاحظ الفرق بين الفرق: ٢٤٣.

الرابعة: المغيرة:

هؤلاء أتباع المغيرة بن سعيد العجلي وكان يظهر في بدء أمره موالاته الإمامية ويزعم أنَّ الإمامة بعد علي والحسن والحسين عليهم السلام إلى سبط الحسن محمد (المعروف بالنفس الزكية الذي توفي عام ١٤٥هـ) وزعم أنَّ المهدي المنتظر، ثمَّ إنَّه أظهر مقالات فاسدة منها دعواه النبوة، دعواه علمه بالاسم الأعظم، وزعم أنَّه يحيي بها الموتى ويهزم بها الجيوش ومنها إفراطه في التشبيه وذلك أنَّه زعم أنَّ معبوده رجل من نور وله أعضاء وقلب ينبع منه الحكمة - إلى أن قال: - وكان المغيرة مع ضلالاته يأمر بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ^(١).

ويظهر من النوبختي أنَّه كان يقول بإمامة الأئمة إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام (٥٧ - ١١٤هـ) فلما توفي أبو جعفر محمد بن علي، دعا المغيرة إلى إمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم وأظهر ما أظهر فبرئت منه أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهم السلام ورفضوه فزعم أنَّهم رافضة وأنَّه هو الذي سمَّاهم بهذا الاسم وقال: إنَّ خالد بن عبد الله القسري أخذ المغيرة فسأله عن عقائده فأقر بها ودعا خالداً إليها فاستتابه خالد فأبى أن يرجع عن قوله فقتله وصلبه ^(٢).

الخامسة: المنصورية:

أصحاب أبي منصور، يزعمون أنَّ الإمام بعد أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام أبو منصور وأنَّ أبا منصور، قال: آل محمد هم السماء والشيعة

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٩.

(٢) النوبختي: فرق الشيعة: ٦٣، وفيما ذكره تأمل واضح على أنَّ خالد بن عبد الله القسري من عُمال آل أمية، فكيف قتل من كان يدعو بالنفس الزكية الذي خرج في أوائل العباسيين وقتل عام ١٤٥هـ؟! إلا أن تكون له دعوة خفية بعد استشهاد زيد وابنه يحيى عام ١٢٦هـ.

هم الأرض وأنه هو الكسف الساقط من بني هاشم تأويلاً لقوله سبحانه: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (الطور - ٤٤) وقد ذكر الأشعري عقائدهم الفاسدة التي لا تمت صلة بالديانات الإلهية (١).

قال البغدادي: وكفرت هذه الطائفة بالقيامة والجنة والنار وتأولوا الجنة على نعيم الدنيا والنار على محن الناس في الدنيا واستحلوا مع هذه الضلالة خنق مخالفينهم، واستمرت فتنهم على عادتهم إلى أن وقف يوسف بن عمر الثقفي والي العراق في زمانه على عوارت المنصورية فأخذ أبا منصور العجلي وصلبه، وهذه الفرقة كالمتقدمة عليها غير معدودة من فرق الإسلام لكفرها بالقيامة والجنة والنار (٢).

السادسة: الخطابية المطلقة:

أصحاب أبي الخطاب بن أبي زينب، يقولون: إن الإمامة في أولاد علي إلى أن انتهت إلى جعفر الصادق، ويزعمون أن الأئمة كانوا آلهة، وكان أبو الخطاب يزعم أولاً أن الأئمة أنبياء، ثم زعم أنهم آلهة، وأن أولاد الحسن والحسين كانوا أبناء الله وأحباءه، وكان يقول: إن جعفرًا إله، ولما بلغ ذلك جعفرًا عليه السلام لعنه وطرده. وكان أبو الخطاب يدعي بعد ذلك، الإلهية لنفسه وزعم أتباعه أن جعفرًا إله غير أن أبا الخطاب أفضل منه وأفضل من علي (٣).

وخرج أبو الخطاب على أبي جعفر فقتله عيسى بن موسى في سبخة الكوفة، ثم إن الذين جاءوا بعد أبي الخطاب انقسموا إلى فرق ذكرها الأشعري وقد عبر عن مؤسس الفرقة بالخطابية المطلقة لتتميز عن الفرق اللاحقة.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٤٣.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٩ - ١٠.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٤٧.

السابعة: الخطابية المعمرية:

يزعمون أنَّ الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له «معمّر» وعبدوه كما عبدوا أبا الخطاب. قال: واستحلّوا الخمر والزنا واستحلّوا سائر المحرمات ودانوا بترك الصلاة^(١) وقد لعنه الإمام الصادق عليه السلام وسيأتيك نصه.

الثامنة: الخطابية البزيعية:

أصحاب بزيع بن موسى يزعمون أنَّ جعفر بن محمد عليه السلام هو الله، وزعموا أنَّ كل ما يحدث في قلوبهم وحي، وأنَّ كل مؤمن يوحى إليه، وزعموا أنَّ منهم من هو خير من جبرئيل وميكائيل وأنَّ أحدهم إذا بلغت عبادته، رفع إلى الملكوت^(٢).

التاسعة: الخطابية العميرية:

أصحاب عمير بن بيان العجلي، وهذه الفرقة تكذب من قال منهم: إنَّهم لا يموتون ويزعمون أنَّهم يموتون ولا يزال خَلْفُ منهم في الأرض أئمة أنبياء وعبدوا جعفرًا كما عبده اليعمريون وزعموا أنَّه ربُّهم وقد كانوا ضربوا خيمة في كناسة الكوفة ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة «عمير بن البيان» فقتله في الكناسة وحبس بعضهم^(٣).

العاشرة: الخطابية المفضلية:

لأنَّ رئيسهم كان صيرفيًا يقال له المفضل يقولون بربوبية جعفر كما قال

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١١، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ٨٧، البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٤٨.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٢، النوبختي: فرق الشيعة: ٤٣.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٢، النوبختي: فرق الشيعة: ٤٤.

غيرهم من أصناف الخطائية وانتحلوا النبوة والرسالة وإنما خالفوا في البراءة من أبي الخطاب لأن جعفرًا أظهر البراءة منه^(١).

الحادية عشرة:

من أصناف الغالية يزعمون أن روح القدس هو الله عز وجل وكانت في النبي ثم في علي ثم في باقي الأئمة الاثني عشر، ولم يذكر الإمام الأشعري اسم مؤسس الفرقة كالفرقة التالية^(٢).

الثانية عشرة:

يزعمون علياً هو الله، ويكذبون النبي ويشتمونه ويقولون: إن علياً وجه به ليبين أمره فادّعى الأمر لنفسه^(٣).

الثالثة عشرة:

هم أصحاب «الشريعي» يزعمون أن الله حلّ في خمسة أشخاص في النبي وفي علي والحسن وفي الحسين وفي فاطمة فهؤلاء آلهة عندهم وليس يطعن أصحاب الشريعي على النبي ﷺ ...^(٤).

الرابعة عشرة: السبائية:

أصحاب عبد الله بن سبأ، يزعمون أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً^(٥).

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٣، البغدادى: الفرق بين الفرق: ٢٥٠.

(٢) - ٥ الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٤، ١٥، ١٦، ولاحظ في الوقوف على عقائد هذه الفرق كتب أصحاب المقالات والملل والنحل، وكأن المتأخرين عن الأشعري عمدوا إلى تحرير ما ذكره، ولانطيل المقام بذكر المصادر.

وقد تعرفت في الجزء السادس على أنَّ عبد الله بن سبأ على النحو الذي يذكره أصحاب التواريخ والمقالات أسطورة تاريخية.

الخامسة عشرة: المفوضة:

يزعمون أنَّ الله عزَّ وجلَّ وكلَّ الأمور وفوضها إلى محمد ﷺ وأنه أقدره على خلق الدنيا فخلقها ودبرها وأنَّ الله لم يخلق من ذلك شيئاً، يزعمون أنَّ الأئمة ينسخون الشرائع ويهبط عليهم الملائكة... (١).

ونحن بدورنا نعلّق على هذه الفرق التي ذكروها فرقاً للشيعة وبالتالي فرقاً للإسلام بأمرين: الأول: من المظنون جداً - أنَّ هذه الفرق على فرض التأكد من وجودها في عصورها ممّا صنعتها يد السياسة الأئمية لتشويش سمعة الأئمة الطاهرين ﷺ بين المسلمين ومحق روعتهم، وقد استعانت في ذلك، برجال كانوا غامرين في حبِّ التصدر والفخفة، وجنون العظمة، ولما كانت دعوتهم على خلاف العقل والنقل، والفطرة الإنسانية، لم يُقم المجتمع الإسلامي لهم وزناً ولم يعيشوا إلاَّ أياماً قلائل وقد قامت أئمة أهل البيت بدورهم على إيقاظ الأمة عند استفحال الفساد وتبرأوا من أصحاب هذه المقالات وعقائدهم. وسيوافيك كلامهم في حقِّ هؤلاء الغلاة فانتظر.

الثاني: نحن نعاتب المشايخ: النوبختي والأشعري والبغدادى والإسفرائيني، والشهرستاني والرازي وغيرهم من كتّاب تاريخ العقائد، وأصحاب المقالات، حيث نسبوا هؤلاء إلى الشيعة مع تصريحهم بأنهم غلاة كفار، لا يمتّون إلى الإسلام والمسلمين بصلة، وأقلُّ، كلمة يمكن أن يقال في حقهم إنَّ الجنون

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٦.

والمجون، وحب الجاه والمقام أسفت بهؤلاء إلى هوة المذلة واللعنة ثم الفناء المطلق فليس لأحد أن يطعن الشيعة بانتماء هؤلاء إليهم، فما أحسن قول القائل:

غيري جنى وأنا المعاقب فيكم
فكأنني سبابة المتنم
﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف - ١٠٨).

وليس انتماءؤهم إلى الشيعة إلا كانتماء النصارى القائلين بالتثليث إلى المسيح عليه السلام وهل يؤخذ البريء بجرم المعتدي؟! لا والله.

موقف الأئمة من الغلاة:

إنّ موقف أئمة أهل البيت من هؤلاء المرتدّين موقف النبي الأكرم من مشركي عصره والأعصار الآتية فقد طردوهم، ولعنوهم وكفّروهم وحذّروا شيعتهم من مكائدهم ومصائداهم، وإليك قسماً من الروايات الواردة في حقّ سعيد بن المغيرة، وأبي الخطاب، ولفيفاً من رجال العيث والفساد الذين كانوا يتظاهرون بالانتماء إلى أهل البيت عليهم السلام ولم يكونوا منهم بشيء.

وبما أنّ كتاب الرجال للشيخ الكشي الذي يعد من علماء القرن الرابع أحسن كتاب وضع في مجال التوثيق والجرح على أساس الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام في حقّ الرواة، نقتبس الروايات من هذا الكتاب وإن كان لها مصادر أخرى.

المغيرة بن سعيد في روايات أئمة أهل البيت - عليهم السلام:

١ - روى الكشي عن جعفر بن عيسى وأبي يحيى الواسطي قال: قال أبو الحسن الرضا عليه السلام:
«كان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حرّ الحديد».

٢ - أخرج الكشي عن عبد الله بن مسكان عمّ حدثه من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال:
سمعتة يقول: لعن الله المغيرة بن سعيد إنّه كان يكذب على أبي، فأذاقه الله حرّ الحديد. لعن الله من
قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، ولعن الله من أزالنا عن العبودية لله، الذي خلقنا وإليه مآبنا ومعادنا
وبيده نواصينا.

٣ - أخرج الكشي عن محمد بن عيسى بن عبيد: أنّ بعض أصحابنا سأل يونس بن عبد
الرحمن وأنا حاضر، فقال له: يا أبا محمد ما أشدّك في الحديث وأكثر إنكارك لما يرويه أصحابنا فما
الذي يحملك على ردّ الأحاديث؟ فقال: حدثني هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا
تقبلوا علينا حديثاً إلّا ما وافق القرآن والسنة أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة، فإنّ المغيرة
بن سعيد لعنه الله دسّ في كتب أصحاب أبي أحاديث لم يُحدّث بها أبي فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما
خالف قول ربّنا تعالى وسنة نبينا صلّى الله عليه وآله فإنّا إذا حدّثنا قلنا قال الله عزّ وجلّ وقال رسول الله.

٤ - أخرج الكشي عن هشام بن الحكم أنّه سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان المغيرة بن سعيد
يتعمّد الكذب على أبي ويأخذ كتب أصحابه، وكان أصحابه المستترون في أصحاب أبي، يأخذون
الكتب من أصحاب أبي فيدفعونها إلى المغيرة فكان يدسّ فيها الكفر والزندقة ويُسندها إلى أبي ثم
يدفعها إلى أصحابه فيأمرهم أن يبتّوها في الشيعة فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك
مما دسّه المغيرة في كتبهم».

٥- أخرج الكشي عن علي بن الحسن عن عمّه عبد الرحمن بن كثير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام يوماً لأصحابه: «لعن الله المغيرة بن سعيد ولعن الله يهودية كان يختلف إليها يتعلّم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إنّ المغيرة كذب على أبي فسلبه الله الإيمان وإنّ قوماً كذبوا عليّ، ما لهم، أذاقهم الله حرّ الحديد، فو الله ما نحن إلّا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، مانقدر على ضرّ ولا نفع إن رُحِمنا فبرحمته وإن عُدّنا فبذنوبنا، والله مالنا على الله من حجة ولا معنا من الله براءة وإنّا لميتون ومقبورون، ومنشرون، ومبعوثون، وموقوفون، ومسؤولون، ويلهم مالهم، لعنهم الله آذوا الله وآذوا رسوله صلى الله عليه وآله في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن علي، وها أنا ذا بين أظهركم، لحم رسول الله وجلد رسول الله، أبيّت على فراشي خائفاً وجللاً مرعوباً، يأمنون وأفزع، وينامون على فرشهم، وأنا خائف ساهر، وجّل اتقلقل بين الجبال والبراري أبرأ إلى الله ممّا قال فيّ الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب، لعنه الله، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب إلّا تقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجللاً، استعدى الله عليهم وأتبرأ إلى الله منهم أشهدكم إنّني امرؤ ولدني رسول الله وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني وإن عصيته عدّني عذاباً شديداً أو أشدّ عذابه».

٦- أخرج الكشي عن سلمان الكناني: قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: هل تدري ما مثل المغيرة؟ قال: قلت: لا، قال: مثله مثل بلعم بن باعور، قلت: ومن بلعم قال: الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ^(١).

إلى غير ذلك من الروايات التي وردت في ذمّه ونقلها الكشي في رجاله ^(٢).

(١) الأعراف: ١٧٥.

(٢) الكشي: الرجال: ١٩٤ - ١٩٨.

أبو زينب وأتباعه في روايات أئمة أهل البيت :

قال الكشي في رجاله: محمد بن أبي زينب اسمه مقلاص بن الخطاب البراد الأجدع الأسدي ويكنى أبا إسماعيل ويكنى أيضاً أبا الضبيان:

١- أخرج الكشي عن عيسى بن أبي منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وذكر أبا الخطاب فقال: اللهم العن أبا الخطاب فإنه خوفني قائماً وقاعداً وعلى فراشي، اللهم أذقه حرّ الحديد.

٢- أخرج الكشي عن بريد العجلي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته قول الله عز وجل ﴿هَلْ أَنْبَيْتَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ * تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٌ ﴿١﴾ قال: هم سبعة: المغيرة بن سعيد، وبيان، والصائد النهدي، والحارس الشامي، وعبد الله بن حارث، وحمزة بن عمار البربري وأبو الخطاب (٢).

٣- أخرج الكشي عن بشير الدهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب أبو عبد الله عليه السلام إلى أبي الخطاب بلغني أنك تزعم أن الزنا رجل، وأن الخمر رجل، وأن الصراط رجل، وأن الصيام رجل، والفواحش رجل، وليس هو كما تقول، أنا أصل الحق، وفروع الحق طاعة الله، وعدونا أصل الشر وفروعهم الفواحش، وكيف يطاع من لا يعرف وكيف يعرف من لا يطاع؟

٤- أخرج الكشي عن الحمادي رفعه إلى أبي عبد الله أنه قيل له: روي عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال؟ فقال: «ما كان الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لا يعلمون».

(١) الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢.

(٢) جرى الإمام عليه السلام في تفسير الآية بهؤلاء السبعة، مجرى الجري وتطبيق الكلّي على مصاديقه الكثيرة.

٥- أخرج الكشي عن سدير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت جالساً عند أبي عبد الله وميسر عنده ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة فقال ميسر ببيع الزطي: جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم، قال: «ومن هم؟» قلت: أبو الخطاب وأصحابه، فكان متكئاً فجلس فرفع اصبعه إلى السماء ثم قال: «على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فاشهدوا بالله أنه كافر، فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشيا، ثم قال: أما والله إنني لآنفس^(١) على أجساد أصيبت معه النار».

٦- أخرج الكشي عن المفضل بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام وذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة فقال لي: «يامفضل لاتقاعدوهم ولا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تصافحوهم ولا توارثوهم».

٧- أخرج الكشي عن مرزم قال: قال أبو عبد الله: «قل للغالية توبوا إلى الله فإنكم فساق كفار مشركون».

٨- أخرج الكشي عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا محمد ابرأ ممن يزعم أنا أرباب» قلت: برئ الله منه، فقال: «ابرأ ممن زعم أنا أنبياء» قلت: برئ الله منه.

٩- أخرج الكشي عن قاسم الصيرفي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «قوم يزعمون أنني لهم إمام والله ما أنا لهم إمام، مالههم لعنهم الله كلما سترتُ سترًا هتكوه، هتك الله ستورهم».

١٠- أخرج الكشي عن الحسن الوشاء عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال بأننا أنبياء فعليه لعنة الله ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله».

(١) نفَسَ به وعليه: ضَنَّ به.

١١- أخرج الكشي عن زرارة عن أبي جعفر قال: سمعته يقول: «لعن الله «بيان الثبّان» وأنّ «بياناً» لعنه الله يكذب على أبي أشهد أنّ أبي علي بن الحسين كان عبداً صالحاً».

١٢- أخرج الكشي عن أبي يحيى الواسطي قال: قال أبو الحسن الرضا (عليه السلام): «كان بيان يكذب على علي بن الحسين (عليه السلام) فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر (عليه السلام) فأذاقه الله حر الحديد».

وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى فأذاقه الله حر الحديد.
وكان أبو الخطاب يكذب على أبي عبد الله فأذاقه الله حر الحديد والذي يكذب عليّ، محمد بن فرات» قال أبو يحيى: وكان محمد بن فرات من الكتاب فقتله إبراهيم بن شكلة.

١٣- أخرج الكشي عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أصدق البرية لهجة وكان مسيلمته يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أصدق من برأ الله، من بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه ويعمل في تكذيب صدقه بما يفترى عليه من الكذب عبد الله ابن سبأ لعنه الله».

ذكر أبو عبد الله (عليه السلام) الحارث الشامي وبيان فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعاً والسري وأبا الخطاب ومعمراً وبشار الأشعري وحمزة البريري وصائد النهدي فقال: «لعنهم الله إنّا لا نخلو من كذاب يكذب علينا أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد».

١٤ - أخرج الكشي عن ابن أبي يعفور قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه رجل حسن الهيئة، فقال: اتق السفلة فما تقارّت في الأرض حتى خرجت فسألت عنه فوجدته غالياً. إلى غير ذلك من الروايات التي جمعها الكشي في رجاله ^(١) وقد اكتفينا بهذا المقدار وإلاّ فالروايات التي تدم هؤلاء الغلاة الكفار كثيرة. وقد أشار الإمام في ثنايا كلامه أنّهم كانوا بصدد تشويه سمعة الأئمة بالكذب عليهم حيث قال: فيسقط صدقنا بكذبهم علينا عند الناس.

(١) الكشي: الرجال: ٢٩٠ - ٣٠٨، ولقد قابلنا الأحاديث مع الطبعة التي حقّقها العلامة المصطفوي، ومع ذلك لا تخلو أيضاً من هفوات.

الكيسانية والإبهامات المحدثّة بها

قد علمت أنّ الغلاة ليسوا من المسلمين ولا من الشيعة ولا يصحّ عدّهم من الفرق الإسلامية، وإنّ هذا الخطأ صدر من النوبختي والأشعري وجاء الباقر فساووا على سيرتهما. نعم يظهر من كتب الفرق أنّ فرقا للشيعة برزت إلى حيّز الوجود قبل ثورة زيد بن علي. وفرقا أخرى ظهرت بعد ثورته. ولعل القسم الأوّل منحصر في الكيسانية التي يدعي أصحاب المقالات أنّها ظهرت بعد ثورة الحسين عليه السلام أيام إمامة ولده زين العابدين عليه السلام، وبدورنا نذكر بعض نصوصهم حول الكيسانية. ثم نرجع إلى تحرير المتحصل منها، ولأجل ذكر النصوص في بدء البحث نستغني عن الإرجاع إلى المصادر عند التحليل فنقول:

١ - قال الأشعري: الكيسانية وهي إحدى عشرة فرقة، وإنّما سمّوا كيسانية لأنّ المختار الذي خرج وطلب بدم الحسين بن علي ودعا إلى محمد ابن الحنفية كان يقال له كيسان، ويقال إنّّه مولى لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

الفرقة الأولى من الكيسانية يزعمون أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام نصّ على إمامة ابنه محمد ابن الحنفية، لأنّه دفع إليه الراية بالبصرة.

والفرقة الثانية: منهم يزعمون أنّ علي بن أبي طالب نصّ على إمامة ابنه الحسن بن علي وأنّ الحسن بن علي نصّ على إمامة أخيه الحسين بن علي وأنّ الحسين بن علي نصّ على إمامة أخيه محمد بن علي وهو محمد ابن الحنفية.

والفرقة الثالثة: من الكيسانية هي الكربية أصحاب أبي كرب الضرير

يزعمون أنَّ محمد ابن الحنفية حيَّ بجمال رضوى، أسد عن يمينه ونمر عن شماله يحفظانه، يأتيه رزقه غدوة وعشية إلى وقت خروجه. ومن القائلين بهذا القول كُتِّبَ الشاعر وفي ذلك يقول:

الأئمة من قريش	ولاة الحق أربعة سواء
علي والثلاثة من بنيهِ	هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط، سبط إيمانٍ وبرّ	وسبط غيِّته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	يقود الخيل يقدّمها اللواء
تغيّب لا يرى فيهم زمان	برضوى عنده عسل وماء

الفرقة الرابعة: يزعمون أنَّ محمد ابن الحنفية إنّما جعل بجمال رضوى عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان وبيعته إيّاه.

والفرقة الخامسة: يزعمون أنَّ محمد ابن الحنفية مات وأنَّ الإمام بعده ابنه أبو هاشم: عبد الله بن محمد الحنفية ^(١).

والفرقة السابعة: قالت إنّ الإمامة بعد موت أبي هاشم لابن أخيه الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية.

والفرقة الثامنة: قالت إنّ أبا هاشم أوصى إلى أخيه علي بن محمد، وعليّ أوصى إلى ابنه الحسن، فالإمامة عندهم في بني الحنفية لا تخرج إلى غيرهم ^(٢).

والفرقة التاسعة: يزعمون أنَّ الإمام بعد أبي هاشم محمد بن علي بن عبد الله

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٨ - ٢٠، وقد سقط من الطبع الفرقة السادسة من الكيسانية ولذلك ابتدأنا بالسابعة، ولما كانت نسخة مقالات الإسلاميين مشوشة في بيان الفرقة السابعة والثامنة أخذناهما من كتاب الممل والنحل للشهرستاني.

(٢) هاتان الفرقتان نقلناهما من الممل والنحل للشهرستاني ثم نتابع النقل من مقالات الإسلاميين.

ابن العباس قالوا: وذلك أنَّ أبا هاشم مات بأرض الشراة^(١) منصرفة من الشام فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وأوصى محمد بن علي إلى ابنه إبراهيم بن محمد، ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس، ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض، ثم رجع بعض هؤلاء عن هذا القول وزعموا أنَّ النبي ﷺ نصَّ على العباس بن عبد المطلب ونصبه إماماً، ثم نصَّ العباس على إمامة ابنه عبد الله ونصَّ عبد الله على إمامة ابنه علي بن عبد الله، ثم ساقوا الإمامة إلى أن انتهوا بها إلى أبي جعفر المنصور.

الفرقة العاشرة: يزعمون أنَّ أبا هاشم أوصى إلى بيان بن سمعان التميمي وأنه لم يكن له أن يوصي بها إلى عقبه.

الفرقة الحادية عشرة: يزعمون أنَّ الإمام بعد أبي هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٢).

وقال النوبختي: وفرقة قالت بإمامة محمد ابن الحنفية، لأنَّه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه فسَمَّوا الكيسانية، وإنَّما سَمَّوا بذلك لأنَّ المختار ابن أبي عبيدة الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب «كيسان» وهو الذي طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهم وثأره حتى قتل من قتلته وغيرهم من قَتَل، وادَّعى (المختار) أنَّ محمد ابن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه، وإنَّما لُقِّب المختار كيسان لأنَّ صاحب شرطته المكنى بأبي عمرة كان اسمه كيسان، وكان أفرط في القول والفعل والقتل من المختار جداً، وكان يقول: إنَّ محمد ابن الحنفية وصيَّ علي بن أبي طالب، وأنه الإمام وأنَّ المختار قيَّمه وعامله ويُكفر من تقدَّم

(١) كذا في النسخة المطبوعة والصحيح «الشراة» وهي موضع بالشام.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٠ - ٢١.

علياً ويُكْفِر أهل صفين والجمل، وكان يزعم أنَّ جبرئيل عليه السلام يأتي المختار بالوحي من عند الله عزَّ وجلَّ فيخبره ولا يراه. وروى بعضهم أنَّه سمِّي بكيسان مولى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو الذي حمّله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودلّه على قتلته، وكان صاحب سرّه ومؤامراته والغالب على أمره^(١).

وقالت فرقة من الكيسانية إنَّ محمد بن الحنفية عليه السلام هو المهدي، وهو وصي علي بن أبي طالب عليه السلام ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يُشهر سيفه إلا بإذنه، وإنَّما خرج الحسن بن علي عليه السلام إلى معاوية محارباً له بإذن «محمد» وأودعه وصالحه بإذنه، وأنَّ الحسين إنَّما خرج لقتال يزيد بإذنه، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلاً وأنَّ من خالف محمد ابن الحنفية كافر مشرك وأنَّ محمد استعمل المختار بن أبي عبيدة على العراقيين بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين عليه السلام وتأثره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا، وسمّاه كيسان لكيسه ولما عرف من قيامه ومذهبه فيهم فهم يسمّون (المختارية) ويدعون (الكيسانية)^(٢).

معتقدهم:

إنَّ الكيسانية على كثرة فرقهم يجمعهم شيئان:
أحدهما: القول بإمامة محمد ابن الحنفية.
والثانية: القول بالبداء على الله عزَّ وجلَّ، وقالت طائفة منهم بأنَّه المهدي المنتظر في الرضوى^(٣).

(٢) النوبختي: فرق الشيعة: ٢٦.

(١) النوبختي: فرق الشيعة: ٢٢ - ٢٤.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٥٢.

الإبهامات حول هذه الفرقة :

قد عرفت كلمات أصحاب المقالات وكتاب العقائد والظاهر منهم ومن غيرهم افتراض فرقة إسلامية شيعية نجمت بعد وقعة الطف (٦١-٦٧هـ) والتفت عدة من الشيعة حول محمد ابن الحنفية واتخذوه قائداً (في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام) وقد لبى هو وولده أبو هاشم ووصيه، ولم يكن هناك أي اعتراض واستنكار من رجالات البيت الهاشمي فاستتب الأمر لابن الحنفية وابنه ومن بعده واستفحل أمرهم إلى عصر أبي جعفر المنصور العباسي، وقد كان العباسيون يستمدون شرعية دولتهم وخلافتهم من انتمائهم إلى تلك الفرقة وكانت لهم أصول عقائد يتميزون بها عن سائر الفرق.

لكن الإبهامات التي تحدد بهذه الفرقة من جوانب شتى يدفع الإنسان إلى التأكد الكثير من وجود هذه الفرقة الإسلامية في الساحة وبروزهم إليها باسم الدين وإليك بيانها:

١- الاختلاف في المسمى بكيسان :

إن الكيسانية منسوبة إلى «كيسان» وقد اختلفوا في المسمى به إلى أقوال فمن قائل: إنه اسم محمد ابن الحنفية، إلى آخر: إنه اسم مولى لعلي، إلى ثالث: إنه اسم نفس المختار بن أبي عبيدة الثقفي، إلى رابع: إنه اسم صاحب شرطته المكنى بـ «أبي عمرة» وكان اسمه كيسان^(١).

٢- الاختلاف فيمن نصب محمداً الحنفية للإمامة :

إن القائد الذي تنتهي إليه تلك الفرقة هو محمد الحنفية، فقد اختلفوا في

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ١٨، والبغدادى: الفرق بين الفرق: ٣ و ٣٨، والنوبختي: فرق الشيعة: ٢٢.

مرشحه للإمامة إلى قولين: فمن قائل بأنّ المعيّن، هو الإمام علي، إلى آخر أنّه الإمام الحسين وهو الذي نصبه للخلافة.

٣- الاختلاف في مبدأ قيادته :

كما اختلفوا في الموصي والمعيّن، اختلفوا في مبدأ قيادته، فمن قائل بأنّه الإمام المنصوب من جانب الإمام علي وهو الإمام بعد رحيل والده دون أخويه، إلى آخر بأنّه الإمام بعد استشهاد الحسين عليه السلام.

٤- الاختلاف في كونه حياً أو ميتاً :

اختلفوا في كونه حياً أو ميتاً، فقد نسب إلى جماعة أنّهم قالوا بكونه المهدي المنتظر وأنّه حي بجمال رضوى، يصونه الأسد والنمر، معه العسل والماء، وفي مقابلهم من قال بموته، وأنّ الإمامة انتقلت إلى فرد آخر.

٥- اختلافهم في كونه حياً كرامة أو عقوبة :

اختلف القائلون بكونه حياً، فهل هو حي كرامة، بشهادة أنّه يسان بالأسد والنمر عن اليمين والشمال ويأتيه رزقه غدواً وعشياً إلى وقت خروجه كما قال به كثير الشاعر، أو أنّه حي عقوبة لركونه إلى عبد الملك بن مروان وبيعته إيّاه.

٦- الاختلاف في الإمام بعد أبي هاشم :

توفي محمد الحنفية عام ثمانين أو واحد وثمانين وتوفي ابنه أبو هاشم «عبد الله ابن محمد الحنفية» سنة ثمان أو تسع وتسعين وعرفه ابن شهر آشوب بأنّه كان ثقة جليلاً من علماء التابعين روى عنه الزهري وأثنى عليه وعمرو بن دينار وغيرهما ^(١).

وقد اختلفت الأقوال في وصيه إلى قائل بأنّه أوصى إلى الحسن بن علي بن

(١) المامقاني: تنقيح المقال: ٢١٢/٢ برقم ٧٠٤٢.

محمد الحنفية، إلى آخر بأنه أوصى إلى أخيه، علي بن محمد الحنفية، وأنه أوصى إلى ابنه الحسن، إلى ثالث أنه أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، إلى رابع بأنه أوصى إلى بيان بن سمعان، إلى خامس أنه أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب.

٧- الاختلاف في المعتقد :

إنّ الكيسانية على كثرة فرقهم يجمعهم شيان: أحدهما: القول بإمامة محمد ابن الحنفية والثانية: القول بأنه المهدي المنتظر مضافاً إلى القول بالبداة^(١).

أقول: إنّ القول بالبداة ليس من عقائد هذه الطائفة وإنّما هو عقيدة إسلامية جاء بها القرآن الكريم ونصت به السنّة النبوية^(٢) ولو فسرت على وجه صحيح لعلم أنّ المسلمين بأجمعهم متفقون على القول بها.

وإنّما نشأ النزاع من تفسيره على وجه باطل، أعني: الظهور بعد الخفاء على الله تعالى، ولا يقول به أحد من المسلمين، وتفسيره الصحيح قائم بكلمتين: إحداها يرجع إلى مقام الثبوت، والأخرى إلى مقام الإثبات، أمّا الأولى، فالبداة عبارة عن تغيير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة، كما كان الحال كذلك في قوم يونس، وأمّا الثانية فهي الإظهار بعد الإخفاء، وأمّا علمه سبحانه فلا يتغير ولا يتبدل وأوضحنا حقيقتها في الجزء السادس من هذه الموسوعة^(٣).

قد نقل في كتب الملل والنحل أنّهم استدلوا على كون محمد ابن الحنفية إماماً بقول علي عليه السلام له يوم البصرة وقد أقدم بالراية: «أنت ابني حقاً»!

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٥٢.

(٢) الإمام البخاري: الصحيح: ٢٠٨/٤، كتاب الأنبياء، باب ٥١ حديث أبرص وأعمى وأقرع.

(٣) بحوث في الملل والنحل: ٣٠٤/٦ - ٣٢٧.

وأنت خير بأنَّ أحقية النبوة هو كونه شبيه والده في الشجاعة لا أنَّه إمام بعده أو بعد السبطين.
كما نقل أنَّهم استدلوا على كونه مهدياً غائباً بقول النبي ﷺ: «لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي».

ولكن الاستدلال في غاية الضعف لأنَّ اسم والد محمد هو علي لا عبد الله. نعم كان علي صلوات الله عليه عبداً لله وصفيّاً لا علمياً.

على أنَّه لو صحَّ الاستدلال فالنفس الزكية، أعني: محمد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن المثنى، أولى منه.

واستدلوا أيضاً على أنَّ خروج المختار كان بإذنه.

يلاحظ عليه: أنَّ الإذن بالخروج لا يدلُّ على أنَّه ادَّعى الإمامة ودعا الناس إليها، وقد روى الشيخ المفيد أنَّه سئل محمد ابن الحنفية عن ظهور المختار وادَّعائه أنَّ خروجه بأمره فأجاب:
والله ما أمرته بذلك لكن لا أبالي أن يأخذ بثأرنا كل أحد، وما يسوءني أن يكون المختار هو الذي يطلب بدمائنا.

فاعتمد السائلون على ذلك وكانوا كثيرين. وقد رحلوا إليه بهذا المعنى بعينه، فنصروا المختار على الطلب بدم الحسين عليه السلام.

وأخيراً نقول إنَّ الإمامة إما بالنص أو بالبيعة، فإن كان الأول فأين النص؟ وإن كانت بالبيعة فأين بايعه أهل الحل والعقد؟

وتوضيح المقال بذكر أمرين:

الأول: أنَّ محمد الحنفية وليد البيت العلوي وربيبه الذي وصفه أمير المؤمنين، بقوله: «إنَّ المحامدة تأبى أن يعصى الله عزَّ وجلَّ» قال الراوي، قلت:

ومن المحامدة؟ قال عليه السلام: «محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أمير المؤمنين ابن الحنفية»^(١) وكان أعرف الناس بعظم مقام الإمامة وخطورتها وأنها لا تصلح إلا لمن ثبت في حقه النص، من صاحب الرسالة أو من بايعه الناس، أو خصوص أهل الحل والعقد ومع ذلك كيف يلبي دعوة نفر أو نفرين للقيام بأعباء الإمامة ولم يكن هناك تنصيب ولا بيعة من وجوه المسلمين ولم يكن الرجل من الانتهازيين أو من أبناء البيت الساقط الذين كانوا يدوسون كل الأصول الإسلامية، للحصول على الغايات ويستهووهم النهممة والشره لاختلاس الأموال أو حيازة جاه.

ونحن نجل محمد ابن الحنفية عن الرغبة إلى حيازة المقام الذي لا يصلح إلا لمن اجتمع لديه الشرط من التنصيب أولاً، أو البيعة ثانياً.

والذي يؤيد ذلك أنه لم تشاهد منه دعوة إلى نفسه، بإلقاء الخطابة والمحاضرة، أو بعث الرسل إلى الأطراف والأكناف، أو تصدي أمر، يعد من شؤون الحكومة، ولو كان كذلك لكان له أنصار وأعوان، ولما ألقى عليه القبض، ابن الزبير لغاية أخذ البيعة والتهديد بالإحراق عند رفضها. كما أنه كان يتعاطف مع عبد الملك بن مروان - عملاً بواجبه - حتى أدركته المنية عام ثمانين أو واحد وثمانين. الثاني: لو أغمضنا عن ذلك فهل كان هناك جماعة، مؤمنون بإمامته وقيادته؟ وأن الفراغ الذي حصل، لدى الشيعة بشهادة السبط، ملئ ببيعة أهل العراق ولفيف من أهل المدينة ومكة له، أو لا؟

والحق هو الثاني وأن كثير من الشيعة كانوا حيارى في أمر الإمامة لأجل الضغط من جانب الحكومة الأموية إلا الأخصاء ولكن كانت الشيعة بأجمعهم

(١) المامقاني: تنقيح المقال: ٥٧/٢ برقم ١٠٢٣٠، نقلاً عن رجال الكشي.

يتعاطفون مع أهل البيت وعلى مقدمتهم الشخصيتان البارزتان: محمد ابن الحنفية، و علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام من دون أن يتخذ ابن الحنفية إماماً وقُدوةً للشيعة.

ففي هذه الظروف نهض إنسان غيور، وشجاع مقدام، وسيف بثار، لأخذ ثار الإمام الحسين ألا وهو المختار بن أبي عبيدة الثقفي الذي كان يحب أهل البيت عليهم السلام منذ نعومة أظفاره إلى أن ألقى حمامه في طريق أخذ ثارهم، ونال أمنيته باجتثاث جذور أعدائهم، وسفك دمائهم، فأشفى صدور قلوب المؤمنين وعلى رأسهم أئمة أهل البيت والهاشميون والهاشميات بأجمعهم.

لقد كان الاتصال الوثيق مع أكابر أهل البيت يوم ذاك رصيذاً كبيراً للثائر لغاية التفاف شيعة العراق حول المختار ولولا ذلك لما تمكن من إنهاضهم إلى ميادين القتال. وبما أن محمد ابن الحنفية - رض - كان كبير العلويين في السن لم يكن له بد من التعاطف معه وكان له مثل ذلك سيد الساجدين، ولأجل المواصلة والمكاتبة مع العظميين جلب اهتمام الشيعة لنفسه، وأقام نهضة كبيرة أخذ بها ثار الحسين عليه السلام لا بل كانت ناراً أحرقت أُمْنِيَّات بني أُمِيَّة وأبادت آثارهم واجتثت جذورهم.

ولما كانت ثورته ثقيلة على مناوئي أهل البيت عليهم السلام أرادوا إسقاطه من أعين الناس فتحاملوا عليه من جانب العقيدة فرموه باختراع المذهب حتى رموه بادّعاء النبوة ونزول الوحي حتى صاغوا له جملاً مضاهية لجمل الكهنة، ونسبوها إليه ^(١). ولم يكن لهم غاية إلا القضاء على نهضته وثورته.

يقول البغدادي: «فلما تمت للمختار ولاية الكوفة والجزيرة والعراقين،

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٤٦.

تكهن بعد ذلك وسجع كإسجاع الكهنة، وحكي أيضاً أنه ادّعى نزول الوحي عليه»^(١).

لم يكن المترقب من البيت الأموي وحماته الذين شربوا كأس المنون بيد الثائر المتفاني في حب أهل البيت، إلا رميه بادعاء النبوة ونزول الوحي، ولنفترض أن الثائر الثقفي لم يكن رجلاً دينياً، ولم ينهض بدافع إلهي، وإنما ثارت ثورته، بدافع نفسي مادي، ولكنه كان رجلاً عملاقاً وسياسياً عبقرياً، قاد أعظم الثورات التي شاهدها التاريخ في ذلك العصر وامتدت سلطته إلى أرمينيا، وهل مثله - وهو يحكم باسم الإسلام والدين، وبتأييد من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) - يدّعي النبوة ونزول الوحي ويتكلم بكلام الكهنة مع أن التاريخ ضبط خطبه وكلامه حتى نقلها البغدادي^(٢) كلاً، ولا، وما جاء به البغدادي، ليس إلا نسبة مفتعلة.

«من يتحقق في سيرة المختار وحربه للأمويين ودكه لجيش قائدهم عبيد الله ابن زياد، وفي عدائه للزبيريين ابتداء من انتزاع الحكم منهم في أول ثورته حتى قتاله لمصعب الذي سيطر على الحكم بعد المختار، - من يتحقق في هذا - يستطع تحليل اتّهام المختار بالكذب والانحراف واستغلال الإسلام وقتل الإمام الحسين (عليه السلام) من أجل مصالحه الشخصية، وأن تنسب له أقاويل مضادة للإسلام. وكيف لا يتهم بالأمور السالفة وأضرابها وقد أطبقت على عدائه دولتان، دولة ابن الزبير ودولة الأمويين؟»^(٣).

وهناك بعض التساؤلات على صعيد البحث نشير إليها:

الأول: روى الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي جعفر (عليه السلام) مناشدة محمد ابن الحنفية لعلي بن الحسين في مسألة الوصاية والإمامة حتى اتفقا على

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٤٥ و ٤٦.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٤٥ و ٤٦.

(٣) محمود البغدادي: النظرية السياسية: ٢٨٤.

تحكيم الحجر الأسود وطلب الشهادة منه على أحدهما، فانطلقا حتى أتيا الحجر الأسود، فقال علي بن الحسين لمحمد ابن الحنفية: «إبدأ أنت فابتهل إلى الله عزّ وجلّ وسله أن ينطق لك الحجر ثم سل» فابتهل محمد في الدعاء وسأل الله ثم دعا الحجر فلم يجبه، فعند ذلك تقدم علي بن الحسين وقال: «أسألك بالذي جعل فيك ميثاق الأنبياء وميثاق الأوصياء وميثاق الناس أجمعين لما أخبرتنا من الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام؟» فتحرّك الحجر حتى كاد أن يزول عن موضعه ثم أنطقه الله عزّ وجلّ بلسان عربي مبين فقال: اللهم إنّ الوصي والإمام بعد الحسين بن علي عليه السلام هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قال فانصرف محمد بن علي وهو يتولّى علي بن الحسين - عليهما السلام-^(١).

لكن الإجابة عن هذا السؤال واضحة، فإننا لو افترضنا صحة المضمون، واكتفينا في مثل هذه الواقعة الخطيرة بالخبر الواحد، لنا أن نقول بأن المناشدة كانت لأجل إفهام الآخرين بإمامة علي بن الحسين حتى يوجه نظر الجماهير إلى الإمام الحقيقي.

إنّ محمد ابن الحنفية أجل من أن لا يعرف شروط الإمامة وإنّها لم تكن متوفرة في حقّه. إذ لو كانت بالنص فلم يكن هناك نصّ عليه، ولو كانت بالمبايعة والتصفيق بالأيدي فلم تكن هناك مبايعة. ومع ذلك فهل يحتمل أن يشهد له الحجر بالإمامة.

الثاني: إذا لم تكن هناك دعوة باسم الكيسانية وإنّما خلقها أعداء المختار لإسقاطه من أعين الناس فبماذا يفسر ما أنشأه الشاعر كثير عزة.

(١) الكليني: الكافي: ٣٤٨/١ ح ٥، كتاب الحجّة.

ألا إن الأئمة من قریش
علي والثلاثة من بنیه
أو ما أنشأه السيد الحميري:

يا شعب رضوی ما لمن بك لا يرى وبنا إليه من الصبابة أولق
حتى متى؟ وإلى متى؟ وكم المدى يابن الرسول وأنت حي ترزق^(٢)

والأجابة عن هذا السؤال واضحة لأننا أيضاً نرافق القارئ في حكاية هذه الأشعار عن ظهور عقيدة خاصة في حق محمد ابن الحنفية، ولكنها لم تكن تتجاوز عن حدوث فتنة دينية أثارت شكوكاً تارة وأوهاماً أخرى على بعض الناس ولم يمض شيء حتى ذهبت أدراج الرياح، ولا تعد مثل ذلك فرقة إسلامية لها دور على بعض الناس على أن شعر السيد لا يثبت هذا المطلب لأنه يقول: يا ابن الرسول ولم يكن محمد ابن الحنفية ابناً للرسول ﷺ.

الثالث: روي أن السيد الحميري كان كيسانياً وله شعر في هذا المذهب ولكنه رجع إلى الحق بفضل الإمام جعفر الصادق عليه السلام وقال:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبر وأيقنتُ أن الله يعفو ويغفر
ودنتُ بدينٍ غير ما كنتُ دايماً به ونهاني سيد الناس جعفر
فقلت هب أني قد تهودتُ برهة وإلا فديني دين من يتنصر
فلست بغال ما حييتُ وراجع إلى ما عليه كنت أخفي وأضمر
ولا قائل قولاً لكيسان بعدها وإن عاب جهال مقالي وأكثروا
ولكنه من قد مضى لسبيله على أحسن الحالات يقضي ويؤثر^(٣)

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٧٨ - ٧٩، طبعة دار الاندلس.

٢ المسعودي: مروج الذهب: ٧٨ - ٧٩، طبعة دار الاندلس.

(٣) السيد المرتضى: الفصول المختارة: ٥٩٨.

إنَّ شعره هذا يحكي عن وقوع شبهة لبعض أولياء أهل البيت عليهم السلام فتصوروا المجاز حقيقة، ولكنهم رجعوا إلى شرعة الحقيقة وشربوا من مائها العذب المعين.

وقد اتضح بهذا البحث الضافي على أنَّ المذهب الكيساني تحدقه إبهامات وغموض في مؤسسه وأتباعه وأهدافه تكاد تدفع الإنسان إلى أنه مذهب مختلق من جانب الأعداء، ملصق بشيعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله لغاية تشويش أذهان الشيعة أولاً وتحطيم سمعة السيف البتار المختار بن أبي عبيدة ثانياً.

وهناك كلمة تدعم ما ذكرنا بأحسن وجه وهي أنَّ الباعث الوحيد لترويج هذا المسلك هو العباسيون في بداية أمرهم لأنَّهم كانوا يستمدون شرعية خلافتهم من هذا الطريق إذ يدعون أنَّ أبا هاشم أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

قال الأشعري: قالوا إنَّ أبا هاشم مات بأرض السراة منصرفاً من الشام فأوصى هناك إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأوصى محمد بن علي، إلى ابنه إبراهيم بن محمد ثم أوصى إبراهيم بن محمد إلى أبي العباس ثم أفضت الخلافة إلى أبي جعفر المنصور بوصية بعضهم إلى بعض (١).

فالعباسيون لأجل إضفاء الشرعية على خلافتهم كانوا يدعمون هذا المذهب ويصوّرونه أمراً واقعياً وصل إليهم من أئمة أهل البيت فمن الحسين عليه السلام إلى أخيه محمد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس إلى أن وصل إلى المنصور ذلك الحاكم الطاغي قاتل العلويين.

قال ابن خلدون في مقدمته: وآخرون يزعمون أنَّ أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفاً من الشام، أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأوصى

(١) الأشعري: مقالات الاسلاميين : ٢١، وفي النسخة «الشراة».

محمد إلى ابنه إبراهيم المعروف بالإمام، وأوصى إبراهيم إلى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح، وأوصى هو إلى أخيه عبد الله أبي جعفر الملقب بالمنصور، وانتقلت في ولده بالنص والعهد واحداً بعد آخر إلى آخرهم، وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بني العباس، وكان منهم: أبو مسلم وسليمان بن كثير وأبو سلمة الخلال وغيرهم من شيعة العباسية وربما يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس، لأنه كان حياً وقت الوفاة وهم أولى بالوراثة بعصبيّة العمومة^(١). والجدير بالفات نظر القارئ هو قول ابن خلدون: «وربما يعضدون ذلك بأن حقهم في هذا الأمر يصل إليهم من العباس» فإن ظاهره أن العباسيين يعضدون الكيسانية ويروجونها إذ من ذلك الطريق يصلون إلى شرعية حكمهم^(٢).

وفي الختام نأتي بكلمتين للشيخ المفيد، قال:

١ - أن جميع ما حكيناه من اعتقادات القوم، أمر حادث ألجأ القوم إليه الاضطرار، عند الحيرة، وفراقهم الحق، والأصل المشهور ما حكيناه من قول الجماعة المعروفة بإمامة أبي القاسم - محمد الحنفية - بعد أخويه والقطع على حياته وأنه القائم (وأما غير هذا القول فقد حدث بعد زمن، ألجأهم الاضطرار إليه).

٢ - انقرضت الكيسانية حتى لا يعرف منهم في هذا الزمان أحد إلا ما يحكى ولا تُعرف صحته، ويقول في مورد آخر: «إن الكيسانية في وقتنا هذا لا بقية لهم ولا يوجد عدد منهم، يقطع العذر بنقله، بل لا يوجد أحد منهم يدخل في جملة أهل العلم بل لا نجد أحداً منهم جملة، وإنما تقع مع الناس الحكاية عنهم خاصة^(٣).

(١) ابن خلدون: المقدمة: ٢٥٠/١، طبع دار الفكر، بيروت.

(٢) لاحظ البغدادي: الفرق بين الفرق: ٤٠ - ٤١. (٣) الشيخ المفيد: الفصول المختارة: ٢٩٧ - ٣٠٥.

حول سائر فرق الشيعة

قد ذكر أصحاب المقالات للشيعة فرقاً بصورة عامة وللزيدية والإمامية بصورة خاصة، أما فرق الزيدية فسوف نتناولها في مستقبل الكتاب ونثبت أن زيدا الثائر لم يكن إماماً في العقائد ولا فقيهاً صاحب منهج في الفقه ولم يكن له أي ادعاء في دينك المجالين حتى يكون إماماً في أحدهما ويشكل فرقة خاصة باسم الزيدية، نعم بعدما قتل زيد في المعركة وأدى واجبه تفرق أصحابه إلى فرق ومذاهب لا تمت بالثائر بصلة، فانتماء الفرق الزيدية إلى اتباع زيد الصق بهم من زيد عليه السلام وسيوافيك التفصيل في محله.

إنما الكلام عن الفرق التي ذكروها فرقاً للإمامية وقد كبروها وعدوها خمس عشرة فرقة وهي:

١ - الكاملية ٢ - المحمدية ٣ - الباقرية ٤ - الناووسية ٥ - الشمطية ٦ - العمارية ٧ - الإسماعيلية ٨ - المباركية ٩ - الموسوية ١٠ - القطعية ١١ - اثنا عشرية ١٢ - الهشامية ١٣ - الزرارية ١٤ - اليونسية ١٥ - الشيطانية ^(١).

وهؤلاء الذين ذكرهم البغدادي تبعاً للأشعري، وتبعهما الإسفرائيني في كتابه «التبصير في الدين» والشهرستاني في «الملل والنحل» والرازي في «اعتقادات المسلمين والمشركون» تدور بين الصحيح والمختلق، فإن كثيراً منها فرق في عالم

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٣٥٠.

الوهم والخيال نسجها مناوئوا أهل البيت لتشويه سمعة الشيعة الإمامية، ولنأتي بنموذج عنها وهم الفرق الأربعة الأخيرة، أعني: الهشامية والزرارية واليونسية والشيطنانية فإنك لا ترى أثراً من هذه الفرق في كتب الشيعة الإمامية.

أما الأولى: أي المنسوبة إلى هشام بن الحكم فمختلقة، فإن هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة الإمامية وبطانتهم وممن دعا له الإمام الصادق عليه السلام فقال: « ماتزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك ».

قال الشهرستاني: هذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة، فإن الرجل وراء ما يلزم به على الخصم، ودون ما يظهره من التشبيه!! وذلك أنه ألزم العلاف ^(١).

سيوافيك أن ما نقله عنه من التشبيه يرجع إلى زمن شبابه قبل اتصاله بالإمام الصادق عليه السلام ويعتبر الرجل بخواتيم أعماله ومعتقداته.

يقول أحمد أمين: أكبر شخصية شيعية في الكلام وكان جداً قوي الحجة، ناظر المعتزلة وناظره ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدل على حضور بديهته وقوة حجته.

إن الشيخ الأشعري قد أطنب الكلام عنه وذكر له عقائد خرافية في تجسيمه سبحانه وعطف عليه هشام بن صادق الجواليقي واشتراكهما في التجسيم ومضاعفاته ^(٢) وذكره البغدادي بنفس النص مع تلخيص ^(٣)، وتبعهما من جاء بعدهما كالشهرستاني غير أن هؤلاء لابتعادهم عن التعرّف برجال الشيعة لم يعرفوا هشام بن الحكم حق المعرفة واشتبه عليهم الأمر، فإن هشام كان بداية أمره من

(١) الشهرستاني: الملل والنحل: ١/١٨٥.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٣١/١ - ٣٤.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٦٥ - ٦٩.

تلامذة أبي شاعر الديصاني صاحب النزعة الإلحادية، ثم تبع جهم بن صفوان الجبري المتطرف المقتول بـ «ترمذ» عام ١٢٨هـ ولما التحق بالإمام الصادق عليه السلام ودان بمذهب الإمامية ترك ما كان يعتقد به من تجسيم وتشبيه فقد تطبعت عقليته على معارف أهل البيت إلى حد كبير، ولا يخفى على إنسان ملهم بالحديث والكلام أن التنزيه شعار أهل البيت عليهم السلام ولقد كفانا الشيخ عبد الله نعمة في رسم حياة هشام رسماً واقعياً منزهاً عن كل رأي مفتعل ^(١).

وأما الثانية: أعني الزرارية فهذه الفرقة المختلقة منسوبة إلى زرارة بن أعين من أجلاء تلاميذ الإمامين الباقر والصادق عليهم السلام. يقول النجاشي في حقه: شيخ أصحابنا في زمانه ومتقدمهم وكان قارئاً، فقيهاً، متكلماً، شاعراً، أديباً، قد اجتمعت فيه خصال الفضل والدين ^(٢) وقد ذكرنا له ترجمة ضافية طبعت في مقدمة مسنده، مات رحمته الله عام ١٥٠هـ ولم يكن له أي شطح في العقيدة أو اعوجاج في الفكر، وإنما كان يسير على ضوء إماميه الباقر والصادق عليهم السلام وقد أثنا عليه بجمل ضافية، ومسنده المطبوع لأصدق دليل على براءته في الكلام واضطالعه في الفقه.

نعم أن الضغائن والحققد على هذا المتكلم وعلى من سبقه - هشام بن الحكم - دفع المخالفين على رميهم بالانحراف الفكري، قال البغدادي: ومنهم الزرارية أتباع زرارة بن أعين الرافضي، في دعواها حدوث جميع صفات الله عز وجل وإنها من جنس صفات الله عز وجل وزعموا أن الله تعالى لم يكن في الأزل حياً، ولا عالماً ولا قادراً ولا مريداً ولا سميعاً، ولا بصيراً وإنما استحق هذه الأوصاف حين أحدث لنفسه حياة وقدرة وعلماً وأرادة وسمعاً وبصراً. ^(٣)

(١) لاحظ كتابه حياة هشام بن الحكم، طبع بيروت.

(٢) النجاشي: الرجال: ٣٩٧/١ برقم ٤٦١. ولاحظ مقدمة المؤلف على مسنده.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٣٠.

ما عزى إليه، نسبة مفتعلة، والرجل ممّن برع في الفقه الأكبر والأصغر في أحضان الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وحاشا أن يقول مثله بحدوث الأوصاف الثبوتية لله.

وأما الثالثة: فهي اليونسية المنسوبة إلى يونس بن عبد الرحمن مولى علي بن يقطين بن موسى، مولى بني أسد، فقد كان حافظاً للحديث، فقيهاً في الدين، متكلماً على مذهب أهل البيت. يقول النجاشي:

كان وجهاً في أصحابنا، متقدماً، عظيم المنزلة، ولد في أيام هشام بن عبد الملك ورأى جعفر بن محمد عليهما السلام بين الصفا والمروة ولم يرو عنه، وروى عن أبي الحسن موسى والرضا عليهما السلام، وكان الرضا عليه السلام يشير إليه في العلم والفتيا له كتاب يوم وليلة وقد قال في حقه الإمام العسكري عليه السلام: «أتاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة» وكتب أخرى ذكرها النجاشي ^(١).

وقد نسب إليه البغدادي من أنه كان يقول: إنّ الله تعالى يحمله حملة عرشه وإن كان هو أقوى منها ^(٢).

وأما الرابعة: فهو لاء يريدون من الشيطان، محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، كوفي صيرفي يلقب بـ «مؤمن الطاق» و«صاحب الطاق»، وإنما لقبه المخالفون بشيطان الطاق، وكان دكانه في طاق المحامل بالكوفة فيرجع إليه في النقد فيرد رداً فيخرج كما يقول فيقال شيطان الطاق. له كتاب الاحتجاج في إمامة أمير المؤمنين، وكتاب رد فيه على الخوارج، ومناظرات مع أبي حنيفة والمرجئة.

وقال ابن النديم: كان متكلماً حاذقاً. وله من الكتب: الإمامة وكتاب المعرفة

(١) النجاشي: الرجال: ٢/ ٤٢١ - ٤٢٢.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٢٢٨، والنسبة مفتعلة، والعدل والتنزيه من شعار أئمة أهل البيت، وما نقل أشبه بكلام المجسمة من الحنابلة والحشوية.

وكتاب الرد على المعتزلة في إمامة المفضل، وكتاب في أمر طلحة والزبير وعائشة^(١).
نسب إليه البغدادي من أنَّ الله تعالى إنما يعلم الأشياء إذا قدرها وأرادها، ولا يكون قبل تقديره الأشياء عالماً بها، وإلا ما صحَّ تكليف العباد^(٢).
إنَّ دراسة حياة هؤلاء الأكابر تشهد على أنَّهم من حفاظ أحاديث أهل البيت ومن مقتفي آثارهم، فعقيدتهم لا تختلف قدر شعرة مما كان عليه الإمام الصادق والإمام الكاظم^(عليه السلام).
هؤلاء كانوا صواعق تنزل على رؤوس المنافقين وتدمر أوكار أفكارهم، فلم يجد الخصوم بداً من الازدراء بهم حتى لقبوا بعضهم بالشیطانية تنابزاً بالألقاب.
نحن نسلم أنَّ له رأياً فيما ترجع إلى الاستطاعة كما زعمها الأشعري في مؤمن الطاق ومن تقدّمه^(٣).
أفصح أن يعد هؤلاء مؤسسين لفرق إسلامية بحجة أنَّ لهم رأياً في مسألة كلامه ولو صلح ذلك لبلغت عدد الفرق الإسلامية المائة بل المئات، إذ ما من مسألة كلامية إلاَّ فيها خلاف بين علماء الكلام.
هذا ما يرجع إلى الفرق الأربعة التي ذكرها البغدادي في آخر الفرق للإمامية، ولنرجع إلى ماصدّر به فرق الإمامية ونشرحها بالمشراط العلمي.

(١) ابن النديم: الفهرست: ٢٦٤، وأيضاً: ٢٥٨. (٢) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٧١.

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٤٣.

قالوا: منهم الكاملة:

يقول البغدادي: هؤلاء أتباع رجل من الرافضة كان يعرف بأبي كامل، وكان يزعم بأن الصحابة قد كفروا بتركهم بيعة علي، وكفر علي، بتركه قتالهم، وكان يلزمه قتالهم كما يلزمه قتال أصحاب صفين، وكان بشار بن برد الشاعر الأعمى على هذا المذهب، وروى أنه قيل: له ماتقول في الصحابة؟ قال: كفروا، فقيل له: فماذا تقول في علي؟ فتمثل بقول الشاعر:

وما شر الثلاثة أم عمرو بصاحبك الذي لا تصبحينا

وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنه ضم إلى ضلالتة في تكفير الصحابة وتكفير علي معهم ضلالتين أخريتين.

إحدهما: قوله برجعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة، كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الرافضة. الثانية: قوله بتصويب إبليس في تفضيل النار على الأرض، واستدلوا في ذلك بقول بشار في شعر له:

الأرض مظلمة والنار مشرقة والنار معبودة مذ كانت النار^(١).

يلاحظ عليه: بما ذكرنا في أول الفصل من أن عد فرقة من المذاهب الإسلامية مشروط بوجود المقسم في القسم فلو لم يشم القسم رائحة المقسم فلا يصح عده قسماً منه، فإن التشيع بالمعنى الاصطلاحي هو الاعتقاد بأن علياً عليه السلام هو المنصوب للقيادة بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ومعنى ذلك لزوم متابعتة والافتاء بأثره، وأنه الرجل الأمثل والأفضل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا كان الرجل مبغضاً

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٥٤، والإسفرائيني، التبصير: ٣٥، تحقيق كمال يوسف الحوت.

ومكفراً لعلّي وإن كان مكفراً لسائر الخلفاء، فهل يصح عدّه من الشيعة وعدّ مذهبه فرقة من فرق الشيعة الإمامية؟!.

لا أدري ولا المنجم يدري ولا القراء يدرون !!

على أنّ الرجعة ليست بمعنى رجوع جميع الناس إلى الدنيا المستلزم لإنكار البعث، بل المقصود رجوع عدد قليل من الصلحاء والطواغيت عند ظهور المهدي عليه السلام ولعل عددهم لا يتجاوز عدد الأصابع، وقد أوضحنا معناها في الجزء السادس من هذه الموسوعة (١).

ومنهم المحمدية:

هوّلاء ينتظرون محمد (النفس الزكية) بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ولا يصدّقون بقتله ولا بموته، ويزعمون أنّه في جبل حاجر من ناحية نجد إلى أن يؤمل بالخروج، وكان المغيرة بن سعيد العجلي مع ضلالاته في التشبيه يقول لأصحابه: إنّ المهدي المنتظر، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي، ويستدل على ذلك بأن اسمه كاسم رسول الله واسم أبيه عبد الله كاسم أبي رسول الله ﷺ، وقال في الحديث عن النبي ﷺ قوله في المهدي: «إنّ اسمه يوافق اسمي، واسم أبيه اسم أبي» فلما أظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي دعوته بالمدينة واستولى على مكة والمدينة، واستولى أخوه إبراهيم بن عبد الله على البصرة، واستولى أخوهما الثالث - وهو إدريس بن عبد الله - على بلاد المغرب، وكان ذلك في زمان الخليفة أبي جعفر المنصور فبعث المنصور إلى حرب «محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن» بعيسى بن موسى في جيش كثيف قاتلوا محمداً بالمدينة وقتلوه في المعركة، ثم أنفذ بعيسى بن موسى أيضاً إلى حرب «إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي» مع جنده، فقتلوا إبراهيم باب حمرين على

(١) السبحاني: موسوعة بحوث في الملل والنحل: ٣٦٣/٦.

الستة عشر فرسخاً من الكوفة، ومات في تلك الفتنة إدريس بن عبد الله بن الحسن بأرض المغرب، وقيل: إنه سُمِّ بها، ومات عبد الله بن الحسن بن الحسن والد أولئك الإخوة الثلاثة في سجن المنصور، وقبره بالقادسية، وهو مشهد معروف يزار^(١).

يلاحظ عليه: من سبر تاريخ العلويين يدعن بأنه كانت في عصر الإمام الصادق عليه السلام وأيام إمامته (١١٤ - ١٤٨هـ) فكرتان تسودهم، فمن معتقد بأن طريق إنقاذ الأمة الإسلامية من أيدي الأمويين ثم العباسيين يكمن في الكفاح المسلح، إلى آخر بأن الظروف لا تسمح للكفاح المسلح وإثماً الواجب توعية الناس وتنقيفهم وتعليمهم وإعدادهم إلى الظرف المناسب.

وقد سلك زيد الثائر الدرب وفق المعتقد الأول، وأعقبه أبنائه: يحيى بن زيد وعيسى بن زيد، ثم الحسينون عامة، ولذلك قام محمد بن إبراهيم بن الحسن المثنى بطرق هذا الباب وأثار ثورة مع إخوته كما عرفت، ولم يكن له ولا لإخوته أو غيره أي دعوة إلى شخصهم وإنما فرضوا على أنفسهم إزالة الحكومة الجائرة ثم تفويض الأمر إلى الأليق والأمثل من أئمة أهل البيت عليه السلام، وعلى ضوء ذلك فلا يصح لنا عد ثائر على الظلم مؤسساً لمذهب ومكوناً لفرقة، وأما أن أمثال المغيرة بن سعيد من رجال العبث والفساد الذين استبطلوه بتعريفهم إياه للملا على أنه المهدي المنتظر فلا يمت إلى الثائر بصلة، وقد تقدّم أن أئمة أهل البيت تبرأوا من ابن سعيد وأذنبه عملاء الفسق والفساد.

ومنهم: الباقرية والجعفرية:

إن الإمامية عن بكرة أبيهم يعتقدون بأن الأئمة اثنا عشر خلفاء الله بعد وفاة

(١) البغداي: الفرق بين الفرق: ٥٧ - ٥٨، وقد بسط الكلام في هذه الفرقة الإسفرائيني في التبصير: ٣٥ - ٣٦.

الرسول الأكرم ﷺ وقد ذكر الرسول الأكرم أسماءهم لخص أصحابه، منهم جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره^(١) وقد تضافر عن الرسول حسب ما رواه أحمد في صحيحه أنه يملك هذه الأمة اثنا عشر خليفة كعدد نجب بني إسرائيل^(٢) وروى البخاري عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش»^(٣) وروى مسلم عنه أيضاً يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش^(٤).

إلى غير ذلك من الروايات الناصة على أن خلفاء الرسول اثنا عشر خليفة، وقد ذكرنا متون الروايات في الجزء السادس من هذه الموسوعة^(٥).

وقد اتفقت الإمامية على أن محمداً الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام من الأئمة الاثني عشر بلا ريب أو شك، كما اتفقت الأمة على فضلهم وجلالتهما بلا ريب أو شك.

قال ابن خلكان: أبو جعفر محمد بن زين العابدين الملقب بـ «الباقر» أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق، كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر، لأنه تبقر في العلم، أي توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبي على الأجبِلِ^(٦)

(١) الحويزي: نور الثقلين: ٤١٤/١، في تفسير قوله تعالى: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (النساء - ٥٩).

(٢) أحمد بن حنبل، المسند: ٣٩٨/١.

(٣) البخاري: الصحيح: ١٠١/٩، كتاب الأحكام الباب ٥١ (باب الاستخلاف)

(٤) مسلم: الصحيح: ٣/٦ (٥) السبحاني: بحوث في الملل والنحل: ٥٨/٦ - ٦٢.

(٦) ابن خلكان: وفيات الأعيان: ١٧٤/٤.

وهذا هو الشهرستاني يعرف الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله: وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تام عن الشهوات، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه، ثم دخل العراق وأقام بها مدة^(١).

نعم كان الاعتقاد بظهور المهدي أمراً مسلماً بين المسلمين عامة والشيعة خاصة، وربما تطرأ الشبهة للعوام في حق بعض الأئمة، وقد نقل البغدادي أن من بين الشيعة من يقول: إن الإمام الباقر هو المهدي المنتظر، ويستدل بما روي عن النبي أنه قال لجابر بن عبد الله الأنصاري: «إنك تلقاه فاقربه مني السلام» وكان جابر آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وكان قد عمي في آخر عمره، وكان يمشي في المدينة ويقول: ياباقر، ياباقر، متى ألقاك؟ فمر يوماً في بعض سكك المدينة فناولته جارية صبيّاً كان في حجرها، فقال لها: من هذا؟ فقالت: هذا محمد ابن علي بن الحسين بن علي، فضمه إلى صدره وقبل رأسه ويديه ثم قال: يا بني، جدك رسول الله يقرئك السلام. ثم قال جابر: قد نعت إلي نفسي، فمات في تلك الليلة^(٢).

وتبعه الإسفرائيني في «التبصير»، ونسب إلى بعض الشيعة أنهم اعتقدوا بأن المهدي المنتظر هو أبو جعفر الباقر عليه السلام وليس في كتب الشيعة من هذه الفرقة من أثر، ولعله كانت هنا شبهة لبعض الناس فماتت الشبهة بموتهم.

ومنهم: الناوسية:

قال الأشعري: وهؤلاء يسوقون الإمامة إلى أبي جعفر محمد بن علي، وأنّ

(١) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٦٦/١.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٦٠.

أبا جعفر نصّ على إمامة جعفر بن محمد، وأنّ جعفر بن محمد حيّ لم يمت ولا يموت حتى يظهر أمره، وهو القائم المهدي وهذه الفرقة تسمّى الناووسية، لقبوا برئيس لهم يقال له: «عجلان بن ناووس» من أهل البصرة^(١).

وفي الحور العين: إنهم أتباع رجل يقال له «ناووس» وقيل: نسبوا إلى قرية ناووس^(٢).

إذا تردّد أمر مؤسس المذهب من أنّه هو «ناووس» أو ابنه عجلان، أو شخص ثالث منسوب إلى «ناووس» يكون أولى بأن يشك الإنسان في أصله وغاية ما يمكن أن يقال طرء شبهة لشخص أو شخصين في أمر المهدي فزعموا أنّه الإمام الصادق عليه السلام لكن ماتت الشبهة بموت أصحابها ولا يعد مثل ذلك فرقة، غير أنّ حبّ أصحاب المقالات لتكثير فرق الشيعة أولاً، وفرق المسلمين ثانياً لتجسيد حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، جرّهم إلى عدّ هؤلاء فرقة.

والحاصل بما أنّه لم يذكر لهم دور في الحياة، ولا حركة في المجتمع، يظن أنّه حصلت شبهة في مسألة المهدي، فزعم الرجل أنّه الإمام الصادق وتبعه واحد أو اثنان، ثم ماتت الفرقة بموت المشتبه فلا يعد مثل ذلك فرقة.

نحن نطلق الفرقة على جماعة لهم منهج في العقيدة أو مذهب في الفقه أو لهم دعايات وبلاغات وحركات في المجتمع.

إلى هنا لم نجد للشيعة الإمامية فرقة صحيحة قابلة للذكر فهي بين خارجة عن الدين من رأس كالغلاة، ومغمورة في أطباق الإبهام كالكيسانية، أو طارئة عليها الشبهة ولم يكتب لها البقاء إلاّ أياماً قلائل، والمظنون أنّ الشيعة الإمامية إلى عصر الإمام الصادق عليه السلام كانوا متماسكين غير منفصلين.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٥.

(٢) الحاكم الجشمي: الحور العين: ١٦٢.

قال الشهرستاني: إنّ الإمامية متفقون في الإمامة وسوقها إلى جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ومختلفون في المنصوص عليه من أولاده، إذ كانت له خمسة أولاد، وقيل ستة: محمد وإسحاق وعبد الله وموسى وإسماعيل ^(١).

الفرق الواقعية للشيعة بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام:

لقد عرفت أنّ جماهير الشيعة كانوا متماسكين غير مختلفين، ولو طرأت هناك شبهة فلواحد أو اثنين فلم تكن مؤثرة على التحامهم.

نعم، توفي الإمام الصادق عليه السلام وكان الضغط على الشيعة شديداً وكان أبو جعفر المنصور ذلك الحاكم الطاغية يقتل العلويين بقسوة شديدة، ففي هذه الظروف أي عام ١٤٨هـ لبي الإمام الصادق عليه السلام دعوة ربّه ولم يكن في إمكانه التصريح العام بالإمام الذي بعده، حتى أنّه لما مات أوصى إلى خمسة أشخاص منهم أبو جعفر المنصور ومنهم حاكم المدينة وثالثهم زوجته، وبذلك جعل الأمر مخفياً على الأعداء. وعند ذلك نشأ اختلاف بين الشيعة وتفرّقوا إلى فرق ثلاث:

الأولى: السميطة:

قالوا بأنّ الإمام هو محمد بن جعفر والإمامة في ولده، نسبت تلك العقيدة إلى رئيس لهم باسم يحيى بن سميطة ^(٢) ولم يكتب البقاء لهذه الفرقة وليس لها رسم ولا اسم بين كتب الشيعة الذين هم أعرف بفرقهم.

(١) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٦٧/١.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٧، البغدادى: الفرق بين الفرق: ٦١، الإسفرائيني: التبصير: ٢٣.

وفي الحور العين: يحيى بن أبي شميطة.

الثانية: الفطحية:

وهم القائلون بإمامة الاثني عشر مع عبد الله الأفطح ابن الصادق عليه السلام يدخلونه بين أبيه وأخيه (الإمام الكاظم عليه السلام)، وعن الشهيد عليه السلام أنهم يدخلونه بين الكاظم والرضا عليه السلام وقد كان أفطح الرأس، وقيل: أفطح الرجلين، وإنما دخلت عليهم الشبهة مما رووا عن الأئمة: الإمامة في الأكبر من ولد الإمام، ثم منهم من رجع عن القول بإمامته لما امتحنوه بمسائل من الحلال والحرام ولم يكن عنده جواب، ولما ظهرت منه الأشياء التي لا ينبغي أن تظهر من الإمام، ثم إن عبد الله مات بعد أبيه بسبعين يوماً، فرجع الباقيون - الشذاذ منهم - عن القول بإمامته إلى القول بإمامة أبي الحسن موسى عليه السلام.

وقد أسماهم أبو الحسن الأشعري بـ «العمارية» وقال: وأصحاب هذه المقالة منسوبون إلى زعيم منهم يسمى: عماراً، ولعل المراد منه هو: عمار بن موسى الساباطي من رؤساء الفطحية. قال: الشيخ الطوسي: عمار بن موسى الساباطي وكان فطحياً له كتاب كبير جيد معتمد ^(١).

الثالثة: الإسماعيلية:

وربما يعبر عنهم بالقرامطة: وهم القائلون بإمامة إسماعيل بن جعفر ولما مات إسماعيل في حياة أبيه صارت الإمامة في ابنه محمد بن إسماعيل، وهم فرقة كبيرة موجودة في العصر الحاضر.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٧، والبغدادى: الفرق بين الفرق: ٦٢. والنوبختي: فرق الشيعة: ٦٨، والطوسي: الفهرست: برقم ٥٢٧.

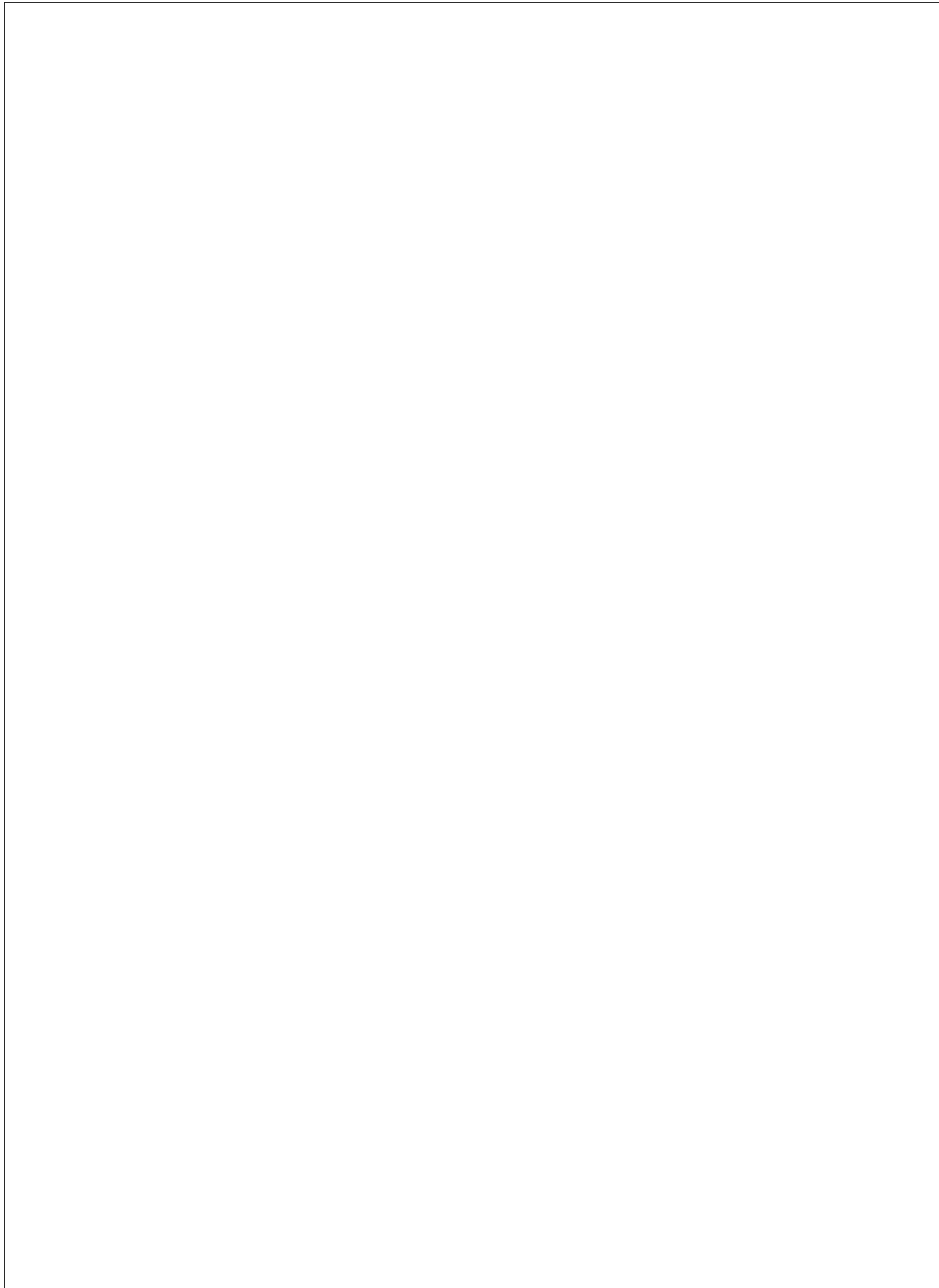
الرابعة: الواقفية:

إنَّ الشيعة الإمامية القائلة بإمامة الاثني عشر قالت إنّ الإمام بعد جعفر الصادق عليه السلام هو ابنه موسى بن جعفر عليه السلام ولهم على إمامته براهين وحجج مقنعة، فلما توفي وقفت عدّة على إمامة موسى عليه السلام ولم يقولوا بإمامة ولده علي بن موسى الرضا عليه السلام.

قال الأشعري: وهذا الصنف يدعون الواقفة لأنّهم وقفوا على موسى بن جعفر ولم يجاوزوه إلى غيره، وبعض مخالفين هذه الفرقة يدعونهم بالممطورة، وذلك أنّ رجلاً منهم ناظر يونس بن عبد الرحمن فقال له يونس: أنتم أهون عليّ من الكلاب الممطورة، فلزمهم هذا النبز وربما يطلق عليهم: الموسوية ^(١).

هذه الفرق الأربعة، السميطة، الفطحية، الإسماعيلية والواقفية هي الفرق الواقعية للشيعة بعد الإمام الصادق عليه السلام وقد هلكت جميعها ولم يبق منهم إلّا الإسماعيلية وأمّا النصيرية، أعني: أصحاب محمد بن نصير الفهري، فهم من الغلاة الذين لا يمتّون إلى الإسلام والتشيع بصلة، ظهرت في عصر الإمام الهادي عليه السلام وهم أصحاب محمد بن نصير النميريّ وقيل فيهم غير ذلك ومثلهم المفوضة ببعض معانيها. بما أنّ نطاق هذا الجزء يضيق عن التبسط سنبحث عن هذه الفرق في مقدّمة الجزء الثامن المختص بالإسماعيلية بفضل من الله تبارك وتعالى.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٢٨ - ٢٩.



الفصل الثاني

حياة زيد في عصر الأئمة الثلاثة

عليه السلام

بَحَسَ المؤرخون حقوق آل البيت جميعاً، وحقوق زيد الثائر الشهيد خصوصاً ولم يذكروا من أحواله شيئاً كثيراً، مع أنهم استقصوا بيان حياة الجائرين من بني أمية والعباس وذكروا مجالس المجون والخلاعة لهم، وما جرى بينهم وبين المغنّيات وسائر الأجلاف فيها. من القصص والهزليات وهذا إن دل على شيء فإنما يدلّ على اضطهاد أهل البيت حتى عند أهل القلم والبيان، فأخفوا آثارهم ومناقبهم. ولأجل ذلك نذكر في المقام ما وقفنا عليه في طيات الكتب معتذرين عن قلة ما نهدي إلى سدة ثائرتنا - قدس الله نفسه الزكية - .

فنقول:

حياته في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام :

أدرك زيد بن علي من الأئمة الاثني عشر، ثلاثة:

١- والده علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (٣٨ - ٩٤ هـ).

٢- أخوه الأكبر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام (٥٧-١١٤هـ).

٣- ابن أخيه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨هـ).

فلنذكر فيما يرجع إلى المحور الأول من المحاور الثلاثة، نسبه وميلاده ومواصفاته الخلقية وما يمت إليه بصلة.

نسبه الوضّاح :

هو زيد الشهيد، بن زين العابدين علي، بن سيد الشهداء الحسين، بن مولى الموحدين وسيد الوصيين علي، بن حامي الرسول والذائد عن حريمه صلى الله عليه وآله أبي طالب، هؤلاء آبؤه فله أن يفتخر ويقول:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وأما أمّه فاسمها حورية أو حوراء اشتراها المختار بن أبي عبيدة الثقفي وأهداها إلى علي بن الحسين عليه السلام روى أبو الفرج في مقاتل الطالبين: أنّ المختار بن أبي عبيدة اشترى جارية بثلاثين ألفاً فقال لها: أدبري، فأدبرت، ثم قال لها: أقبلي، فأقبلت، ثم قال: ما أرى أحداً أحقّ بها من علي بن الحسين، فبعث بها إليه، وهي أم زيد بن علي عليه السلام وأنجبت له زيدا وعمر، وعلياً وخديجة ^(١).

روى ابن قولويه (م ٣٦٩هـ) قال: روى بعض أصحابنا، قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فكان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس فجاءوه يوم ولد فيه زيد، فبشروه به بعد صلاة الفجر، قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: «أي شيء ترون أن أسمي هذا المولود؟» فقال كل رجل منهم: سمّه كذا، سمّه كذا. قال: فقال: «يا غلام عليّ بالمصحف»، فجاءوا بالمصحف، فوضعه على

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٨٦، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

حجره. قال: ثم فتحه، فنظر إلى أول حرف في الورقة، فإذا فيه: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء - ٩٥) قال: ثم طبقه، ثم فتحه، فنظر فإذا في أول الورقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة - ١١١) ثم قال: «هو والله زيد، هو والله زيد». فسمي زيدا^(١).

وفي الروض النضير بعد نقل الآيتين، قال الإمام: «عزيت عن هذا المولود وأنه لمن الشهداء»^(٢) وإنما اختار الإمام هذا الاسم بعد التفاؤل بالقرآن والمفاجأة بالآيتين، في صدر الورقة لما تضافر عن النبي والوصي والحسين بن علي عليه السلام أنه قال مشيراً إلى الحسين عليه السلام: «إنه يخرج من ولده رجل يقال له زيد، ويقتل بالكوفة، يصلب بالكناسة، ويخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء وتبتهج به أهل السماوات»^(٣) فأيقن أن المولود هو الذي تنبأ به الرسول الأعظم صلوات الله عليه.

ميلاده:

اختلف المؤرخون في ميلاده، ويرجع بعض الاختلاف في ميلاده، إلى الاختلاف في مقتله، وأنه هل استشهد سنة مائة وعشرين، أو مائة وإحدى وعشرين، أو مائة وثلثين وعشرين، أو مائة وثلاث وعشرين، وبما أن المشهور أنه

(١) ابن إدريس: السرائر: ٦٣٨/٣، قسم المستطرفات، فيما استطرفه من روايات أبي القاسم بن قولويه وحفيد بن أحمد المحلي (٥٨٢ - ٦٥٢هـ): الحقائق الوردية: ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) السياغي: الروض النضير: ١٠٠/١.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٠/١، الباب ٢٥، وحفيد بن أحمد المحلي: الحقائق الوردية: ١٣٨ - ١٣٩، وسيوافيك تفصيل التنبؤات في محلها.

استشهد عن عمر يناهز (٤٢ سنة) ، وتلك الشهرة منضمة إلى الاختلاف في نفس الميلاد، صاراً سبباً للاختلاف الأكثر في ميلاده، وها أنا نسرد أقوال المؤرخين والمترجمين، وعلى جميع الأقوال يدور ميلاده بين سنة (٧٥) و (٧٩) وربما يبدو أنّ الحق غير ذلك، وسيوافيك آخر البحث:

١- قال محمد بن سعد: قتل يوم الاثنين ليلتين خلتا من صفر سنة عشرين ومائة ويقال: سنة اثنتين وعشرين ومائة^(١).

٢- وقال البخاري: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي عن أبيه، روى عنه عبد الرحمن بن الحارث ويقال: كنيته أبو الحسين، أخو محمد بن علي، وحسين بن علي قتل سنة ثنتين وعشرين ومائة^(٢).

٣- وقال ابن حبان في الثقات: رأى جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وروى عنه ولده، وقتل سنة ثنتين وعشرين ومائة^(٣).

٤- وعن مصعب بن عبد الله الزبيري: قتل زيد بن علي بالكوفة. قتله يوسف بن عمر في زمن هشام بن عبد الملك وقتل يوم الاثنين لثلاث خلت من صفر سنة عشرين ومائة، وهو يوم قتل، ابن اثنتان وأربعين سنة^(٤).

٥- وقال الذهبي: اختلف في تاريخ مصرعه على أقوال: فقال مصعب الزبيري: قتل في صفر سنة عشرين ومائة وله اثنتان وأربعون سنة.

وقال أبو نعيم: قتل يوم عاشوراء سنة اثنتين وعشرين ومائة، رواه ابن سعد.

وقال الزبير بن بكار: قال محمد بن الحسن: قتل زيد يوم الاثنين ثاني صفر

(١) ابن سعد: الطبقات: ٣٢٦/٥.

(٢) البخاري: التاريخ الكبير: ٤٠٣/٢ برقم ١٣٤١.

(٣) ابن حبان: الثقات: ٢٤٩/٤ - ٢٥٠.

(٤) المزي: تهذيب الكمال: ٩٨/١٠.

سنة اثنتين وعشرين ومائة^(١).

٦- وقال الصفدي: وكانوا قد صلبوه بالكناسة سنة إحدى واثنين أو ثلاث وعشرين ومائة، وله اثنتان أو أربع وأربعون سنة ثم حرقوه بالنار، فسمي زيد النار، ولم يزل مصلوباً إلى سنة ست وعشرين ثم أنزل بعد أربع سنين من صلبه^(٢).

٧- وروى السياغي عن الإمام المرشد بالله في أماليه أنه ولد سنة ٧٥ واستشهد سنة ١٢٢ هـ^(٣).

وسيوافيك عن الطبري والجزري في الفصل المختص بثورته أنهما ذكرا تاريخ خروجه واستشهاده عام ١٢٢ هـ

القول الحق في ميلاده :

ولكن هنا احتمالاً آخر لا يتفق مع جميع الأقوال لكن تؤيده القرائن والروايات وهي أن أم زيد كما تقدم - كانت أمة أهداها المختار إلى الإمام زين العابدين عليه السلام - وقد خرج المختار عام ٦٦ وقاتل عام ٦٧ هـ وطبع الحال يقتضي أنه أهداها إلى الإمام في أحد العامين، ولا يمكن تأخره عنهما، وبما أن زيداً كان أول ولد أنجب فلا محيص عن القول بأن زيدا من مواليد سنة ٦٧ هـ أو بعدها، ولو قلنا بتأخر ولادة زيد إلى عام ٧٥ هـ وما بعده فلازم ذلك أن لا يمسه الإمام إلى ذلك العام أو كانت لا تلد إلى تلك السنة أو أولدت ولكن لم يكن له حظ من البقاء والكل بعيد. وعلى ضوء ذلك يحتمل قوياً أن يكون ميلاد زيد هو

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ١٠٧ - ١٠٨ (حوادث سنة ١٢١ - ١٤٠ هـ).

(٢) الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٤/١٥. (إن «زيد النار» لقب زيد بن موسى بن جعفر الذي خرج في عصر «المأمون» وأحرق بيوت بني العباس: والظاهر أن الصفدي قد سها في تسمية زيد بن علي به).

(٣) السياغي: الروض النضير: ٩٦/١.

عام قتل المختار، أعني: ٦٧هـ أو عام بعده، فلو أخذ في مقتله بالقول المشهور، وأنه استشهد عام ١٢٢هـ يكون عمره عند ذاك حوالي ٥٥ سنة.

هذا وتؤيد ذلك روايات تنص على أن أمه حملت زيدا عام الأهداء وإليك نصها:

١ - روى الشيخ أبو القاسم فرات بن إبراهيم الكوفي - من أعلام أوائل القرن الرابع - في تفسيره عن الجعفي عن أبيه، قال: كنت أدمن الحج فأمّر علي بن الحسين (عليه السلام) فأسلم عليه ففي بعض حججي غدا علينا علي بن الحسين (عليه السلام) ووجهه مشرق فقال: «جاءني رسول الله ﷺ في ليلتي هذه حتى أخذ بيدي فأدخلني الجنة، فزوّجني حوراء فواقعته فعلقته، فصاح بي رسول الله ﷺ: يا علي بن الحسين سمّ المولود منها زيدا».

قال: فما قمنا من مجلس علي بن الحسين ذلك اليوم، وعلي بن الحسين (عليه السلام) يقصّ الرؤيا حتى أرسل المختار بن أبي عبيدة بأم زيد أرسل بها إليه المختار ابن أبي عبيدة هدية إلى علي بن الحسين (عليه السلام) شراها بثلاثين ألفاً، فلما رأينا إشغافه بها تفرّقنا من المجلس، فلما كان من قابل حجبت ومررت على علي بن الحسين (عليه السلام) لأسلم عليه فأخرج بزيد على كتفه الأيسر وله ثلاثة أشهر وهو يتلو هذه الآية ويومئ بيده إلى زيد وهو يقول: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ (١).

٢ - روى أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقيفي وقال: وعن أبي حمزة الثمالي قال: كنت أزور علي بن الحسين (عليه السلام) في كل سنة مرة في وقت الحج، فأتيته سنة وإذا على فخذه صبي، فقام الصبي فوقع على عتبة الباب فانشج رأسه، فوثب إليه علي بن الحسين (عليه السلام) مَهْرُولاً فجعل ينشف دمه بثوبه ويقول له:

(١) فرات بن إبراهيم: التفسير: ٢٠٠، تحقيق محمد الكاظم والآية ١٠٠ من سورة يوسف.

«يابني أُعيدك بالله أن تكون المصلوب في الكناسة!» قلت: بأبي أنت وأمي أي كناسة؟ قال: «كناسة الكوفة». قلت: جعلت فداك ويكون ذلك؟ قال: «أي والله إن عشت بعدي لترين هذا الغلام في ناحية من نواحي الكوفة مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً في الكناسة ثم ينزل فيحرق ويدق ويدري في البر».

قلت: جعلت فداك وما اسم هذا الغلام؟ قال: «زيد». ثم دمت عيناه، ثم قال: «ألا أحدثك بحديث ابني هذا، بينما أنا ليلة ساجد وراكع، ذهب بي النوم فرأيت كأنني في الجنة، وكأن رسول الله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين - صلوات الله عليهم أجمعين - قد زوجوني جارية من الحور العين، فواقعتها واغتسلت عند سدرة المنتهى وولّيت، وهاتف يهتف بي: لِيَهْنَك زيد، لِيَهْنَك زيد، لِيَهْنَك زيد. فاستيقظت فأصبت جنابة، فقممت فتطهرت وصليت صلاة الفجر، فدق الباب وقيل لي: على الباب رجل يطلبك. فخرجت فإذا أنا برجل معه جارية ملفوف كمها على يده، مخمرة بخمار، فقلت: ما حاجتك؟ فقال: أريد علي بن الحسين. فقلت: أنا علي بن الحسين. قال: أنا رسول المختار بن أبي عبيدة الثقفي وهو يقرئك السلام ويقول: وقعت هذه الجارية في ناحيتنا فاشتريتها بستمائة دينار وهذه ستمائة دينار فاستعن بها على دهرك^(١). ودفع إلي كتاباً، فأدخلت الرجل والجارية وكتبت له جواب كتابه، وقلت للجارية: ما اسمك؟ قالت: حوراء. فهيئووها لي وبث بها عروساً فعلقت بهذا الغلام فسمّيته زيدا، وهو هذا، وسرّي ما قلت لك».

(١) روى ابن الأثير: أنّ المختار وجد في بيت المال تسعة آلاف ألف فقسمها بين أصحابه (الكامل: ٢٢٦/٤) ولعله عند ذاك بعث بهذه الدنانير إلى علي بن الحسين (عليه السلام)، فيكون عام الإهداء هو عام الخروج.

قال أبو حمزة: فما لبثت إلا برهة حتى رأيت زيدا بالكوفة في دار معاوية بن إسحاق فسلمت عليه. ثم قلت: جعلت فداك ما أقدمك هذا البلد؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فكنت أختلف إليه فجئته ليلة النصف من شعبان فسلمت عليه وجلست عنده. فقال: يا أبا حمزة تقوم حتى تزور قبر أمير المؤمنين علي عليه السلام؟ - قلت: نعم جعلت فداك.

ثم ساق أبو حمزة الحديث حتى قال:

أتينا الذكوات البيض فقال: هذا قبر علي بن أبي طالب عليه السلام ثم رجعنا فكان من أمره ما كان. فوالله لقد رأيته مقتولاً مدفوناً منبوشاً مسلوباً مسحوباً مصلوباً بالكناسة ثم أُحرق ودق وذُري في الهواء^(١).

٣ - ما رواه أبو القاسم علي الخزاز قال: عن زيد بن علي عليه السلام قال: كنت عند أبي علي بن الحسين عليه السلام إذ دخل عليه جابر بن عبد الله الأنصاري، (م ٧٨هـ) فبينما هو يحدثه إذ خرج أخي محمد من بعض الحجر، فأشخص جابر ببصره نحوه ثم قام إليه فقال: يا غلام أقبل، فأقبل، ثم قال: أدبر، فأدبر، فقال: شمائل كشماثل رسول الله ﷺ ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمد». قال: ابن من؟ قال: «ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»، قال: أنت إذاً الباقر. قال: فأبكي (فانكب) عليه وقبّل رأسه ويديه ثم قال: يا محمد إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام. قال: «على رسول الله أفضل السلام وعليك يا جابر بما أبلغت السلام».

ثم عاد إلى مصلاه، فأقبل يحدث أبي ويقول: إن رسول الله ﷺ قال لي يوماً: يا جابر إذا أدركت ولدي الباقر فاقرأه مني السلام فإنه سمّي وأشبه الناس بي، علمه علمي وحكمه حكمي، سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار، والسابع

(١) الثقفى: الغارات: ٨٦٠/٢ - ٨٦١؛ وابن طاووس: فرحة الغري: ٥١، المطبوع في ذيل مكارم الأخلاق.

مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (١).

المشهور أنَّ جابر، توفي بين السبعين والثمانين من الهجرة (٢).

وهذه الروايات المسندة، التي رواها الأثبات من العلماء، مع ما ذكرنا من القرينة يدفع جميع الأقوال ويثبت أنَّ ميلاده كان متقدماً على عقد السبعين كما عرفت.

إكمال :

ولعل ما يرويه الكليني في كافيهِ من تعبير عبد الملك تزويج الإمام السجاد، أمته راجع إلى أم زيد التي كانت أمة وتزوجها الإمام بعد الاعتاق، وإليك النص:

كان لعبد الملك بن مروان عين بالمدينة يكتب إليه بأخبار ما يحدث فيها، وإن علي بن الحسين عليه السلام أعتق جارية له ثم تزوجها، فكتب العين إلى عبد الملك.

ثم كتب عبد الملك إلى علي بن الحسين عليه السلام: «أما بعد: فقد بلغني تزويجك مولاتك، وقد علمت أنه كان في أكفائك من قريش من تُمجّد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت والسلام.

فكتب إليه علي بن الحسين عليه السلام: «أما بعد: فقد بلغني كتابك تعنّفني بتزويجي مولاتي وتزعم أنه قد كان في نساء قريش من أتمجّد به في الصهر،

(١) الخزاز: كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر: ٢٩٨. والآية ٧٣ من سورة الأنبياء.

(٢) قال الشيخ الطوسي في رجاله: أنه توفي عام ٧٨، وبه قال ابن قتيبة في معارفه، والطبري في ذيوله لاحظ: قاموس الرجال لشيخنا التستري: ٥١٩/٢.

واستنجه في الولد، وأنه ليس فوق رسول الله ﷺ مرتقاً في مجد، ولا مستزاد في كرم. وإنما كانت ملك يميني خرجت مني، أراد الله عز وجل مني بأمر التمس به ثوابه، ثم ارتجعتها على سنة، ومن كان زكياً في دين الله فليس يخل به شيء من أمره، وقد رفع الله بالإسلام الخسيصة، وتمم به النقيصة، وأذهب اللؤم، فلا لؤم على أمرئ مسلم إنما اللؤم لؤم الجاهلية والسلام».

فلما قرأ، الكتاب رمى به إلى ابنه سليمان فقراه، فقال: يا أمير المؤمنين لشد ما فخر عليك علي بن الحسين!! فقال: يا بني لا تقل ذلك فإنها السن بني هاشم التي تغلق الصخر، وتغرف من بحر، أن علي بن الحسين عليه السلام يا بني يرتفع من حيث يتضع الناس^(١).

مواصفاته الخلقية :

نقل السياغي عن الشيخ أبي محمد يحيى بن يوسف بن محمد الحجوري الشافعي: أن زيدا كان أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أقرنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلا أنه خالطه الشيب في عارضيه. كان مثل جده عليه السلام في شجاعته وسخاوته وفصاحته وبلاغته وعلمه وحلمه - إلى أن قال: - وما أشبه حاله بقول من قال:

فما إن براه الله إلا لأربع	يقر له القاصي بهن مع الداني
إمام لأخيار، وقلب لجحفل	وفارس ميدانٍ وصدر لا يوان

(١) الكليني: الكافي: ٣٤٤/٥.

إلى أن قال: ونحن نعلم بأن من بني أمية من خطب له في ثمانين ألف منبر، فإذا مات، مات ذكره معه، وكان من بني العباس من كانت دولته خمسين سنة وملك أقطار الأرض من شرق وغرب فما كان ذكرهم إلا مدة حياتهم^(١).

روى أبو الفرج عن مولى آل الزبير، قال: كنت عند علي بن الحسين عليه السلام فدعا ابناً له يقال له: زيد، فكبا لوجهه، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «أُعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ زَيْدًا الْمَصْلُوبَ بِالْكِنَاسَةِ مِنْ نَظَرِ إِلَى عَوْرَتِهِ مُتَعَمِّدًا أَصْلَى اللَّهِ وَجْهَهُ النَّارَ»^(٢).

وعن أبي خالد الواسطي وأبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال لهما: «يا أبا خالد، وأنت يا أبا حمزة إنَّ أبي دعا زيداً فاستقرأه القرآن، فقرأ عليه، فسأله عن المعضلات ثم دعا له وقبّل بين عينيه»، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: «يا أبا حمزة إنَّ زيداً أُعْطِيَ مِنَ الْعِلْمِ عَلَيْنَا بِسُطَّةٍ»^(٣).

والظاهر أنَّ الراوي صحّف كلمة الإمام وأضاف لفظة «علينا» وأنَّ أبا جعفر قال: إنَّ زيداً أُعْطِيَ مِنَ الْعِلْمِ بِسُطَّةٍ مُشِيرًا إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: «وَزَادَهُ بِسُطَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ» (البقرة - ٢٤٧).

ولو صحّ ما ذكره السياغي فيرجع كونه ذا قراءة خاصة إلى عصره والده السجاد عليه السلام: فقال أبو سعيد الحميري أنه ضليع بعدّة علوم منها علم القرآن، ووجوه القراءات وله قراءة خاصة مفردة مروية عنه^(٤).

ونقل الشيخ الطوسي في الفهرست أنَّ قراءته هي عين قراءة جده الإمام علي

(١) السياغي: الروض النضير: ٩٧/١، حميد بن أحمد المحلي: الحقائق الوردية: ١٣٨.

(٢) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٨٩.

(٣) السياغي: الروض النضير: ١٠٢/١، حميد بن أحمد المحلي: الحقائق الوردية: ١٤٢.

(٤) الحور العين: ١٨٦.

ابن أبي طالب عليه السلام^(١).

قال محقق تفسيره في مقدمته: «ولعلَّ أوَّل من جمع قراءته بكتاب مستقل عمر بن موسى الوجيهي الذي كان معاصراً لزيد فقال عنها: «إنَّ هذه القراءة سمعتها عن زيد بن علي عليه السلام» وكان هذا الكتاب موجوداً بعد سنة إحدى وستين ومائتين فقد استنسخها إبراهيم بن مسكين في السنة ذاتها ونقل عنه بعد ذلك يحيى بن كهشمش.

وقد جمع قراءته أيضاً الحسن بن علي الأهوازي. ولعلَّ أبا حيان قد اطلع عليها أو على قسم منها على الأقل، فقد استشهد منها في كتابه البحر المحيط فذكر «أنَّ الأهوازي... في قراءة زيد بن علي أنَّه قرأ ربَّ العالمين الرحمن الرحيم بنصب الثلاثة».

وجمعها أيضاً أبو حيان في كتاب سمَّاه: «النير الجلي في قراءة زيد بن علي».

ووردت قراءة زيد أيضاً كاملة في كتب القراءة والتفسير لكنها مقرونة بغيرها من القراءات حسب ورود كل منها على الآية القرآنية الكريمة.

فقد جاءت بهذه الطريقة في كتب القراءات كما في كتاب «شواذ القراءة» للكرماني، وأيضاً في كتاب «معجم القراءات القرآنية».

وكذلك وردت كاملة في كتب التفسير كما في كتاب «البحر المحيط» لأبي حيان وكذلك ضمها الآلوسي لكتابه في التفسير المسمَّى «روح المعاني»^(٢).

وقال الكاتب الجليبي: كتاب «النير الجلي في قراءة زيد» لأبي علي الأهوازي المقرئ^(٣).

(١) الطوسي: الفهرست: ١٤٠.

(٢) الدكتور حسن محمد تقي الحكيم: تفسير الشهيد زيد بن علي: ٣٧، المقدمة.

(٣) الكاتب الجليبي: كشف الظنون: ٦٢٤/٢.

وفي الختام:

نقل المقرئزي عن عاصم بن عبيد الله أنه قال: لقد أصيب عندكم رجل ما كان في زمانكم مثله، ولا أراه يكون بعده مثله (زيد بن علي) لقد رأيته وهو غلام حدث، وأنه ليسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه، حتى يقول القائل ما هو بعائد إلى الدنيا... (١).

حياته في عصر الإمام الباقر عليه السلام:

التحق الإمام زيد العابدين عليه السلام بالرفيق الأعلى، ونص على إمامة ولده البار، أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام الذي دان بفضلته وعلمه وورعه الداني والقاصي، والمؤلف والمخالف قال ابن حجر: سمي الإمام باقراً، لأنه من بقر الأرض أي شقها وإثارة مخبأاتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل هو باقر العلم وشاهر علمه ورافعه (٢).

لقد استنارت بقية الصحابة ووجوه التابعين، من نوره، وارتووا من منهل علمه، فكان الاحتفال بمجالسه أكبر احتفال، يوم ذاك. توفي الإمام زين العابدين عليه السلام، وزيد بن علي في أوان حلمه، أو بعده بقليل فضمه الإمام الباقر إلى أولاده فكان يعطف عليه ويحنو إليه كالوالد الرؤوف بالنسبة إلى أولاده إلى أن شب وترعرع، وبلغ في العلم والعمل ما بلغ، وقد نص بذلك أكثر من كتب عن زيد:

(١) السياغي: الروض النضير: ٩٨ / ١، لاحظ الخطط للمقرئزي: ٤١٩/٢.

(٢) ابن حجر: الصواعق المحرقة: ٢٠٠، ط ٢، مكتبة القاهرة (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م). (٦٩)

- ١- قال الشيخ في فصل أصحاب الإمام الباقر عليه السلام: «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو الحسن، أخوه عليه السلام، ذكره أيضاً في أصحاب أبيه زين العابدين عليه السلام» (١).
- ٢- قال المزي: روى عن: أبان بن عثمان، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير وأبيه علي بن الحسين وأخيه أبي جعفر محمد بن علي الباقر (٢).
- ٣- وذكره بهذا النص ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣).
- ٤- وقال الذهبي: زيد بن علي بن الحسين... الهاشمي العلوي أخو أبي جعفر... روى عن: أبيه وأخيه أبي جعفر وعروة وكان أحد العلماء الصلحاء بدت منه هفوة (٤) فاستشهد فكانت سبباً لرفع درجته في آخرته (٥).
- لقد عاش زيد تحت رعاية أخيه الكبير البار الحنون فتلقى منه الحديث والتفسير والأصول والمعارف حتى فاق وبرع أقرانه.
- قال ابن زهرة: وقد مات أبوه (زيد) عام ٩٤هـ أي وهو في الرابعة عشرة من عمره فتلقى الرواية عن أخيه محمد الباقر عليه السلام الذي يكبره بسن تسمح بأن يكون له أباً إذ إنَّ الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر عليه السلام، كان مثل سن الإمام زيد رضي الله عنهم أجمعين.

(١) الشيخ الطوسي: الرجال: باب الزاي: ٨٩ - ١٢٢. (٢) جمال الدين المزي: تهذيب الكمال: ٩٦/١٠.

(٣) ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: ٤١٩/٣.

(٤) أنظر إلى كلام الرجل، وتسميته الخروج على الظلم والعدوان هفوة والمداواة مع الظالمين ثباتاً على الدين. ولا عتب لأنه من الذين رأوا الخروج على الظالمين حراماً، على خلاف قول رسول الله من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً حرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عبادته بالإثم والعدوان، فلم يُغير عليه بفعل أو قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله (الطبري: التاريخ: ٣٠٤/٤) وسيوافيك الكلام في هذا المجال في المستقبل.

(٥) الذهبي: تاريخ الإسلام: ١٠٥ (حوادث سنة ١٢١ - ١٤٠هـ).

وما كان من المعقول أن يجمع الإمام زيد وهو في سن الرابعة عشرة كل علم آل البيت فلا بد أن يكمل أشطراً من أخيه الذي تلقى علم أبيه كاملاً، وقد كان الباقر عليه السلام إماماً في الفضل والعلم، وأخذ عنه كثيرون من العلماء ورووا عنه ومن هؤلاء أبو حنيفة شيخ فقهاء العراق، وقد نال الباقر عليه السلام فضل الإمامة العلمية، حتى أنه كان يحاسب العلماء على أقوالهم وما فيها من خطأ وصواب ^(١).

كان الإمام الباقر عليه السلام ينظر إليه نظر أخٍ عطوف ويثني عليه أحياناً ويطريه، ويأمر بعض أصحابه بإنشاء طرائف تمثل شخصية زيد ونفسيته وإليك بعض ما وقفنا عليه:

٥- روى الصدوق في الأمالي عن أبي الجارود قال: إنني لجالس عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام إذ أقبل زيد فلما نظر إليه وهو مقبل، قال: «هذا سيد أهل بيته والطالب بأوتارهم لقد أنجبت أم، ولدتك يا زيد» ^(٢).

٦- وعن جابر الجعفي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام وقد نظر إلى أخيه زيد بن علي فتلا هذه الآية: «فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا ...» الآية، وقال: هذا والله من أهل ذلك» ^(٣).

٧- وعنه أيضاً سألت محمد بن علي عليه السلام عن أخيه زيد فقال: «سألتني عن رجل ملئ إيماناً وعلماً من أطراف شعره وقدمه وهو سيد أهل بيته» ^(٤).

دخل زيد على الإمام الباقر عليه السلام فلما رآه تلا: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ» ثم قال: «أنت والله يا زيد من أهل ذلك» ^(٥).

(١) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية: ٢ / ٤٦٥.

(٢) الصدوق: الأمالي: ٣٣٥، الحديث ١١.

(٣) السياغي: الروض النضير: ١٠٤/٤. والآيتان من سورة آل عمران: ١٩٥ وسورة المائدة: ٨.

(٤) السياغي: الروض النضير: ١٠٤/٤. والآيتان من سورة آل عمران: ١٩٥ وسورة المائدة: ٨.

(٥) السياغي: الروض النضير: ١٠٤/٤. والآيتان من سورة آل عمران: ١٩٥ وسورة المائدة: ٨.

٨- روى الصدوق عن جابر الجعفي، قال: دخلت على الباقر عليه السلام وعنده زيد أخوه، فدخل عليه معروف بن خربوذ المكي، قال له أبو جعفر عليه السلام: «يا معروف أنشدني من طرائف ما عندك»، فأنشد:

لعمرك ! ما إن أبو مالك	بوان، ولا بضيف قواه
ولا بالذِّ «لدى قوله» ^(١)	يعادي الحكيم إذا ما نهاه
ولكنه سيد بارع	كريم الطبايع حلو نثاه ^(٢)
إذا سُدتْه، سُدتْ مطواعة	ومهما وكلت إليه كفاه

قال: فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على كتفي زيد، وقال: هذه صفتك يا أبا الحسين! ^(٣).

٩- روى أبو الفرج عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال له بعد التمثيل بالأبيات السابقة: «ولقد أنجبت أم ولدتك يا زيد. اللهم أشدد أزرى بزید» ^(٤).

(١) ورواه في الأغاني بالنحو التالي:

ولا بالألذ، لــــه فــــارغ يعادي أخاه إذا ما نهاه (الأغاني: ١٠٦/٢٤).

(٢) بتقديم النون على التاء المثلثة لاحظ تعليقة المحقق على البحار: ١٦٩/٤٦.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥١/١ ح ٥ الباب ٢٥، أبو الفرج: الأغاني: ١٠٦/٢٤، ورواه في الأغاني بالنحو التالي:

ولكنه هيّن ليّن كعالية الرمح عرد نساء

قال المعلق: عرد نساء شديد ساقه. (الأغاني: ١٠٦/٢٤)

(٤) أبو الفرج: الأغاني: ١٠٧/٢٤ ومر صدره في حديث الصدوق.

(٧٢)

حياته في عصر الإمام الصادق عليه السلام :

١ - لم يذكر التاريخ شيئاً من حياته في عصر الإمام الصادق عليه السلام، غير تجواله في البلاد، لدعم الخروج، وجمع العدة والعدة، الذي سيمر عليك في الفصول الآتية غير أنه لو صح ما يرويه أبو الفرج الاصفهاني عن عبد الله بن جرير أنه رأى أن جعفر بن محمد عليه السلام «يمسك لزيد بن علي بالركاب ويسوي ثيابه على السرج»^(١) لدل على أن الإمام عليه السلام كان يكرمه لكونه عمه - وهو بمنزلة الأب - ولأنه أكبر منه سناً، خصوصاً على ما حققنا من أنه من مواليد عام ٦٧ أو ٦٨، فيدل على تواضعه وكمال أدبه، وقد كان ذلك رائجاً بين بني هاشم.

وقد كان بين زيد، وعبد الله بن الحسن المثنى مناظرة في صدقات علي عليه السلام فكانا يتحاكمان إلى قاض، فإذا قاما من عنده أسرع عبد الله إلى دابة زيد فأمسك له بالركاب^(٢).
وقد كانت أواصر الحب والود بين الإمام وعمه متبقية إلى يوم حمامه، ولما بلغ نعيه إلى المدينة أخذ الناس يفدون إلى الإمام ويعزّونه.

٢ - روى أبو الفرج عن فضيل بن رسام: دخلت علي جعفر بن محمد عليه السلام أعزّيه عن عمه ثم قلت له: ألا أنشدك شعر السيد (الحميري) فقال: «أنشد» فأنشدته قصيدته (العينية المعروفة) التي يقول فيها:

الناس يوم البعث راياتهم خمس فمنها هالك أربع^(٣)

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٨٧ (٢) سيوافيك شرح المحاكمة بينهما.

(٣) أبو الفرج: الأغاني: ٢٥١/٧، وللقصيدة صلة، فمن أراد فليرجع إلى مصدرها.

(٧٣)

٣ - لمّا توفي الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام أنشد زيد قصيدة - سنوافيك بها في فصل خطبه وأشعاره - عزّى فيها الإمام الصادق عليه السلام وقال:

أبا جعفر الخير أنت الإمام وأنت المرجي لبلوى غدي ^(١).

ويظهر من بعض الروايات أنّه استشار الإمام الصادق عليه السلام في خروجه فقال له: «يا عم إن رضيت أن تكون المقتول (المصلوب) بالكناسة فشأنك» فلمّا ولى، قال جعفر بن محمد عليه السلام: «ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» ^(٢).

روى الصدوق عن معمر بن خيثم: كنت جالساً عند الصادق عليه السلام فجاء زيد بن علي بن الحسين فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق عليه السلام: «أعيزك أن تكون المصلوب بالكناسة» ^(٣).
كل ذلك يدلّ على ودّ عميق للعمّ، وأدب لائق بأهل البيت.

(١) ابن شهر آشوب: المناقب: ١٩٧/٤، طبعة دار الأضواء، بيروت.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٤٨/١ ح ١، عنه البحار: ١٧٤/٤٦ ح ٢٧.

(٣) الصدوق: العيون: ١، الباب ٢٥، الحديث: ٤، طبعة قم. وسنوافيك ببقية الرواية.
(٧٤)

الفصل الثالث

في خطبه، وكلماته وأشعاره، ومناظراته وعبادته

كان زيد الشهيد فصيحاً، بليغاً يأخذ بجوامع الكلم ويستعملها في مواردنا وقد شهد به الصديق والعدو، قال الواقدي: وبلغ هشام بن عبد الملك مقام زيد بالكوفة، فكتب إلى يوسف بن عمر: أشخص زيدا إلى المدينة فإنني أخاف أن يخرج أهل الكوفة لأنه حلوا الكلام، شديد البيان، خليق بتمويه الكلام^(١) وإليك بعض ما أثر عنه من المواعظ والحكم والأدب ونحوها:

١ - روى أبو المؤيد موفق بن أحمد المدعو بـ «أخطب خوارزم»: «قيل لزيد ابن علي: الصمت خير أم الكلام؟ فقال: قبح الله المساكنة، ما أفسدها للبيان، وأجلبها للعي والحصر، والله للمماراة أسرع في هدم الفتى من النار في يبس العرفج، ومن السيل إلى الحدور^(٢)»^(٣).

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ٣٠٠، اليعقوبي: التاريخ: ٣٢٥/٢ الخوارزمي: مقتل الحسين: ١١٩/٢.

(٢) الحدور على وزن رسول هو المكان ينحدر منه. (لسان العرب: ١٧٢/٤، مادة «حدر»).

(٣) محسن الأمين: أعيان الشيعة: ١٢٣/٧، نقلاً عن مقتل الحسين للخوارزمي.

فقد فضل الكلام على السكوت، وذم الممارسة، فالكلام أفضل بشرط أن لا يكون ممارسة.

٢ - إذا تلا زيد بن علي قوله سبحانه: ﴿وإن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ (محمد - ٣٨).

يقول: «إنَّ كلام الله هذا تهديد وتخويف، ثم يقول: اللهم لا تجعلنا ممَّن تولَّى عنك فاستبدلت به بدلاً» (١).

٣ - قال زيد بن علي لأصحابه: «أوصيكم بتقوى الله، فإنَّ الموصي بها لم يدَّخر نصيحة، ولم يقصِّر في الإبلاغ، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يفوتكم منه شيء وإن جهلتموه وأجملوا في الطلب، ولا تستعينوا بنعم الله على معاصيه، وتفكروا، وأبصروا هل لكم قبل خالقكم من عمل صالح قدمتموه فشكره لكم، فبذلك جعلكم الله تعالى من أهل الكتاب والسنَّة، وفضلكم على أديان آبائكم، ألم يستخرجكم نطفاً من أصلاب قوم، كانوا كافرين، حتى بثَّكم في حجور أهل التوحيد، وبث من سواكم في حجور أهل الشرك، فبأي سوابق أعمالكم طهركم إلاَّ بمَنِّه وفضله الذي يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (٢).

٤ - وقال مبيِّناً لما هو الغاية من الخروج: «وإنَّما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين، وأغاروا على المدينة يوم الحرة، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار» (٣).

٥ - روى عبد الله بن مسلم بن بابك قال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة، كان نصف الليل واستوت الثريا فقال: «يا بابكي، ما ترى هذه الثريا أترى أن

(١) محسن الأمين: أعيان الشيعة: ١٢٣/٧.

(٢) الأمير أسامة بن مرشد، لباب الآداب نقلاً عن المدائن كما في زيد الشهيد للسيد الأمين العاملي: ٩٢.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٣٥ - ٣٦.

أحداً ينالها؟» قلت: لا، قال: «والله لوددت أن يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض أو حيث أقع، فأقتطع قطعة قطعة وإن الله أصلح بين أمة محمد ﷺ» (١).

عمران زيدا كتب كتابه، فلما خفقت راياته رفع يده إلى السماء فقال: «الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني إنني لقيت محمداً ﷺ ولم أمر أمته بمعروف ولم أنهمهم عن منكر». وفي رواية أخرى: «والله إنني لأستحيي من رسول الله ﷺ إذا لقيته ولم أمر أمته بالمعروف ولم أنهمهم عن المنكر والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ إن أجبت لي نار وقذفت فيها ثم صرت بعد ذلك إلى رحمة الله عز وجل، والله لا ينصرنني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين - صلوات الله عليهم - ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم جاء به محمد ﷺ ونحن بنوه، يا معشر الفقهاء وأهل الحجى أنا حجة الله عليكم هذه يدي مع أيديكم، على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتابه...» (٢).

٧- كانت بيعته التي يبايع عليها الناس هي: «إننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسوية ورد الظالمين، وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا، وجهل حقنا. أتبايعون على ذلك؟» فإذا قالوا نعم، وضع يده على يده ثم يقول: «عليك عهد الله وميثاقه وذمته أو ذمة رسول الله ﷺ لتفنين ببيعتي، ولتقاتلن عدوي، ولتنصحن لي في السر والعلانية» فإذا قال نعم مسح يده على يده، ثم قال: «اللهم اشهد» (٣).

(١) المجلسي: البحار: ٣٢٩/٤٤. (٢) أخطب خوارزم: مقتل الحسين: ١٠٨/٢.

(٣) الطبري: التاريخ: ٤٩٢/٥، ابن الأثير: الكامل: ٢٣٣/٤، باختلاف يسير في الكلمات.

٨ - ومن كلامه: «إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإلى السنن أن تحيي، وإلى البدع أن تدفع، فإن أنتم أحببتمونا سعدتم، وإن أنتم أبغضتم علينا فليس عليكم بوكيل» (١).

٩ - ومن كلامه المعروف قاله لهشام أنه: «لم يكره قوم قط حد السيف إلا ذلوا» (٢).

١٠ - وروى ابن عساكر أنه قال: «والله ما كره قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله تعالى بالذل» (٣).

١١ - وقال أيضاً لهشام: «أنه ليس أحد يكبر عن تقوى الله، ولا يصغر دون تقوى الله» (٤).

إلى غير ذلك من الكلمات التي سيمر بعضها عليك في المستقبل. غير أن كل ذلك حكم قصيرة يباري فيها، ما ورثه عن مطلع الفصاحة والبلاغة جدّه الإمام أمير المؤمنين.

ثم لزيد خطب، ورسائل، نكتفي من كل منهما بواحد، والإمعان فيهما يعرف مقدرته على إنشاء الكلام البليغ، وإبداعه المعاني السامية، في جمل قصيرة وإليك الخطبة ثم الرسالة:

١٢ - خطبته التي، يعرف فيها موقفه من الخروج وأنه ليس إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنهاض المسلمين لإزالة المروانيين عن منصة الحكومة الإسلامية ورد الأمر إلى أهل بيت النبي وإليك نصها:

«يا أيها الناس إن الله قد بعث في كل زمان خيرة، ومن كل خيرة منتجاً خيرة

(١) الطبري: التاريخ: ٥ / ٤٩٨؛ ابن الأثير: الكامل: ٥ / ٢٤٣.

(٢) المفيد: الإرشاد: ٢٦٩. (٣) مختصر تاريخ دمشق: ٩ / ١٥١.

(٤) المسعودي: مروج الذهب: ٣ / ٢٠٦، طبعة دار الأندلس، بيروت.

منه قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام - ١٢٤) فلم يزل الله يتناسخ خيرته حتى خرج محمد ﷺ من أفضل تربة وأطهر عترة أخرجت للناس، فلما قبض الله محمدًا ﷺ ولا عارف أمخركم^(١) بعد زخورها وحصن حصونكم بعد منعتها وافتخرت قريش على سائر الأحياء بأن محمدًا ﷺ كان قريشياً، ودانت العجم للعرب بأن محمد ﷺ كان عربياً حتى ظهرت الكلمة وتمت النعمة فاتقوا الله عباد الله وأجيبوا إلى الحق وكونوا أعواناً لمن دعاكم إليه، ولا تأخذوا سنة بني إسرائيل، كذبوا أنبياءهم، وقتلوا أهل بيت نبيهم.

ثم أنا أذكركم أيها السامعون لدعوتنا، المتفهمون لمقاتلتنا، بالله العظيم الذي لم يذكر المذكورون بمثله، إذا ذكروه وجلت قلوبكم واقتشعرت لذلك جلودكم، أستم تعلمون أننا ولد نبيكم المظلومون المقهورون، فلا سهم وفينا، ولا تراث أعطينا، وما زالت بيوتاً تهدم وحرمتنا تنتهك وقائلنا يعرف، يولد مولودنا في الخوف، وينشأ ناشئاً بالقهر ويموت ميتاً بالذل؟

ويحكم إن الله قد فرض عليكم جهاد أهل البغي والعدوان من أمتكم على بغيهم، وفرض نصرة أوليائه الداعين إلى الله وإلى كتابه قال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج - ٤٠).

ويحكم إنا قوم غَضِبْنَا لهُ رَبَّنَا، ونقمنا الجور المعمول به في أهل ملتنا، ووضعنا من توارث الإمامة والخلافة، وحكم بالهوى ونقض العهد، وصلى الصلاة لغير وقتها، وأخذ الزكاة من غير وجهها ودفعها إلى غير أهلها، ونسك المناسك بغير هديها، وأزال الأفياء والأخماس والغنائم ومنعها الفقراء والمساكين وابن السبيل، وعطل الحدود وأخذ منه الجزيل، وحكم بالرشا والشفاعات والمنازل، وقرب الفاسقين ومثل بالصالحين، واستعمل الخيانة وخون أهل الأمانة،

(١) وفي نسخة: أنجزكم.

وسلّط المجوس وجهز الجيوش، وخلد في المحابس وجلد المبين وقتل الوالد، وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف بغير مأخوذ من كتاب الله وسنة نبيه.

ثم يزعم زاعمكم الهزاز على قلبه، يطمع خطيئته إن الله استخلفه يحكم بخلافته، ويصد عن سبيله وينتهك محارمه ويقتل من دعا إلى أمره، فمن أشر عند الله منزلة ممن افترى على الله كذباً أو صد عن سبيله أو بغاه عوجاً، ومن أعظم عند الله أجراً ممن أطاعه وأدان بأمره وجاهد في سبيله وسارع في الجهاد، ومن أشر عند الله منزلة ممن يزعم أن بغير ذلك يحق عليه ثم يترك ذلك استخفافاً بحقه وتهاوناً في أمر الله وإيثاراً لديناه، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت - ٣٣)^(١).

١٣ - روى حميد بن أحمد المحلي (٥٨٢ - ٦٥٢هـ) بالإسناد المنتهي إلى أبي الجارود أن زيداً لما ظهر، خطب وقال: «الحمد لله الذي منّ علينا بالبصيرة وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحق دثاره - إلى أن قال: - فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفارقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا وأناب إلى سبيلنا وجاهد بنفسه ومن يليه من أهل الباطل، ودعائم النفاق، فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن ردّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا واختار الدنيا الزائلة الآفلة، على الآخرة الباقية، فالله من أولئك برىء، وهو يحكم بيننا وبينكم.

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلائن يستجيب لكم رجل واحد خير ممّا طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي بن طالب عليه السلام بالبصرة والشام: لا تتبعوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تفتحوا باباً مغلقاً، والله على ما أقول وكيل.

(١) فرات بن إبراهيم الكوفي: التفسير: ١٣٦ - ١٣٧، ط ١، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الإرشاد، طهران (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م).

عباد الله لا تقاتلوا على الشك فتضلّوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق. عباد الله: البصيرة» قال أبو الجارود: يابن رسول الله، يبذل الرجل نفسه عن غير بصيرة؟ قال: «نعم أن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا فالطمع أَرْدَاهُمْ إِلَّا الْقَلِيلَ الَّذِينَ لَا تَخْطُرُ الدُّنْيَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَلَا لَهَا يَسْعُونَ فَأُولَئِكَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»^(١).

١٤- وها نحن ننشر في المقام رسالته إلى علماء الأُمَّة قبيل خروجه، فحاول فيها بكل وسيلة تشجيع الناس على رفض الظلم والمطالبة بالحرية والعدالة.

قام بتحقيقها وتصحيحها محمد يحيى سالم عزان عن أربع نسخ، نوّه بخصوصيتها في مقدمتها ونشرها دار التراث اليمني صنعاء عام ١٤١٢هـ

وإليك نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حتى يرضى وصلى الله وسلم وبارك وترحم وتحنن وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد.

إلى علماء الأُمَّة الذين وجبت لله عليهم الحجّة.

من «زيد بن علي» ابن رسول الله ﷺ.

سلام على أهل ولاية الله وحزبه.

ثم إنّي أوصيكم معشر العلماء بحظكم من الله في تقواه وطاعته، وأن لا تتبعوه بالمكس^(٢) من الثمن، والحقير من البدل، واليسير من العوض، فإنّ كلّ

(١) حميد المحلي: الحقائق الوردية: ١٤١، الطبعة الثانية - ١٤٠٥هـ.ق. وقد جئنا بخلاصة الخطبة ومن أراد الوقوف

على الجميع فعليه الرجوع الى المصدر. (٢) المكس: النقص والظلم.

شيء أثرتموه وعملتكم له من الدنيا ليس بخلف مما زين الله به العلماء من عباده الحافظين لرعاية ما استرعاهم واستحفظهم من أمره ونهيه، ذلك بأن العاقبة للمتقين، والحسرة والندامة والويل الدائم للجائرين الفاجرين.

[الاعتبار من الأمم السابقة]

فتفكروا عباد الله واعتبروا، وانظروا وتدبروا وازدجروا بما وعظ الله به هذه الأمة من سوء ثنائه على الأخبار والرهبان.

إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١).

وإنما عاب ذلك عليهم بأنهم كانوا يشاهدون الظلمة الذين كانوا بين ظهرانيهم يأمرون بالمنكر، ويعملون الفساد فلا ينهاونهم عن ذلك، ويرون حق الله مضيعاً، ومال الله دولة يؤكل بينهم ظلماً ودولة بين الأغنياء، فلا يمنعون من ذلك رغبة فيما عندهم من العرض الآفل، والمنزل الزائل، ومداهنة (٢) منهم على أنفسهم.

وقد قال الله عز وجل لكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣) كيما تحذروا.

وإذا رأيتم العالم بهذه الحالة والمنزلة فأنزلوه منزلة من عاث في أموال الناس بالمصانعة (٤)، والمداهنة، والمضارعة (٥) لظلمة أهل زمانهم، وأكابر قومهم، فلم

(١) المائدة: ٦٣.

(٢) المداهنة: المداراة والملاينة، وداهن على نفسه أبقى عليها.

(٣) التوبة: ٣٤.

(٤) المصانعة: الرشوة والمداراة.

(٥) المضارعة: التقرب والمقارنة.

ينهوهم عن منكر فعلوه. رغبة فيما كانوا ينالون من السحت ^(١) بالسكوت عنهم.

وكان صدودهم عن سبيل الله بالإتباع لهم، والاغترار بإدهانهم ^(٢)، ومقارنتهم الجائرين الظالمين المفسدين في البلاد. ذلك بأن أتباع العلماء يختارون لأنفسهم ما اختار علماؤهم. فحذروا علماء السوء الذين سلكوا سبيل من ذم الله وباعوا طاعة الله الجائرين.

إن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٣).

فعاب علماء التوراة والإنجيل بتركهم ما استحفظهم من كتابه، وجعلهم عليه شهداء خشية الناس، ومواتاة ^(٤) للظالمين، ورضاً منهم بأعمال المفسدين. فلم يؤثروا الله بالخشية فسخط الله عليهم لما اشتروا بآياته ثمناً قليلاً، ومتاعاً من الدنيا زائلاً. والقليل عند الله الدنيا وما فيها من غضارتها ^(٥) وعيشتها ونعيمها وبهجتها، ذلك بأن الله هو علام الغيوب.

قد علم بأن ركوب معصيته، وترك طاعته، والمداينة للظلمة في أمره ونهيه، إنما يلحق بالعلماء للرغبة والرغبة من عند غير الله، لأنهم علماء بالله، وبكتابه وبسنة نبيه ﷺ.

(١) السحت: ما خبث من المكاسب.

(٢) الإدهان والمداينة بمعنى: المصانعة واللين، وقيل: الإدهان الغش.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة.

(٥) غضارة الدنيا: النعمة والسعة والخصب.

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ولعمري لو لم يكن نال علماء الأزمنة من ظلمتها، وأكبرها، ومفسديها، شدة وغلظة وعداوة، ما وصّاهم الله تعالى وحذّره. ذلك أنّهم ما ينالون ما عند الله بالهويناء ولا يخلدون في جنّته بالشهوات.

فكره الله تعالى للعلماء - المستحفظين كتبه وسنته وأحكامه - ترك ما استحفظهم، رغبة في ثواب من دونه، ورهبة عقوبة غيره. وقد ميزكم الله تعالى حقّ تميز، ووسمكم سمة^(١) لا تخفى على ذي لب، وذلك حين قال لكم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

فبدأ بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم بفضيلة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر عنده، وبمنزلة القائمين بذلك من عباده.

ولعمري لقد استفتح الآية في نعت المؤمنين بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فاعتبروا عباد الله وانتفعوا بالموعظة.

وقال تعالى في الآخرين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(٣).

فلعمري لقد استفتح الآية في ذمهم بأمرهم بالمنكر ونهيهم عن المعروف فاعتبروا عباد الله وانتفعوا.

(١) السمة: العلامة.

(٢) التوبة: ٧١.

(٣) التوبة: ٦٧.

واعلموا أنَّ فريضة الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا أُقيمت له استقامت الفرائض بأسرها هيئتها وشديدها.

وذلك أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو:

الدعاء إلى الإسلام، والإخراج من الظلمة، ورد الظالم، وقسمة الفيء والغنائم على منازلها، وأخذ الصدقات ووضعها في مواضعها، وإقامة الحدود، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهد، والإحسان، واجتناب المحارم، كل هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يقول الله تعالى لكم: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١) فقد ثبت فرض الله تعالى فاذكروا عهد الله الذي عاهدتموه وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٢).

[دور العلماء ومكانتهم]

عباد الله فإنما تصلح الأمور على أيدي العلماء وتفسد بهم إذا باعوا أمر الله تعالى ونهيه بمعاونة الظالمين، الجائرين، فكذلك الجهال والسفهاء إذا كانت الأمور في أيديهم، لم يستطيعوا إلا بالجهل والسفه إقامتها فحينئذ تصرخ المواريث، وتضج الأحكام، ويفتضح المسلمون^(٣).

وأنتم أيها العلماء عصابة مشهورة، وبالورع مذكورة، وإلى عبادة الله

(١) المائدة: ٢.

(٢) المائدة: ٧.

(٣) يفتضح المسلمون بمعنى يفرط المسلمون. قال الزمخشري: سمعتم يقولون: افتضحنا فيك أي فرطنا في زيارتك وتفقدك.

منسوبة، وبدراسة القرآن معروفة، ولكم في أعين الناس مهابة، وفي المدائن والأسواق مكرمة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف، ويرهبكم من لا فضل لكم عليه. يُبدأ بكم عند الدعوة، والتَّحَفَّة^(١)، ويشار إليكم في المجالس، وتشفعون في الحاجات، إذا امتنعت على الطالبين. وأثاركم متبعة، وطرقكم تسلك.

كل ذلك لما يرجوه عندكم من هو دونكم من النجاة في عرفان حق الله تعالى. فلا تكونوا عند إيثار^(٢) حق الله تعالى غافلين، ولأمره مضيّعين، فتكونوا كالأطباء الذين أخذوا ثمن الدواء وأعطوا المرضى. وكراة استوفوا الأجر وصلّوا عن المرعى. وكحرّاس مدينة أسلموها إلى الأعداء، هذا مثل علماء السوء.

لا مالاّ تبذلونه لله تعالى، ولا نفوساً تخاطرون بها في جنب الله تعالى، ولا داراً عطلتموها، ولا زوجة فارقتموها، ولا عشيرة عاديتموها. فلا تتمنوا ما عند الله تعالى وقد خالفتموه.

فترون أنكم تسعون في النور، وتتلقاكم الملائكة بالبشارة من الله عزّ وجلّ؟ كيف تطمعون في السلامة يوم الطامة؟! وقد أخرجتم الأمانة، وفارقتم العلم، وأدهنتم في الدين. وقد رأيتم عهد الله منقوضاً، ودينه مبغوضاً، وأنتم لاتفزعون ومن الله لاترهبون.

فلو صبرتم على الأذى، وتحملتُم المؤنة في جنب الله لكانت أمور الله صادرة عنكم، وواردة إليكم.

(١) التحفة: بضم المثناة وتسكين المهملة: البر واللطف.

(٢) الإيثار: التقديم والتفضيل، والمعنى هنا: فلا تكونوا غافلين عند إيثار وتقديم حق الله تعالى والدفاع عنه.

عباد الله لا تمكّنوا الظالمين من قيادكم ^(١) بالطمع فيما بأيديهم من حطام الدنيا الزائل، وتراثها الآفل، فتخسروا حظكم من الله عز وجل.

عباد الله استقدموا إلى الموت بالوثيقة في الدين، والاعتصام بالكتاب المتين، ولا تعجبوا بالحياة الفانية فما عند الله هو خير لكم، وإن الآخرة هي دار القرار.

عباد الله اندبوا الإيمان ونوحوا على القرآن، فو الذي نفس «زيد بن علي» بيده لن تنالوا خيراً لا يناله أهل بيت نبيكم ﷺ، ولا أصبتم فضلاً إلا أصابوه فأصبتم فضله.

إلى علماء السوء

فيا علماء السوء أكببتم على الدنيا وإنّها لنهاية لكم عنها، ومحذرة لكم منها، نصحت لكم الدنيا بتصرفها فاستغششتموها، وتفتحت لكم الدنيا فاستحسنتموها، وصدقتم عن نفسها فكذبتموها.

فيا علماء السوء هذا مهادكم الذي مهدتموه للظالمين، وهذا أمانكم الذي أتمتموه ^(٢) للخائنين، وهذه شهادتكم للمبطلين. فأنتم معهم في النار غداً خالدون. ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ^(٣).

فلو كنتم سلّمتم إلى أهل الحقّ حقهم، وأقررتم لأهل الفضل بفضلهم لكنتم أولياء الله، ولكنكم من العلماء به حقاً، الذين امتدحهم الله عز وجل في كتابه بالخشية منهم.

(١) القيادة المقود: ما يقاد به، واستعماله هنا مجاز، والمعنى: لا تمكّنوا الظالمين من قودكم كما تقاد البهائم.

(٢) أتمتموه بمعنى أتمتموه، حكاه في اللسان عن ثعلب وقال: وهي نادرة.

(٣) غافر: ٧٥.

فلا أنتم علمتم الجاهل، ولا أنتم أرشدتم الضال، ولا أنتم في خلاص الضعفاء تعملون، ولا بشرط الله عليكم تقومون، ولا في فكاك رقابكم [ولا السلب إلا سلبكم].

يا علماء السوء اعتبروا حالكم، وتفكروا في أمركم، وستذكرون ما أقول لكم.

يا علماء السوء إنما أمنتكم عند الجبارين بالإدهان، وفزتم بما في أيديكم بالمقاربة، وقربتم منهم بالمصانعة^(١)، قد أبحتم الدين، وعطّلتهم القرآن، فعاد علمكم حجة لله عليكم، وستعلمون إذا حشر الصدر، وجاءت الطامة، ونزلت الداهية.

يا علماء السوء أنتم أعظم الخلق مصيبة، وأشدّهم عقوبة، إن كنتم تعقلون، ذلك بأن الله قد احتج عليكم بما استحفظكم إذ جعل الأمور ترد إليكم، وتصدر عنكم.

الأحكام من قبلكم تلتمس، والسنن من جهتكم تختبر. يقول المتبعون لكم: أنتم حجّتنا بيننا وبين ربنا. فبأي منزلة نزلتم من العباد هذه المنزلة؟

فوالذي نفس «زيد بن علي» بيده لو بينتم للناس ما تعلمون ودعوتموهم إلى الحق الذي تعرفون، لتضعع بنيان الجبارين، ولتهدم أساس الظالمين، ولكنكم اشتريتم بآيات الله ثمناً قليلاً، وأدهنتم في دينه، وفارقتم كتابه.

هذا ما أخذ الله عليكم من العهود والمواثيق، كي تتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فأمكنتم الظلمة من الظلم، وزينتم لهم الجور، وشددتم لهم ملكهم بالمعاونة والمقارنة، فهذا حالكم.

فيا علماء السوء فمحوتهم كتاب الله محواً، وضربتم وجه الدين ضرباً، فند^(٢)

(١) المصانعة: المداواة والمداينة.

(٢) ند البعير: شرد ونفر.

والله نديد البعير الشارد، هرباً منكم.

فبسوء صنيعكم سفكت دماء القائمين بدعوة الحق من ذرية النبي ﷺ، ورفعت رؤوسهم فوق الأُسنة، وصُقِدُوا في الحديد، وخلص إليهم الذل، واستشعروا الكرب وتسربلوا الأحزان، يتنفسون الصعداء^(١)، ويتشاكون الجهد.

فهذا ما قدّمتم لأنفسكم، وهذا ما حملتموه على ظهوركم، فالله المستعان، وهو الحكم بيننا وبينكم، يقضي بالحق وهو خير الفاصلين.

ادعوة إلى الجهاد

وقد كتبت إليكم كتاباً بالذي أريد من القيام به فيكم. وهو: العمل بكتاب الله، وإحياء سنة رسول الله ﷺ.

فبالكتاب قوام الإيمان، وبالسنة يثبت الدين. وإنما البدع أكاذيب تخرع، وأهواء تتبع، يتولّى فيها وعليها رجال رجالاً صدّوهم عن دين الله، وذادوهم عن صراطه، فإذا غيّرها المؤمن، ونهى عنها الموحّد، قال المفسدون: جاءنا هذا يدعونا إلى بدعة!!

وأيم الله ما البدعة إلا التي أحدث الجائرون، ولا الفساد إلا الذي حكم به الظالمون. وقد دعوتكم إلى الكتاب. فأجيبوا داعي الله، وانصروه، فوالذي يأذنه دعوتكم، وبأمره نصحت لكم، ما ألتمس أثرة على مؤمن، ولا ظلماً لمعاهد، ولوددت أنني قد حميتكم مراتع^(٢) الهلكة، وهديتكم من الضلالة، ولو كنت أوقد

(١) في القاموس: بالضم بعده سكون، وفي لسان العرب: بالضم بعده تحريك بالفتح: النفس بتوَجّع، وفي شرح

القاموس الأوّل أصح. (٢) مراتع: مواضع.

ناراً فأقذف بنفسي فيها، لا يقربني ذلك من سخط الله، زهداً في هذه الحياة الدنيا، ورغبة منّي في نجاتكم، وخلصكم. فإن أحببتمونا إلى دعوتنا كنتم السعداء والموفورين حظاً ونصيباً.

عباد الله انصحوا داعي الحق وانصروه إذ قد دعاكم لما يحييكم. ذلك بأن الكتاب يدعو إلى الله، وإلى العدل والمعروف، ويزجر عن المنكر.

فقد نظرنا لكم وأردنا صلاحكم، ونحن أولى الناس بكم. رسول الله ﷺ «جدنا»، والسابق إليه المؤمن به «أبونا»، وبنته سيدة النسوان «أمنا»، فمن نزل منكم منزلتنا. فسارعوا عباد الله إلى دعوة الله، ولا تنكروا عن الحق، فبالحق يكبت^(١) عدوكم، وتمنع حريمكم، وتأمّن ساحتكم.

وذلك أنا ننزع الجائرين عن الجنود، والخزائن، والمدائن، والفبيء، والغنائم، ونثبت الأمين المؤمن، غير الراشي والمرتشي، الناقض للعهد. فإن نظهر فهذا عهدنا، وإن نستشهد فقد نصحنا لربنا، وأدينا الحق إليه من أنفسنا، فالجنة مثوانا ومنقلبنا، فأبي هذا يكره المؤمن، وفي أي هذا يرهب المسلم، وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: «وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا»^(٢).

وإذا بدأت الخيانة، وخربت الأمانة، وعمل بالجور، فقد افتضح الوالي. فكيف يكون إماماً على المؤمنين من هذا نعتة وهذه صفته؟!

اللهم قد طلبنا المعذرة إليك، وقد عرفتنا إنك لاتصلح عمل المفسدين، فأنت اللهم ولينا، والحاكم فيما بيننا وبين قومنا بالحق.

هذا ما نقول، وهذا ما ندعو إليه، فمن أجابنا إلى الحق فأنت تشييه وتجازيه،

(١) يكبت: يرد العدو ويغيظه.

(٢) النساء: ١٠٧.

ومن أبي إلا عتواً وعناداً فأنت تعاقبه على عتوه وعناده.

فألله الله عباد الله أجيئوا إلى كتاب الله، وسارعوا إليه، واتخذوه حكماً فيما شجر بينكم، وعدلاً فيما فيه اختلفنا، وإماماً فيما فيه تنازعنا، فإننا به راضون، وإليه منتهون، ولما فيه مسلمون، لنا وعلينا. لا نريد بذلك سلطاناً في الدنيا، إلا سلطانك، ولا نلتمس بذلك أثرة على مؤمن، ولا مؤمنة، ولا حر، ولا عبد.

عباد الله فأجيئونا إجابة حسنة تكن لكم البشرية.

يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ (١). ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢).

[مكانة أهل البيت عليه السلام]

عباد الله فاسرعوا بالإنابة وأبدلوا النصيحة، فنحن أعلم الأمة بالله، وأوعى الخلق للحكمة، وعلينا نزل «القرآن»، وفينا كان يهبط «جبريل» عليه السلام، ومن عندنا اقتبس الخير. فمن علم خيراً فمنا اقتبسه، ومن قال خيراً فنحن أصله، ونحن أهل المعروف، ونحن الناهون عن المنكر، ونحن الحافظون لحدود الله.

عباد الله فأعينونا على من استعبد أمتنا، وأخرب أمانتنا، وعطل كتابنا، وتشرف بفضل شرفنا. وقد وثقنا من نفوسنا بالمضي على أمورنا، والجهاد في سبيل خالقنا، وشريعة نبينا ﷺ، صابرين على الحق، لا نجزع من نائبة من ظلمنا، ولا نرهب الموت إذا سلم لنا ديننا.

فتعاونوا، وانصروا، يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (١).

ويقول الله عز وجل: ﴿وَلِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٢).

عباد الله فالتمكين قد ثبت بإثبات الشريعة، وبإكمال الدين يقول الله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٣).

وقال الله عز وجل فيما احتج به عليكم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٤).

عباد الله فقد أكمل الله تعالى الدين، وأتم النعمة، فلا تنقصوا دين الله من كماله، ولا تبدلوا نعمة الله كفرًا فيحل بكم بأسه وعقابه.

عباد الله إن الظالمين قد استحلوا دماءنا، وأخافونا في ديارنا، وقد اتخذوا خذلانكم حجة علينا فيما كرهوه من دعوتنا، وفيما سفهوه من حقنا، وفيما أنكروه من فضلنا عناداً لله، فأنتم شركاؤهم في دماءنا، وأعوانهم في ظلمنا، فكل مال لله أنفقوه، وكل جمع جمعوه، وكل سيف شحذوه (٥)، وكل عدل تركوه، وكل جور ركبوه، وكل ذمة لله تعالى أخفروها (٦)، وكل مسلم أذلوه، وكل كتاب نبذوه، وكل

(١) محمد: ٧.

(٢) الحج: ٤٠ - ٤١.

(٣) الذاريات: ٥٤.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) شحذوه: أهدوه.

(٦) أخفروها: نقض عهده.

حكم لله تعالى عطّالوه، وكل عهد لله تعالى نقضوه، فأنتم المعينون لهم على ذلك بالسكوت عن نهيبهم عن السوء.

عباد الله إنّ الأخبار والرهبان من كل أمة مسؤولون عما استحفظوا عليه، فأعدّوا جواباً لله عزّ وجلّ على سؤاله.

اللهم إنّني أسألك بنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتبّناً منك على الحقّ الذي ندعو إليه وأنت الشهيد فيما بيننا، الفاصل بالحقّ فيما فيه اختلفنا، ولا تستوي الحسنه ولا السيئه.
والسلام على من أجاب الحقّ، وكان عوناً من أعوانه الدالّين عليه.
تمّ ذلك بحمد الله ومنّه.

مناظراته :

إنّ لزيد الشهيد مناظرات جرت بينه وبين هشام وأناس آخر وفيها دلالة واضحة على قوة منطقته، ونضاجة فكره وبالأخص على حضور بديهته نقطف ما يلي:

١ - روى موفق الدين عن معمر بن خيثم: قال لي زيد بن علي: كنت أباري هشام بن عبد الملك وأكايده في الكلام، فدخلت عليه يوماً فذكر بني أمية، فقال: والله هم أشدّ قريش أركاناً، وأشدّ قريش مكاناً، وأشدّ قريش سلطاناً، وأكثر قريش أعواناً، كانوا رؤوس قريش في جاهليّتها، وملوكهم في إسلامها فقلت له: على من تفخر؟ أعلى بني هاشم، أول من أطعم الطعام وضرب الهام وخضعت لها قريش بإرغام، أم على بني المطلب سيد مضر جميعاً، وإن قلت معد كلّها صدقت، إذا ركب مشوا، وإذا انتعل احتفوا، وإذا تكلم سكتوا، وكان يطعم الوحوش في

رؤوس الجبال والطير، والسباع والإنس في السهل، حافر زمزم، وساقى الحجيج، أم على بنيه أشرف رجال، أم على نبي الله ورسوله حملة الله على البراق، وجعل الجنة عن يمينه، والنار عن شماله فمن تبعه دخل الجنة، ومن تأخر عنه دخل النار، أم على أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب عليه السلام أخى رسول الله وابن عمه المفرج الكرب عنه وأول من قال لا إله إلا الله بعد رسول الله لم يبارزه فارس قط إلا قتله، وقال فيه رسول الله ﷺ مالم يقله في أحد من أصحابه ولا لأحد من أهل بيته، قال: فاحمر وجهه ^(١).

٢ - دخل زيد على هشام بن عبد الملك، وقد جمع له هشام أهل الشام وأمر أن يتضايقوا في المجلس حتى لا يتمكن من الوصول إلى قربه، فقال له زيد: إنه ليس من عباد الله أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا من عباد الله أحد دون أن يوصى بتقوى الله، وأنا أوصيك بتقوى الله يا أمير المؤمنين فاتقه، فقال له هشام: أنت المؤهل نفسك للخلافة، الراجي لها؟ وما أنت وذاك لا أم لك وإنما أنت ابن أمة، فقال له زيد: إني لا أعلم أحداً أعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن أمة، فلو كان ذلك يقصر عن منتهى غاية، لم يبعث، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فالنبوة أعظم منزلة عند الله أم الخلافة يا هشام؟ وبعد فما يقصر برجل أبوه رسول الله ﷺ وهو ابن علي بن أبي طالب، فوثب هشام عن مجلسه (وزيد في عمدة الطالب ووثب الشاميون) ودعا قهرمانه فقال: لا يبيتن هذا في عسكري (الليلة) فخرج زيد وهو يقول: إنه لم يكره قط أحد حد السيوف إلا ذلوا ^(٢).

٣ - قد وشي بزيد إلى هشام، فسأله عن ذلك فقال: أحلف لك. قال هشام: فإذا حلفت أفأصدقك؟! قال: إتق الله. قال هشام: أومثلك يا زيد يأمر مثلي

(١) موفق الدين الخوارزمي: مقتل الحسين: ٢ / ١١٧.

(٢) المفيد: الإرشاد: ٢٦٨، طبعة النجف الأشرف.

بتقوى الله، قال: لا أحد فوق أن يوصى بتقوى الله، ولا أحد دون أن يوصى بتقوى الله. قال هشام: بلغني أنك تريد الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة قال: قد كان إسماعيل بن إبراهيم ابن أمة وإسحق ابن حرة، فأخرج الله من صلب إسماعيل النبي الكريم، فعندها قال له هشام: قم، قال: إذا لا تراني إلا حيث تكره^(١).

٤- روى خالد بن صفوان اليمامي، قال: أتينا زيد بن علي وهو يومئذ بالرصافة، رصافة هشام بن عبد الملك، فدخلنا عليه في نفر من أهل الشام وعلمائهم وجاءوا معهم برجل انقاد له أهل الشام في البلاغة، والبصر بالحجج، وكلمنا زيد بن علي في الجماعة وقلنا: إن الله مع الجماعة وأن أهل الجماعة حجة الله على خلقه، وأن أهل القلة هم أهل البدعة والضلالة، قال: فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ثم تكلم بكلام ما سمعت قرشياً ولا عربياً أبلغ موعظة، ولا أظهر حجة ولا أفصح لهجة منه، قال: ثم أخرج إلينا كتاباً قاله في الجماعة والقلة، ذكر من كتاب الله فلم يذكر كثيراً إلا ذمّه ولم يذكر قليلاً إلا مدحه، والقليل في الطاعة هم أهل الجماعة، والكثير في المعصية هم أهل البدع. قال خالد بن صفوان: فيئس الشامي فما أحلى ولا أمر (كذا) وسكت الشاميون فما يجيئون بقليل ولا كثير، ثم قاموا من عنده فخرجوا وقالوا لصاحبهم: فعل الله بك وفعل، غررتنا وفعلت، زعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها فخرست، فلم تنطق، فقال لهم: ويلكم كيف أكلم رجلاً إنما حاجني بكتاب الله أفأستطيع أن أرد كلام الله؟! فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت في الدنيا رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج غير زيد بن علي عليه السلام^(٢).

(١) مختار البيان والتبيين كما في زيد الشهيد للأمين: ٤٨ - ٤٩.

(٢) حميد المحلي: الحقائق الوردية: ١٤٢ - ١٤٣؛ السياغي: الروض النضير: ١٠٠/١.

أشعاره :

هذه نتف من مناظراته وفيها غنى وكفاية، فلنعطف عنان البحث إلى ما جادت به قريحته في مواقف مختلفة ويبدو أنه لا ينظم الشعر إلا في مجالات قليلة، يصب ما في نفسه من جوى وشكوى، وحماس في قالب النظم وإليك بعض ما وقفنا عليه:

١ - روى أبو الفرج عن زكريا قال: أردت الخروج إلى الحج فمررت بالمدينة، فقلت: لو دخلت على زيد بن علي، فدخلت فسلمت عليه فسمعتة يتمثل:

ومن يطلب المال الممنع بالقنا يعيش ماجداً أو تخترمه المخارم
متى تجمع القلب الذكي وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم
وكنت إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يالهمدان ظالم
يقول: فخرجت من عنده وظننت أن في نفسه شيئاً وكان من أمره ما كان^(١).

٢ - روى الخزاز عن ابن بكير أنه قال لزيد: يا بن رسول الله هل عهد إليكم رسول الله متى يقوم قائمكم؟ قال: يا بن بكير، إنك لن تلحقه، وإن هذا الأمر يليه ستة أوصياء بعد هذا، ثم يجعل الله خروج قائمنا فيملاًها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، قلت يا بن رسول الله أأست صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا من العترة، فعدت فعاد إلي، فقلت: يا بن رسول الله هذا الذي قلته عنك أو عن رسول الله؟ فقال: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، لا ولكن عهد، عهده إلينا رسول الله ﷺ ثم أنشأ يقول:

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٨٩

نحن سادات قریش	وقوام الحقّ فينا
نحن الأنوار التي من	قبل كون الخلق كنّا
نحن منّا المصطفى الـ	مختار والمهدي منّا
فبنا قد عرف الله	وبالحق أقمنا
سوف يصلّاه سعيّاً	من تولى اليوم عنّا ^(١)

٣- روى ابن شهر آشوب في المناقب أنّه رثى الإمام الباقر عليه السلام بأبيات وقال:

ثوى باقر العلم في ملحد	إمام الورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده	إمام الورى الأوحّد الأمجد
أبا جعفر الخير أنت الإمام	وأنت المرجى لبلوى غد ^(٢)

٤- اجتمع مع هشام فأهانته، فخرج عن مجلسه وهو يقول: «من أحب الحياة ذل» ثم أنشأ

يقول:

مهلاً بني عمنا عن نحت أثلتنا	سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم	وان نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا
والله يعلم أنّا لا نحبكم	ولأنلومكم أن لا تحبونا
كلّ امرئٍ مولعٌ في بغض صاحبه	فنحمد الله نقلوكم وتقلونا ^(٣)

(١) الخزاز القمي: كفاية الأثر: ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) ابن شهر آشوب: المناقب: ١٩٧/٤، طبعة دار الأضواء، بيروت.

(٣) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق: ١٥٦/٩.

٥- روى ابن الأثير لما أهانه هشام، وقال: أخرج، قال: أخرج ثم لا أكون إلا حيث تكره، فقال له سالم: يا أبا الحسين لا يظهرن هذا منك، فخرج من عنده وسار إلى الكوفة ولما خرج من مجلس هشام أنشد:

شردّه الخوف وأزرى به	كذاك من يكره حرّ الجلال
منخرق النعلين يشكو الوجى	تنكته أطراف مرو حداد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد
إن يحدث الله له دولة	تترك آثار العدا كالرماد (١)

٦- روى السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة نقلاً عن الخوارزمي في مقتله: إنّ أبا الحسين لما رأى الأرض قد طوقت جوراً ورأى قلة الأعوان، وتخاذل الناس، كانت الشهادة أحب الميئات إليه فخرج وهو يتمثل بهذين البيتين:

إن المحكم ما لم يرتقب حسداً	لو لم يرهب السيف أو وخز القنا صفا
من عاذ بالسيف لاقى فرجة عجباً	موتاً على عجل أو عاش فانتصفا (٢)

٧- روى ابن الأثير، قال محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب لزيد: أذكرك الله يا زيد، لما لحقت بأهلك ولا تأتي أهل الكوفة، فإنهم لا يفون لك، فلم يقبل، فقال له: خُرج بنا أسراء على غير ذنب من الحجاز، إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق، إلى قيس ثقيف يلعب بنا ثم قال:

(٢) الأمين: أعيان الشيعة: ١١٦/٧.

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢٠٦/٣.

أصبحت عن عرض الحياة بمعزل	بكرت تخوّفني الحتوف كأنني
لا بد أن أسقى بكأس المنهل	فأجبتها إنّ المنية منهل
مثلي (كذا) إذا نزلوا بضيق المنزل	إنّ المنية لو تُمَثَّل مُثَلَّتْ
إنّي امرؤ سأموت إن لم أقتل ^(١)	فاقني حياءك لا أبا لك وأعلمي

٨- روى المرتضى في الفصول المختارة عن الحسين بن زيد، قال: حدثني مولاي قال: كنت مع زيد بن علي عليه السلام بواسط فذكر قوم الشيخين وعلياً فقدّموهما عليه، فلما قاموا قال لي زيد: قد سمعت كلام هؤلاء وقد قلت أبياتاً فادفعها إليهم وهي:

من شرف الأقبام يوماً برأيه	فإنّ علياً شرفته المناقب
وقول رسول الله والحقّ قوله	وإن رغمت منهم أنوف كواذب
بأنّك منّي يا علي معالنا	كهارون من موسى أخ لي وصاحب
دعاه ببدر فاستجاب لأمره	وما زال في ذات الإله يضارب
فما زال يعلوهم به وكأنه	شهاب تلقاه القوايس ثاقب ^(٢)

٩- قال السيد الأمين: ومما نسب إليه قوله:

لو يعلم الناس ما في العرف من شرف	لشرفوا العرف في الدنيا على الشرف
وبادروا بالذي تحوي أكفهم	من الخطير ولو أشفوا على التلف ^(٣)

(١) ابن الأثير: الكامل: ٢٣٣/٥، طبعة دار صادر. (٢) المرتضى، الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٢٠/٦.

١٠- روى عن نسمة السحر أنَّ هذين البيتين له:

يقولون زيدا لا يزكى بما له وكيف يزكى المال من هو باذله
إذا حال حول لم يكن في أكفنا من المال إلا رسمه وفواضله (١)

١١- روى الديلمي: أنه لما جرى بينه وبين هشام كلام خرج عليه السلام وهو يقول:

حكم الكتاب وطاعة الرحمن فرضا جهاد الجائر الخوان
كيف النجاة لأمة قد بدلت ما جاء في الفرقان والقرآن
فالمسرعون إلى فرائض ربهم برئوا من الآثام والعدوان
والكافرون بحكمه وبفرضه كالساجدين لصورة الأوثان (٢)
لكل أناس مقبر بفنائهم فهم ينقصون والقبور تزيد
فما إن تزال دار حي قد أخربت وقبر بأفناء البيوت جديد
هم جيرة الأحياء أمّا مزارهم فدانٍ وأمّا الملتقى فبعيد (٣)

١٢- تمثل زيد بالأبيات التالية وقد تمثل بها علي بن أبي طالب عليه السلام يوم صفين والحسين بن

علي عليه السلام يوم قتل وهي لضرار بن الخطاب الفهري:

(١) الأمين العاملي: زيد الشهيد: ٩٤، نقلاً عن نسمة السحر فيمن تشيع وشعر.

(٢) السياغي، الروض النضير: ١٠٧/١. (٣) ابن عبد ربّه: العقد الفريد: ٢٣٦/٣.

مهلاً بني عمنا ظلامتنا
لمثلكم نحمل السيوف ولا
إنّي لأنمي إذا انتميت إلى
بيض بساط كان أعينهم
إنّ بنا سورة من الفلق
تغمز أحسابنا من الدق
عز عزيز ومفتر صدق
تكحل يوم الهياج بالعلق^(١)
لما خرج زيد بن علي كتب للكميت: اخرج عنّا يا أعيّمش ألسّ القائل :
ما أبالي إذا حفظت أبا القا
سم فيكم ملامة اللوام
فكتب إليه الكميّ:

تجود لكم نفسي بما دون وثبة تظل بها الغربان حولي تحجل^(٢)

هذا زيد، وهذه كلمه وخطبه، وحججه ومناظراته، وشعره وقريضه وعند ذاك تقف على صدق
ما رواه الخوارزمي في مقتله عن خالد بن صفوان قال: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة
في بني هاشم إلى زيد بن علي عليه السلام^(٣).
أمّا الفصاحة والخطابة فقد عرفت نماذج من كلامه، وأمّا العبادة، فيكفي في

(٢) الأغاني: ٣٤/١٧.

(١) الأغاني: ١٩١/١٩.

(٣) الخوارزمي: المقتل: ١١٩/٢.

تهالكة فيها: ما رواه فرات بن إبراهيم عن رجل: قال صحبت زيداً ما بين مكّة والمدينة وكان يصلي الفريضة ثم يصلي ما بين الصلاة إلى الصلاة ويصلي الليل كله ويكثر التسبيح ويكرر هذه الآية: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ ، فصلّى ليلة معي وقرأ هذه الآية إلى قريب نصف الليل فانتبهت من نومي فإذا أنا به مادّ يديه نحو السماء وهو يقول:

إلهي عذاب الدنيا أيسر من عذاب الآخرة، ثم انتحب، فقمّت إليه وقلت: يا بن رسول الله لقد جزعت في ليلتك هذه جزعاً ما كنت أعرفه، فقال: ويحك يا نازلي أني نمت هذه الليلة وأنا ساجد فرأيت جماعة عليهم لباس لم أر أحسن منه فجلسوا حولي وأنا ساجد فقال رئيسهم: هل هو هذا؟ فقالوا: نعم. فقال: أبشر يا زيد فإنك مقتول في الله ومصلوب ومحروق بالنار ولا تمسك النار بعدها أبداً، فانتبهت وأنا فزع (١).

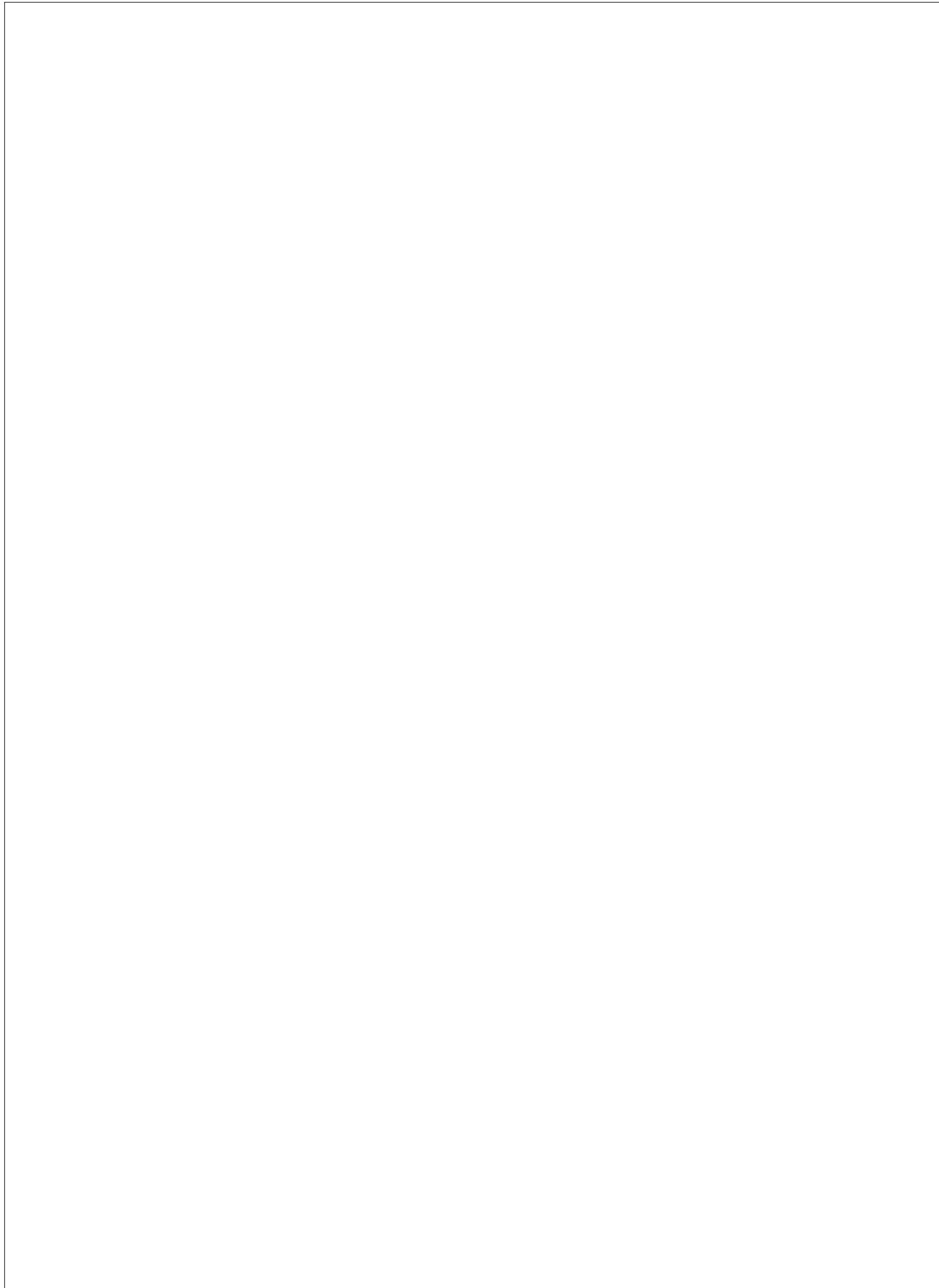
روى الخزاز عن يحيى بن زيد أنه قال له في حديث: يا أبا عبد الله إنني أخبرك عن أبي (عليه السلام) وزهده وعبادته إنه كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جنّ الليل عليه نام نومة خفيفة ثم يقوم فيصلّي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر سجد سجدة ثم يصلي الفجر ثم يجلس للتعقيب حتى يرتفع النهار، ثم يذهب لقضاء حوائجه، فإذا كان قريب الزوال أتى وجلس في مصلاه واشتغل بالتسبيح والتمجيد للرب المجيد، فإذا صار الزوال صلى الظهر وجلس، ثم يصلي العصر ثم يشتغل بالتعقيب ساعة ثم يسجد سجدة، فإذا غربت الشمس صلى المغرب والعشاء، فقلت: هل كان يصوم دائماً؟ قال: لا

(١) فرات بن إبراهيم: التفسير: ٤٣٥. والآية ١٩ من سورة ق.

ولكنّه يصوم في كل سنة ثلاثة أشهر، وفي كل شهر ثلاثة أيام ثم أخرج إليّ صحيفة كاملة فيها أدعية علي بن الحسين عليه السلام ^(١)

روى أبو الفرج بسند عن محمد بن الفرات: رأيت زيد بن علي وقد أثر السجود بوجهه أثراً خفيفاً وكان في خاتمه «اصبر تُؤجر وتوقّ تنج» ^(٢).

(١) الخراز القمي: كفاية الأثر: ٣٠٤ - ٣٠٥. (٢) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٨٧ و ٨٩. (١٠٣)



الفصل الرابع

مشايخه وتلاميذه في الحديث والتفسير

إنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام كانوا في غنى عن الحضور لدى الغير، والرجوع إليهم في مجال العقائد والأصول، والأحكام والفروع، والأخلاق والسلوك وكل ما يمتّ إلى الدين بصلة، وتحتاج إليه الأئمة. وذلك لا للمبالغة في مقامهم، أو الغلو في علومهم. بل لأجل تنصيب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عليهم، حيث إنّه صلى الله عليه وآله تارة يصوّرهم بأنهم أعدال القرآن وقرناؤه، من تمسك بهما لن يضل أبداً ^(١)، وأخرى بأنّ مثلهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ^(٢)، وثالثة بأنهم كالنجوم، فكما أنّ الكواكب أمان لأهل الأرض من الغرق، فكذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام أمان للأئمة من الاختلاف ^(٣)، إلى غير ذلك من الأحاديث المتواترة أو المتضافرة الدالة على أنّ أئمة أهل البيت مراجع الأئمة، ومصادر الأحكام، وهم عن

(١) حديث الثقلين: اتفق الفريقان على نقله وتصحيحه لا يشك فيه إلا العدو الغاشم.

(٢) تلويح إلى قول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

(٣) قوله صلى الله عليه وآله: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف في الدين» لاحظ في الوقوف على مصادرها المراجعات للسيد شرف الدين العاملي المراجعة الثانية: ٤٠ - ٤٦ طبعة الأعلمي، لبنان.

علومهم ومعارفهم يصدرون، وإلى أقوالهم وأفعالهم يسكنون. ومن كان هذا وصفه ومقامه فيحتل من مخروط الأئمة مكان الرأس والقمة، ونعم ما قال القائل:

فَوال أناساً قولهم وكلامهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

وما ربما يرى من أن أحد الأئمة، يروي حديثاً عن صحابي أو تابعي كالإمام الباقر عليه السلام إذا روى مثلاً عن جابر، فإنما هو لأجل إقناع السائل الذي اعتاد بقبول الرواية إذا أسند إلى النبي الأكرم وإلا فالإمام الباقر عليه السلام في غنى عن الإسناد إليه وهو معدن علم النبي وموئله وهكذا أبنائه المعصومون.

هذا هو حال أئمة أهل البيت وأما العلماء المنتمون إليهم بالنسب كالحسينيين والحسينيين فيصدرون عن معارفهم ويحتجون بأقوالهم وأفعالهم أيضاً وربما ينقلون عن الغير ويسكنون إليهم وذلك لا للإعراض عن أئمتهم، بل اقتداء بقول نبيهم صلى الله عليه وآله: «الحكمة ضالة المؤمن أين وجدها أخذها» ولأجل ذلك نرى أن زيد الثائر أخذ الحديث عن غيرهم، كما أخذ عنه الكثيرون من المحدّثين والفقهاء. وإليك بيان هذا الفصل من فصول حياته.

مشايخه :

كان لزيد الثائر تنقلات وسفرات كثيرة بين المدن الإسلامية بين المدينة ومكة، والحجاز والشام والعراق، ففي هذه الرحلات أخذ العلم والحديث عن لفيف، وإليك أسماء مشايخه أولاً، ثم تلامذته.

روى عن: أبان بن عثمان بن عفان، وعبيد الله بن أبي رافع، وعروة بن الزبير، وأبيه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وأخيه أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ^(١).

(١) المزي: تهذيب الكمال: ٩٦/١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٨٩/٥، تاريخ الاسلام القسم المختص بحوادث

(سنة ١٢١ - ١٤١) ص ١٠٥، ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب: ٤١٩/٣.

(١٠٦)

تلامذته:

روى عنه: الأجلح بن عبد الله الكندي، وآدم بن عبد الله الخثعمي، وإسحاق بن سالم، وإسماعيل بن عبد الرحمان السدي، وبسام الصيرفي، وأبو حمزة ثابت بن أبي صفية الثمالي، وابن أخيه جعفر بن محمد بن علي الصادق، وابنه حسين بن زيد بن علي، وخالد بن صفوان، وأبو سلمة راشد بن سعد الصائغ الكوفي، وزبيد الياامي، وزكريا بن أبي زائدة، وزباد بن علاقة، أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني، وسعيد بن خثيم الهلالي، وسعيد بن منصور المشرفي الكوفي، وسليمان الأعمش، وشعبة بن الحجاج، وعباد بن كثير، وعبد الله بن عمر بن معاوية، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، وعبد الرحمان بن الحارث ابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي، وعبد الرحمان بن أبي الزناد، وعبيد الله بن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طالب، وعبيد بن اسطفي، وأبو هريرة عُرِف بن درهم، وعمر بن موسى، وأبو خالد عمرو بن خالد الواسطي، وابنه عيسى بن زيد بن علي، وفضيل بن مرزوق، وكثير النواء، وكيسان أبو عمر القصار الكوفي، ومحمد ابن سالم، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، والمطلب بن زياد، وأبو الزناد موح ابن علي الكوفي، وهارون بن سعد العجلي، وهاشم بن البريد^(١).

ثم إنَّ علامة صنعاء السياغي فصل من يروي عنه من أولاده عمَّن ليس منهم، فقال:

تلامذته: أولاده السادة الأبرار:

عيسى بن زيد، ومحمد بن زيد، وحسين بن زيد، ويحيى بن زيد.

(١) جمال الدين المزي: تهذيب الكمال: ٩٦/١٠. هذا ما ذكره جمال الدين. ونذكر المشهورين منهم في قائمة خاصة.

فيعسى بن زيد الأوحى الذي أخذ عنه سفيان الثوري، وكان زاهداً أهل زمانه وهو جد العراقيين.
ومحمد بن زيد، جد الذين ببلاد العجم.
وحسين بن زيد، جد المشهورين من ذرية زيد بن علي.
ويحيى بن زيد هو القائم بالإمامة بعده.

مشاهير أصحابه الذين أخذوا عنه العلم :

ما نقلناه عن جمال الدين المزي يهدف إلى مطلق من أخذ عنه العلم، سواء اشتهر بالأخذ عنه أم لا وفي هذه القائمة نخص المشهورين وبين المذكورين في القائمتين من النسب الأربع عموم وخصوص من وجه.

١- منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي الكوفي مات سنة ١٣٢ هـ احتج به البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي.

٢- هارون بن سعد العجلي أو الجعفي الكوفي وهو من شيوخ مسلم.

٣- معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري استشهد مع الإمام زيد وصلب معه.

٤- أبو الجارود زياد بن المنذر الهمداني وهو الذي تنسب إليه الجارودية الزيدية.

٥- الحسن بن صالح وأخوه.

٦- علي بن صالح وكلاهما بترين، لاحظ رجال الكشي برقم ١٠٨.

٧- هاشم صاحب البريد وقد جاء في سند الكافي في باب معرفة الأئمة يروي عن الصادق عليه السلام

لاحظ تنقيح المقال: ٢٨٨/٣.

٨- محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام لاحظ تنقيح المقال: ١٣٦/٣.

٩- سلمة بن كهيل أحد المباهين لزيد له ترجمة في رجال الكشي برقم: ٢٠٥.

١٠- عمرو بن خالد الواسطي راوي مسنده وستوافيك ترجمته عند البحث عن آثار زيد العلمية.

١١- إسماعيل بن عبد الرحمان السدي من كبار علماء الكوفة مات سنة ١٢٧هـ.

١٢- أبو الزناد: موح بن علي الكوفي. له ترجمة في تهذيب الكمال: ٤٥٦/١.

١٣- سليمان بن مهران الأعمش من كبار علماء الكوفة ولد سنة ستين وتوفي عام ١٤٨هـ.

١٤- الأجلح بن عبد الله الكندي. لاحظ تنقيح المقال: ٢٦٦/١.

١٥- معمر بن خثيم الهلالي له ترجمة في تنقيح المقال: ٢٣٤/٣.

١٦- سعيد بن خثيم الهلالي له ترجمة في تنقيح المقال: ٢٦/٢.

١٧- شعبة بن الحجاج بن ورد (٨٣ - ١٦٠هـ) من العلماء كان ينتقل بين الكوفة والبصرة وواسط.

١٨- قيس بن الربيع من أصحاب الصادقين عليهم السلام. تنقيح المقال: ٣١/٣.

١٩- سفيان بن أبي السمط، اقرأ ترجمته في تنقيح المقال: ٣٨/٢، بسقوط «أبي» من العبارة.

٢٠- محمد بن الفرات الجرمي. له ترجمة في رجال الكشي، برقم: ٤٢٨.

- ٢١- فضيل بن الزبير الرسان له ترجمة في تنقيح المقال: ١٣/٢.
- ٢٢- عبد الله بن الزبير: أخو فضيل بن الزبير لاحظ رجال الكشي برقم: ٢٨٧.
- ٢٣- سالم بن أبي حفصة ترجمه الكشي برقم ١٠٩.
- ٢٤- عبد الله بن عتيبة.
- ٢٥- زبيد اليامي^(١) وهو من صغار التابعين توفي عام ١٢٢ أو ١٢٤هـ هوؤلاء مشاهير تلامذته، وأمّا غيره فقد أتى بأسمائهم العلامة السياغي في كتابه، فمن أراد فليرجع إليه، وقد تعرفت على ما ذكره جمال الدين المزي في ذلك المجال^(٢).
- ثم إن أولاد عبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى الذين أخذوا من زيد عبارة عن:
- ١- محمد بن عبد الله: النفس الزكية.
 - ٢- إبراهيم بن عبد الله: النفس الرضية.
 - ٣- إدريس بن عبد الله.
 - ٤- يحيى بن عبد الله.
 - ٥- السيد موسى بن عبد الله.
- فهؤلاء أخذوا العلم عن أبيهم وعن زيد وبعض أصحابه أيضاً^(٣).

(١) السياغي: الروض النضير: ١١٤/١ - ١١٥. (٢) جمال الدين المزي: تهذيب الكمال: ٩٦/١٠.

(٣) السياغي: الروض النضير: ١١٥/١.

إنَّ العلامة السياغي وغيره عدّوا كثيراً من فقهاء أهل السنّة ونسّاكهم من أتباع الإمام زيد، وحاولوا بذلك شيوع إمامته والاقتداء به يوم ظهوره وخروجه، ولكن المؤيد لثورة زيد، غير كونه تابعاً لزيد في الأصول والفروع.

وهناك كلمة قيّمة لنشوان الحميري قد رفع بها الستر عن وجه الحقيقة وقال: «اجتمع طوائف الناس على اختلاف آرائهم على مبايعته، فلم يكن المعتزلي أسرع إليها من المرجئ، ولا المرجئ من الخارجي، فكانت بيعته عليه السلام مشتملة على فرق الأمّة على اختلافها ^(١).

إنَّ أبا حنيفة إمام السنّة دعم خروج زيد بالمال، وأفتى بوجوب نصرته زيد وقد أرسل المال إليه، كما هو مذكور في غير واحد من المعاجم، مع أنه لم يكن تابعاً لزيد لا في الأصول ولا في الفروع.

حديث المنتمين إلى زيد :

إنَّ لفيفاً من فقهاء أهل السنّة، كانوا يعانون من جور بني أمية وطغيانهم، لمّا وقفوا على خروج زيد قاموا بدعمه وإمداده بالقول والعمل، فصاروا معروفين بالزيدية وما هم من الزيدية بشيء إلاّ تصويب خروج زيد، وإمداده، والزيدي عندنا، من يقتفيه في العقيدة والعمل. وبذلك يظهر التأمل في بعض ما ذكره الحاكم الجشمي البيهقي (٤١٣ - ٤٩٤هـ) في جلاء الأبصار.

قال: وعن محمد بن زيد قال: بعث أبو حنيفة عليه السلام إلى زيد بن علي عليه السلام بمال، وقال: استعن به على ما أنت فيه. وعن فضيل ابن الزبير قال: كنت رسول زيد بن علي إلى أبي حنيفة، فسألني من يأتيه من الفقهاء؟ فقلت:

(١) نشوان الحميري: الحور العين: ١٨٥. ولكلامه صلة سيوافيك.

سلمة بن كهيل ويزيد بن أبي زياد وهارون بن سعد وأبو هاشم الرماني وحجاج ابن دينار وغيرهم كثير. وعن شعبة قال: سمعت الأعمش يقول: واللّه لولا ضلالة بي لخرجت معه، واللّه ليُخذلنّه واللّه ليُسلمنّه كما فعلوا بجده وعمه. وعن عقبة بن إسحاق السلمي قال: كان منصور بن المعتمر يدور على الناس يأخذ البيعة لزيد ابن علي. وعن ليث قال: جاءنا منصور يدعونا إلى الخروج مع زيد بن علي. وعن حماد بن زيد وذكر سفيان الثوري فقال: كان ذاك زدياً، وعن أبي معاوية وذكر عنده سفيان فقال: نحن أعرف بهذا منكم، كان سفيان من هذه الشيعة وكان منصور يأخذ البيعة لزيد بن علي. وذكر السيد أبو طالب بإسناده عن أبي عوانة قال: كان سفيان زدياً، وكان إذا ذكر زيد بن علي يقول: بذل مهجته لرّبّه، وقام بالحقّ لخالقه، ولحق بالشهداء المرزوقين من آبائه. وقال أبو عوانة: كان زيد بن علي يرى الحياة غراماً، وكان ضجراً بالحياة. وعن الواقدي قال: كان سفيان زدياً. وعن النضر بن حميد الكندي قال: شهدت سعد بن إبراهيم بالمدينة حين نعي إليه زيد بن علي عليه السلام، فبكى واشتدّ حزنه واشتدّ جزعه، وتخلف في منزله يعزّي بعد سبعة أيام، فسمعتة يقول: ما خلف مثله. وعن الصادق - يعني جعفر بن محمد عليه السلام - : «عمي زيد خرج على ما خرج عليه أباه، ووددت أنّي استطعت أن أصنع كما صنع عمي، فأكون مثل عمي، من قتل مع زيد كمن قتل مع الحسين ابن علي عليه السلام» (١).

وعلى هذا الغرار قول ابن العماد الحنبلي، قال: وكان ممن بايعه منصور بن المعتمر، ومحمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، وهلال بن خباب بن الأرت وابن شبرمة ومسعر بن كدام وغيرهم (٢).

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ١٥٨/١.

(١) السياغي: الروض النضير: ١٠٤/١.

إنّ القول بالتشيع يجمعه الاعتقاد، بخلافة الإمام علي أمير المؤمنين عن النبي الأكرم نصّاً جليّاً أو خفياً كما يدّعيه بعض الزيدية، ولم يكن هؤلاء متشيعين بهذا المعنى نعم كانوا مؤيدين ثورة زيد ومدعين لها بالوان مختلفة.

حتى إنّ بعض المؤيدين لثورته، والمبايعين له، قد استقال بعد البيعة كما روى في حق كثير النواء حيث بايع فاستقال وأقاله زيد وقال:

للحرب أقوام لها خلقوا وللتجارة والسلطان أقوام
خير البرية من أمسى تجارته تقوى الإله، وضرب يجتلي الهام^(١)

الثناء عليه ممزوجاً مع المغالاة:

١ - روى المقرئ عن أحمد بن محمد بن الحسين بن زيد بن علي، قال: حدثنا أهلي أنّ زيداً عليه السلام ماتوسد القرآن منذ احتلم حتى قتل، وأمّا الصيام فكان يصوم يوماً ويفطر يوماً. ولعله أراد بقوله: «ماتوسد القرآن» الكناية عن قيام الليل واستكمال قراءة القرآن في صلاة التهجد^(٢).

٢ - قال نشوان الحميري في شرح «رسالة الحور العين»: فلما شهر فضله وتقدمه وبراعته وعرف كماله الذي تقدم به أهل عصره اجتمع طوائف الناس على اختلاف رأيهم على مبايعته، فلم يكن الزيدي أحرص عليها من المعتزلي، ولا المعتزلي أسرع إليها من المرجئي، ولا المرجئي من الخارجي، فكانت بيعته عليه السلام مشتملة على فرق الأمة مع اختلافهم. ولم يشذ عن بيعته إلا هذه الفرقة القليلة

(١) المفيد: الاختصاص: ١٢٨، ط ١٣٧٩؛ المجلسي: البحار: ١٨١/٤٦.

(٢) المقرئ: الخطط: ٤١٩/٢، كما في الروض النضر: ٩٩/١.

التوفيق - أخزاهم الله تعالى - قال: ومن الواضح الذي لا أشكال فيه أن زيد بن علي عليه السلام يُذكر مع المتكلمين إن ذكروا، ويُذكر مع الزهاد، ويُذكر مع الشجعان، وأهل المعرفة بالضبط والسياسة، فكان أفضل العترة لأنه كان مشاركاً لجماعتهم في جميع خصال الفضل، ومتميزاً عنهم بوجوه لم يشاركوه فيها، فمنها اختصاصه بعلم الكلام ^(١)، الذي هو أجل العلوم، وطريق النجاة، والعلم الذي لا ينتفع بسائر العلوم إلاّ معه، والتقدم فيه والاشتهار عند الخاص والعام. هذا أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ يصفه في صنعه الكلام ويفتخر به ويشهد له بنهاية التقدم، وجعفر بن حرب في كتاب «الديانة» وكثير من معتزلة بغداد كمحمد بن عبد الله الإسكافي وغيره ينتسبون إليه في كتبهم، ويقولون نحن زيدية، وحسبك في هذا الباب انتساب المعتزلة إليه، مع أنها تنظر إلى سائر الناس بالعين التي تنظر بها ملائكة السماء إلى أهل الأرض مثلاً. فلو لا ظهور علمه وبراعته وتقدمه على كل أحد في فضيلته لما انقادت إليه المعتزلة ^(٢).

المغالاة في علمه وفقهه :

إنّ الغلو هو الخروج عن الحد، قال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ (النساء - ١٧١). وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ (المائدة - ٧٧). وقال الإمام علي عليه السلام وهو يصف الغلو وخلافه يقول: الشناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد» ^(٣).

(١) سيوافيك أنه لم يؤثر من زيد، أي رأي كلامي وإنّ تتلمذه على واصل غير ثابت.

(٢) السباغي: الروض النضير: ١٠١/١، لاحظ شرح رسالة الحور العين: ١٨٥.

(٣) الرضي: نهج البلاغة: قسم الحكم، برقم ٣٤٧.

المغالاة في أي موضوع من الموضوعات تلازم الكذب أولاً، والإغراء بالجهل ثانياً، وبخس الحق ثالثاً إلى غير ذلك من المضاعفات، من غير فرق بين أن يتعلق بأمر ديني أو غيره، وهنا نذكر شيئاً مما قيل في حقه من المغالاة:

١ - اتفقت كلمة أصحاب المعاجم على أن زيداً، أخذ عن والده وأخيه محمد الباقر عليه السلام ولم ينكر أحد ذلك وقد تخرج من مدرسة أخيه عشرات المحدثين والفقهاء والمتكلمين، لا يشق غبارهم ولا يدرك شأوهم غير أن هناك من يروقه الحط عن مكانة أئمة أهل البيت، أو الخضوع للعاطفة، أو الحسد لمنزلة أبي جعفر الباقر عليه السلام فلا يرضى إلا بترفيح زيد عليه، يقول: لقد علم زيد، القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر، قلت: وكيف ذلك؟ قال: لأن زيداً علم القرآن، وأوتي فهمه. وأبو جعفر أخذ من أفواه الرجال. قال الديلمي: وقد قيل لأبي جعفر: باقر علم الأنبياء والعالم ورأس الشيعة في زمانه. وعنه: والله لقد علمت أهل بيتي فما علمت أفضل من زيد بن علي ولقد استوسقت له الفضائل، واجتمع له الخير، وكمل فيه الحق فما يساميه أحد إلا والحق ينكسه ويزهقه ^(١).

يلاحظ عليه أولاً: أن زيداً من علماء أهل البيت وأفاضلهم، وهو علم القرآن وأوتي فهمه، ولكنه من أين أخذ علمه هل أخذ عن أبيه زين العابدين، وأخيه باقر العلوم عليه السلام فإذا تنفّى المغالاة، أو من غيرهما، ومن هو ذاك الغير الذي علم زيداً، وصار زيد في علم القرآن عيلاً عليه، وبرع وترعرع وتقدم على أئمة أهل البيت عليهم السلام؟!

وثانياً: ما مصدر هذه الأكذوبة من أن أبا جعفر عليه السلام أخذ من أفواه الرجال، إذ لم يأت في أي مصدر من المصادر، إن الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

(١) الروض النضير: ١٠١/١ وهذا القضاء الجائر نسبته الديلمي في مشكاة الأنوار إلى عبد الله بن محمد ابن علي بن الحنفية.

حضرُوا مجلس درس أحد من الصحابة والتابعين والعلماء، نعم ربّما روى بعضهم حديثاً عن الرسول مسنداً إلى بعض الصحابة أو التابعين وهو غير الدراسة والتعلّم لديهم. وقد مضى وجه النقل عنهم. هذا هو ابن سعد يعرّفه بقوله: «محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين كان عالماً عابداً ثقة، روى عنه الأئمة أبو حنيفة وغيره. وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعني بالحكم، الحكم بن عتيبة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه» (١).

أفمن يسلم عليه النبي عن طريق جابر يقول جابر: كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال ﷺ: «يا جابر يولد مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقوم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام» (٢). يقول المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين ﷺ في علم الدين والآثار والسنة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبي جعفر الباقر ﷺ وروى عنه معالم الدين، بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر كلامه الأخبار وانشدت في مدائحه الأشعار (٣).

وبذلك يظهر حال ما رواه الذهبي وغيره عن الإمام الصادق ﷺ أنّه عرف عمه بقوله: «كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا في دين الله، وأوصلنا للرحم

(١) سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ٣٠٢/١.

(٢) المصدر نفسه: ٣. ٣، أخرجه أيضاً ابن حجر في لسان الميزان: ١٩٨/٥، وابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ١٩٩، والمناوي في الكواكب الدرّية: ١٦٤/١ وغير ذلك.

(٣) المفيد: الارشاد: ٢٦١ - ٢٦٢.

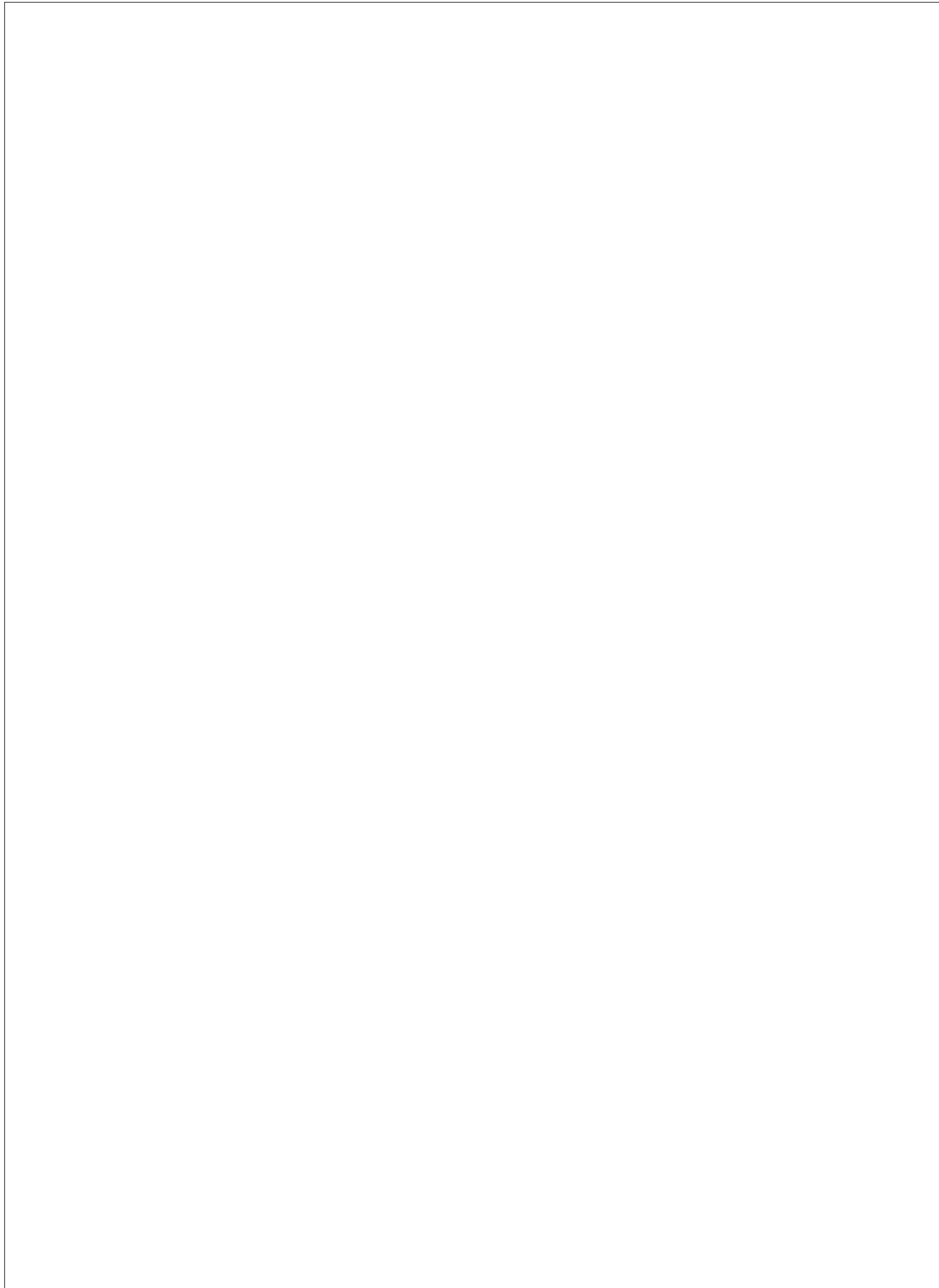
ما تركنا وفيما مثله»^(١) ولو صح الحديث لحمل على التفضيل النسبي بالنسبة إلى سائر الهاشميين.

تطرف بعد تطرف:

ومن ذلك ما يرويه حميد بن أحمد المحلي قال: رويانا بالاسناد الموثوقة أيضاً أنّ زيد بن علي سأل محمد بن علي الباقر عليه السلام كتاباً كان لأبيه، قال: فقال له محمد بن علي: نعم، ثم نسي ولم يبعث إليه، فمكث سنة ثم ذكر، فلقي زيدا فقال: أي أخي ألم تسأل كتاب أبيك؟ قال: بلى. قال: والله ما منعني أن أبعث به إلا النسيان. قال: فقال له زيد: وقد استغنيت عنه. قال: تستغني عن كتاب أبيك؟ قال: نعم استغنيت عنه بكتاب الله، قال: فاسألك عما فيه؟ قال له زيد: نعم، قال: فبعث محمداً إلى الكتاب، ثم أقبل فسأله عن حرف حرف وأقبل زيد يجيبه حتى فرغ من آخر الكتاب، فقال له محمد: والله ما حرمت منه حرفاً واحداً^(٢).

يلاحظ عليه أولاً: أنّ ظاهر الحديث أنّ اللقاء بين الأخوين كان بعيداً بشهور غير متقارب كما هو ظاهر قوله: فمكث سنة ثم ذكر فلقي زيدا، وهذا ما لا تعطيه ظروف الحياة في المدينة المنورة. وثانياً: أنّ ما نقله عن زيد من حديث الاستغناء إنّما يصح لو كان الكتاب، كتاباً عادياً غير مرتبط بتفسير القرآن وحل معضلاته ومشكلاته، أو مبيّناً لمخصصاته ومقيداته، ولكن الظاهر أنّ الكتاب كان على خلاف ذلك ومع ذلك كيف يمكن الاستغناء عنه بالقرآن.

(١) جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال: ٩٨/١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٣٩٠/٥ وتاريخ الإسلام (حوادث - ١٢١ - ١٤٠هـ) ص ١٠٦. (٢) الحقائق الوردية: ١٤٠.



الفصل الخامس

الآثار العلمية الباقية عن زيد

كان وليد البيت العلوي، مفسراً للقرآن، عارفاً بالسنة، ترك آثاراً علمية إما أملاها على تلاميذه، أو حرّرها بقلمه ويراعه ونأتي في المقام بما وقفنا عليه من الآثار:

١- المجموع الفقهي.

٢- المجموع الحديثي.

نسب إلى زيد المجموع الفقهي تارة والحديثي أخرى، والمسند الثالثة. روى الجميع أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي غير أنّ الكتب الثلاثة هي المطبوعة باسم المسند، وأمّا تسميته بالحديثي والفقهي فلأجل أنّ الكتاب يتضمّن روايات عن زيد عن آبائه كما يتضمّن آراء له فلو كان الكتابان في بدء الأمر مختلفين فهو في المطبوع كتاب واحد، وأمّا توصيفه بالمسند لأنّ ما في الكتاب يحتوي رواياته عن آبائه، وقد جمع - ما رواه أبو خالد عن زيد - عبد العزيز بن إسحاق بلا تبويب شأن المسانيد، وبوبه بعد قرون الحسين بن يحيى بن إبراهيم الديلمي في سنة ١٢٠١هـ وكان قبل التبويب مجزّأ على ستة أبواب على أصل الجامع له، والمطبوع

هو ما بوّبه الديلمي.

والناظر في المجموع الحديثي يميز الحديث عن المجموع الفقهي فنرى في كتاب الطهارة باب ذكر الوضوء لوتين من الكلام.

أ: حدثني زيد بن علي بن الحسين (عن أبيه سقط عن المطبوع) عن جده الحسين بن علي إلى أن قال: رأيت رسول الله توضاً فغسل وجهه.

ب: وسألت زيدا بن علي عن الرجل ينسى مسح رأسه حتى يجف وضوءه.

ومثل الثاني إذا قال: وقال زيد بن علي رضي الله عنه «المضمضة والاستنشاق سنة...»

والقسم الأول حديث، ولكن الثاني وما يليه، من المجموع الفقهي.

وأخبار المجموع النبوي المرفوعة مائتا حديث وثمانية وعشرون حديثاً.

والعلوية ثمانمائة وعشرون خبراً.

وقد تلقاها أئمة الزيدية بالقبول وقالوا: هو أول كتاب جمع في الفقه وقال منهم:

زيد يزيد على الوري في أصله وفروعه

فالفضل مجموع به والعلم في مجموعه

وقد شرحه لفيف من الزيدية أوسعها شرح القاضي العلامة شرف الدين الحسين بن أحمد السياغي الحيمي اليمني الصنعاني، ولد بصنعاء سنة ١١٨٠ هـ وتوفي سنة ١٢٢١ هـ أسماه «الروض النضير في شرح مجموع الفقه الكبير»، وقد طبع طبعتين، الطبعة الثانية محققة طبع عام ١٣٨٨ هـ وشرحه هذا يشتمل على تخريج الأحاديث وشرحها واستنباط الأحكام المأخوذة منها مع ذكر أقوال العلماء

في مسائل الخلاف والتكلم في ما عارضها من الأحاديث بالجمع أو الترجيح، والكتاب يدل على سعة باعه واتقانه الفقه والأصول^(١).

والشارح وإن جعل المحور، مسند الإمام زيد، لكنه يستدل على ما ورد فيه شيء بالطرق المألوفة في الفقه السنّي من الاحتجاج بما ورد في الصحاح والمسانيد من مراسيل وموقوفات للصحابة وبأمور لا تعترف بها أئمة أهل البيت من القياس وغيره، ولذلك أصبح الكتاب أشبه بفقه أهل السنة، ولأجل ذلك يقول الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي المصري في تقريره على الكتاب: «وهو موافق في معظم أحكامه لمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان وماذا عنى أن تقول في كتاب يوافق ما فيه، ما بكتبنا ومذاهبنا»^(٢) وسوف ندرس المجموع من حيث الاعتبار في الفصل القادم.

٣- تفسير غريب القرآن :

الغريب من الغرابة وهي الغموض والخفاء، فالغريب هو الغامض من الكلام وكان النبي الأكرم ﷺ والإمام علي عليه السلام وتلميذه ابن عباس وغيرهم من الصحابة يفسرون غريب القرآن الكريم وقد جاء في أسئلة نافع بن الأزرق (٢٧٧) سؤالاً وجهها هو وزميله إلى ابن عباس، وأجاب عنها^(٣).

ولعل أول من ألف في غريب القرآن هو أبان بن تغلب بن رياح البكري

(١) لاحظ ما كتب حول الكتاب بقلم عدّة من الأعلام في مقدمته، ط ٢، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٢) الروض النضير: ١٧، المقدمة.

(٣) السيوطي: الاتقان: ٦٩/٢ - ١٠٤.

(ت ١٤١هـ) من أصحاب الإمام السجاد والباقر والصادق عليهم السلام وكانت له عندهم منزلة، وله قراءة مفردة مشهورة عند القراء ^(١).

لكن لو صحت نسبة تفسير غريب القرآن المطبوع حديثاً لزيد، المحقق على يد فضيلة الدكتور حسن محمد تقي الحكيم، لسبقه زيد في التأليف، فهو أول باكورة في هذا النوع ظهر في الصعيد الإسلامي، ويظهر من مقارنة هذا الكتاب مع كتاب المجاز لأبي عبيدة (ت ٢١٢هـ) الذي ألفه في غريب القرآن أنه كان لهذا الكتاب تأثير بالغ في كتاب أبي عبيدة مباشرة أو بالوساطة ^(٢).

والكتاب يبتدئ من سورة الفاتحة وينتهي بسورة الناس ويركز في التفسير على الغريب ولذلك لا يذكر من آيات السورة إلا ما هو موضع نظره.

وردت نسبة الكتاب إليه في بعض الكتب مثلاً:

١ - جاء في كتاب الأُمالي لابن الشجري: قال الإمام أبو الحسين زيد بن علي عليه السلام في تفسير الغريب.

٢ - جاء في طبقات الزيدية لصارم الدين في ترجمة حياة أبي خالد قوله: وروي عن أبي خالد تفسير الغريب للإمام زيد بن علي، عطاء بن السائب.

٣ - جاء في كتاب الروض النضير: روى عن أبي خالد تفسير الغريب للإمام زيد بن علي، عطاء بن السائب ^(٣).

ونستطيع أن نويد نسبة الكتاب إلى الإمام الثائر بالرجوع إلى المواضع التي يمكن أن يظهر فيها مذهبه وعقيدته.

(١) النجاشي: الرجال: ٧٣/١ برقم ٦، السيوطي: بغية الوعاة: ٧٦.

(٢) عن مقدمة المحقق ص ٥٥، ثم ذكر دلائل التأثير بشكل واضح.

(٣) تفسير غريب القرآن، مقدّمة المحقق ص ٤٨ وذكر مصادر ما نقل.

ومن تلك الآيات آية البلاغ، فهو يقول في تفسير قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قال زيد بن علي عليه السلام: هذه لعلي بن أبي طالب صلوات الله عليه خاصة: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي يمنعك منهم ^(١).
ومنها آية الذكر، قال في تفسير قوله سبحانه: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ (النحل - ٤٣) قال الإمام زيد بن علي عليه السلام: نحن أهل الذكر ^(٢).

فالتفسيران يؤيدان أن الكتاب لشيعي يرى النص لعلي يوم الغدير، ويرى أن المرجع بعد الكتاب والرسول، هو عترته.

كما يعلم كونه نافياً للرؤية التي كانت يوم ذاك عقيدة أصحاب الحديث. يقول في تفسير قوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢ - ٢٣) معناه مشرقة وناصرة: منتظرة للثواب ^(٣).

هذه نظرة عابرة إلى التفسير، ولو قرئ بإمعان ودقة، يتبين أن التفسير لمن تربى في أحضان أئمة أهل البيت والعتر الطاهرة عليهم السلام.

٤- الصفوة:

والكتاب، دراسة قرآنية هادئة يتبنى بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام، وتقديمهم على سائر الناس في مختلف المجالات، وإن السبب لديب الفساد بين المسلمين صرف القيادة عنهم، ودفعها إلى غيرهم. حققه الكاتب ناجي حسن، طبع في مطبعة الآداب في النجف الأشرف بلا تاريخ، اعتمد في التصحيح على

(١) تفسير غريب القرآن، ص ١٢٩، ط بيروت، ١٤١٢هـ

(٢) تفسير غريب القرآن: ص ١٨ و ٣٥٩. (٣) تفسير غريب القرآن: ص ١٨ و ٣٥٩.

تصوير نسخة واحدة محفوظة بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٢٠٣ زيدية.

رواها أبو الطيب علي بن محمد بن مخلد الكوفي:

قال: حدثني إسماعيل بن يزيد العطار.

قال: حدثنا حسين بن نصر بن مزاحم المنقري

قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الحكم بن ظهير الفزاري

قال: حدثني أبي وحماد بن يعلى الثمالي

عن أبي الزناد، وأصحاب زيد بن علي عن زيد بن علي عليه السلام أوله:

أما بعد فإنني أوصيك بتقوى الله الذي خلقك ورزقك.

٥- رسالته إلى علماء الأمة :

نشرت - مؤخراً - رسالة بهذا الاسم عن دار التراث اليمني في صنعاء، حققها محمد يحيى سالم غفران وهي الرسالة التي بعثها الإمام الثائر إلى علماء الأمة مبيناً فيها تفاصيل دعوته وبيان أهدافه التي خرج مجاهداً من أجلها وهي تعطي صورة واضحة من روح ثورية للإمام، وتمرد على الحكم الأموي، وصياح على علماء السوء الذين كان لهم الدور البارز في تخدير حماس الجماهير، وتشويه مفاهيم الدين، وتثبيت ملك الظالمين.

وبما أن الرسالة أثرها الرسالي الجهادي الحماسي وتمثل الهدف الأمثل لنضال الإمام وكفاحه وتمرده على الحكم الأموي نشرناها في الفصل الثالث مشفوعاً بالشكر للناشر والمحقق، وقد حققها عن نسخ أربع، قدّم تفاصيلها في المقدمة، وشقّعها بذكر موارد اقتبس العلماء من هذه الرسالة مع نسبة ما اقتبسوه إلى الإمام.

٦- منسك الحج أو مناسك الحج

رسالة في بيان أعمال الحج ومناسكه نشره العلامة السيد محمد علي الشهرستاني ببغداد سنة ١٣٤٢ هـ و يوجد من الكتاب نسخ مخطوطة في مكتبة برلين برقم ١٠٣٦٠ وغيرها^(١).
هذه هي الآثار المنشورة التي وقفنا على نشرها وطبعها وقرأناها وهناك آثار له لم تنشر إلى الآن أو نشرت ولم نقف على نشرها ومنها نسخ في المكتبات والمتاحف، وقد بذل الدكتور حسن محمد تقي الحكيم محقق تفسير غريب القرآن لزيد جهداً في الوقوف على تلك الآثار نقتبس من مقدمته ما يلي:

٧- رسالة في أثبات وصية أمير المؤمنين وإثبات إمامته وإمامة الحسن والحسين وذريتهما، توجد نسخة منها في مكتبة برلين برقم ٩٦٨١ (الأوراق ١٦ ب - ١٩ ب، من سنة ٨٥٠ هـ تقريباً)^(٢) وقال: توجد عندي صورة منها.

٨- رسالة في أجوبة زيد بن علي، على مسائل لأخ له من أهل المدينة، توجد في مكتبة وهبي ٤/٤٥٧ (الأوراق ٨١ ب - ٨٤ ب، من القرن العاشر الهجري)^(٣).

٩- رسالة في الإمامة إلى واصل بن عطاء. توجد في مكتبة وهبي ٢/٤٥٧ (الأوراق ٧٧ ب - ٧٨ ب من القرن العاشر الهجري)^(٤).

١٠- تثبيت الإمامة. مخطوطة المتحف البريطاني ملحق ٣٣٦، مخطوطات شرقية رقم ٣٩٧١ (الأوراق ٢٥ - ٢٨ من سنة ١٢١٥ هـ) وتوجد أيضاً في مكتبة

(١) لاحظ مقدمة تفسير غريب القرآن لمحققها الدكتور حسن محمد تقي الحكيم: ٤٣.

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٢٤/٣؛ وتاريخ التراث العربي: الجزء ٣ من المجلد ٣٢٤/١؛ والروض النضير: ١١٧/١.

(٣) انظر تاريخ التراث العربي: ج ٣ من المجلد ٣٢٤/١، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

(٤) انظر تاريخ التراث العربي: ج ٣ من المجلد ٣٢٤/١، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي.

أمبروزيانا في ميلانو بإيطاليا رقم ١٧٤ (الأوراق ١٧٨ - ١٨٨ ب من سنة ١٠٣٥ هـ) (١).

١١ - تفسير سورة الفاتحة وبعض آيات القرآن. يوجد في مكتبة برلين رقم ١٠٢٢٤ (الأوراق ٩ - ١٦ من حوالي سنة ٨٥٠ هـ) (٢).

١٢ - رسالة في حقوق الله. توجد في مكتبة الفاتيكان رقم ١٠٢٧ (الورقتان ١٣٠ - ١٣١، من سنة ١٣٣٢ هـ) وتوجد أيضاً في مكتبة وهبي رقم ٣/٤٥٧ (الأوراق ٧٨ ب - ٨١، القرن العاشر الهجري) (٣).

١٣ - الرد على المرجئة. يوجد هذا الكتاب مخطوطاً في مكتبة برلين رقم ١٠٢٦٥ (الأوراق ١ - ١١٦، من حوالي سنة ٨٥٠ هـ) (٤).

١٤ - قراءة زيد بن علي. يوجد الكتاب في مكتبة امبروزيانا في (ميلانو) في إيطاليا، رقم ٢٨٩ ف.

هذه هي الكتب الباقية من ثأرنا ولعل الله سبحانه يقيض رجال العلم لنشر ما بقي من آثاره وربما يذكر له رسائل، عفى عليها الزمان فالأولى عطف عنان البحث، على دراسة مجموعته الفقهي والحديثي، حتى نقومهما سنداً وامتناً في الفصل الآتي.

(١) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣/٣٢٤؛ وتاريخ التراث العربي: الجزء ٣ من المجلد ١/٣٢٤.

(٢) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣/٣٢٣؛ وتاريخ التراث العربي: الجزء ٣ من المجلد: ١/٣٢٣.

(٣) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣/٣٢٤؛ وتاريخ التراث العربي: المجلد ١ الجزء ٣/٣٢٦ و ٣/٣٢٣؛ وتفسير غريب القرآن: ٤١، المقدمة.

(٤) أنظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣/٣٢٤؛ وتاريخ التراث العربي: المجلد ١ الجزء ٣/٣٢٦ و ٣/٣٢٣؛ وتفسير غريب القرآن: ٤١، المقدمة.

الفصل السادس

دراسة مسند الإمام زيد سنداً ومضموناً

لقد وقفت على الآثار الباقية من الإمام زيد، والمهم منها هو مجموعته الفقهي والحديثي الذي اشتهر باسم المسند للإمام زيد، فتلزم علينا دراسته من حيث الاعتبار، وما فيه بعض المخالفة لفقه أهل البيت، أعني: الصادقين ومن بعدهم فنقول:

روي المجموع عن الإمام زيد بالسند التالي:

- ١ - حدثني ^(١) عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر بن الهيثم القاضي البغدادي قال:
- ٢ - حدثنا أبو القاسم علي بن محمد النخعي الكوفي. قال:
- ٣ - حدثنا سليمان بن إبراهيم بن عبيد المحاربي. قال:
- ٤ - حدثني نصر بن مزاحم المنقري العطار قال:
- ٥ - حدثني إبراهيم بن الزبرقان التيمي قال:
- ٦ - حدثني أبو خالد الواسطي رحمه الله تعالى قال:

(١) والقائل هو علي بن العباس الذي هو أحد الرواة عن عبد العزيز جامع المجموع.

٧- حدثني زيد بن علي بن الحسين عن أبيه: علي بن الحسين، عن جده الحسين بن علي، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد وصلنا المجموع بهذا السند وهو مذكور في صدره ^(١) وفي الصفحة التي تلي آخر الكتاب ^(٢).

وقد ذكر شارح المجموع شرف الدين الحسين بن أحمد السياغي (١١٨٠ - ١٢٢١هـ) سنده إلى الكتاب، فأخذ أولاً بذكر أستاذه وشيخه أبي يوسف الحسين ابن يوسف ^(٣) إلى أن انتهى إلى أبي القاسم علي بن محمد النخعي الأنف ذكره، غير أن المهم دراسة وثيقة هؤلاء المشايخ الذين تنتهي إليهم رواية المسند في جميع الأعصار فنبتدئ بدراسة حال من وقع في أول السند.

أ- عبد العزيز بن إسحاق بن البقال:

قال الذهبي: كان في حدود الستين وثلاثمائة قال ابن أبي الفوارس الحافظ: له مذهب خبيث، ولم تكن في الرواية بذاك، سمعت منه أحاديث رديّة.

قلت: له تصانيف على رأي الزيدية عاش تسعين عاماً. ثم روى الذهبي عنه بإسناده الحديث التالي:

قال: إن نزول الله إلى الشيء إقباله عليه من غير نزول، ثم وصفه بأن إسناده مظلم وممتنه مختلق ^(٤).

لا نستطيع أن نساير ابن أبي الفوارس في قوله: «له مذهب خبيث» ولم يكن مذهبه سوى محبته لآل البيت أو دعمه مبدأ الخروج على بني أمية الذي لا يروق

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٢.

(١) مسند الإمام زيد: ٢٤٧.

(٣) توفي بصنعاء سنة ١٢٣١هـ عن ثمانين سنة. (٤) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٦٢٣/٢ برقم ٥٠٨٣.

(١٢٨)

السلفيتين ومن لف لَقَّهم، فإنَّ مذهبهم هو المماشاة مع الظالمين و السكوت أمام ظلمهم، وعدم الخروج عليهم.

كما لا نستطيع أن نساير الذهبي حيث وصف اسناد حديثه بالظلمة ومنتنه بالاختلاق، وما هذا إلاَّ لأنَّ الذهبي يتظاهر بالتنزيه، ولكن يعتنق لباً التجسيم بشهادة أنَّ كتبه تمدح المجسمة ومن يثبت لله الحركة والجهة من أوصاف الجسم وإذا ذكر المشبهة أطال الكلام فيهم بالمدح والوصف، وربما سود صحائف في حقهم خصوصاً في كتابه «سير أعلام النبلاء» وأمّا إذا بلغ إلى أهل التوحيد والتنزيه فلا يخرج إلاَّ بالهمز واللمز وهو دأبه يلمسه كل دؤوب على مطالعة رجاله وتاريخه.

والحديث لما كان على طرف النقيض من عقيدته، وصف اسناده بالظلمة ومنتنه بالاختلاق، صدق الله العلي العظيم حيث قال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

وأما الشيعة فقد ورد في كتبهم ذكر في حقَّ عبد العزيز بن إسحاق البقال فعنونه الشيخ في رجاله في باب من لم يرو عنهم عليه السلام قال: عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر الزيدي البقال الكوفي وكان زيدياً يكنى أبا القاسم سمع منه التلعكبري سنة ست وعشرين وثلاثمائة ^(١).

وقال في الفهرست: عبد العزيز بن إسحاق له كتاب في طبقات الشيعة، وعنونه ابن داود في القسم الثاني ^(٢) من رجاله، ومعنى كونه من القسم الثاني أنه ممن ورد فيه ذم وإن كان ورد فيه مدح عن آخرين. كما عنونه العلامة في هذا القسم ^(٣) من كتابه الخلاصة، ومعناه أنه لا يعمل بروايته.

(١) الطوسي: الرجال: ٤٨٣، باب من لم يرو عنهم، برقم ٣٧.

(٢) القسم الثاني من كتابه مختص بمن ورد فيه أدنى جرح، ولو كان أوثق الثقات وعمل بخبره.

(٣) القسم الثاني: من كتابه مختص بمن لا يعمل بروايته ومن لا يعمل بروايته أعم من كونه مطعوناً أو لا.

ومع ذلك نرى أنَّ الشيخ أبا زهرة يقول: إنَّ الرجل موضع طعن جمهور المحدثين من أهل السنة كما أنَّه موضع طعن الإمامية، لكنه موضع تقدير وتوثيق الزيدية أجمعين^(١).

وما ذكره أخيراً حق لا غبار عليه لكن ما نسبته إلى الإمامية لا مصدر له سوى أنَّه ورد في القسم الثاني من رجال العلامة وابن داود وقد عرفت في التعليقة معنى ذلك.

وأما الزيدية فقد اتفقوا على وثاقته وقالوا: أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق بن جعفر البغدادي البقال شيخ الزيدية ببغداد. قال في الطبقات: روى مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام الفقهي الكبير المرتب المبوب عن علي بن محمد النخعي، وقد سمع منه أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن الحسني سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. وقال في مطلع البدور: هو شيخ الزيدية ببغداد، والعراق، وكان عالماً محدثاً حافظاً، وقال في غيره: كان علامة كبيراً وفاضلاً شهيراً، سمحاً، عالماً زاهداً، سعيداً ولياً لآل محمد، رأساً في العلوم، مهيمناً على المظنون والعلوم، له كتاب في إسناده مذهب الزيدية وتعدادهم، وذكر تلامذة زيد بن علي وأصحابه الذين أخذوا عنه العلم^(٢).

ب: أبو القاسم علي بن محمد النخعي الكوفي:

وهو أستاذ عبد العزيز بن إسحاق، ولم نجد له عنواناً في كتب الرجال للشيعة، وأما أهل السنة فقال الذهبي: علي بن محمد: أبو القاسم الشريف

(١) الإمام زيد: ٢٦٢.

(٢) السياغي: الروض النضير: ٦١/١، ثم ذكر ترجمة الذهبي ونقده.

(١٣٠)

الزبيدي الحراني شيخ القراء وتلميذ النقاش وثقه أبو عمرو الداني، واتهمه عبد العزيز الكتاني، ذكرته في طبقات القراء^(١) وهل الترجمة للشيخ النخعي أو لغيره المشترك معه في الكنية والاسم واسم الأب؟ احتمالان، نعم ذكر الذهبي في ترجمة عثمان بن أبي شيبة وقال: «يحيى»^(٢) بن محمد بن كاس النخعي قال: حدثنا: إبراهيم بن عبد الله الحصاف، قال: قرأ علينا عثمان بن أبي شيبة تفسيره فقال: وجعل السفينة في رجل أخيه فليل إنما هو السقاية، فقال: أنا وأخي أبو بكر لا نقر لعاصم^(٣). وقال في تذكرة الحفاظ: وفيها «سنة أربع وعشرين وثلاثمائة» توفي شيخ الحنفية علي بن كاس النخعي الكوفي^(٤).

وذكره في طبقات الحنفية فقال: علي بن محمد بن الحسن بن كاس الكاسي النخعي القاضي الكوفي، روى عن محمد بن علي بن عفان، وعنه أبو القاسم المطرزي والمستكي أستاذ الضميري وله «الأركان الخمسة» توفي أربع وعشرين وثلاثمائة^(٥).

وعند ذلك يظهر لنا سر تلاقي الفقه الزيدي والفقه الحنفي إلى حد كبير، فإن الفقه الموروث من زيد لم يكن على حد يتجاوب مع متطلبات المجتمع الإسلامي آنذاك، فلم يكن بد من بسطه في ضوء القواعد الأصولية، فإذا كان المفتي حنفياً يبسطه حسب الضوابط التي يعتبرها دليلاً على الحكم فيدخل فيه القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، ولا تهمه مخالفة أئمة

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال: ١٥٥/٣ برقم ٥٩٣٥. (٢) وفي التعليقة: علي وهو الصحيح.

(٣) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٣٧/٣ - ٣٨ برقم ٥٥١٨.

(٤) الذهبي: تذكرة الحفاظ: ٨٢١/٣ في ضمن ترجمة ابن الشرقي.

(٥) السياعي: الروض النضير: ٦٤/١.

أهل البيت، الذين جاءوا إلى الساحة بعد مقتل زيد، وقد بين الشيخ الكوثري هذا التلاقي بشكل آخر فقال: «إنّ ذلك التوافق العظيم بين آل زيد وبين فقهاء العراق في ثلاثة أرباع المسائل إنّما نشأ من اتحاد مصدر علوم الفريقين، لأنّ فقهاء الكوفة والعراق إنّما توارثوا الفقه طبقة طبقة عن علي وابن مسعود وسائر كبار فقهاء الصحابة الذين نشروا العلم بالكوفة ولا سيما الذين تدبروها^(١) بعد انتقال علي كرم الله وجهه إليها، واستمروا بها في عهد الأمويين ثم عن فقهاء أصحابهم وأصحاب عمر، وابن عباس ومعاذ الذين انتقلوا إليها واستقروا بها ابتعاداً عن معقل الأمويين، ثم عن أصحاب أصحابهم الفقهاء رضي الله عنهم الذين بهم صارت الكوفة مصدر العلم الناصح في ذلك العهد وكانت علوم الحجاز والمدينة المنورة يتشارك فيها فقهاء الأمصار لكثرة حجبهم عاماً فعاماً في تلك الأعصار^(٢)».

ج - سليمان بن إبراهيم بن عبيد المحاربي :

هو جد علي بن محمد النخعي أبو أمّه، قال في الطبقات: يروي عن نصر بن مزاحم المنقري سمع منه مجموعي الإمام زيد بن علي عليه السلام «الحديثي» و«الفقهي» وسمعهما عليه علي بن محمد بن كاس (أي النخعي) وكان سماعه عليه سنة خمس وستين ومائتين^(٣) ولم أجد له عنواناً في كتب الرجال لأصحابنا الإمامية.

د - نصر بن مزاحم المنقري العطار :

قال الذهبي: نصر بن مزاحم الكوفي، عن قيس بن الربيع وطبقته، رافضي، جلد، تركوه. مات سنة اثنتي عشرة ومائتين، حدّث عنه: نوح بن حبيب وأبو

(١) من الدبر: أخذوه مكاناً.

(٢) الروض النضير: ص ٢٨، المقدمة.

(٣) السياغي: الروض النضير: ٦٤/١.

سعيد الأشجّ وجماعة، قال العقيلي: شيعي في حديثه اضطراب وخطأ كثير . وقال أبو خيثمة: كان كذاباً، وقال أبو حاتم: واهي الحديث، متروك، وقال الدارقطني: ضعيف وروى أيضاً عن شعبة^(١) .

ما ذكره الذهبي وشيوخه، شنشنة أعرفها من كل من يكنّ لأهل البيت غيظاً وعداء وإن كان يتجنب عن إظهاره، فمن روى فضيلة فيهم أو أنشد قريضاً فهو عندهم رافضي، كذاب، خبيث، متروك الحديث إلى غير ذلك، وأمّا المجسّمة والمشبّهة ومن يتولّى آل أمية وسلطينهم، فهو جليل، ثقة، يكتب حديثه ويحتج به.

وأما أصحابنا فقد اتفقوا على وثاقته قال النجاشي: نصر بن مزاحم مستقيم الطريقة، صالح الأمر، غير أنّه يروي عن الضعفاء كتبه. حسان، منها: كتاب الجمل^(٢) وذكره الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الباقر^(٣) .

إنّ الرجل مع كونه شيعياً، علوي الولاء، لكنه عندما يسرد وقائع صفين يسرده بشكل كاتب محايد فهو حين يذكر مثالب معاوية، يذكر شعر الشاميين في الطعن على الإمام وحزبه، وهذا يدل على أنّه كان رجلاً رحب الصدر لا يستفزه المذهب إلى الاكتفاء بذكر كلام طرف واحد، ويذكر كلام المبطل بتمامه أيضاً.

هـ- إبراهيم بن الزبرقان :

قال الذهبي: وثقه ابن معين. وقال أبو حاتم: لا يحتج به روى عنه أبو نعيم^(٤) .

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢٥٣/٤ - ٢٥٤، لاحظ تاريخ بغداد: ج ١٣ برقم ٧٢٤٥.

(٢) النجاشي: الرجال: ٣٨٤/٢ برقم ١١٤٩.

(٣) الشيخ الطوسي: الرجال: برقم: ٣ باب أصحاب الإمام الباقر^(عليه السلام) ولكنه بعيد لأنّ الإمام توفي سنة ١١٤هـ وتوفي

نصر عام ٢١٢هـ (٤) ميزان الاعتدال: ٣١/١.

وقال في طبقات الزيدية: روى عن أبي خالد الواسطي مجموعي الإمام زيد ابن علي، وله رواية عن مجاهد، وعنه نصر بن مزاحم، وقال: حدثني المجموع الكبير المرتب جميعه، عن أبي خالد، وروى عنه أبو نعيم الحافظ، واحتج به أئمتنا، ووثقه المؤيد بالله ووثقه من المحدثين ابن معين، وقال نصر بن مزاحم: كان من خيار المسلمين، وكان خاصاً بأبي خالد الواسطي، وقال ابن أبي الحديد: هو في رجال الحديث وقال غيره من رجال الشيعة المحدثين، وعيب عليه بالتشيع. وقال أبو حاتم: لا يحتج به (١).

وأما أصحابنا الإمامية فذكره الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقال: إبراهيم بن الزبرقان التيمي الكوفي، أسند عنه (٢) فقد أهملوه من حيث التوثيق وعدمه.

و- أبو خالد، عمرو بن خالد :

لقد اضطربت كلمة الرجاليين في حقه فأهل السنة على تضعيفه. قال الذهبي: عمرو بن خالد القرشي، كوفي، أبو خالد، تحول إلى واسط.

قال وكيع: كان في جوارنا، يضع الحديث، فلما فطن له تحول إلى واسط.

وقال معلى بن منصور عن أبي عوانة: كان عمرو بن خالد يشتري الصحف من الصيادلة ويحدث بها.

وروى عباس، عن يحيى، قال: كذاب غير ثقة. حدث عنه أبو حفص الأبار وغيره، فروى عن زيد بن علي، عن آبائه.

وروى عثمان بن سعيد، عن يحيى، قال: عمرو بن خالد الذي يروي عنه

(١) السياغي: الروض النضير: ٦٦/١.

(٢) الطوسي: الرجال: ١٤٤ برقم ٤٠.

الأبّار كذاب. وروى أحمد بن ثابت، عن أحمد بن حنبل، قال: عمرو بن خالد الواسطي كذاب. وقال النسائي: روى عن حبيب بن أبي ثابت، كوفي ليس بثقة. وقال الدارقطني: كذاب. وروى إبراهيم بن هراسة أحد المتروكين، عن أبي خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن علي، قال: لعن رسول الله ﷺ الذكرين أحدهما يلعب بصاحبه^(١).

وأظن أن هذا الصخب والهيّاج حول الرجل لأجل أنّه من موالي أئمة أهل البيت والمجاهرين بولائهم، وهذا يكفي في التضعيف وصب القارعات عليه.

وأعجب منه ما ذكره الذهبي في آخر كلامه من الحكم بوضع لعن رسول الله ﷺ الذكرين أحدهما يلعب بصاحبه، فإنّه مروي عن الفريقين.

كيف يشك الذهبي في صحة الحديث مع أنّ الكتاب يصدّقه حيث يخص جواز الالتذاذ بالجنس بموردين ويقول: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» (المؤمنون: ٥ - ٦) وما ورد في الحديث ليس منهما فجاز لعنه.

روى السيوطي في مسنده من كتاب جمع الجوامع من قسم الأفعال فقال: عن الحرث، عن علي: «قال رسول الله ﷺ: سبعة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ويقال لهم أدخلوا النار مع الداخلين إلا أن يتوبوا: الفاعل والمفعول به، والناكح يده...».

أخرج البيهقي عن ابن عباس: «أنّ النبي قال: لعن الله من وقع على بهيمة،

(١) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢٥٧/٣. وفي المتن يغلب أحدهما صاحبه.

ولعن الله من عمل عمل قوم لوط، إلى غير ذلك من الروايات التي رواها أهل السنة^(١) وأما الشيعة فحدث عنه ولا حرج، فقد عدّه الكشي في ترجمة الحسين بن علوان، من رجال أهل السنة الذين لهم ميل ومحبة شديدة^(٢).

وظاهر النجاشي أنه إمامي حيث ألفه لذكر رجال الإمامية ولو ذكر من غيرهم لأشار إلى مذهبه وهو عنوانه وذكر سنده إلى كتابه من دون إيعاز إلى مذهبه^(٣) إلا إذا قيل إنه ترك ذكر مذهبه في المقام لكونه معروفاً.

وعده الشيخ في الفهرست من مؤلفي الشيعة وقال: أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي له كتاب ذكره ابن النديم^(٤) فعده من أصحاب الإمام الباقر وعمرو بن خالد الواسطي بتري.

وستعرف كلامه عند سرد الروايات المروية عن زيد في الكتب الأربعة عند الكلام على رواية زيد أن رسول الله ﷺ غسل رجليه، والقرائن تشهد أنه شيعي زيدي، وبدل عليه مضافاً إلى إطباق الزيدية عليه ما رواه الكشي في ذيل ترجمة محمد بن سالم بياع القصب: محمد بن مسعود، قال: حدثني أبو عبد الله الشاذاني - وكتب به - إلى أن قال: حدثني الفضل، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو يعقوب المقرئ وكان من كبار الزيدية، قال: أخبرنا عمرو بن خالد وكان من رؤساء الزيدية عن أبي الجارود وكان رأس الزيدية قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام إذ أقبل زيد بن علي فلما نظر إليه أبو جعفر قال: «هذا سيد أهل بيتي»

(١) السياغي: الروض النضير: ٨٥/١ - ٨٦؛ ولاحظ وسائل الشيعة: ١٨، الأبواب الستة من أبواب اللواط: ٤١٦ - ٤٢٤، والباب الثالث من أبواب نكاح البهائم ووطء الأموات والاستمناء: ٥٧٤. هذا إذا فهمنا من الحديث الناكح بيده أو لعب أحد الذكرين بالآخر، وإلا يكون الحديث مجملاً.

(٢) الكشي: الرجال: ٣٣٣، برقم ٢٥٢، وما ذكره هنا ينافي ما ذكره برقم ١٠٦ من كونه من رؤساء الزيدية.

(٣) النجاشي: الرجال: ٢، برقم ٧٦٢. (٤) الطوسي: الفهرست: برقم ٨٤٩.

والطالب بأوتارهم» ومنزل عمرو بن خالد كان عند مسجد سماك وذكر ابن فضال أنه ثقة^(١).
 وإذا كان لبعض هذه النقاشات في هؤلاء، مظنة صدق، غير أن الشيخ النجاشي (٣٧٢ - ٤٥٠هـ) يرويه بسند آخر نأثي بنصّه حتى يتبين أن للكتاب سنيين أو أكثر.
 أخبرنا محمد بن عثمان (النصيبى) قال: حدثنا علي بن محمد بن الزبير، عن علي بن الحسن بن فضال، عن نصر بن مزاحم عنه (أبي خالد) بكتابه^(٢).
 ولأجل إيقاف القارىء على عناية الإمامية بروايات زيد، نأثي بما وقفنا عليه في الكتب الأربعة بعد حذف المكررات فنقول:

الرواية عن زيد بن علي في الكتب الأربعة :

احتجت الإمامية بالروايات المروية عن زيد بن علي عن آبائه عليه السلام إذا لم تكن مخالفة لما اتفقت عليه روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام وروي عنه في الكتب الأربعة تسعة وثلاثون حديثاً - بعد حذف المكررات - وأكثر ما روي فيها موجود في مسنده كما سنشير إليه في مواضعه:
 والراوي عنه:

إمّا عمرو بن خالد - غالباً -

أو أبو خالد الواسطي. في موردين وكلاهما واحد.

أو هاشم بن يزيد. في مورد واحد.

أو الحسين بن علوان.

(١) الكشي: الرجال: ٢٣١ برقم ٤١٩.

(٢) النجاشي: الرجال: برقم ٧٦٩.

والظاهر وقوع السقط في الأخير والصحيح الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد فإن الحسين بن علوان يروي عن زيد بواسطة عمرو بن خالد كثيراً.

ولأجل إيقاف القارئ على اهتمام محدثي الإمامية بما روي عنه نأتي في هذا الفصل بخصوص ما روي عنه في الكتب الأربعة ونترك الباقي لوقت آخر، وقد استعنا في تخريج رواياته بالحاسب الآلي، ورتبنا الروايات حسب ترتيب أبواب الفقه المألوف بين أصحابنا وربما يكون، بين ما روي فيها والموجود في مسنده اختلاف يسير في اللفظ.

كتاب الطهارة

روى الشيخ الطوسي:

١ - روى محمد بن الحسن الصفار عن عبد الله بن المنبه ^(١) عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «جلست أتوضأ وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حين ابتدأت في الوضوء فقال لي: تمضمض واستنشق واستن، ثم غسلت وجهي ثلاثاً، فقال: قد يخرجك من ذلك المراتن، قال: فغسلت ذراعي ومسحت برأسي مرتين، فقال: قد يجزيك من ذلك المرة، وغسلت قدمي، فقال لي: «يا علي خلل ما بين الأصابع لا تخلل بالنار» ^(٢).
وعلق عليه الشيخ قال: هذا الخبر موافق للعامة قد ورد مورد التقية، لأنّ المعلوم من مذهب الأئمة عليهم السلام مسح الرجلين في الوضوء دون غسلهما.

(١) والظاهر وقوع التصحيف في السند، والصحيح المنبه بن عبيد الله كما في كثير من الأسانيد.

(٢) الطوسي: محمد بن الحسن: (ت ٤٦٠ هـ)، التهذيب: ٩٣/١، الباب: ٤ باب صفة الوضوء الحديث ٩٧ ورواه

الإمام المهدي لدين الله محمد بن المطهر في المنهاج الجلي، (لاحظ تعليقة مسند زيد ص ٥٣).

وراجع أيضاً: الطوسي: الاستبصار: ٦٥/١، الباب ٣٧، الحديث ٨.

(١٣٨)

روى الشيخ الطوسي:

٢- أخبرني الشيخ (محمد بن النعمان) عن أبي القاسم جعفر بن محمد عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن المنبه بن عبيد الله، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الجنب والحائض يعرقان في الثوب حتى يلصق عليهما؟ فقال: إن الحيض والجنابة حيث جعلهما الله عز وجل ليس في العرق، فلا يغسلان ثوبهما» (١).

روى الشيخ الطوسي:

٣- سعد، عن أبي الجوزاء المنبه بن عبيد الله، عن الحسين بن علوان الكلبي، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «الغسل من سبعة من الجنابة وهو واجب، ومن غسل الميت وإن تطهرت أجزأك» وذكر غير ذلك (٢).

في غسل الميت والصلاة عليه :**روى الشيخ الطوسي:**

٤- سعد بن عبد الله، عن أبي الجوزاء المنبه بن عبد الله (٣)، عن الحسين بن

(١) الطوسي: التهذيب: ٢٦٩/١، الباب ١٢ (باب تطهير الثوب) الحديث: ٧٩، زيد بن علي: المسند: ص ٦١ وراجع:

الطوسي: الاستبصار: ١٨٥/١، الباب ١١٠، الحديث: ٥.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٤٦٤/١، الباب ٢٣، الحديث: ١٦٢، وعلق الشيخ والطوسي على قوله: وإن تطهرت أجزأك،

أنه محمول على التقية لوجوب الغسل وعدم كفاية التطهير.

(٣) هكذا في النسخة والظاهر عبيد الله بقرينة سائر الروايات.

(١٣٩)

علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: «إذا مات الرجل في السفر مع النساء ليس فيهن امرأته ولا ذو محرم من نسائه، قال: يوزرنه إلى الركبتين، ويصبن عليه الماء صباً، ولا ينظرن إلى عورته، ولا يلمسنه بأيديهن ويطهرنه، فإذا كان معه نساء ذوات محرم يوزرنه ويصبن عليه الماء صباً ويمسسن جسده ولا يمسسن فرجه (١)».

روى الشيخ الطوسي:

٥- سعد بن عبد الله، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عن علي عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله نفر فقالوا إن امرأة توفيت معنا وليس معها ذو محرم، فقال: «كيف صنعتم؟» فقالوا: صببنا عليها الماء صباً، فقال: «أما وجدتم امرأة من أهل الكتاب تغسلها؟» قالوا: لا، قال: «أفلا يمتموها؟» (٢)

روى الشيخ الطوسي:

٦- وبهذا الإسناد (٣)، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي بصير، عن أيوب ابن محمد الرقي، عن عمرو بن أيوب الموصلي، عن إسرائيل بن يونس، عن أبي إسحاق السبيعي، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «إن قوماً أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله مات صاحب لنا وهو

(١) الطوسي: التهذيب: ٤٤١/١، الباب ٢٣، الحديث ٧١: زيد بن علي: المسند: ص ١٤٥ ورواه أيضاً في التهذيب:

٣٤٣/١، الباب ١٣، الحديث ١٦٨، باختلاف يسير. والاستبصار: ٢٠١/٢، الباب ١١٨، الحديث ٧.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٤٤٣/١، الباب ٢٣، الحديث ٧٨؛ والاستبصار: ٢٠٣/١، الباب ١١٨، الحديث ١٤.

(٣) أي أخبرني الشيخ المفيد عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحسن.

(١٤٠)

مجدور فإن غسلناه انسلخ، فقال: يَمَمُوهُ»^(١).

٧- عِدَّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عن علي عليه السلام أنه سئل عن رجل يحترق بالنار، فأمرهم أن يصبوا عليه الماء صباً وأن يصلّوا عليه^(٢).

روى الشيخ الطوسي:

٨- روى علي بن الحسين، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي الجوزاء المنبه بن عبد الله^(٣)، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام في الصلاة على الطفل أنه كان يقول: «اللهم اجعله لأبويه ولنا سلفاً وفرطاً وأجراً»^(٤).

روى الشيخ الطوسي:

٩- علي بن الحسين، عن سعد، عن أبي الجوزاء المنبه بن عبيد الله، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «يسل الرجل سلاً ويستقبل المرأة استقبالاً، ويكون أولى الناس بالمرأة في مؤخرها»^(٥).

(١) الشيخ الطوسي: التهذيب: ٣٣٣/١، الباب ١٣، الحديث ١٤٥.

(٢) الكليني: الكافي: ٢١٣/٣؛ الحديث ٦؛ زيد بن علي: المسند: ١٤٧؛ الطوسي: التهذيب: ٣٣٣/١، الباب ١٣، الحديث ١٤٤.

(٣) الظاهر عبيد الله.

(٤) الطوسي: التهذيب: ١٩٥/٣، الباب ١٣، الحديث ٢١؛ زيد بن علي: المسند: ١٥٠.

(٥) الطوسي: التهذيب: ٣٢٦/١، الباب ١٣ باب تلقين المحتضرين، الحديث ١١٩؛ زيد بن علي: المسند، باب ١٥٢، باختلاف يسير.

أحكام الشهيد

روى الكليني:

١٠ - عذّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبيه، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «ينزع عن الشهيد الفرو والخف والقلنسوة والعمامة والمنطقة والسراويل إلا أن يكون أصابه دم فإن أصابه دم ترك ولا يترك عليه شيء معقود إلا حل» (١).

روى الطوسي:

١١ - محمد بن الحسن الصفار عن عبد الله بن المنبه (٢) عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «لشّهيد سبع خصال من الله: أوّل قطرة من دمه مغفور له كلّ ذنب، والثانية: يقع رأسه في حجر زوجته من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه تقولان مرحباً بك ويقول هو مثل ذلك لهما، والثالثة: يكسى من كسوة الجنّة، والرابعة: يبتدره خزنة الجنّة بكل ريح طيبة أيهم يأخذه معه، والخامسة: أن يرى منزلته، والسادسة: يقال لروحه أسرح في الجنّة حيث شئت والسابعة: أن ينظر في وجه الله وإنّها لراحة لكل نبي وشهيد» (٣).

(١) الكليني: الكافي: ٢١١/٣، الحديث ٤؛ زيد بن علي: المسند: ١٤٦ (باب الشهيد) الطوسي، التهذيب: ٣٣٢/١، الحديث ١٤٠.

(٢) الظاهر وقوع التصحيح في السند، والصحيح عن المنبه بن عبيد الله كما في كثير من الأسانيد.

(٣) الطوسي: التهذيب: ١٢١/٦، الباب ٢٢، الحديث ٣؛ زيد بن علي، المسند: ٣٥١. وقد ورد أبسط مما في المتن هنا. (١٤٢)

روى الشيخ الطوسي:

١٢ - محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول ﷺ: «إذا مات الشهيد من يومه أو من الغد فواره في ثيابه، وإن بقي أياماً حتى تتغير جراحته غسل» (١).

كتاب الصلاة

قال الصدوق:

١٣ - روي عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أبا أخبرني عن جدنا رسول الله ﷺ لما عرج به إلى السماء وأمره ربه عز وجل بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام: إرجع إلى ربك فأسأله التخفيف فأنت أمتك لا تطيق ذلك؟ فقال: «يا بني أن رسول الله ﷺ لا يقترح على ربه عز وجل فلا يراجعه في شيء يأمره به، فلما سأله موسى عليه السلام ذلك وصار شفيعاً لأُمته إليه لم يجز له أن يرد شفاعته أخيه موسى عليه السلام فرجع إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات» قال: فقلت له: يا أبا فلم لم يرجع إلى ربه عز وجل ولم يسأله التخفيف من خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه عز وجل ويسأله التخفيف؟ فقال: «يا بني أراد عليه السلام أن يحصل لأُمته التخفيف

(١) الطوسي: التهذيب: ١٦٨/٦، الباب ٢٢، الحديث ٧: زيد بن علي: المسند: ١٤٦. وللشيخ الطوسي تعليقة على الرواية فإنها غير معمول بها عند الأصحاب؛ أيضاً الشيخ الطوسي: الاستبصار: ٢٥/١، الباب ١٢٥، الحديث ٦. (١٤٣)

مع أجر خمسين صلاة لقول الله عز وجل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ألا ترى أنه عليه السلام لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول (لك): إنها خمس بخمسين ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِّلْمُعْبِيدِ﴾ قال: فقلت له: يا أباي أليس الله جل ذكره لا يوصف بمكان؟ فقال: «بلى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً» قلت: فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله ﷺ: إرجع إلى ربك؟ فقال: «معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينَ» ومعنى قول موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ ومعنى قوله عز وجل: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني حجوا إلى بيت الله، يا بني إن الكعبة بيت الله فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله، والمساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله وقصد إليه، والمصلّي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله عز وجل، فإن لله تبارك وتعالى بقاعاً في سماواته، فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ويقول (الله) عز وجل في قصة عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ويقول الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (١).

روى الشيخ الطوسي:

١٤ - محمد بن الحسن الصفار، عن عبد الله بن المنبه (٢)، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن آبائه، عن علي - عليه

(١) الصدوق: من لا يحضره الفقيه: ١ / ١٩٨، الحديث ٦٠٣، وفي الحديث نكات بديعة ولم نجده في مسنده.

(٢) الصحيح: المنبه بن عبيد الله كما في سائر الأسانيد.

السلام - أنه أتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين والله إنني لأحبك لله فقال له: «ولكنني أبغضك لله» قال: ولم؟ قال: «لأنك تبغي في الأذان، وتأخذ على تعليم القرآن أجراً»^(١)، سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أخذ على تعليم القرآن أجراً كان حظّه، يوم القيامة»^(٢).

روى الشيخ الطوسي:

١٥ - محمد بن علي بن محبوب، عن محمد بن الحسين، عن الحسن بن علي، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: دخل رجلان المسجد وقد صلّى الناس، فقال: لهما علي بن أبي طالب «إن شئتما فليؤم أحكما صاحبه ولا يؤذن ولا يقيم»^(٣).

روى الشيخ الطوسي:

١٦ - محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: «الأغلف لا يؤم القوم وإن كان أقرأهم، لأنّه ضيع من السنّة أعظمها، ولا تقبل له شهادة ولا يصلّي عليه إلا أن يكون ترك ذلك خوفاً على نفسه»^(٤).

(١) الطوسي: الاستبصار: ٦٥/٣ الباب ٣٨، الحديث ٢.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٣٧٦/٦، الباب ٩٣، الحديث ٢٢٠؛ زيد بن علي: المسند: ٨٥، وفي المسند تنغني مكان تبغي وهو الأصح.

(٣) الطوسي: التهذيب: ٢٨١/٢، الباب ١٣، الحديث ٢١، و ٥٥/٣، الباب ١٣، الحديث ١٠٣؛ زيد بن علي: المسند: ١١٣ باختلاف.

(٤) الطوسي: التهذيب: ٣٠/٣، الباب ٣، الحديث ٢٠؛ زيد بن علي: المسند: ١٥١ باختلاف يسير.
(١٤٥)

روى الشيخ الطوسي:

١٧ - سعد، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ فقال: وماذا؟ قال: صليت بنا خمس ركعات قال: فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلم وكان يقول: هما المرغمتان».

قال محمد بن الحسن: هذا خبر شاذ لا يعمل عليه لأننا قد بينا أن من زاد في الصلاة وعلم ذلك، يجب عليه استئناف الصلاة، وإذا شك في الزيادة فإنه يسجد السجدتين المرغمتين، ويجوز أن يكون علي بن أبي طالب إنما فعل ذلك لأن قول واحد له لم يكن مما يقطع به، ويجوز أن يكون كان غلطاً منه وإنما سجد السجدتين احتياطاً^(١).

روى الشيخ الطوسي:

١٨ - روى سعد بن عبد الله، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي بن أبي طالب قال: صليت مع أبي عبد الله المغرب فَنَسِيَ فاتحة الكتاب في الركعة الأولى فقرأها في الثانية^(٢).

(١) الطوسي: التهذيب: ٣٤٩/٢، الباب ١٤، الحديث ٣٧؛ الاستبصار: ٣٧٧/١، الباب ٢١٩، الحديث ٥؛ زيد بن علي: المسند: ١٠٩.

(٢) الطوسي: التهذيب: ١٤٨/٢، الباب ٢٣، الحديث ٣٦؛ زيد بن علي: المسند: ٩٤. والرواية مطروحة لتضمنها نسبة السهو إلى الإمام المعصوم مع بعد مضمونها لعدم طروء النسيان في الركعة الأولى بالنسبة إلى فاتحة الكتاب. وراجع أيضاً: الطوسي: الاستبصار: ٣٥٤/١، الباب ٢٠٦، الحديث ٧.
(١٤٦)

في الضمان

روى الشيخ الطوسي:

١٩ - عنه ^(١)، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام أنه أتى بحمال كانت عليه قارورة عظيمة كانت فيها دهن فكسرها فضمّنها إيّاه، وكان يقول: كل عامل مشترك إذا أفسد فهو ضامن، فسألته ما المشترك؟ فقال: الذي يعمل لي ولك ولذا ^(٢).

روى الشيخ الطوسي:

٢٠ - روى محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام أنه أتاه رجل تكاري دابة فهلك، فأقرّ أنه جاز بها الوقت فضمّنه الثمن ولم يجعل عليه كراء ^(٣).

روى الشيخ الطوسي:

٢١ - محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام أنه كان يضمن صاحب الكلب إذا عقر نهاراً ولا يضمنه إذا عقر بالليل، وإذا دخلت دار قوم بإذنهم فعقر كلبهم فهم ضامنون، وإذا دخلت بغير إذنهم فلا ضمان عليهم ^(٤).

(١) أي عن محمد بن أحمد بن يحيى.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٢٢٢/٧، الباب ٢٠، الحديث ٨٥: زيد بن علي: المسند: ٢٥٤.

(٣) الطوسي: الاستبصار: ١٣٥/٣، الباب ٨٨، الحديث ٣. قال الشيخ: الوجه في هذه الرواية ضرب من التقية لأنها موافقة لمذهب كثير من العامة.

(٤) الطوسي: التهذيب: ٢٢٨/١٠، باب الاثنين إذا قتلا، الحديث ٣١.

في الربا

روى الشيخ الطوسي:

٢٢ - عنه (١)، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: «لعن رسول الله ﷺ الربا وأكله وبائعه ومشتريه وكاتبه وشاهديه» (٢).

في الخمر

روى الكليني:

٢٣ - عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليه السلام قال: لعن رسول الله ﷺ الخمر وعاصرها ومعتصرها وباعها ومشتريها وساقها وأكل ثمنها وشاربها وحاملها والمحمولة إليه (٣).

في النكاح

روى الشيخ الطوسي:

٢٤ - روى محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب:

(١) أي عن الحسين بن سعيد الأهوازي.

(٢) الطوسي: التهذيب: ١٥/٧، الباب ١، الحديث ٦٤: زيد بن علي: المسند: ٢٢٩ باختلاف يسير.

(٣) الكليني: الكافي: ٣٩٨/٦، الحديث ١٠.

إنَّ امرأةً أتته ورجل قد تزوجها ودخل بها وسمى لها مهراً وسمى لمهرها أجلاً فقال له علي عليه السلام: «لا أجل لك في مهرها إذا دخلت بها فأدِّ إليها حقها»^(١).

روى الشيخ الطوسي:

٢٥- محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام أنه قال: «الرضعة الواحدة كالمائة رضعة لا تحل له أبداً»^(٢).

روى الشيخ الطوسي:

٢٦- روى محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «حرم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة»^(٣).

في الطلاق

روى الشيخ الطوسي:

٢٧- محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان عن

(١) الطوسي: التهذيب: ٣٥٨/٧، الباب ٣١ من أبواب النكاح، الحديث ٢٠؛ الاستبصار: ٢٢١/٣، الباب ١٣٨، الحديث ٤؛ زيد بن علي: المسند: ٢٧.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٣١٧/٧، الباب ٢٧ من أبواب النكاح، الحديث ١٧، والرواية مطروحة لدى الإمامية لعدم كفاية الرضعة الواحدة بالاتفاق عندهم، وفي المسند: ٢٨٢؛ سألت زيدا عن المصّة والمصتين، قال: تحرم.

(٣) الطوسي: التهذيب: ٢٥١/٧، الباب ٢٤، الحديث ١٠؛ زيد بن علي: المسند: ٢٧١، وفي المسند: نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة عام خيبر. والرواية وردت مورد التقيّة.

عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام في رجل أظهر طلاق امرأته وأشهد عليه وأسرّ رجعتها ثم خرج فلما رجع وجدها قد تزوجت قال: «لاحقّ له عليها من أجل أنّه أسرّ رجعتها وأظهر طلاقها» ^(١).

في الحدود

روى الشيخ الطوسي:

٢٨- عنه ^(٢)، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساحر؟ فقال: إذا جاء رجلان عدلان فيشهدان عليه فقد حل دمه ^(٣).

روى الشيخ الطوسي:

٢٩- محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «إذا أسلم الأب جر الولد إلى الإسلام، فمن أدرك من ولده دعى إلى الإسلام فإن أبى قتل، وإذا أسلم الولد لم يجر أبويه ولم يكن بينهما ميراث» ^(٤).

(١) الطوسي: التهذيب: ٤٤/٨، الباب ٣ من أبواب الطلاق، الحديث ٥.

(٢) أي عن محمد بن أحمد بن يحيى.

(٣) الطوسي: التهذيب: ٢٨٣/٦، الباب ٩١، الحديث ١٨٥؛ وج ١٤٧/١٠، الباب ١٠ من الزيادات، الحديث ١٦؛ زيد بن علي: المسند: ٣٠٣، وفي المسند: حد الساحر القتل.

(٤) الطوسي: التهذيب: ٢٣٦/٨، العتق الباب ١، الحديث ٨٥. أن لا يرث الأب، ويرث الولد، لأن الإسلام يزيد عزّاً لا حرماناً.

روى الصدوق:

٣٠- محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليه السلام، عن علي عليه السلام في رجل قذف امرأته ثم خرج فجأة وقد توفيت قال: «يخير واحدة من ثنتين يقال له: إن شئت ألزمت نفسك الذنب فيقام عليك الحد وتعطى الميراث، وإن شئت أقررت فلا عنت أدنى قرابتها إليها ولا ميراث لك»^(١).

في الديات**روى الشيخ الطوسي:**

٣١- محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين

(١) الطوسي: التهذيب: ١٩٤/٨، الباب ٨ باب اللعان، الحديث ٣٨؛ الصدوق: من لا يحضره الفقيه: ٥٣٩/٣،

الباب ٢ الحديث ٤٨٥٦.

ابن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام قال: لا تعقل العاقلة إلا ما قامت عليه البينة، قال: وأتاه رجل فاعترف عنده فجعله في ماله خاصة ولم يجعل على العاقلة شيئاً^(١).

روى الشيخ الطوسي:

٣٢- محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «المعتق على دبر فهو من الثلث وما جنى هو والمكاتب وأم الولد فالمولى ضامن لجنايتهم»^(٢).

في القصاص

روى الشيخ الطوسي:

٣٣- عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «ليس بين الرجل والنساء قصاص إلا في النفس»^(٣).

روى الشيخ الطوسي:

٣٤- عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي عليه السلام قال: «ليس بين الرجال والنساء قصاص إلا في النفس، وليس بين الأحرار والمماليك قصاص إلا في النفس عمداً، وليس بين الصبيان قصاص في شيء إلا في النفس»^(٤).

(١) الطوسي: التهذيب: ١٧٥/١٠، باب البينات على القتل، الحديث ٢٤؛ والاستبصار: ٢٦٢/٤، الباب ١٥٢، الحديث ٥؛ لاحظ المسند: ٣٠٦.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٢٦٢/٨، التدبير الباب ٢، الحديث ١٧؛ والاستبصار: ٣١/٤، الباب ١٥، الحديث ١٩.

(٣) الطوسي: الاستبصار: ٢٦٦/٤، الباب ١٥٤، الحديث ٧.

(٤) الطوسي: التهذيب: ٢٧٩/١٠، باب القصاص، الحديث ١٨؛ لاحظ المسند: ٣٠٧.

ما لا يختص بباب

روى الشيخ الطوسي:

٣٥ - عن محمد بن أحمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله أن أبي عمد إلى مملوك لي فاعتقه كهية المضرة لي فقال رسول الله ﷺ: «أنت ومالك من هبة الله لأبيك، أنت سهم من كنانته يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور ويجعل من يشاء عقيماً، جازت عتاقة أبيك، يتناول والدك من مالك وبدنك، وليس لك أن تتناول من ماله ولا من بدنه شيئاً إلا بإذنه»^(١).

روى الشيخ الطوسي:

٣٦ - محمد بن الحسن الصفار، عن الحسن بن علي بن النعمان، عن الحسن ابن الحسين الأنصاري، عن يحيى بن معلى الأسلمي، عن هاشم بن يزيد قال: سمعت زيد بن علي عليه السلام يقول: كان علي عليه السلام في حربه أعظم أجراً من قيامه مع رسول الله ﷺ في حربه قال: قلت بأي شيء تقول أصلحك الله؟ قال: فقال لي: لأنه كان مع رسول الله ﷺ تابعاً ولم يكن له إلا أجر تبعيته وكان في هذه متبوعاً وكان له أجر كل من تبعه^(٢).

روى الكليني:

٣٧ - عنه [أي عن علي بن إبراهيم]، عن أبيه، عن محمد بن سنان، عن أبي

(١) الطوسي: التهذيب: ٢٣٥/٨، كتاب العتق الباب ١، الحديث ٨٢

(٢) الطوسي: التهذيب: ١٧٠/٦، الباب ١٧٩، الحديث ٤.

خالد الواسطي، عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «يلزم الوالدين من العقوق لولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما» (١).

روى الشيخ الطوسي:

٣٨- محمد بن أحمد بن يحيى، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: «أتيت أنا ورسول الله ﷺ رجلاً من الأنصار فإذا فرس له يكيد بنفسه، فقال له رسول الله ﷺ: انحره يضعف لك به أجران: بنحرك إياه واحتسابك له، فقال: يا رسول الله إلي منه شيء؟ قال: نعم كل وأطعمني قال: فأهدى للنبي ﷺ فخذاً منه فأكل منه وأطعمني» (٢).

روى الشيخ الطوسي:

٣٩- عنه (٣) عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن علي، عن آبائه عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إذا التقى المسلمان بسيفهما على غير سنة، القاتل والمقتول في النار» فقل: يا رسول الله القاتل فما بال المقتول؟! قال: «لأنه أراد قتلاً» (٤).
هذه هي ٣٩ حديثاً نقلها مصنفو الكتب الأربعة عن الإمام زيد التي نقلها عن أبيه عن آبائه.

(١) الكليني: الكافي: ٤٨ / ٦، الحديث ٥. الطوسي: التهذيب: ١٢/٨، الباب ٥ من أبواب الطلاق، الحديث ٣٥.

(٢) التهذيب: ٤٨/٩، كتاب الصيد والذبائح، الباب ١، الحديث ١٠١.

(٣) أي عن محمد بن أحمد بن يحيى. (٤) الطوسي: التهذيب: ١٧٤/٦، الباب ٧٩، الحديث ٢٥.

الفصل السابع

هل كان زيد معتزلي المبدأ والفكرة

ولمّا كان أحد الأمور الدافعة إلى القول بأنّ زيداً كان ذا منهج كلامي خاص، هو صلته بواصل رئيس المعتزلة، نطرح الموضوع على طاولة البحث ليتبيّن مدى صحة ذلك الوهم.

هل كانت الصلة بين زيد وواصل بن عطاء على أساس أنّهما يذهبان إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو أحد الأصول الخمسة لدى المعتزلة ^(١) أو أنّ الصلة بينهما كانت على أساس أنّ زيداً تتلمذ على واصل وتخرج عليه في الأصول. المعروف هو الثاني، والحقّ هو الأوّل لوجوه:

أوّلاً: كانت العاصمة العلمية للمسلمين يوم ذاك (أوائل القرن الثاني الهجري) هي المدينة المنورة، فكانت تزدهم بالعلماء والمفكرين، وعلى رأسهم محمد الباقر عليه السلام وبعده شيخ الهاشميين عبد الله بن الحسن بن الحسن وغيرهما من مشاهير المحدثين والمفسرين وعلى ضوء ذلك فلم يكن في ذلك أي حافز لمغادرة المدينة إلى العراق ثم البصرة. ولم تكن البصرة يوم ذاك إلاّ مركزاً أدبياً لغوياً

(١) الانتصار: ٥؛ ومقالات الإسلاميين: ٢٧٨/١.

ثم مركز الأهواء والملل والآراء والنحل.

ثانياً: قد عرفت فيما سبق أنَّ زيداَ الثائرَ من مواليد عام ٦٧ هـ وواصل بن عطاء من مواليد ٨٠ هـ فهو أكبر منه بكثير. فلو صحَّ أن يتلمذ على أحد في العراق فيجب أن يتلمذ على شيخ واصل، الحسن البصري، في البصرة أو يتلمذ على شيخه في المدينة المنورة وهو أبو هاشم ابن محمد الحنفية أستاذ واصل. وبعد ذلك كله، فلم يكن عند واصل شيء بديع قصرت عنه يد زيد. فإنه أخذ ما أخذ عن أبي هاشم، كما حققناه في الجزء الثالث ^(١) من تلك الموسوعة، فالذي شهّر واصل في الأوساط الإسلامية هو القول بالتوحيد والعدل والتركيز على كون الإنسان مختاراً، ورد القضاء والقدر بالمعنى السالب عن الإنسان الاختيارَ والحريةَ وهو قد أخذه من أبي هاشم وهو عن أبيه، وهو عن وصي الرسول ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فريب البيت الهاشمي، أعني: زيداَ، كان غنياً عن التوسل بواصل في معرفة ما كان يجده في بيته العامر بالعلم والمعرفة.

وثالثاً: لم يذكر أحد من المؤرخين ولا أصحاب المقالات تتلمذ زيد على واصل قبل الشهرستاني وإنما انفرد هو بذلك وتبعه غيره، فلا تجد منه أثراً في فرق الشيعة للنوبختي، ولا في مقالات الإسلاميين للأشعري، ولا الفرق بين الفرق للبغدادى ولا لابن حزم في الفصل. وعلى ذلك فلا يركن إلى كلام تفرد به الشهرستاني البعيد عن بيئة زيد وعصره، وقد استشهد الإمام في أوائل القرن الثاني، وتوفي الشهرستاني عام ٥٤٨ هـ.

هذا هو الحقُّ القراح الذي لا مرية فيه، ولا أظن بزيد ولا بإنسان دونه تربى في أحضان البيت النبوي، أن يتلمذ في الأصول والعقائد على أمثال واصل، صنيع أبي هاشم في المدينة، ثم الحسن البصري في البصرة، والمتفرد بآراء وعقائد لا

(١) السبحاني: بحوث في الملل والنحل: ١٨٩/٣.

يساندها علماء أهل البيت وأئمتهم. وأظن أن المصدر لما ذكره، هو تعاطف الزيديين مع المعتزلة في العصور اللاحقة على وجه صارت الأصول الخمسة مقبولة لدى الزيديين، فصار ذلك سبباً لحُدس الشهرستاني أن زيدا تتلمذ على واصل، ومنه أخذ الأصول وسرى إلى أتباعه ومقتفيه، غافلاً عن عدم الملازمة بين الاعتقادين، ولو خضعت الزيدية لهذه الأصول فلجهة أخرى سيوافيك بيانها. ولنذكر عبارة الشهرستاني ثم نذكر ما ذكره بعض المحققين من السنة والزيدية.

يقول: «وزيد بن علي لما كان مذهبه هذا المذهب: (كل فاطمي عالم زاهد شجاع، سخي خرج بالإمامة يكون إماماً واجب الطاعة) أراد أن يحصل الأصول والفروع حتى يتحلى بالعلم، فتتلمذ في الأصول لواصل بن عطاء الغزال الأثغ رأس المعتزلة ورئيسهم. مع اعتقاد واصل أن جده علي بن أبي طالب (رض) في حروبه التي جرت بينه وبين أصحاب الجمل وأهل الشام ما كان على يقين من الصواب. وأن أحد الفريقين منهما كان على الخطأ لابعينه وصارت أصحابه كلهم معتزلة» (١).

وقد سرى هذا الخطأ إلى غير واحد ممن كتب عن زيد فاتخذة حقيقة راهنة.

قال ابن أبي الدم في «الفرق الإسلامية»: الزيدية أصحاب زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد قد أثر تحصيل علم الأصول. فتتلمذ لواصل بن عطاء رئيس المعتزلة ورأسهم وأولهم فقراً عليه واقتبس منه علم الاعتزال وصار زيد وجميع أصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد، وكان أخوه الباقر محمد بن علي يعيب عليه كونه قرأ على واصل بن عطاء وتتلمذ له واقتبس منه مع كونه يجوز الخطأ على جده علي بن أبي طالب عليه السلام بسبب خروجه إلى حرب الجمل والنهروان، ولأن واصل كان يتكلم في القضاء والقدر على

(١) الشهرستاني: الملل والنحل: ١٣٨/١.

خلاف مذهب أهل البيت عليهم السلام ^(١).

كلام الشيخ أبو زهرة:

لقد تلقى الشيخ أبو زهرة ما ذكره الشهرستاني أمراً صحيحاً واستنتج من كلامه أموراً ثلاثة ولكنه تنظر فيه بما يلي:

«ولكن أيصح أن نقول إنَّ زيداً تتلمذ على واصل في هذه المرحلة؟ إنَّ الرجلين كانا في سن واحدة فقد ولد كلاهما في سنة ٨٠ ^(٢) من الهجرة النبوية أو قريباً من ذلك ويظهر أنَّهما عندما التقيا كان زيد في سن قد نضجت لأنَّ واصلًا لا يمكن أن يكون في مقام من يدرس مستقلاً إلا إذا كان في سن ناضجة.

ولهذا نرى أنَّ التقاء زيد عليه السلام بواصل بن عطاء كان التقاء مذاكرة علمية وليس التقاء تلميذ عن أستاذ، فإنَّ السن متقاربة وزيد كان ناضجاً فهو قد أراد أن يعرف النواحي المختلفة حول أصول العقائد، كما تلقى فروع الأحكام عن أسرته وفي المدينة مهده علم الفروع - إلى أن قال - وقبل رحلة زيد إلى البصرة يسوغ لنا أن نقول إنَّه ما كان من قبل، على علم بأصول المعتزلة؟ لعل الإجابة عن هذا السؤال توجب علينا أن نرجع إلى علماء آل البيت قبل زيد والذين عاصروه وهنا نجد من الأخبار، ما يذكر أنَّ علماء آل البيت تكلموا في العقائد وكانوا قريبين مما قاله واصل بن عطاء بل إنَّنا نجد من يقول إنَّ واصلًا تلقى عقيدة الاعتزال عن آل البيت فقد كانوا على علم به وخصوصاً محمد ابن الحنفية ابن علي رضي الله عنهما، فقد كان عالماً غواصاً في العلوم، وقد قال فيه الشهرستاني: «وكان كثير العلم، غزير المعرفة، وقاد الفكر، مصيب الخواطر، قد أخبره أمير المؤمنين (أي علي) عن أحوال الملاحم وأطلعه على مدارج المعالم، قد اختار العزلة، وآثر الخمول على

(٢) عرفت ما هو الحق في ميلاده.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٥/١٥.

الشهرة» (١).

هذا كلامه وباليات الأستاذ رافق كلامه بذكر المصادر، ولا يقضي في الموضوع بشكل قاطع. وهذا ما نلمسه من كتب الأستاذ أبي زهرة مع كثرة ما كتب. وعلى كل تقدير فلا دليل على تتلمذ زيد لو اصل، لو لم يكن دليل على عدمه، وكون اتباعه معتزليين في العقيدة لا يكون دليل على كون إمامهم كذلك.

كلام بعض المعاصرين من الزيدية :

إنّ لبعض المعاصرين من علماء الزيدية تحقيقاً رائعاً في المقام نأتي بنصه - مع طوله - :
«من الأغلاط الشائعة نسبة الزيدية إلى المعتزلة - في أصول الدين والتوحيد وعلم الكلام - والقول بأنّ الإمام زيد بن علي قد تتلمذ على رئيس المعتزلة واصل ابن عطاء.
ولعل الشهرستاني المتوفى ٥٤٨هـ هو أول من سجّل هذه الغلطة في كتابه (الملل والنحل) ثم تابعه أكثر من بحث عن الاعتزال والمعتزلة. إمّا لإهمالهم الفحص والتمحيص لما يروونه، وإمّا لأنّه قد وافق ما يريدون قوله عن الزيدية والزيديين.
ولا أعتقد أنّ للشهرستاني أيّ دليل قوي على قوله. وربّما أنّه جعل من التوافق بين الزيدية والمعتزلة في أكثر مسائل الأصول الدينية دليلاً على قوله، ولكن هذا غير كاف قطعاً لإلحاق فرقة بأخرى. لأنّه لو اعتبر التوافق في رأي ما، دليلاً على توحيد فرقة مع أخرى لما تميزت فيما بينها كل المذاهب الإسلامية المعروفة اليوم وقبل اليوم، لأنّها تتوافق في كثير من المسائل وبالأخص الفقهية الفرعية منها.

(١) أبو زهرة: الإمام زيد: ٣٩ - ٤٠.

أمّا القول بأنَّ الإمام زيدا قد تتلمذ لواصل بن عطاء. من أجل أن يحصل على علم الأصول والفروع حتى يتحلّى بالعلم كما يقول الشهرستاني - فهو أغرب وأعجب. ذلك لأنَّ المعلوم عند جميع المؤرخين والباحثين والعالمين - أنَّ المدينة المنورة - وليست البصرة - هي معدن العلم ومدينته، كما قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لمن سأله عن تلقى علمه فقال: كنت في معدن العلم ولزمت فقيهاً من فقهاءهم. وهو يعني الإمام جعفر الصادق رحمه الله حيث لازمه عامين، وكان يقول: لولا السنتان لهلك النعمان» (١).

فهل من المعقول أن يخرج الإمام زيد من معدن العلم وينبوعه ومدينته ليذهب إلى البصرة ليحصل على علم الفروع والأصول حتى يتحلّى بالعلم كما قال الشهرستاني؟ إنَّه لأمر غريب وعجيب حقاً!! وهو مع ذلك قول مخالف لما أجمع عليه المؤرخون فقد قالوا إنَّ واصل بن عطاء هو الذي أخذ العلم من معدن العلم ومدينته، ولازم أهل البيت النبوي الشريف الذي يعد من مشاهيره في عصره الإمام زيد بن علي. وأجمعوا على أنَّ واصل بن عطاء كان مولى لآل محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام - أي آل محمد بن الحنفية - وأخذ العلم عن ابنه أبي هاشم عبد الله بن الحنفية. وأنَّه بعد ٢١ عاماً من عمره سافر إلى البصرة سنة ١٠١ هـ حيث التقى فيها بالزاهد عمرو بن عبيد فزامله في حلقة الحسن البصري حتى حدث الخلاف بين واصل وأستاذه الحسن البصري في تسمية مرتكب الكبيرة من المسلمين حيث قالت الخوارج هو كافر. وقالت المرجئة: هو مؤمن. فقال الحسن البصري: هو منافق. فقال واصل: هو فاسق. والفسق منزلة بين المنزلتين: منزلة الكفر والنفاق. ومنزلة الإيمان، وبعد أن رجع عمرو بن عبيد إلى قوله وفارقاً حلقة الحسن، أطلق عليهما لاعتزالهما الحلقة (اسم المعتزلة) ثم صار اسماً لمن تابعهم في

(١) أبو زهرة: الإمام الصادق عليه السلام: ٢٨.

مسائل علم الكلام، بل لقد نصّ المحققون من المعتزلة والزيدية على أنّ مسألة المنزلة بين المنزلتين هذه قد أخذها واصل بن عطاء من أستاذه أبي هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية^(١).

وإذا كان لا بد من نسبته إلى فرقة من الفرق فينسب إلى الفرقة (العدلية) والعدلية كلمة تطلق على كل من يقول بالعدل والتوحيد وينفي الجبر والتشبيه والتجسيم لله، تعالى الله عن ذلك، ولهذا صحّ للقاضي عبد الجبار بن أحمد المتوفى ٤١٥ هـ وللإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى، أن يجعلوا من رجال الطبقة الأولى للعدلية كلّ الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة ممن صرح بالعدل ونفي الجبر. وقد جعلوا الإمام زيد بن علي وأبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية أستاذ واصل من رجال الطبقة الثالثة وجعلوا واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد من رجال الطبقة الرابعة.

وقد توهم البعض من المتأخرين أنّ الطبقات التي أشرت إليها هي طبقات المعتزلة والصحيح غيره. لأنّ البحث في طبقات القاضي وفي الملل والنحل للمهدي كان عن العدلية، وليس عن المعتزلة، ولفظه في الملل والنحل^(٢) مسألة (له) أي قالت المعتزلة: وأجمعت العدلية على أنّ للعالم محدثاً قديماً قادراً عالماً حياً ... حتى قال: وقد رتب القاضي - أي عبد الجبار - طبقاتهم ونحن نشير إلى جملتها. ثم أشار في المسألة التي تلتها إلى طبقاتهم.

فالإمام المهدي حكى عن المعتزلة روايتهم لما اجمعت عليه العدلية. ثم رتب طبقاتهم كما فعل القاضي عبد الجبار مستنداً بأقوالهم في العدل ونفي الجبر^(٣).

(١) شرح الأصول الخمسة: ١٣٧ - ١٣٨. (٢) البحر الزخار: ٤٤/١ - ٤٥.

(٣) علي بن عبد الكريم شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق: ٢١.

وبعد هذا البيان الإضافي من العلمين، لا يبقى أي شك في أنه لم يكن لوليد البيت النبوي أية دراسة لدى واصل بن عطاء، وأقصى ما يمكن أن يقال: كانت بينهما مزاملة أو محادثة في تطبيق أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على الساحة الإسلامية. ونضيف في المقام أمرين:

١ - أنه لو تتلمذ زيد على واصل أو كان معتزلياً في العقائد، لانعكست آراء أستاذه في الكتب الموروثة منه، مع أنه ليس من تلك الأصول فيها عين ولا أثر، غير التركيز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي استنتجه من الكتاب والسنة واختمر به منذ شبابه إلى التحاقه بربه.

٢ - أن ابن المرتضى، جعل زيد بن علي في طبقاته مقدماً على طبقة واصل ابن عطاء^(١) ولو صحَّ الزعم المعروف كان عليه أن يجعله متأخراً عنه، لكونه في الاعتزال عيال عليه.

(١) ابن المرتضى: المنية والأمل: ١٧ و ٢٨، تحقيق سوسنة ديفلدفلزر، بيروت ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م؛ والقاضي عبد الجبار الهمداني: فرق وطبقات المعتزلة: ٣٢ و ٤١، تحقيق الدكتور علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي، دار المطبوعات الجامعية، القاهرة، ١٩٧٢م.

الفصل الثامن

هل كان زيد إماماً في الأصول والعقائد، والفروع والأحكام؟

إنَّ للمذهب الزيدي السائد حالياً في اليمن وغيرها بعدين: بعداً فقهياً - يُلحقه بالمذاهب الفقهية المعروفة، وهذا ما يبحث عنه في تاريخ الفقه وطبقات الفقهاء - وبُعداً عقائدياً، وهذا هو المسوَّغ لطرحة في كتب الملل والنحل، ولا شك أنَّ المذهب الزيدي الذي تبنَّاه أئمة الزيدية طيلة قُرُون، من عهد أحمد بن عيسى ابن زيد مؤلف الأمالي (ت ٢٤٧ هـ) إلى عهود الأقطاب الثلاثة كان يتمتع ببعدين متميزين العقيدة والفقه، وهؤلاء الأقطاب عبارة عن:

١ - الإمام القاسم الرّسّي.

٢ - الإمام الهادي يحيى بن الحسين.

٣ - الإمام الناصر الأطروش.

فكان عندهم الفقه والعقيدة ولكل ميزة وسمة، تضيفي له صبغة خاصة في مجاله إنّما الكلام في المذهب الموروث عن نفس الإمام أي زيد الثائر، فهل كان لمذهبه بعدان، فقهي وعقائدي؟ أو كان لمذهبه بعد واحد؟ أو لم يكن هذا ولا ذاك

بل كان رجلاً ثورياً وإماماً للجهاد والنضال ومفسراً للقرآن، ومحدثاً للسنّة النبوية، ومفتياً في ضوئهما أحياناً؟ وتظهر حقيقة الحال فيما يأتي ولنقدم البحث في العقائد ثم نتبعه بالبحث في الفقه.

إنّ ربيب البيت العلوي زيداً الثائر قد تعلم الأصول والعقائد، من أئمة أهل البيت وعلى رأسهم والده الإمام زين العابدين وأخيه الإمام الباقر (عليه السلام)، فكان القول بالتوحيد ورفض التجسيم والجهة، والعدل وتنزيهه سبحانه عن كل سوء وشين، والقول بعصمة الأنبياء ومصونيتهم عن الخطأ والزلل، ونفي القدر بمعنى السالب للاختيار والحرية والموجب للغوية بعث الأنبياء والرسول، إلى غير ذلك من الأصول الرائجة في باب الإمامة والمعاد - كان القول بهذه الأصول - أمراً واضحاً لدى الهاشميين والعلويين ورثها كابر عن كابر، فلو قال به زيد، فلا يجعله ذا منهج كلامي خاص.

إنّما الكلام فيما ينسب مناسب إليه من الآراء حول سائر الموضوعات، وسيوافيك إنّه آراء الزيدية، لاصلة لها بزيد، وأنّ ربطها ونسبتها إليه، خال عن الدليل.

قال الحاكم أبو سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي (٤١٣ - ٤٩٤هـ) في كتابه جلاء الأبصار :

وإذ قد بينا المذاهب المحدثّة والبدع المولدة، بقى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه وعلماء أهل البيت، وهو القول بتوحيد الله، ونفي التشبيه، والقول بعدله، وبرأته من كل سوء، والقول بعصمة أنبيائه، وصدق ما جاءوا به على ما نطق به الكتاب، ومشايخ العدل، أخذوها من علماء أهل البيت. أخذها واصل بن عطاء عن محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم وكان مع ذلك من أصحاب النفس الزكية، وكان عمرو بن عبيد قد تأهب للخروج إلى زيد بن علي (عليه السلام) فورد الخبر بقتله.

وكان مطر الوراق، وبشير الرحال من أصحاب إبراهيم بن عبد الله، وكان حَكَمَ المعتزلي من أصحاب عيسى بن زيد، والروايات بذلك من علماء أهل البيت عليه السلام ظاهرة، وكتب القاسم ويحيى والناصر والمهدي - يعني أبا عبد الله الداعي - وأحمد بن عيسى وغيرهم من أئمتهم عليهم السلام مشحونة بذكر العدل والتوحيد.

وروى أنَّ أبا الخطاب وجماعة دخلوا على زيد بن علي عليه السلام فسألوه عن مذهبه، فقال: إني أبرأ، إلى الله من المشبهة الذين شبهوا الله بخلقه، ومن المجبرة الذين حملوا ذنوبهم على الله، ومن المرجئة الذين طمَّعوا الفساق في عفو الله، ومن المارقة الذين كفَّروا أمير المؤمنين، ومن الرافضة الذين كفَّروا أبا بكر وعمر، وهذا عين مذهب أهل العدل، وكان إمام هذه الطائفة بعد أمير المؤمنين والحسن والحسين ومحمد بن علي ^(١) وعلي بن الحسين، زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ورحمة الله وبركاته وجميع أولاد أمير المؤمنين، إلا أنَّ زيدا تقدمهم بالفضل والعلم والجهاد في سبيل الله ^(٢).

هذا مجمل القضاء في الموضوع وقد «شهد شاهد من أهلها» على ما ذكرنا غير أنَّ البرهنة على المختار، وأنَّ ما نسب إلى زيد من الآراء فإنَّما هي آراء الزيدية، لا الإمام القائد ولأجل ذلك، لا نجد أثراً من هذه الآراء المعزوة إليه في الكتب الموروثة منه. حتى لو وجدنا أنَّ أئمة الزيدية لهجوا بها - كالقاسم الرسي - رأس القاسمية (١٧٠-٢٤٢هـ) والناصر الأطروش - رأس الناصرية (٢٣٠ - ٣٠٤هـ) مؤسس المذهب الزيدي في بلاد الديلم والجبل، والإمام الهادي إلى الحق به رأس الهاديوية في اليمن (٢٤٥ - ٢٩٨هـ) لا يكون ذلك دليلاً على ثبوته من إمامهم،

(١) يريد محمد بن الحنفية بقرينة تقديمه على والد زيد: علي بن الحسين عليه السلام.

(٢) السياغي: الروض النضير: ٩٩/١ - ١٠٠.

لأنَّ الأئمة المتأخرين عن زيد، اجتهدوا في الأصول والفروع فضموا ما ورثوه من إمامهم إلى ما حصلوه بمساعيهم فيهما، فلا يسوغ لباحث أن ينسب شيئاً إلى زيد، بحجة تواجده في كتب هؤلاء الأئمة المتأخرين. وإن أردت التفصيل في الآراء المعزوة إليه عن كتب فلاحظ ما يلي:

١ - مرتكب الكبيرة :

كانت الخوارج تصفه بالكفر والشرك. والمرجئة بالإيمان، وكان الحسن البصري يصفه بالنفاق، وذهب واصل إلى أنه لا كافر ولا مؤمن بل في منزله بين المنزلتين ^(١). واستظهر الشيخ أبو زهرة أنَّ زيدا يوافق المعتزلة في هذا الرأي غير أنه لا يراه مخلداً في النار على خلاف المعتزلة واستظهره من كتاب أوائل المقالات، مع أنه نسبته إلى الزيدية دون زيد حيث قال: وأجمعت المعتزلة وكثير من الخوارج والزيدية على خلاف ذلك وزعموا أنَّ مرتكب الكبائر ممن ذكرناه فاسق ليس بمؤمن ولا مسلم ^(٢) ولا يصح القضاء البات بهذا المقدار.

٢ - رأيه في القدر :

لقد استنبط أبو زهرة مما ذكره ابن المرتضى في المنية والأمل خصوصاً من الرسالة التي كتبها ابن عباس إلى جبرية أهل الشام، أنَّ عقيدة زيد في القدر، هو أنه يجمع بين الإيمان بالقضاء والقدر، واعتبار الإنسان مختاراً في طاعته ومعاصيه، وأنَّ معاصيه ليس قهراً عن الله تعالى، ولا غلبة عليه ^(٣).

(١) لاحظ دليله حول هذا الأصل: الجزء الثالث: ٢٢٥.

(٢) الظاهر أن يقول ولا كافر لينطبق على عقيدة المعتزلة.

(٣) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢٠٩.

يلاحظ عليه: أنَّ ما ذكره إنما هو عقيدة كل آل البيت أخذوه من مستقى الوحي وكلام الوصي علي عليه السلام وقد أوضح الحال عندما سأله رجل عند منصرفه من صفين بما هو معروف ^(١) وقد اشتهر عنهم: «لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين» وزيد وغيره وجميع الشيعة أمام هذا الأصل سواسية.

٣- رأيه في البداء :

لقد كثرت اللغط والجلبة حول البداء فمن طاعن عليه بأن معنى قولهم بدا لله، هو ظهور ما خفي عليه، وهو يستلزم جهله سبحانه بالمستقبل وتغيير إرادته المستلزمة لحدوث ذاته إلى غير ذلك من المضاعفات، ومن قائل بأن المقصود من بدا لله، هو أنه بدا للناس من الله والإطلاق من باب المشاكلة، والنبى الأكرم هو الأسوة في الإطلاق فقد وصفه سبحانه بهذا في كلامه ونقلها البخاري ^(٢) وإلا فأي مسلم واع يلهج بتجويز الجهل أو تغيير إرادته، فمن المأسوف عليه جداً أن الناقمين من الشيعة في قولهم بالبداء تساهلوا في بيان عقيدتهم وراجعوا في تبين مواقفهم إلى كتاب خصمائهم.

نعم ذكر الشيخ المفيد على أن الإمامية اتفقوا على أن إطلاق لفظ البداء في وصف الله تعالى وإن كان ذلك من جهة السمع دون القياس وأضاف: وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية والمرجئة وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية ^(٣).

وما ذكره المفيد إنما هو عقيدة الزيدية، لا الإمام زيد، ولا ملازمة بين الرايين والمخالف لو وقف على مقصود الإمامية من البداء لما خالفه وتلقاه أمراً صحيحاً، ولأجل أن الشيخ أبا زهرة وقف على مقاصدهم البداء بعد الاحتكاك بعلمائهم

(١) الرضي: نهج البلاغة: قصار الحكم برقم ٧٨.

(٢) البخاري: الصحيح: ١٧١/٤، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع.

(٣) المفيد: أوائل المقالات: ٥٣/١٣.

وكتبهم صرح بما ذكرناه فلاحظ^(١).

٤- الرجعة والمهدي:

ذهبت الإمامية إلى القول بالرجعة وإنَّ الله سبحانه يرد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعزّز منهم فريقاً، ويذلّ فريقاً وقد ذكرنا دليلهم من الكتاب والسنة في الجزء السادس من هذه الموسوعة فلاحظ، غير أنَّ الشيخ المفيد ذكر مخالفة الزيدية لهذا الأصل في كلامه السابق، وجعله الشيخ أبا زهرة دليلاً على كونه معتقداً زيد والأصل الذي نشأ عليه^(٢).

والعجب أنَّه عطف القول بالمهدي على فكرة الرجعة ونسب إلى الإمام الجليل نفى فكرة المهدي وقال: الإمام زيد قد نفى فكرة المهدي المنتظر، فنفى معها فكرة الرجعة، لأنَّ الرجعة كما تصورها الإمامية ومن قبلهم الكيسانية تقتضي وجود المهدي، وبما أنَّ لا مهدي في نظر الإمام زيد، لأنَّ الإمام يجب أن يكون غير مستور وأن يدعو لنفسه فلا يوجد إمام مكتوم ولا مغيب^(٣).

إنَّ ما ذكره الشيخ أبو زهرة زلة لا تستقال، فكيف يمكن أن يستدل على عقيدة إنسان مثل زيد، بكلمة لم يثبت كونه قائلها، وعلى فرض كونه قائلها فإنَّما قال بها في ظروف خاصة، لا في الإمام الذي اتفقت الشرائع السماوية عليه، ولا سيما مسانيد السنة وصحابها.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والأخبار المروية من طريق أهل السنة والشيعه المؤكدة على إمامة أهل البيت عليهم السلام والمشييرة صراحة إلى أنَّ عددهم كعدد نقيب بني إسرائيل، وأنَّ آخر هؤلاء الأئمة هو الذي يملأ الأرض

(١) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢١٢.

(٢) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢١٢.

(٣) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢١٢.

- في عهده - عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنَّ أحاديث الإمام الثاني عشر الموسوم بالمهدي المنتظر قد رواها جملة من محدثي السنَّة في صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذي (المتوفى عام ٢٩٧هـ) وأبي داود (المتوفى عام ٢٧٥هـ) وابن ماجه (المتوفى عام ٢٧٥هـ) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته، أمثال علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأم سلمة زوجة الرسول الأكرم ﷺ، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة وغيرهم:

١- روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً» (١).

٢- أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» (٢).

٣- أخرج أبو داود عن أم سلمة - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» (٣).

٤- أخرج الترمذي عن ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» (٤).

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي بلغت أعلى مراتب التواتر على وجهه. يقول الدكتور عبد الباقي: إنَّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنَّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على

(٢) جامع الأصول: ٤٨/١١ برقم ٧٨١٠.

(١) مسند أحمد: ٩٩/١ و ١٧/٣، ٧٠.

(٤) المصدر نفسه: برقم ٧٨١٠.

(٣) جامع الأصول: ٤٨/١١ برقم ٧٨١٢.

تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح^(١).

٥- لا معجزة للأئمة :

إذا كانت الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا، وإمرة إلهية (لاشعبية) واستمراراً لوظائف النبوة كلها، سوى تحمل الوحي الإلهي، ومحتاجاً إلى تنصيب النبي الأكرم بأمر من الله سبحانه، فالتعرف على الإمام المنصوب، يتوقف على دليل يعرفه كالنبي الأعظم، وهو أحد الأمور التالية:

١- نص صريح متواتر لا يدع شكاً للإنسان أنه خليفة الرسول.

٢- أو كرامة خارقة للعادة مقارنة لدعوى الإمامة والخلافة عن الرسول مورثة لليقين بصلته بالله سبحانه.

٣- أو وجود قرائن وشواهد تفيد القطع أنه منصوب من الله سبحانه لهداية الأمة.

نعم لو كانت الإمامة مقاماً شعبياً، تختاره الأمة الإسلامية لقيادتها وتنظيم أمرها. فهو لا يحتاج إلى شيء من النص، والكرامة الخارقة للعادة، ولا إلى العلم المفاض من الله سبحانه. وبما أن الإمامة عند الشيعة إنما هي بالمعنى، الأول، وهي عندهم من الأصول اشترطوا فيها: النص، والعلم بما تحتاج إليه الأمة في مجال الدين والقيادة، أو الكرامة الخارقة للعادة المورثة لليقين بكونه رجلاً إلهياً صادقاً فيما يدعي من الخلافة والإمامة. وهذا على خلاف ما يذهب إليه أهل السنة فإنها عندهم حكومة عرفية، وإمارة زمنية، يُنصب ويعزل بأمر الشعب وإرادته وعزله ونصبه. أو يُنصب بإرادة الحاكم السابق.

(١) الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة ١٢٣.

غير أنَّ أبا زهرة زعم أنَّ الإمام زيد لا يرتضي شيئاً من هذا وذلك لأنَّه يرى أنَّ الإمام من بني فاطمة رجل ككل الناس ليس بمعصوم عن الخطأ وليس علمه فيضاً ولو إشراقاً، بل علمه بالدرس والبحث ويُخطئ ويصيب كغيره من الناس ومادام كذلك فإنَّه لا يحتاج إلى خارق العادات (١).

يلاحظ عليه: أنَّ ما ذكره إنَّما هو عقيدة أئمة الزيدية الذين جاءوا إلى الساحة، شاهرين سيوفهم. فقاموا بالأمر في اليمن وغيره ولولاه لما استقرت إمامتهم، - بعد كونهم أفراداً عاديين - وأمَّا كونه معتقد زيد فلم يقيم عليه دليل، مع كونه معتقداً بإمامة الإمام علي والسبطين وأبيه وأخيه عليه السلام بالنص، وهو واضح لمن تتبع شوارد النصوص.

أضف إلى ذلك أنَّ ظهور الكرامات على الأولياء والأبرار مما جوزه أكثر الفرق وإنَّما خالف فيه المعتزلة بشبهة أنَّه تبطل دلالة المعجزة على النبوة. لكن جوزه من المعتزلة ابن الأخشيد، وأبو الحسين البصري وكذا محققو الأشعرية كالجويني والغزالي وفخر الدين الرازي وغيرهم، وأمَّا الزيدية فالمذكور في كلام الشيخ المفيد، أنَّهم يوافقون المعتزلة في نفي صدورها لكن في كلام المتأخرين منهم ما يدلُّ على العكس، فقد نقل العلامة الشيخ فضل الزنجاني في تعليقه على أوائل المقالات عن الإمام أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني الذي كان من أفاضل الزيدية ومن القائمين بالأمر باليمن (٢) في كتابه الكبير المسمَّى بالشامل إلى ذهاب الزيدية إلى جواز ظهورها (٣).

وياحبذا راجع أبا زهرة الكتب الفلسفية كالأشارات والشفاء للشيخ

(١) أبو زهرة: الإمام زيد: وكان عليه أن يلاحظ أوائل المقالات: ٤١، ٤٢ كما لاحظ سائر الموارد.

(٢) ولد بصنعاء سنة ٦٦٩ وتوفي عام ٧٤٧ وكانت مدة خلافته ٥١ سنة.

(٣) الزنجاني (١٣٠١ - ١٣٦٠): تعليقه أوائل المقالات: ٤١، طبعة تبريز.

الرئيس^(١)، حتى يقف على أنَّ صدور الكرامات من الأولياء ليس أمراً معضلاً، بل الأصول العقلية تؤيده والكتاب والسنة يوافقانه.

٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من الأصول المسلَّمة لدى المسلمين عامّة من غير فرق بين الفرق: المعتزلة والأشاعرة والإمامية. قال القاضي عبد الجبار: «لا خلاف بين الأمة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^(٢). قال الشيخ المفيد: «إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان فرض على الكفاية بشرط الحاجة إليه لقيام الحجّة على من لا علم لديه إلّا بذكره...»^(٣).

وهو مشروط بشروط مذكورة في كتب القوم، غير أنَّ الشيخ أبا زهرة زعم أنَّ الأصل المذكور، لا يجتمع مع القول بالتقية، وزعم أنَّ أبا الشهداء وحفيده زيد التائر أخذاً بالأصل الأوّل، وأمّا أباه أعني: علي زين العابدين رأى من الحكمة ألا يخرج إلّا مع العدد والقوة، ولأنَّ تلك الحوادث (حوادث كربلاء) جعلته يشك في وجود النصراء الأقوياء في اعتقادهم، فانصرف إلى العلم غير راض ولا مطمئن للباطل.

- ثم قال: - ومن هنا تولد عند الشيعة مبدأ التقية وهي السكوت عن مقاومة الباطل من غير رضا به - إلى أن قال: - إنَّ زيدا آمن بالأصل الأوّل وروي إنّه رخص في التقية لكنه كان في أوّل حياته وفي وقت انصرافه للدراسة كان يأخذ بمبدأ التقية، لكنّه بعد أن درس الفرق المختلفة والتقى بأهل العراق غلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٤).

(١) أبو علي: الإشارات: ٤٩٧/٣.

(٢) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة: ٧٤١.

(٣) المفيد: أوائل المقالات: ٩٨.

(٤) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢١٥ - ٢١٧.

يلاحظ عليه: أنَّ هذا أشبه بكلام من لا يعرف موضع الأصلين ومركزهما (وأجلَّ الشيخ أبا زهرة من أن يكون من تلك الزمرة) ويزعم أنَّ بين الأصلين مطاردة، وأنَّ الزعيم الإسلامي إما أن يختار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو يلتجئ إلى التقية، وأنت إذا راجعت إلى ما أسلفناه في الجزء الثالث حول الأصل الأوَّل وفي الجزء السادس حول التقية لعرفت أنَّ الأصلين من الأصول الإسلامية المتقنة ولكل موردٍ وموقف حسب شروطهما وضوابطهما، فلو أنَّ أبا الشهداء وحفيده زيد بن علي قاما بالأمر وأمرًا بالمعروف والنهي عن المنكر لأجل ظروف فرضته عليهما، ولو كانت تلك الشروط مهياةً في زمن ابنه زين العابدين وأخيه محمد بن الحنفية لقاما مثل ما قاما، فلو نرى أنَّ الأخيرين التزما البيت وصارا جليسيه لظروف فرضت عليهما، ولعمر الحقَّ أنَّ مثل هذا الكلام من شيخ المصريين غريب جداً إذ كيف يقول: «ومن هنا - أي قعود الإمام السجاد ومحمد الحنفية عن الأمر بالمعروف - تولد عند الشيعة مبدأ التقية؟! أو ما يذكر قول الله سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ (آل عمران - ٢٨) أو قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ (النحل - ٢٨).

أو ما قرأ كلمات المفسرين حولهما حتى عمّوا مفادهما إلى اتقاء المسلم من المسلم الظالم؟ والحقَّ أنَّ الشيخ أبا زهرة مع كونه كاتباً ذا صدر رحب وإطلاع وسيع وقلم سيال، لكنه يخرج الظنون بصورة الأمور الواضحة القطعية ويضفي على حدسيّاته صبغة الجزم.

٧ - الصفات ليست غير الذات :

ذهبت العدلية - من غير فرق بين المعتزلة والإمامية والزيدية - إلى أنَّ صفات الله الذاتية كالعلم والقدرة والحياة غير ذاته مفهوماً، وعينها مصداقاً، دفعاً لوصمة التركيب، الملازم للإمكان، المنزه عنه سبحانه، قال الشيخ المفيد: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

اسمه حي لنفسه لا بحياة وأنه قادر لنفسه، وعالم لنفسه، لا بمعنى كما ذهب إليه المشبهة من أصحاب الصفات - إلى أن قال: - وهذا مذهب الإمامية كافة والمعتزلة إلا من سميناه (أبا هاشم الجبائي) وجمهور الزيدية وجماعة من أصحاب الحديث والحكمة (١).

وقد تبع هؤلاء خطب الإمام علي عليه السلام وكلماته، فإنه أول من شقّ هذا الطريق، وأوضح المنهج، وحكم بحكم بات على توحيد الصفات مع الذات. قال: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزّاه، ومن جزّاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه» (٢).

والعجب أن الشيخ أبا زهرة نسب عينية الصفات إلى زيد وصوّره أنه من آرائه، والحق أنه من آرائه، لكنه لا بمعنى أنه ذو منهج كلامي بل كل ما نسب إليه لا يخلو من أمرين: إما أنه ليس من زيد وإمّا هو من أتباعه ومقتفي أثره، أو هو من زيد ولكنه أخذه من أئمة أهل البيت عليه السلام.

فقد حصص الحق وبان أن زيدا لم يكن مفكراً كلامياً غارقاً في البحوث الكلامية نظير واصل بن عطاء، أو عمرو بن عبّيد أو أبي جعفر مؤمن الطاق وهشام بن الحكم، بل كان زيد رجلاً ثورياً له صلة بتفسير القرآن وجمع الروايات وعظة الناس وهدايتهم إلى الطريق المهيح. ثم إن الشيخ أبا زهرة استخراج عقائده الكلامية - حسب ما عرفت - من

(١) المفيد: أوائل المقالات: ١٨.

(٢) الرضي: نهج البلاغة: الخطبة ١.

أسباب عقيمة غير منتجة وبما أنه أشار إليها في آخر كلامه نأتي بنصه، ثم بملاحظتنا، يقول:

«حاولت استخراج عقائده الكلامية من الأمور التالية:

١ - أن يكون ذلك رأياً لواصل بن عطاء الذي صاحبه، وقدر علماء النحل أنه اختار منهجيه وطريقه، أو كان كلاهما على منهج واحد ورأي واحد، فاعتبر كل كلام لواصل في هذه المسائل آراء للإمام زيد إلا ما ثبت أنه لم يقله، أو لم يكن من المعقول أن يكون قد قاله، كقول واصل: إن علياً في قتال معاوية لم يكن على حق بيقين، فليس ذلك نظر أهل البيت بالاتفاق.

٢ - إن ما ينسب إلى الزيدية من أقوال ونراه في ذاته معقولاً وقريباً من منطق الإمام زيد وتفكيره فإننا نقرر أنه رأي زيد عليه السلام لأن الزيدية إذا استثنينا الجارودية منهم، يتلاقون في أكثر آرائهم مع الإمام زيد، فهم له في الجملة متبعون.

٣ - إن ما يقوله بعض المتصلين به أو الذين ثبت اتصالهم به نعتبه إذا اتفق ما يقوله الزيدية أو ينسب مزكياً لنسبة تلك الأقوال إليه ^(١).

يلاحظ عليه: أن القياس الأول عقيم جداً إذ لا نعلم مدى تعاطف زيد مع واصل وزمالاته معه، حتى نتخذ عقيدة الجليس دليلاً على عقيدة الجليس الآخر.

وأضعف منه الطريق الثاني فإن الزيدية كسائر الفرق، مارسوا علم الكلام وحضروا محافل البحث والنقاش ثم اتخذوا موقفاً في كل مسألة، وكيف يمكن أن ينسب وليد فكر هؤلاء لزيد المحدث المفسر غير المهتم إلا بإنهاض المسلمين ضد الطغاة وإزالتهم عن منصة الحكم واستغلال الصلحاء بالحكم؟!.

ومنه يظهر حال الطريق الثالث فلا نطيل الكلام.

(١) أبو زهرة: الإمام زيد: ٢٢٢ - ٢٢٤.

كل ما ذكرنا يرجع إلى زيد، وأمّا الزيدية فلهم عندنا حساب خاص سوف نرجع إلى إرائهم وعقائدهم في مجال الأصول والفقه في فصل مستقل.

زلة بعدها زلة :

قد عرفت مدى صحّة كلام الشيخ أبو زهرة في نسبه هذه الآراء إلى زيد وقد تبعه من جاء بعده، من دون ترو وتحقيق، فنرى أنّ الدكتور «أحمد محمود صبحي» يتبعه عشوائياً وينسب تلك الآراء إلى زيد حرفاً بحرف، فنسب إليه إنكار القول بالبداء، والتقية، والعصمة، والعلم اللدني، والمهدوية، وذكر أنّ آراء زيد في ذلك المجال متعارضة وآراء الإمامية وذكر أنّ مصدر كلامه هو كتاب «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» للدكتور علي سامي النشار، وأظنّ أنّه ذكره بعنوان أحد المصادر، وإلاّ فالمصدر الواقعي لكلامه هو كتاب أبي زهرة ووحدة الصياغة تعرب عن عيولتهما على الشيخ وعلى كل تقدير فقد خبطوا خبطة عشواء وبذلك أفسدوا الأمر على المجتمع الإسلامي وصوروا أنّ الإمام زيد كان يخالف الرأي العام لسائر الأئمة الاثني عشر، ولعله كان هذا هو المقصد من إلقاء الحبر في الماء الراكد. وإيجاد الفرقة أو توسيعها بين الطائفتين.

قد أسفر وجه الحقيقة وبان أنّ زيدا كان علويّ المبدأ والفكرة، ولم يكن له في الأصول والعقائد سوى ما عند العترة الطاهرة بقي الكلام من كونه صاحب مذهب فقهي خاص، على أساس منهج معين وهذا هو الذي نأخذه بالبحث.

هل كان لزيد مذهب فقهي خاص؟

هل كان لزيد مذهب فقهي خاص كسائر المذاهب الفقهية الذائعة في عصره وبعده؟

وهل كان لزيد منهاج خاص يسير عليه في استنباطه وافتائه؟

وهل الأئمة الزيدية - وأخص بالذكر أئمة الاجتهاد منهم - مشوا على ضوء آرائه ولم يخالفوه، والفقه الزيدي الموجود، تبسيط لفقهه ورأيه؟

هذه موضوعات ثلاثة جديرة بالبحث والدراسة على ضوء ما ورثناه من زيد من الكتب، والفقه الزيدي الراجح اليوم.

فلنشرح الموضوع الأول فنقول:

كان زيد رجلاً عابداً زاهداً، حليف القرآن والعبادة، وتعلّم ما تعلم في أحضان والده وأخيه الإمام الباقر عليه السلام وروى عن عدّة من التابعين، ولم يكن موطنه يوم ذاك، مهدياً لمذهب فقهي خاص يتميز بسماته عن المذاهب الأخر حتى يكون الإمام أحدهم، ويكون له مذهب متميز عن الآخرين، وأقصى ما كان يتمتع به التابعون والراوون عنهم، هو الإفتاء في ضوء الروايات الواصلة إليهم، وتجريدها عن الاسناد، أو استثمار الضوابط التي تلقوها عن الرسول الأعظم واستخراج أحكام الجزئيات منها أو التخريج على أقوال الصحابة وغيره، وأين هذا من كونه إمام مذهب خاص له سمات وميزات، تميزه عن سائر المذاهب الفقهية، كما هو الحال في المذاهب المعروفة ولا سيما المذاهب الأربعة؟ هذا حال زيد في موطنه، وأمّا حاله في غيره، فقد غادر المدينة كراراً، ونزل الشام والكوفة، إمّا بالجبر والاضطرار، أو بالحرية والاختيار، ولم تكن الغاية له في تلك الرحلات إلاّ إجابة الجبر، أو دعم المبدأ وإنهاض المسلمين ضد الأمويين وبالتالي، دعم الجهاد

والنضال المسلح، وأين هذا من الاختلاف في أندية الدروس، ومحافل البحث والدراسة، لاستثمار ما تلقاه وصبغه بصبغة خاصة تعطي له سمة وميزة؟!

وهذا ما يعطيه الإمعان في حياته، والغور في الآثار الباقية منه وأقصى ما يمكن أن يقال: إنه كان يفتي عند السؤال، بمضمون الرواية، أو ببسط الضوابط الكلية.

وبذلك يعلم حال السؤال الثاني، فإنَّ المراد من المنهاج الخاص، هو القواعد الكلية الأصولية التي منها يستمد الفقه، وبها ينصبغ، فالفقه المستمد من القياس والاستحسان غير الفقه المستنبط من الكتاب والسنة والوقوف فيما لا نص فيه، ومن المعلوم أنه لم يكن لزيد ذلك المنهاج ولو كان لبان في آثاره العلمية، أو نقله طلابه وملازموه كما هو الحال في أبي حنيفة، فقد انعكست آراؤه على فقه تلاميذه كالشيباني وأبي يوسف وغيرهما.

وأما الموضوع الثالث فالإجابة عنه سهلة، بعد الوقوف على اعتبار الاجتهاد المطلق عند الزيدية فقد فتحوا - كالإمامية - باب الاجتهاد المطلق في الفروع والأصول فخالفوا زيدا في قسم من الفروع، وركنوا إلى أصول لم يعلم الركون به من إمامهم.

وإن شئت قلت: هناك فرق بين اجتهاد الأحناف، والشوافع واجتهاد أئمة الزيدية فالطائفة الأولى كانوا مجتهدين لكن مقيدين بأصول إمامهم ومناهجه. وكانوا يبذلون مساعيهم لاستكشاف آراء إمامهم في ضوء الأصول الواصلة إليهم منه. وأما أئمة الزيدية، فلأجل فتح باب الاجتهاد المطلق صاروا مجتهدين مستقلين ربما وافقوا إمامهم، وأحياناً خالفوه ولذلك ترى بعداً شاسعاً بين المجموع الفقهي المنقول عن الإمام زيد وكتاب الأحكام للإمام الهادي المطبوع المنتشر في جزئين، ومثله الروض النضير فالمؤلف وإن كان زيدياً، لكن كتابه هذا،

أُلِّف على ضوء الاجتهاد المطلق، فيستهدي من روايات الصحاح والمسانيد والقواعد الدارجة بين المذاهب الأربعة التي رفضها أئمة أهل البيت أولاً ولم يثبت حجيتها عند الإمام زيد ثانياً.

يقول أبو زهرة: «ويجب أن يعلم أن الفقه الزيدي ليس كله فقه الإمام زيد، بل هو فقه طائفة كبيرة من آل البيت كالهادي والناصر وغيرهم ممن جاءوا بعده وخصوصاً أن باب الاجتهاد فيه كان مفتوحاً لم يغلق»^(١).

ويقول في موضع آخر في سبب انتشار المذهب الزيدي وأن من أسبابه: «فتح باب الاختيار من المذاهب الأخرى فقد صار هذا المذهب بهذا الاختيار حديقة غناء تلتقي فيها أشكال الفقه الإسلامي المختلفة، وأغراسه المتباعدة وجناه المختلف الألوان والطعوم، وإن كان ذلك نتيجة لفتح باب الاجتهاد فيه، فقد اختاروا باجتهادهم من المذاهب الأخرى ما يتفق مع منطق المذهب أو أصوله، وأصوله متحدة أو على الأقل متقاربة مع جملة الأصول التي قررها فقهاء المسلمين»^(٢).

والحقيقة هي: أن المذهب الفقهي المعروف بالمذهب الزيدي في اليمن، نسبةً إلى الإمام زيد أو المذهب الهادي كما يروى للبعض اليوم أن يسميه وينسبه إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين ولا فارق بين الإمامين إلا في مسائل يسيرة جداً، نتيجة الاجتهاد المفتوح بابه في المذهب الزيدي حتى اليوم وإلى الأبد إن شاء الله - هذا المذهب لم يكن مذهب إمام معين، ولكنه خلاصة أبحاث عميقة، ودراسات واسعة مختلفة في كل مجالات الفقه الإسلامي العظيم، وجهود مضيئة استمرت في البحث والتنقيب والتصنيف أكثر من سبعة قرون، وقام بتلك الأبحاث والدراسات

(١) أبو زهرة: الإمام زيد: ٣٣١.

(٢) أبو زهرة: الإمام زيد: ٤٨٨.

أئمة أعلام من أهل البيت النبوي الشريف ومن تابعهم من الفقهاء المجتهدين، معتمدين في كل ذلك على المحكم من كتاب الله، والصحيح من سنة رسول الله، وعلى القياس، والإجماع، وأحياناً على الاستصحاب، والاستحسان، والمناسب المرسل - المصالح المرسل - وهي التي تتفق مع المقاصد الشرعية فيما لا يوجد له نص في الكتاب أو السنة إثباتاً أو نفيّاً كما سيأتي في موضعه إن شاء الله. وبسبب ذلك تصارع الأئمة وأتباعهم أزماناً عديدة مع دسائس الملحدين وأفكار المندسين، كما تعاركوا مع جبابرة الأهواء السياسية والأحقاد العنصرية، جاعلين الاخلاص رائدهم، والحق مقصدهم، ورضوان الله غايتهم^(١).

ولعل حقيقة الحال تعلم من دراسة ما بقي منه من الآثار وأخص بالذكر ما طبعت وانتشرت منها فإنها مرآة ضمير الرجل، والمرء بآرائه وأفكاره.

(١) علي بن عبد الكريم: الزيدية نظرية وتطبيق: ١٤.

الفصل التاسع

هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة

إنّ هناك فرقاً واضحاً بين إمام الثورة والجهاد - الذي يقابل الظالمين والغاصبين بالطرد والقتل، ويُعبّد الطريق لصلحاء الأُمّة في المستقبل حتى يتفكروا في أمرهم بعد قمع الظالمين - والإمام الذي فرضت طاعته من قبل إمّا بتنصيب من الله ورسوله أو باتفاق من أهل الحل والعقد أو ما أشبه ذلك. وزيد الثائر لم يكن من قبيل الثاني، وإنّما كان إمام الثورة والجهاد. قام بأخذ الثأر والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة العدل، وإزاحة الظلم وتدمير عرش الأمويين، فهو بهذا المعنى كان إماماً لا شك فيه، وقد أطبقت الزيدية والإمامية على كونه إماماً بهذا المعنى ومن نسب غير ذلك إلى الإمامية فهو باهت كاذب إنّما الكلام في كونه الإمام المنصوص عليه بلسان النبي الأكرم وأوصيائه فلم يكن زيد إماماً بهذا المعنى ولا إماماً مختاراً من قبل الأُمّة ولا ادّعاه هو ولا أحد من أتباعه ومقتفيه، والذي يوضح ذلك ما نص عليه الشيخ المفيد وهو من متكلمي الشيعة في القرن الرابع. روى تلميذه المرتضى:

قال: حضر المفيد مسجد الكوفة، فاجتمع إليه أكثر من خمسمائة فقال له

رجل من الزيدية - أراد الفتنة بأي شيء استجرت إنكار إمامة زيد؟ فقال: ظننت عليّ باطلاً وقولي في زيد لا يخالفني فيه أحد من الزيدية. فقال: وما مذهبك فيه؟ قال: إنني أثبت من إمامة زيد ما تثبته، وأنفي ما تنفيه وأقول كان إماماً في العلم والزهد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنفي عنه الإمامة الموجبة لصاحبها العصمة والنص والمعجزة، وهذا ما لا يخالفني عليه أحد من الزيدية، فلم يتمالك من حضر من الزيدية أن شكروه ودعوا له وبطلت حيلة الرجل (١).

ولعل الجوَّ السائد على مجلس المناظرة - كما يظهر من كلام تلميذه الجليل السيد المرتضى - لم يسمح للشيخ المفيد، أن ينفي حتى الشق الثاني وهو كونه إماماً مفترضة طاعته باختيار الأمة. نعم تضافرت الروايات على بيعة جماعة كثيرة معه لكن متعلق البيعة، هو الجهاد والنضال، وكونه أميره ورأئده لا على الإمامة بعد النجاح واكتساح الأشواك.

نعم أن الطائفة الزيدية المتشكلة بعد رحيل الإمام الثائر زعموا أنه ادعى الإمامة لنفسه وكان الجهاد، لرفع الموانع عن طريق إمامته وحاكميته وقد اغتروا بظواهر الأمر، ولم يتدبروا في القرائن الحافة به.

وبذلك الزعم - صارت الإمامة عند الإمامية غيرها عند الزيدية وذلك:

إن مفهوم الإمامة لدى الشيعة الإمامية غيرها لدى الزيدية، فالطائفة الأولى تشترط في الإمام النص والعصمة والمعجزة وكونه أعلم الأمة وأفضلها سواء أقام بالسيف أم لا، وإنما يتبع في القيام والجهاد مصالح الأمة الإسلامية فهي بين ما يفرض عليه القيام والجهاد أو يفرض عليه إرشاد الأمة عن طريق آخر.

(١) المرتضى: الفصول المختارة: ٢٧٧.

وهذا بخلاف الإمامة لدى الزيدية فلا يشترط فيها ما ذكرنا، قال الشيخ المفيد: الإمامة علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، وأوجب النصّ الجلي والعصمة والكمال لكل إمام، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي عليه السلام وساقها إلى الرضا علي بن موسى الرضا. وأمّا الزيدية فهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين وزيد بن علي عليه السلام، وإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة، ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد^(١).

وقال ابن المرتضى: «فالزيدية منسوبة إلى زيد بن علي عليه السلام يجمع مذهبهم تفضيل علي عليه السلام وأولويته بالإمامة وقصرها في البطين، واستحقاقها بالفضل والطلب لا بالوراثة ووجوب الخروج على الجائرين^(٢).

والذي يعرب عن موقفه في الإمامة ما جاء في خطبه وفيها هذه الجمل التالية:

كلمات لزيد تعرب عن موقفه:

١ - الحمد لله الذي أكمل لي ديني بعد أن كنتُ استحيي من رسول الله أن أردد عليه ولم آمر أمته بمعروف ولم أنه عن منكر^(٣).

٢ - واعلموا أنه ماترك قوم الجهاد قط إلا حُفروا وذُلُّوا^(٤).

(١) المفيد: أوائل المقالات: ٨.

(٢) ابن المرتضى: البحر الزخار: ٤٠/١ وسيوافيك تفصيل عقيدتهم في الإمامة فانتظر.

(٣) السياغي: الروض النضير: ١٠٢/١.

(٤) المصدر نفسه.

٣- أيُّها الناس أعينوني على أنباط الشام فوالله لا يعينني عليهم منكم أحد إلا رجوت أن يأتيني يوم القيامة آمناً... (١).

ولأجل ذلك تضافرت الروايات من طرقنا على أن زيداً ما دعا إلى نفسه وإنما دعا إلى الرضا من آل محمد، وأنه لو ظفر لوفى، ومعنى هذه الروايات أنه كان يمهّد الطريق لولاية الإمام المنصوص عليه في لسان النبي والأئمة الصادقين، وإليك بعض النصوص:

١- قال الصادق عليه السلام: إن زيداً كان مؤمناً وكان عارفاً وكان صدوقاً أما إنه لو ظفر لوفى، أما إنه لو ملك عرف كيف يضعها (٢).

٢- وقال عليه السلام: إن زيداً كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعاكم إليه، وإنما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه (٣).

٣- وقال الإمام الرضا عليه السلام في جواب سؤال المأمون عن ادّعاء زيد ما لم يكن له بحق: إن زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وإنه كان أتقى لله من ذلك أنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإنما جاء ما جاء فيمن يدعي أن الله نصّ عليه ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم وكان زيد بن علي والله ممن خوطب بهذه الآية! ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (٤).

إن الإمام الرضا عليه السلام نصّ على موقف زيد من الإمامة وهو أنه كان إمام

(١) المصدر نفسه: ١٢٧/١ - ١٢٨، والأنباط: أخلاط الناس وعوامهم.

(٢) الكليني: الكافي: الروضة الحديث ٣٨١.

(٣) الكشي: الرجال: ترجمة السيد إسماعيل الحميري: برقم ١٤٤ ص ٢٤٢.

(٤) عيون أخبار الرضا، الباب ٢٥، ص ٢٤٩. وسيوافيك تفصيل المذاكرة بينهما ص ١٩٩ فلاحظ.

الجهاد وقد جسّد قوله سبحانه: «وجاهدوا في الله حقّ جهاده»^(١) وأين هو من الإمامة المنصوص عليها من جانب الله بلسان نبيه وأوصيائه السابقين أو الإمام المختار من جانب الأمة. ولو كان زيد يتظاهر بالإمامة فإنّما كان لغاية كسح الأشواك عن طريقها ثم تسليم الأمر إلى الإمام المنصوص. إنّ هناك نكتة اجتماعية وهي أنّ زيدا قام موطناً نفسه على الشهادة، ومستميّاً متيقناً بأنّه سوف يقتل ويستشهد، وقد سمع من أبيه وأخيه وابن أخيه أنّه سوف يقتل ويصلب في الكناسة، وأنّه لم يكن شاكاً ولا متردداً في هذا الأمر ومن كان هذا مآله ومستقبله فهل يمكن أن يدّعي الإمامة بالمعنى المعروف بين المتكلمين أي قيادة الأمة في جوانب شتى إلى الصلاح والفلاح، فإنّ القيام بهذا الواجب فرع الحياة وهو كان على الطرف الخلاف من هذا، فلم يبق إلا أن يكون أميراً في الجهاد قائداً في النضال، وإن قصرت حياته، وقلّ بقاءه.

اعترافه بإمامة الإمام الصادق عليه السلام :

- ١- إنّ زيدا كان معترفاً بإمامة ابن أخيه جعفر الصادق عليه السلام بلا كلام، وكان يقول: من أراد الجهاد فإليّ، ومن أراد العلم فإليّ ابن أخي جعفر^(٢).
- ٢- روى الصدوق في الأمالي: عن عمرو بن خالد: قال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: في كل زمان رجل منّا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، حجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه^(٣).

(١) سيأتي نصّ الإمام: في ص ١٩٩ - ٢٠٠ في ضمن الرواية الثالثة عشرة.

(٢) الخراز القمي: كفاية الأثر: ص ٣٠٢. (٣) الصدوق: الأمالي: ٥٤٢ بحار الأنوار: ١٧٣/٤٦.

٣- روى الكشي عن عمار الساباطي، قال: كان سليمان بن خالد خرج مع زيد بن علي، قال: فقال له رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية: ماتقول في زيد أهو خير من جعفر؟ قال سليمان: قلت والله ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا، فحرّك رأسه وأتى زيدا وقصّ عليه القصة فمضيت فانتبهت إلى زيد وهو يقول: جعفر إمامنا في الحلال والحرام^(١).

٤- إنّ يحيى بن زيد سأل أباه عن الأئمة، فقال: الأئمة اثنا عشر، أربعة من الماضين وثمانية من الباقيين فقلت: فسمّهم يا أبة. فقال: أمّا الماضون فعلي بن أبي طالب والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومن الباقيين أخي الباقر وبعده جعفر الصادق ابنه، وبعده موسى ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده محمد ابنه، وبعده علي ابنه، وبعده الحسن ابنه، وبعده المهدي ابنه، فقلت له يا أبة: ألت منهم؟

قال: لا، ولكني من العترة، فقلت: فمن أين عرفت أساميهم؟ قال: عهد معهود عهده إلينا رسول الله ﷺ^(٢).

٥- روى محمد بن مسلم: دخلت على زيد بن علي وقلت: إنّ قوماً يزعمون أنّك صاحب هذا الأمر، قال: لا ولكني من العترة، قلت: فلمن يكون هذا الأمر بعدكم؟ قال: سبعة من الخلفاء المهدي منهم.

قال محمد بن مسلم: دخلت على الباقر محمد بن علي عليه السلام، فأخبرته بذلك فقال: صدق أخي زيد، سبيل هذا الأمر بعدي سبعة من الأوصياء والمهدي منهم، ثم بكى عليه وقال: وكأنني به وقد صلب في الكناسة. يابن مسلم حدّثني أبي عن أبيه الحسين: قال: وضع رسول الله يده على كتفي، قال: يا حسين

(١) الكشي: الرجال: ترجمة سليمان بن خالد برقم: ٢٠٥ ص ٣٠٨.

(٢) الخزاز: كفاية الأثر: ٣٠٠ وسيوافيك تذييل الخزاز بعد هذا الحديث، ورواياتها مسانيد، لا مراسيل اقتصرنا على نقل المتون روماً للاختصار.

يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يُقتل مظلوماً إذا كان يوم القيامة حشر أصحابه إلى الجنة^(١).

٦- روى الخزاز عن عبد العلاء ... قلت: فأنت صاحب الأمر؟ قال: لا ولكنني من العترة، قلت: فإلى من تأمرنا؟ قال: عليك بصاحب الشعر وأشار إلى الصادق عليه السلام^(٢).

٧- روى الخزاز قال: عن المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجه إلى خراسان، فما رأيت رجلاً في عقله وفضله، فسألته عن أبيه عليه السلام فقال: إنه قتل وصلب بالكناسة ثم بكى وبكى حتى غشي عليه. فلما سكن قلت له: يا ابن رسول الله وما الذي أخرجه إلى قتال هذا الطاغية وقد علم من أهل الكوفة ما علم؟ فقال: نعم لقد سألته عن ذلك فقال: سمعت أبي عليه السلام يحدث عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صليبي فقال: يا حسين يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد يقتل شهيداً إذا كان يوم القيامة يتخطى هو وأصحابه رقاب الناس ويدخل الجنة، فأحببت أن أكون كما وصفني رسول الله ﷺ.

ثم قال: رحم الله أبي زيدا، كان والله أحد المتعبدين، قائم ليله، صائم نهاره يجاهد في سبيل الله عز وجل حق جهاده. فقلت: يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصفة. فقال: يا أبا عبد الله إن أبي لم يكن إماماً ولكن كان من سادات الكرام وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله ﷺ فيمن ادّعى الإمامة كاذباً، فقال: مه يا أبا عبد الله إن أبي عليه السلام كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحق وإنما قال: «أدعوكم إلى الرضا من آل محمد» عنى بذلك

(١) الخزاز: كفاية الأثر: ٣٠٦.

(٢) الخزاز: كفاية الأثر: ٣٠٧.

عمي جعفر. قلت: فهو اليوم صاحب هذا الأمر؟ قال: نعم هو أفقه بني هاشم.

ثم قال: يا أبا عبد الله إني أخبرك عن أبي عليه السلام وزهده وعبادته، إنه كان يصلي في نهاره ما شاء الله، فإذا جنّ عليه الليل نام نومة خفيفة، ثم يقوم فيصلّي في جوف الليل ما شاء الله، ثم يقوم قائماً على قدميه يدعو الله تبارك وتعالى ويتضرّع له ويبكي بدموع جارية حتى يطلع الفجر. فإذا طلع الفجر سجد سجدة. ثم يقوم يصلي الغداة إذا وضح الفجر، فإذا فرغ من صلاته قعد في التعقيب إلى أن يتعالى النهار، ثم يقوم في حاجته ساعة، فإذا قرب الزوال قعد في مصلاه فسبح الله تعالى ومجّده إلى وقت الصلاة، فإذا حان وقت الصلاة قام فصلّى الأولى وجلس هنيئة وصلى العصر وقعد تعقبه ساعة، ثم سجد سجدة فإذا غابت الشمس صلى العشاء والعتمة. قلت: كان يصوم دهره؟ قال: لا ولكنه كان يصوم في السنة ثلاثة أشهر ويصوم في الشهر ثلاثة أيام. قلت: فكان يفتي الناس في معالم دينهم؟ قال: ما أذكر ذلك عنه. ثم أخرج إليّ صحيفة كاملة فيها أدعية علي بن الحسين عليه السلام (١).

٨ - روى الخزاز في حديث طويل عن محمد بن بكير قال: دخلت على زيد بن علي وعنده صالح بن بشر فسلمت عليه وهو يريد الخروج إلى العراق فقلت له: يا بن رسول الله... هل عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وآله متى يقوم قائمكم؟ قال: يا ابن بكير إنك لن تلحقه، وإنّ هذا الأمر تليه ستة من الأوصياء بعد هذا ثم يجعل الله خروج قائمنا، فيملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، فقلت: يا ابن رسول الله أأست صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا من العترة، فعدت فعاد إليّ فقلت: هذا الذي تقول، عنك أو عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير، لا ولكن عهد عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أنشأ يقول:

نحن سادات قريش	وقوام الحقّ فينا
نحن أنوار التي من	قبل كون الخلق كنّا
نحن منّا المصطفى المختار	والمهدي منّا
فبنا قد عرف الله	وبالحق أقمنا
سوف يصلّاه سعيراً من	تولى اليوم عنّا (١)

٩- روى ابن شهر آشوب قال: ونسب إلى زيد أنّه رثا الباقر عليه السلام بهذه الأبيات:

ثوى باقر العلم في ملحد	إمام الورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده	إمام الورى الأوحّد الأمجد
أيا جعفر الخير أنت الإمام	وأنت المرجى لبلوى غد (٢)

نصوص الإمامية في تفسير خروجه:

نعم تفرقت الشيعة بعد استشهادهم إلى فرقتين فرقة تقتفي زيد بن علي وتراه إماماً وفرقة أخرى تقتفي الإمام الصادق عليه السلام وكان بينهما نقاشات وخلافات نشبت من الجهل بموقف زيد، ولو كان لهم علم به لما كان لهذا الانقسام وجه، وقد أوضحه أعلام الإمامية في كتبهم وإليك بعض كلماتهم:

١ - قال شيخنا المفيد في إرشاده وقال: واعتقد كثير من الشيعة فيه بالإمامة وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف يدعو إلى الرضا من آل محمد

(١) الخزاز: كفاية الأثر: ٢٩٧.

(٢) ابن شهر آشوب: المناقب: ١٩٧/٤ طبعة بيروت. وقد مرّت الأشعار في الفصل الثالث أيضاً بمناسبة بيان خطبه وأشعاره.

فظنّوه يريد بذلك نفسه، ولم يكن يريد بها لمعرفته باستحقاق أخيه عليه السلام للإمامة من قبله ووصيته عند وفاته إلى أبي عبد الله (عليه السلام) ^(١).

٢- قال أبو القاسم القمي الخزاز - بعد نقل كلام يحيى بن زيد - الذي تعرفت عليه: فإن قال قائل: فزيد بن علي إذا سمع هذه الأخبار وهذه الأحاديث من الثقات المعصومين وآمن بها واعتقدها. فلماذا خرج بالسيف وادّعى الإمامة لنفسه وأظهر الخلاف على جعفر بن محمد وهو بالمحل الشريف الجليل، معروف بالستر والصلاح، مشهور عند الخاص والعام بالعلم والزهد، وهذا ما لا يفعله إلا معاند أو جاحد، وحاشا زيدا أن يكون بهذا المحل؟

فأقول في ذلك وبالله التوفيق: إنّ زيد بن علي بن الحسين عليه السلام خرج على سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا على سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر بن محمد عليه السلام، وإنّما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلك أنّ زيد بن علي عليه السلام لما خرج ولم يخرج جعفر بن محمد عليه السلام توهم من الشيعة أنّ امتناع جعفر كان للمخالفة وإنّما كان لضرب من التدبير، فلمّا رأى الذين صاروا للزيدية سلفاً قالوا: ليس الإمام من جلس في بيته وأغلق بابه وأرعى ستره وإنّما الإمام من خرج بسيفه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهذا كان سبب وقوع الخلاف بين الشيعة، وأمّا جعفر وزيد عليه السلام فما كان بينهما خلاف.

والدليل على صحة قولنا قول زيد بن علي عليه السلام: «من أراد الجهاد فإليّ ومن أراد العلم فإليّ ابن أخي جعفر» ولو ادّعى الإمامة لنفسه لم ينف كمال العلم عن نفسه إذ الإمام يكون أعلم من الرعية، ومن المشهور قول جعفر عليه السلام «رحم الله عمي زيدا لو ظفر لوفاه إنّما دعا إلى الرضا من آل محمد وأنا الرضا» ^(٢).

(١) الإرشاد: ٢٤٨، طبعة النجف الأشرف.

(٢) الخزاز القمي: كفاية الأثر: ٣٠١ - ٣٠٢.

٣ - قال شيخنا المجلسي: أعلم أنَّ الأخبار اختلفت وتعارضت في أحوال زيد وأضرابه كما عرفت لكن الأخبار الدالة على جلالته زيد ومدحه، وعدم كونه مدعياً لغير الحق أكثر، وقد حكم أكثر الأصحاب بعلو شأنه (١).

وقال أيضاً: «وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ وأنه كان عازماً على أنه إن غلب على الأمر فوضه إلى أفضلهم وإليه ذهب أكثر أصحابنا ولم أر في كلامهم غيره (٢).

٤ - وقال الزنوزي في رياض الجنة: إنَّ زيد بن علي كان دائماً في فكر الانتقام والأخذ بثأر جده الحسين عليه السلام ومن هذه الجهة توهم بعضهم أنه ادعى الإمامة وهذا الظن خطأ لأنه كان عارفاً برتبة أخيه وكان حاضراً في وقت وصية أبيه ووضع أخيه في مكانه وكان متيقناً أنَّ الإمامة لأخيه وبعده للصادق عليه السلام (٣).

٥ - وعن السيد الجليل بهاء الدين علي بن عبد الحميد النبلي النجفي رضوان الله عليه في كتابه الأنوار المضيئة أنه قال: زعم طوائف ممن لا رشد لهم أنَّ زيد بن علي بن الحسين عليه السلام خرج يدعو لنفسه وقد افتروا عليه الكذب، وبهتوه بما لم يدَّعه لأنه كان عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم ورعاً وفقهاً وسخاءً وشجاعةً وعلماً وزهداً وكان يدعى حليف القرآن وحيث إنَّه خرج بالسيف ودعا إلى الرضا من آل محمد زعم كثير من الناس لا سيما جهال أهل الكوفة هذا الزعم، وتوهموا أنه دعا إلى نفسه ولم يكن يريد لها لمعرفته باستحقاق أخيه الإمامة من قبله وابن أخيه لوصية أخيه إليه بها من بعده - إلى أن قال: - وقد انتشرت الزيدية فكثروا وهم الآن طوائف كثيرة في كل صقع أكثرهم باليمن ومكة وكيلان (٤).

(١) المجلسي: البحار: ٢٠٥/٤٦ ومرآة العقول: ٢٦١/١.

(٢) المجلسي: البحار: ٢٠٥/٤٦ ومرآة العقول: ٢٦١/١.

(٣) السيد الأمين: زيد الشهيد: ٣٥، نقلاً عن رياض الجنة وهي بعد مخطوطة.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥ - ٣٦.

٦- وقال السيد صدر الدين: «لو لم يظهر الصادق عليه السلام عدم الرضا بخروجه، ويصوب أصحابه في معارضتهم وإسكاتهم إياه، ولم يجب بالإبهام والاعجام عند السؤال عن خروجه، لكان في ذلك نقض الغرض والتعريض بهلاك الإمام ^(١)».

٧- قال السيد علي خان المشعشي الحويزي في كلام له: «ولا ريب أن قصده ونيته إن استقام له الأمر إرجاع الحق إلى أهله ويدل على ذلك رضاهم عنه، وإنما لم يمنعه أبو عبد الله الصادق عليه السلام من الخروج مع علمه بأن هذا الأمر لا يتم له وأنه يقتل لأنهم عليهم السلام يعلمون ما يقع بهم وبذريتهم، وما قدر لهم لأن عندهم علم ما كان وما يكون، وكان يعلم أن لا مفر مما قدر فلا وجه للمنع ^(٢)».

٨- وقال المحقق المامقاني: «إنما ادعى الإمامة ليتبعوه فيستنقذ الحق من المتغلبين، ثم يسلمه إلى أهله والظاهر أن هذا هو الضرب من التدبير الذي أشار إليه العياشي في كتابه مقتضب الأثر ^(٣)».

لما كانت الروايات المروية عن زيد على قسمين، قسم ورد التصريح فيه بأسماء الأئمة الاثني عشر كالرواية الرابعة وقسم أجمل فيه الكلام، كسائر الروايات التالية، علّق عليها السيّد عبد الرزاق المقرّم بما يلي:

٩ وقال السيّد المقرّم: وهذه الأحاديث وإن لم تصرح بأسماء الأئمة الذين يلون الخلافة من عترة النبي ﷺ لكن تفيدنا القطع ببراءته من تلك الدعاوى

(١) السيد صدر الدين بن الفقيه السيد محمد العاملي في تعليقه على ترجمة زيد من منتهى المقال وهي مخطوطة.

لاحظ زيد الشهيد للسيد المقرّم: ٨٧.

(٢) الحويزي: نكت البيان: كما في وقائع الأيام لشيخنا الخياباني قسم الصيام: ٤٤.

(٣) المامقاني: تنقيح المقال: ٤٦٩/١ - ٤٧٠. ما نقله من كتاب مقتضب الأثر للعياشي فإنما هو الخزاز في كتابه: كفاية الأثر، وليس في الكتاب الأول عين ولا أثر ممّا نقله.

(١٩٢)

الفارغة من كل حقيقة، وأنه طاهر الضمير، قابل لا يداغ أسرار الإمامة فيه ومع ملاحظة رواية ابنه يحيى (الرابعة) يتضح المراد مما أجمل في هذه الأحاديث.

ولو أعرضنا عن جميع ذلك لأفادنا اعترافه باستحقاق الصادق عليه السلام للخلافة بعد الباقر عليه السلام وأنه الحجة التي لا يضل من تبعه، ولا يهتدي من خالفه، سلوكه المحجة البيضاء والطريق اللاحب في الإمامة. وهل يقع الشك في اعترافه بإمامة الصادق عليه السلام وهو يقول لعبد الله بن أبي العلاء (الرواية السادسة) وقد قال له: «أنت صاحب هذا الأمر، قال: لا ولكنني من العترة - قال له: - فإلى من تأمرني، قال: عليك بصاحب الشعر».

روى الكشي عن سورة بن كليب قال: قال لي زيد بن علي: يا سورة كيف علمتم أن أصحابكم على ما تذكرونه؟

قال: قلت على الخير سقطت. قال فقال: هات! فقلت له: كنّا نأتي أخاك محمد بن علي عليه السلام نسأله فيقول: قال رسول الله ﷺ وقال الله عزّ وجلّ في كتابه حتى مضى أخوك فأتيناكم وأنت فيمن أتينا، فتخبرونا ببعض ولا تخبرونا بكل الذي نسألكم عنه، حتى أتينا ابن أخيك جعفرًا فقال لنا كلما قال أبوه قال رسول الله ﷺ وقال تعالى، فتبسّم وقال: أما والله إنّ قلت بذا فإنّ كتب علي صلوات الله عليه عنده (١).

ثم إنّ السيد المكرم - بعد المناقشة في دلالة أو سند الروايات الدائمة ونقدها نقداً علمياً - يقول: «من جميع ما مر فقد تجلّى الحقّ، وانكشف بطلان دعواه الإمامة لنفسه عن جد وعقيدة، وما هي إلاّ أساطير لفقهاء دعاة الباطل للخطّ من كرامة تلك الذات الطاهرة بغضاً وعدواناً، وإن تكن تلك الدعاوى، فإنّما الغرض منها استنقاذه الحقّ من أيدي المتغلبين عليه، ولالة الجور وأرباب الباطل وإعادته

(١) الكشي: الرجال: ترجمة سورة بن كليب برقم ٢٤٠.

إلى أهله كما يفصح عنه قول الصادق عليه السلام: «كان زيد عالماً وصدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه» وهذا من أهم الوسائل إلى استحصال الحق المغصوب، وإعادة سلطان العدل إلى أهله، ولو أعلن الدعوة للإمام الصادق - كما يريده ضعيف النظر، قاصر البصيرة، لرأيت هناك الأضرار البالغة التي تلحق الإمام من أئمة الجور ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ﴾ (١).

(١) السيد المكرم: زيد الشهيد: ٦٣ و ٨٦

الفصل العاشر

موقف أئمة أهل البيت من خروج زيد وجهاده

إنَّ موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من خروج ثائرهم، كان إيجابياً، لا سلبياً وكانوا يرون أنَّ خروجه ونضاله، مطابق للكتاب والسنة، بمعنى أنَّ الخروج حين ذاك لم يكن تكليفاً إلزامياً على الإمام ولا على غيره، ولكنه لو خرج مسلم لإزالة الطغاة عن منصّة الحكم، وتبديد هياكل الفساد والظلم، من دون أن يدعو إلى نفسه، كان على المسلمين عونهُ ومناصرته، وإجابة دعوته.

وكان خروج زيد على هذا الخط الذي رسمناه وهذا ما يستفاد من الروايات المستفيضة، وإليك بعض ما وقفنا عليه:

١- لمّا بلغ قتل زيد إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحاسب عمي إنّه كان نعم العم. إنَّ عمي كان رجلاً لدنياً وآخرتنا، مضى والله عمي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعلي والحسين صلوات الله عليهم» ^(١).

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢٥٢/١ ح ٦، الباب ٢٥.
(١٩٥)

٢- وقال أيضاً في حديث: «إنَّ الباكي على زيد فمعه في الجنَّة، فإِذَا الشامت فشريك في دمه» (١).

٣- وقال الشيخ المفيد: لما قتل زيد بلغ ذلك من أبي عبد الله عليه السلام كل مبلغ، وحزن له حزناً عظيماً حتى بان عليه وفرَّق من ماله في عيال من أُصيب معه من أصحابه ألف دينار. روى ذلك أبو خالد الواسطي قال: سلَّم إليَّ أبو عبد الله عليه السلام ألف دينار أمرني أن أقسمها في عيال من أُصيب مع زيد، فأصاب عيال عبد الله بن الزبير أخي فضيل الرسان أربعة دنانير (٢).

٤- روى ابن سيابة قال: دفع إليَّ أبو عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ألف دينار وأمرني أن أقسمها في عيال من أُصيب مع زيد بن علي عليه السلام فقسمتها فأصاب عبد الله بن الزبير أخا فضيل الرسان أربعة دنانير (٣).

٥- روى الصدوق عن عبد الله بن سيابة أنَّه أتى رسول بسام الصيرفي بكتاب فيه: أمَّا بعد، فإنَّ زيد بن علي قد خرج يوم الأربعاء غرة صفر، ومكث الأربعاء والخميس وقتل يوم الجمعة، وقتل معه فلان وفلان، فدخلنا على الصادق عليه السلام فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه وبكى، ثم قال: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. عند الله أحتسب عمي، إنَّه نعم العم، إنَّ عمي كان رجلاً لديانا وآخرتنا...» إلى آخر ما مر في الحديث الأوَّل (٤).

٦- روى ابن شهر آشوب بلغ الصادق عليه السلام قول الحكيم بن عباس الكلبى:

(١) بحار الأنوار: ١٩٣/٤٦ ح ٦٣.

(٢) المفيد: الإرشاد: ٢٦٩، الباب ١٧٥، حياة الإمام علي بن الحسين، لاحظ الحديث العاشر أيضاً.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٤٩/١، بحار الأنوار: ١٧٠/٤٦.

(٤) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٤٩/١؛ الباب ٢٥.

(١٩٦)

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهة وعثمان خير من علي وأطيب

فرفع الصادق عليه السلام يديه إلى السماء وهما يرعشان. فقال: «اللهم إن كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك»، فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فيبينما هو يدور في سكرها افترسه الأسد واتصل خبره بجعفر عليه السلام، فخر لله ساجداً، ثم قال: «الحمد لله الذي أنجزنا وعده» (١).

٧- روى الصدوق في معاني الأخبار، قال: كنّا عند أبي عبد الله فذكر زيد، ومن خرج معه، فهم بعض أصحاب المجلس أن يتناوله، فانتهره أبو عبد الله، وقال: «مهلاً ليس لكم أن تدخلوا فيما بيننا إلاّ بسبيل خير، إنّه لم تمت نفس منّا إلاّ وتدركه السعادة قبل أن تخرج نفسه ولو بفواق الناقة» قلت: وما فواق الناقة؟ قال: «حلابها» (٢).

٨- روى الحلبي: قال قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنّ آل أبي سفيان: قتلوا الحسين بن علي - صلوات الله عليه - فنزع الله ملكهم، وقتل هشام زيد بن علي فنزع الله ملكه، وقتل الوليد يحيى بن زيد فنزع الله ملكه» (٣).

٩- روى الصدوق بإسناده عن الفضيل بن يسار قال: انتهيت إلى زيد بن علي صبيحة يوم خرج بالكوفة، فسمتعه يقول: من يعينني منكم على قتال أنباط أهل الشام؟ فو الذي بعث محمداً ﷺ بالحقّ بشيراً ونذيراً لا يعينني على قتالهم منكم إلاّ أخذت بيده يوم القيامة، فأدخلته الجنة بإذن الله تعالى، فلمّا قتل عليه السلام اكرتيت راحلة وتوجهت نحو المدينة فدخلت على أبي عبد الله فقلت في نفسي

(١) المناقب: ٣/٣٦٠، بحار الأنوار: ١٩٢/٤٦. (٢) معاني الأخبار: ٣٩٢، بحار الأنوار: ١٧٩/٤٦.

(٣) الصدوق: ثواب الأعمال وعقابها: ١٩٨، بحار الأنوار: ١٨٢/٤٦.

والله لا أخبرته بقتل زيد فيجزع عليه، فلما دخلت عليه قال: «ما فعل بعمي زيد؟!» فخنقتني العبرة، فقال: «قتلوه؟» قلت: أي والله قتلوه، قال: «فصلبوه؟» قلت: أي والله فصلبوه، فأقبل يبكي ودموعه تنحدر من جانب خده كأنها الجمان ثم قال: «يا فضيل شهدت مع عمي زيد قتال أهل الشام؟» قلت: نعم، قال: «فكم قتلتم منهم؟» قلت: ستة، قال: «فلعلك شاك في دمائهم؟» فقلت: لو كنت شاكاً في دمائهم ما قتلتهم، فسمتعه يقول: «أشركني الله في تلك الدماء، مضى والله عمي وأصحابه مثل ماضى عليه علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه» (١).

١٠- وروى الصدوق عن حمزة بن حمران قال: دخلت على الصادق عليه السلام فقال لي: «يا حمزة من أين أقبلت؟» فقلت: من الكوفة، فبكي حتى بلت دموعه لحيته! فقلت له: يا بن رسول الله! مالك أكثر من البكاء؟ فقال: «ذكرت عمي زيد وما صنع به فبكيت» فقلت له: وما الذي ذكرت منه؟ قال: مقتله وقد أصاب جبينه سهم، فجاءه ابنه يحيى فانكب عليه وقال له: أبشر يا أبتاه! فإنك ترد على رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قال: أجل يابني! ثم دعا بحداد فنزع السهم من جبينه، فكانت نفسه معه، فجيء به إلى ساقية تجري عند بستان زائدة، فحفر له فيها ودفن وأجري عليه الماء، وكان معهم غلام سندي لبعضهم، فذهب إلى يوسف بن عمر - لعنه الله - من الغد، فأخبره بدفنهم إيّاه، فأخرجه يوسف وصلبه في الكناسة أربع سنين، ثم أمر به فأحرق بالنار وذري في الرياح، فلعن الله قاتله وخاذله، وإلى الله جل اسمه أشكو ما نزل بنا أهل بيت نبيه بعد موته، وبه نستعين على عدونا وهو خير مستعان (٢).

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٥٣/١.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٢١، المجلس: ٦٢ ح ٣؛ وأمالي الطوسي: ٤٨/٢؛ والمجلسي: البحار: ١٧٢/٤٦.

١١ - قال الصادق عليه السلام لأبي ولاد الكاهلي: «رأيت عمي زيدا؟» قال: نعم رأيته مصلوباً، ورأيت الناس بين شامت وبين محزون محترق، فقال: «أما الباكي فمعه في الجنة وأما الشامت فشريك في دمه» (١).

١٢ - روى الراوندي عن الحسن بن راشد قال: ذكرت زيد بن علي فتنقّصته عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: «لا تفعل، رحم الله عمي أتى أبي، فقال: إنني أريد الخروج على هذا الطاغية. فقال: لا تفعل، فإنني أخاف أن تكون المقتول المصلوب على ظهر الكوفة - إلى أن قال الإمام عليه السلام للحسن: - يا حسن إنا أهل بيت لا يخرج أحدنا من الدنيا حتى يقرّ لكل ذي فضل فضله» (٢).

١٣ - روى الصدوق عن أبي عبدون عن أبيه قال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون، وكان قد خرج بالبصرة، وأحرق دور ولد العباس، ووهب المأمون جرمه لأخيه علي بن موسى الرضا عليه السلام وقال له: لئن خرج أخوك وفعل ما فعل، لقد خرج من قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانتك لقتلته فليس ما أتاه بصغير! فقال عليه السلام له:

«لا تقس أخي زيدا إلى زيد بن علي فإنه كان من علماء آل محمد عليه السلام غضب له، فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد يقول: رحم الله عمي زيدا إنه دعا إلى الرضا من آل محمد ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك، فلما ولي قال جعفر بن محمد عليه السلام: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه».

فقال المأمون: أليس قد جاء في من ادّعى الإمامة بغير حقها ما جاء؟ فقال:

(٢) الخرائج والجرائح: ٢٣٢، البحار: ١٨٥/٤٦.

(١) الأربلي: كشف الغمة: ٤٤٢/٢.

عنه عليه السلام: «إنَّ زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وإنَّه كان أتقى من ذلك، إنَّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد عليه السلام، إنَّما جاء ما جاء في من يدعي أنَّ الله نصَّ عليه، ثم يدعو إلى غير دين الله ويضل عن سبيله بغير علم، وكان زيد بن علي والله ممن خوطب بهذه الآية: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾» (١).

١٤ - روى الشيخ الطوسي عن مهزم بن أبي بردة الأسدي قال: دخلت المدينة حدثان صلب زيد عليه السلام فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فساعة رأيته قال: «يامهزم ما فعل بزید؟» قال: قلت: صلب، قال: «أين؟» قال: قلت: في كناسة بني أسد، قال: «أنت رأيته مصلوباً في كناسة بني أسد؟» قال: قلت: نعم، قال: فبكى حتى بكت النساء خلف الستور ثم قال: «أما والله لقد بقي لهم عنده طلبه ما أخذوها منه بعد» قال فجعلت أفكر وأقول أي شيء طلبتهم بعد القتل والصلب؟ قال: فودعته وانصرفت حتى انتهيت الكناسة، فإذا أنا بجماعة فأشرفت عليهم، فإذا زيد قد أنزلوه من خشبته يريدون أن يحرقوه قال قلت: هذه الطلبة التي قال لي (٢).

١٥ - روى الكليني عن سليمان بن خالد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «كيف صنعتُم بعمي زيد؟» قلت: إنَّهم كانوا يحرسونه فلما شقَّ الناس أخذنا خشبته فدفناه في جرف على شاطئ الفرات فلما أصبحوا جالت الخيل يطلبونه فوجدوه فأحرقوه فقال: «أفلا أوقرتموه حديداً وألقيتموه في الفرات - صلى الله عليه - ولعن قاتله» (٣).

(١) الصدوق: عيون الأخبار: ٢٤٩/١، الباب ٢٥. (٢) الطوسي: الأمالي: ٦٨٢.

(٣) الكليني: الكافي: ١٦١/٨.

١٦ - روى الكليني عن الحسن بن الوشاء عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ أذن في هلاك بني أمية بعد إحراقهم زيداً بسبعة أيام» (١).

١٧ - روى أيضاً عن أبي هاشم الجعفري قال: سألت الرضا عن المصلوب؟ فقال: «أما علمت أنَّ جدي صلَّى على عمه» (٢).

١٨ - روى الكشي في ترجمة السيد الحميري عن فضيل الرسان، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام بعد ما قتل زيد بن علي عليه السلام فادخلت بيتاً في جوف بيت، وقال لي: «يا فضيل، قتل عمي زيد بن علي؟» قلت: نعم جعلت فداك، فقال: «رحمه الله، أما إنَّه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما إنَّه لو ظفر لوفى، أما إنَّه لو ملك لعرف كيف يضعها، قلت: ياسيدي ألا أنشدك شعراً؟ قال: «أمهل» ثم أمر بستور فسدلت، وبأبواب فتحت، ثم قال: «أنشد» فأنشده:

لأُمِّ عمرو باللوى مربع طامسة أعلامها بلقع (٣)

هذه نماذج مما ورد عن أئمة أهل البيت حول جهاد زيد واستشهاده، ولو ضمت إليها ما ورد عنهم من المدائح حال حياته وقبل ميلاده، مما تقدم لما بقي شك في أنَّ ثائر أهل البيت كان رجالاً مثالياً متقياً، عادلاً، مخالفاً لهواه، لايهمه سوى تجسيد الإسلام بين الوري، وتبديد هياكل الظلم والطغيان.

يقول السيد المكرم - بعد نقل الأحاديث المادحة -: «على ضوء هذه

(١) الكليني: الكافي: ١٦١/٨. (٢) الكليني: الكافي: ٢١٥/٣.

(٣) الكشي: الرجال: ٢٤٢ برقم ١٣٣، وذكر قسماً من عينية السيد الحميري المعروفة.

(٢٠١)

الأحاديث الكريمة نعرف من الحقيقة أنصعها ويتجلّى من أعماق الأصداف لؤلؤها، وإنّ تلك الشخصية الشامخة على سبب وثيق من معادن الحقّ، وذات كرامة قدسية تهبط من الملاء الأعلى، وأنّ الأئمة الهداة يتفألون من غرة تلك النهضة الهاشمية أن يعود الحقّ إلى نصابه، وهي القوة التي تتحطم بها هياكل الباطل وتعدّد عليها الآمال، وهي التي أظهرت مظلومية الأئمة، ومثلت للملأ أحقيتهم بالخلافة، من غيرهم ذوي الأطماع وأرباب الشهوات، وانكشف لنا بكل وضوح امتثاله أمر الإمام في نقض دعائم الإلحاد وتبديد جيش الظلم والباطل، وتفريق جماهير الشرك وأحزاب الضلال، وعبدّة المطامع والأهواء، خصوصاً إذا قرأنا قول الباقر عليه السلام: «ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه» وقول الصادق عليه السلام: «إذا دعاكم فأجيبوه وإذا استنصركم فانصروه» وقوله: «أشركني الله في تلك الدماء» وقوله عندما سئل عن مبايعته: «بايعوه» وقوله: «خرج على ما خرج عليه آبؤه» وقوله: «برئ الله ممن تبرأ من عمي زيد». فإنّ هذه الأحاديث تدلنا على أنّه لم يقصد إلاّ إصلاح أئمة جده عليه السلام ولم يدع إلاّ إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة.

وهناك جملة أخرى من الأحاديث حكّت لنا مقياسة الإمام عليه السلام شهادة زيد بالشهداء الذين استشهدوا مع النبي صلى الله عليه وآله وعلي والحسين عليه السلام وقد استشهد هنالك رجال كانت لهم منازل عالية ومقامات رفيعة يغبطهم عليها جميع الشهداء، وقد نال زيد بذلك التشبيه والمقايسة تلك المراتب العاليه وحاز ذلك الشرف الباهر، فحقيق إذاً إذا قال الباقر عليه السلام في دعائه: «اللهم أشدّ أزرى بزيد»، وقال النبي صلى الله عليه وآله: «يأتي زيد وأصحابه يوم القيامة يتخطّون رقاب الناس غُرّاً محجلين يدخلون الجنّة بغير حساب، وكانوا فرحين مسرورين بما أوتي لهم من النعيم الدائم»^(١).

(١) المقدم: زيد الشهيد: ٥٩.

الفصل الحادي عشر

الخط الثوري المدعم من قبل أئمة أهل البيت

كان الإمام الصادق عليه السلام يعيش في جو مفعم بالمراقبة والملاحقة من جانب الحكومة الأموية وكانت عيون النظام ترصده عن كثب وترفع تقارير عن حياته اليومية إلى العاصمة، ولأجل ذلك كان الإمام يتجنب عن التظاهر بأية ثورة ضد النظام إذ نتيجة ذلك هو إلقاء القبض على الإمام، وإنهاء حياته، وإطفاء نور الإمامة والقضاء على الجامعة العلمية التي أسسها الإمام في عاصمة الإسلام وربى في حجره وحضنه مئات المفسرين والمحدثين وقد أعاد بذلك، السنة النبوية والأحكام الشرعية إلى الساحة الإسلامية بعد اندراسها، كما فعل أبوه الإمام الباقر عليه السلام كذلك، وفي القضاء على حياته أو الحيلولة بينه وبين الأمة خسارة كبرى لا تجبر بشهادته.

ومن جانب آخر، كان خروج زيد الثائر مورد الرغبة من الإمام فكيف لا يرضى بذلك وهو يثير المسلمين ضد النظام ويحرضهم على تقويضه وقلبه، وهي خطوة كبرى للمنية العظيمة.

وبملاحظة هذين الأمرين يعلم أنه لم يكن للإمام بد من الإيهام في الكلام بشكل تفهم البطانة موقفه من استشهاده ويتحير الأجانب فيه، وهذا هو السبب لوجود الإيهام والإعجاب في كلامه.

ففي موقف يبكي على عمه ويسيل دموعه على خديه، وتبكي من كانت وراء الستار من الهاشميات، يُعرف عمه شهيداً ويعرف الشهداء في موكبه كالشهداء الذين أراقوا دماءهم مع رسول الله وعلي والحسين عليه السلام وربما يزيد على ذلك ويقول: «إن الباكي على زيد معه في الجنة والشامت له شريك في دمه» إلى غير ذلك من الإطراء والثناء على عمه والذين استشهدوا في طريقه^(١).

وفي موقف آخر يتظاهر بالابتعاد عن خروج زيد واستشهاده، فكل من يرد عليه من الكوفة يسأله عن عمه ويكرر السؤال، وكأنه لم يكن مطلعاً عما جرى عليه من المصائب، كل ذلك كان ضرباً من التدبير للإمام عليه السلام فأبى رضي أولى من دعائه على الحكيم بن عباس الذي أنشأ شعراً في حق زيد، وقال:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

فرفع الصادق عليه السلام يديه إلى السماء وهما ترتعشان، وقال: «اللهم إن كان عبدك كاذباً فسلط عليه كلبك»^(٢).

إن بقاء الإسلام رهن دعامتين:

الأولى: التعليم والتربية وتثقيف الأمة ووعيتها وتعليم الكتاب والسنة وغير ذلك مما يرجع إلى الثقافة الإسلامية العامة.

الثانية: إصلاح المجتمع والحفاظ على البيئة وتفويض الأمر إلى صلحاء

(١) أنظر إلى الروايات الواردة تحت «عنوان موقف الأئمة من استشهاد» في هذا الجزء.

(٢) مضى مصدره في ص ١٩٧، الرواية السادسة، فراجع.

(٢٠٤)

الأئمة الذين عليهم تجسيد الإسلام في الساحة الاجتماعية ولا يتم ذلك إلا بالكفاح ضدّ الظالمين وإبادتهم وتسليم الأمر إلى صلحاء الأئمة.

وكانت المصالح الزمنية تفرض الأمر الأوّل على عاتق الإمام الصادق عليه السلام إذ كان هو عالم الأئمة وراعيها، والواقف بأسرار الكتاب والسنة، ولولاهما لما قامت هذه الدعامة وسقطت يومذاك، وأمّا الدعامة الثانية فكان على عاتق زيد الثائر، والثائرون بعده على خط الإمام زيد كـ يحيى بن زيد، وعيسى بن زيد، والحسين بن زيد، ومحمد بن زيد (دون الحسينيين الذين ثاروا في عصر العباسيين) وكانوا هم القائمون بهذه الفريضة فكيف يمكن للإمام أن يخطئهم من صميم ذاته لذلك يرى أنّه يصف الزيدية، وقاء، ويقول لأصحابه: كفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم فإنّه لا يصبكم أمر تخصون به أبداً ولا تزال الزيدية لكم وقاءً أبداً^(١).

إنّ بعض المتحمسين من الشبان في عصر الإمام الصادق عليه السلام كانوا يفرضون عليه أن يودع زيداً عند الوفود إلى العراق، ويدعو له ويتظاهر بدعم نضاله وجهاده وعندما بلغه استشهاد، يعلن الحداد العام ويجلس في بيته للعزاء وما أشبه ذلك، لكن كانت هذه أفكاراً فوضوية تختمر في صدور أناس لم يكن لهم إمام بالظروف المحدقة بالإمام، فما قام به الإمام من السير بين الخطين كان هو المؤمن لحياته، ونضاله العلمي وخدماته المشكورة ولم يكن القضاء على حياة الإمام الصادق عليه السلام وجامعته العلمية عند الخلفاء أشد من القضاء على حياة زيد الثائر.

وفي نهاية المطاف نقول: لم يكن قيام زيد وخروجه أقل قيمة من خروج المختار الثائر، نرى أنّ الإمام علي بن الحسين وعمه محمد بن الحنفية والهاشميات يخرجون من حدادهم على الإمام الحسين عليه السلام عندما بعث المختار برؤوس

(١) الكليني: الكافي: ٢/باب التقيّة، الحديث ١٣.

الخونة وقتلة الإمام الحسين عليه السلام حتى أن الإمام السجاد عليه السلام يخر ساجداً ويعد عمل المختار مشكوراً، فأين المختار من زيد الثائر وإن كان عمل الجميع مشكوراً.

ومع أن الإمام الصادق عليه السلام قام بمواقف مشكورة في عيال زيد، ومن أصيب معه، ولكن لما كان المتطرفون غير راضين بهذا الحد، وكانوا يطلبون من الإمام نصلاً باهراً مثل زيد، فقاموا بوجه الإمام عليه السلام في مواقف عديدة لم تكن محمودة، ولو نرى في بعض الأحاديث أن الإمام يتبرأ من الزيدية فإنما تبرأ من المتطرفين غير العارفين بالمواقف الصحيحة في تلك الأيام الخطيرة لا من زيد الثائر، ولا المستشهدين بين يديه ولا المقتنين أثره بعد استشهاده، عارفين بواجباتهم وواجبات أئمة أهل البيت، وبذلك تقدر على فهم الروايات الواردة في ذم بعض الزيدية فليس الذم راجعاً إلى زيد الطاهر، ولا إلى المقتنين أثره في ميدان النضال، ولا إلى مجيبيه بل راجع إلى المتطرفين المنتمين إليه، وكان هو - قدس الله سره - بريئاً عنهم. فلنذكر بعضها إيقافاً للقارىء بمفادها:

١ - عن عمر بن يزيد قال: سألته عن الصدقة على النصاب وعلى الزيدية؟ فقال: «لا تصدق عليهم بشيء ولا تسقمهم من استطعت» وقال: «الزيدية هم النصاب» ^(١).

٢ - قد كان من المعروف أن الإمام من كان عنده سلاح رسول الله ومتاعه وكان ذلك كله عند الإمام الصادق عليه السلام كما سنذكر، وقد كان ذلك الأمر ثقیلاً على بعض الزيدية، فكانوا يحتاجون الإمام الصادق عليه السلام وينكرون وجود السلاح ومتاع رسول الله ﷺ عنده ويقولون: إنه عند عبد الله بن الحسن المثنى.

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة: ٦/ كتاب الزكاة، الباب ٥ من أبواب المستحقين، الحديث ٥، لاحظ التهذيب:

روى الكليني عن سعيد السمان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجلان من الزيدية، فقالا له: أفيكم إمام مفترض الطاعة؟ قال: فقال: «لا» ^(١)، قال: فقالا له: قد أخبرنا عنك الثقات إنك تفتي، وتقر وتقول به (بأن فيكم إماماً مفترض الطاعة) ونسميهم لك فلان وفلان وهم أصحاب ورع وتشمير وهم ممن لا يكذب، فغضب أبو عبد الله عليه السلام فقال: «ما أمرتهم بهذا» (بوجود إمام مفترض الطاعة) فلما رأيا الغضب في وجهه خرجا، فقال لي: «أتعرف هذين؟» قلت: نعم هما من أهل سوقنا، وهما من الزيدية، وهما يزعمان أن سيف رسول الله عند عبد الله بن الحسن، فقال: «كذبا لعنهما الله والله ما رآه عبد الله بن الحسن بعينه ولا بواحدة من عينيه ولا رآه أبوه. اللهم إلا أن يكون رآه عند علي بن الحسين عليه السلام...» ^(٢).

تري أن موقف الرجلين أمام الإمام الصادق عليه السلام هو موقف أخذ الإقرار منه بإمامة زيد ومن بعده وتكذيب إمامته وقيادته وأنه ليس عنده سلاح رسول الله ولا متاعه فلم يكن بد من الإمام عليه السلام من التعرض عليهم.

والذي يدل على ذلك ما رواه الكليني عن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين عليه السلام عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما حضر علي بن الحسين الوفاة قبل ذلك أخرج سफطاً أو صندوقاً عنده قال: يا محمد احمل هذا الصندوق. قال: فحمل بين أربعة فلما توفي جاء إخوته يدعون [ما] في الصندوق، فقالوا: أعطنا نصيباً من الصندوق، فقال: والله ما لكم فيه شيء، ولو كان لكم فيه شيء ما دفعه إليّ، فكان في الصندوق سلاح رسول الله وكتبه ^(٣).

(١) قاله عليه السلام تقية أو تورية اتقاء شرهما.

(٢) الكليني: الكافي: ٢٣٢/١ - ٢٣٣، كتاب الحجّة، باب ما عند الأئمة من سلاح رسول الله ومتاعه.

(٣) الكافي: ٣٠٥/١، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر عليه السلام، الحديث ١.

(٢٠٧)

وفي رواية أخرى: التفت علي بن الحسين إلى ولده وهو في الموت وهم مجتمعون عنده، ثم التفت إلى محمد بن علي، فقال: «يا محمد هذا الصندوق، اذهب به إلى بيتك، قال: أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم ولكن كان مملوءاً علماً»^(١).

٣- روى الكليني عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إنّ لي جارين أحدهما ناصب، والآخر زيدي ولا بد من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: «هما سيّان، من كذب بآية من آيات الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره، وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين» قال: ثم قال: «إنّ هذا نصب لكم، وهذا الزيدي نصب لنا»^(٢).

فكما أنّ المتشابه من الآيات تردّ على المحكمات وتستوضح بها، فهكذا الخبر المتشابه يفسر بالمحكم منه، فأين استرحامه لعمه وبكائه عليه، ودعائه على شاعر السوء، من هذه التعرضات والنقاشات، فتحمل الطائفة الثانية، على المتطرفين غير العارفين بمقام الإمام الصادق عليه السلام مضافاً إلى أنّ في مضمونهما من القرائن المثبتة. فلاحظ.

الخط الثوري الثابت لأئمة أهل البيت عليهم السلام:

كان لزيد عند الإمام الصادق عليه السلام، حساب خاص لا يعدل به إلى غيره، ويفضّله على الهاشميين ويتلقاه عالماً صدوقاً، غير متجاوزٍ عن طريق الحقّ وكان يعلن على أصحابه، أنّه لو ظفر لوفى بما نوى ودعا إليه، ولأجل ذلك ليس من البعيد أن يقال إنّ كان مأذوناً من قبل الإمام سرّاً كما نقله شيخنا المجلسي^(٣)

(١) الكليني: الكافي: ٣٠٥/١، كتاب الحجّة، باب الإشارة والنص على أبي جعفر عليه السلام، الحديث ٢.

(٢) الكليني: الكافي: ٢٣٥/٨، برقم ٣١٤. (٣) المجلسي: مرآة العقول: ٢٦١/١.

ويكفي في المقام ما يرويه الكليني: عن عيص بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام: «فانظروا على أي شيء تخرجون ولا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيدا كان عالماً وكان صدوقاً ولم يدعكم إلى نفسه إنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه فالخارج منا اليوم إلى أي شيء يدعوكم، إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام فنحن نشهدكم أنّا لسنا نرضى به وهو يعصينا اليوم» ^(١).

ولم يكن له ذلك الموقف مع الحسنين الذين خرجوا، بعد زيد وابنه يحيى، وصاروا أئمة للزيدية للفرق الواضح بين زيد وابنه، وبين بني عبد الله بن الحسن، أعني:

١ - محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالنفس الزكية خرج بالمدينة لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة من سنة خمسة وأربعين ومائة وقتل في شهر رمضان تلك السنة قتله أبو جعفر المنصور.

٢ - إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، خرج بالبصرة وقتل هناك في نفس السنة التي قتل فيها أخوه محمد بن عبد الله، وأخذ رأسه وحمل إلى أبي جعفر المنصور ودفن بباخمري. وسيوافيك ترجمتهم في القسم الثاني من الكتاب.

والذي يعرب عن ذلك ما رواه أبو الفرج في كتابه عن عبد الله بن محمد بن علي، قال: إنّ جماعة من بني هاشم اجتمعوا بالأبواء وفيهم:

١ - إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

٢ - وأبو جعفر المنصور.

(١) الكليني: الكافي: ٢٦٤/٨، برقم ٣٨١.

٣- وصالح بن علي.

٤- وعبد الله^(١) بن الحسن بن الحسن بن علي.

٥- ومحمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي.

٦- وإبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي.

٧- ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان.

فقال صالح بن علي: قد علمتم أنكم الذين تمد الناس أعينهم إليهم، وقد جمعكم الله في هذا الموضع، فاعقدوا بيعة لرجل منكم، تعطونه إياها من أنفسكم وتوافقوا على ذلك، حتى يفتح الله وهو خير الفاتحين.

فحمد الله عبد الله بن الحسن وأثنى عليه ثم قال: قد علمتم أن ابني هذا هو المهدي فهلم لنبايعه.

وقال أبو جعفر: لأي شيء تخذعون أنفسكم، والله لقد علمتم ما الناس إلى أحدٍ أصور^(٢) أعناقاً، ولا أسرع إجابة منهم إلى هذا الفتى، يريد به محمد بن عبد الله^(٣)، قالوا: قد والله صدقت، إن هذا الذي نعلم، فبايعوا محمداً جميعاً ومسحوا على يده.

قال عيسى^(٤): وجاء رسول عبد الله بن الحسن إلى أبي: أن أئتنا، فإننا مجتمعون لأمر، وأرسل بذلك إلى جعفر بن محمد^(٥).

وقال غير عيسى: إن عبد الله بن الحسن قال لمن حضر: لا تريدوا جعفرًا فإننا

(١) وعبد الله بن الحسن كان أكبر سنًا من الإمام الصادق^(عليه السلام) وكان من مواليد عام سبعين من الهجرة.

(٢) أصور: بمعنى (أميل) كما في مكان آخر من مقاتل الطالبين ص ٢٥٧ وفي الإرشاد (أطول).

(٣) أنظر إلى هذا الخداع السياسي والنفاق المبطن فيصوره المنصور في هذا المجلس بما سمعت، ثم بعد تصدّره

منصبه الحكم يقتله. (٤) عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي.

(٢١٠)

نخاف أن يفسد عليكم أمركم.

قال عيسى بن عبد الله بن محمد: فأرسلني أبي أنظر ما اجتمعوا له؟ فجئتهم فإذا بمحمد بن عبد الله يصلي على طنفسة رجل مثنية فقلت لهم: أرسلني أبي إليكم أسألكم لأي شيء اجتمعتم؟ فقال عبد الله: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد ابن عبد الله.

قال: وجاء جعفر بن محمد عليه السلام، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فتكلم بمثل كلامه. فقال جعفر عليه السلام: «لا تفعلوا فإن هذا الأمر لم يأت بعد، إن كنت ترى - يعني عبد الله - أن ابنك هذا هو المهدي فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فإننا والله لاندعك وأنت شيخنا ونبايع ابنك في هذا الأمر» ^(١).

فغضب عبد الله بن الحسن، وقال: لقد علمتُ خلاف ما تقول، والله ما أطلعك على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

فقال: «والله ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبنائهم دونكم» وضرب بيده على ظهر أبي العباس ^(٢)، ثم ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن، وقال: «إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك، ولكنها لهم، وإن ابنك لمقتولان». ثم نهض فتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال: رأيت صاحب الرداء الأصفر - يعني أبا جعفر -؟ فقال له: نعم، قال: قال: «إننا والله نجده يقتله» قال له عبد العزيز: أيقول محمدًا؟ قال: «نعم»، فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة، ثم قال: والله ما خرجت من الدنيا حتى رأيته قتلها.

(١) بما أنه أمير الجهاد، لا إمام الفقه والاجتهاد ولا الإمام المفترض الطاعة.

(٢) إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس.

قال: فلما قال جعفر عليه السلام ذلك ونهض القوم وافترقوا، تبعه عبد الصمد وأبو جعفر فقالا: يا أبا عبد الله أتقول هذا؟ قال: «نعم أقوله والله وأعلمه»^(١).

قال أبو الفرج: وحدثني علي بن العباس المقانعي قال: أخبرنا بكار بن أحمد قال: حدثنا الحسن بن الحسين، عن عنبسة بن نجاد العابد قال: كان جعفر بن محمد عليه السلام إذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه ثم يقول: «بنفسي هو، إنَّ الناس ليقولون فيه، وإنَّه لمقتول، ليس هو في كتاب علي عليه السلام من خلفاء هذه الأمة»^(٢).

والإمعان في هذه الرواية يعرب عن أمرين:

الأول: أنَّ محمد بن عبد الله اتخذ موقفاً غير موقف زيد بن علي، حيث إنَّ عبد الله بن الحسن يريد أن يصف، ابنه بأنه هو المهدي الموعود كما قال: اجتمعنا لنبايع المهدي محمد بن عبد الله ولم يرده ابنه وكأنه قبله.

فيردعه الإمام بقوله: «إنَّ ابنك هذا ليس هو المهدي ولا أخاه».

ولكنه رافقهم إذا خرجوا مثلما خرج زيد وقال مخاطباً أباه: «وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنَّ الله لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك في هذا الأمر».

ولما كان كلام الإمام مخالفاً لما يهواه عبد الله غضب عليه وقال: والله ما أطلعك على غيبه ولكن يحملك على هذا الحسد لابني.

ورغم هذا الموقف الجافي كيف يمكن للإمام عليه السلام أن يرافقهم،

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٢٠٦.

(٢) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٢٠٨، الإرشاد: ٢٩٤.

ويؤيدهم، ويساندهم، ولكنّه في نهاية المجلس تنبأ بما وجده في الكتب الموروثة، أنّ محمد بن عبد الله وأخاه يقتلان ويكون الرابع هو أبو جعفر المنصور صاحب الرداء الأصفر، وقد وقع ما وقع، ورآه الناس حسب ما أخبر به الإمام.

وبذلك يعرف مفاد الأحاديث التي ترفض عمل الزيدية في العصور اللاحقة لحركة زيد فلا يرفض زيدا، ولا ابنه يحيى ولا ثورته ونضاله، وإنما يرفض أتباعه في العصور بعد استشهاده حيث كانوا يعاندون أئمة أهل البيت عليهم السلام ونذكر منها ما يلي:

١ - روى الشيخ الطوسي عن عبد الملك أنّه قال لأبي عبد الله: قلت: فإنّ الزيدية تقول ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلاّ أنّه لا يرى الجهاد، فقال: «إنّي لا أرى!! بلى والله إنّي لا أراه ولكنّي أكره أن أدع علمي إلى جهلهم»^(١).

٢ - روى الكليني عن عبد الملك بن أعين قال لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ الزيدية والمعتزلة قد أطافوا بمحمد بن عبد الله^(٢) فهل له سلطان؟ فقال: «والله إنّ عندي لكتابين فيهما تسمية كل نبي وملك يملك الأرض لا والله ما محمد بن عبد الله في واحد منهما»^(٣) وبذلك يعلم مفاد سائر الأحاديث^(٤) فلاحظ.

وحصيلة البحث أنّ الخط الرائج لأئمة أهل البيت عليهم السلام بالنسبة للثورات والانتفاضات التي تحققت على يد الحسينيين والحسينيين إنّما كان هو خط العدل والاقتصاد.

(١) الكليني: الكافي: ١٩/٥، باب من يجب عليه الجهاد: الحديث ١، ٢.

(٢) محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي الملقب بالنفس الزكية من أئمة الزيدية.

(٣) الكليني: الكافي: ٢٤٢/١ باب ذكر الصحيفة، رقم ٧.

(٤) لاحظ الكافي: ٣٧٦/٧، كتاب الديات باب فيما فيه نصاب من البهائم، الحديث ١٧.

فلو كان الحافز عند الثائر هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإنكار على الظلم والعدوان، وتخليص المجتمع الإسلامي من الفساد والدمار فالإمام الصادق عليه السلام ومن بعده كانوا يؤيدون ذلك العمل، ويكون الثائر حينئذ مأذوناً من قبل الإمام وتأخذ الثورة لنفسها صفة المشروعية.

وأما إذا كان الحافز عند الثائر إلى الثورة هو دعوة الناس إلى إمامة نفسه، وادّعاء الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه - والعياذ بالله - المهدي الموعود فلا يكون هناك أي مبرر لموافقتهم ومساندتهم.

الفصل الثاني عشر

موقف علماء الشيعة من جلالة ووثاقة زيد الشهيد

إنّ موقف علماء الشيعة الإمامية نفس موقف النبي وعترته الطاهرة عليهم السلام وإن كنت في شك من ذلك فاقراً كلماتهم في حقه:

١ - قال المفيد: كان عين إخوته بعد أبي جعفر عليه السلام وأفضلهم، وكان ورعاً، عابداً فقيهاً، سخيّاً، شجاعاً، وظهر بالسيف يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام ^(١).

٢ - وقال النسابة أبو الحسن علي بن محمد العمري: كان زيد أحد سادات بني هاشم فضلاً وفهماً خرج أيام هشام الأحول ابن عبد الله ^(٢) فقتل وصلب ست سنين، وقيل أُحرق وذري في الفرات - لعن الله ظالميه - ^(٣).

٣ - وقال الطبرسي: إنّ زيدا كان من علماء آل محمد، غضب لله فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله ^(٤).

(١) الإرشاد: ٢٦٨، ط النجف.

(٢) والظاهر عبد الملك.

(٣) المجدي في الأنساب: ١٥٦/١.

(٤) أنظر: رياض العلماء: ٣٣٨/٢.

٤- وقال ابن داود: زيد بن علي بن الحسين قتل سنة إحدى وعشرين ومائة، وله اثنتان وأربعون سنة شهد له الصادق عليه السلام بالوفاء وترحم له (١).

٥- قال الشهيد الأول في القواعد: وجاز أن يكون خروجهم بإذن إمام واجب الطاعة كخروج زيد بن علي عليه السلام وغيره من بني علي عليه السلام (٢).

٦- قال الشيخ عبد الله الأفندي التبريزي: السيد الجليل الشهيد أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين، إمام الزيدية وكان سيداً كبيراً عظيماً في أهله وعند شيعة أبيه، ولكن اختلفت الأخبار وتعارضت الآثار بل كلام العلماء الأخير أيضاً في مدحه وقدره، والروايات في فضله كثيرة، وقد ألف جماعة من متأخري علماء الشيعة ومتقدميهم كتباً عديدة مقصورة على ذكر فضائله كما يظهر من مطاوي كتب الرجال ومن غيرها أيضاً.

ومن المتأخرين ميرزا محمد الاسترآبادي فله رسالة في أحوال زيد بن علي. هذا وأورد فيه كلام المفيد في الإرشاد بتمامه، ونقل فيها أيضاً ما رواه الطبرسي في أعلام الوري، وما رواه ابن طاووس في ربيع الشيعة ونحوهما، وبالجملة فقد أورد فيها روايات كثيرة في مدحه.

قال بعض أفاضل السادات المعاصرين ضوعف قدره في أوائل شرح الصحيفة: هو أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام أمه أم ولد كان جم الفضائل عظيم المناقب، وكان يقال له: حليف القرآن. روى أبو نصر البخاري عن أبي الجارود، قال: قدمت المدينة، فجعلت كلما سألت عن زيد بن علي. قيل لي: ذلك حليف القرآن. ذاك أسطوانة المسجد من كثرة صلاته.

(١) ابن داود: الرجال: ١٠/١ (ذكره في القسم الأول الذي خصّه بالموثوقين بخلاف القسم الثاني فقد خصّه بالمجروحين والمهملين). (٢) القواعد: ٢٠٧/٢ (ضمن القاعدة: ٢٢١).

وقال الشيخ بهاء الدين العاملي في آخر رسالته المعمولة في إثبات وجود القائم عليه السلام: «الآن أيضاً إنّا معشر الإمامية لا نقول في زيداً عليه السلام إلاّ خيراً وكان جعفر الصادق عليه السلام قد قال لأصحابه: «إنّ زيداً يتخطى يوم القيامة أهل المحشر حتى يدخل الجنة» والروايات عن أئمتنا في هذا المعنى كثيرة^(١).
٧- قال الكاظمي: اتفق علماء الإسلام على جلالته وثقته وورعه وعلمه وفضله، وقد روي في ذلك أخبار كثيرة حتى عقد ابن بابويه في العيون باباً لذلك^(٢).

٨- قال المحدث النوري: وأمّا زيد بن علي فهو عندنا جليل القدر عظيم الشأن، كبير المنزلة، وما ورد مما يوهّم خلاف ذلك مطروح أو محمول على التقية^(٣).

٩- قال المحقق المامقاني: إنّي أعتبر زيداً ثقة وأخباره صحاحاً اصطلاحاً بعد كون خروجه بإذن الصادق عليه السلام لمقصد عقلائي عظيم وهو مطالبة حقّ الإمامة إتماماً للحجّة وقطعاً لعذرهم بعدم مطالب له وقول جمع فيه بالإمامة بتسويل الشيطان مع نفيه إياها من نفسه، وإثباته إياها لابن أخيه الصادق لا يزري فيه كعدم إزراء نسبة القائلين بإمامته إليه أحكاماً فقهية مخالفة للحق^(٤).

١٠- وقال المحقق الخوئي: وقد استفاضت الروايات غير ما ذكرناه في مدح زيد وجلالته وأنه طلب بخروجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - إلى أن قال: - وإنّ استفاضة الروايات أغنتنا عن النظر في أسنادها^(٥).

(١) رياض العلماء وحياض الفضلاء: ٣١٨/٢، وقد ترجم زيد بن علي ترجمة وافية، طالع هذا الجزء ص ٣١٨ -

٣٥٢. (٢) راجع تكملة الرجال: ٣٥٢، تنقيح المقال: ٤٦٧/١.

(٣) المستدرک: ٥٩٩/٣. (٤) تنقيح المقال: ٤٦٩/١، ٤٧٠.

(٥) معجم رجال الحديث: ٣٤٧/٧ - ٣٤٩.

ثم إنّه أفرد غير واحد من أعلام الإمامية تأليفاً في زيد وفضله ومآثره، فمنهم:

- ١- إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي (م ٢٨٣هـ) له كتاب أخبار زيد.
- ٢- محمد بن زكريا مولى بني غلاب (م ٢٩٨هـ) له أخبار زيد.
- ٣- عبد العزيز بن يحيى الجلودي (م ٣٦٨هـ) له أخبار زيد.
- ٤- محمد بن عبد الله الشيباني (م ٣٧٢هـ) له كتاب فضائل زيد.
- ٥- الشيخ الصدوق أبو جعفر القمي (م ٣٨١هـ) له كتاب في أخباره.
- ٦- ميرزا محمد الاستربادي صاحب الرجال الكبير (م ١٠٢٨هـ) له رسالة في أحوال زيد.
- ٧- السيد محسن الأمين العاملي أحد كبار علماء الإمامية في القرن الرابع عشر (م ١٣٧٣هـ) له كتاب أبو الحسين زيد الشهيد وقد طبع في الشام.

٨- السيد عبد الرزاق الموسوي المكرم، له كتاب زيد الشهيد وفي ذيله كتاب تنزيه المختار، وقد طبع عام ١٣٥٥هـ.

هذه كلمات علماء الشيعة الإمامية في حق زيد وليس هناك من الشيعة الإمامية من يبغضه أو يذمه ولو ورد فيه روايات ذم فإنما هي مطروحة أو مؤولة لاتعادل ماتواترت عليه من الروايات الدالة على وثاقته، وجلالة قدره فمن أراد رمي الشيعة الإمامية بغير هذا فهو كذاب يُعدُّ من رماة القول على عواهنه.

نعم بعدما خرج زيد، وجاهد وناضل وقتل وصلب وأُحرق اتّخذته أعداء الشيعة ذريعة للطعن على إمام الوقت جعفر الصادق (عليه السلام) وتوهم بعض الشيعة أنّ الإمام من قام ونهض وجاهد، دون غيره وهذا لا صلة له بزيد الثائر.

وبذلك تقف على قيمة كلام رجلين يُعدّان من رماة القول على عواهنه:

أحدهما: أحمد بن تيمية في كتاب «منهاج السنة».

ثانيهما: الألوسي البغدادي.

قال ابن تيمية: إنّ الرافضة رفضوا زيد بن علي بن الحسين ومن والاه، وشهدوا عليه بالكفر والفسوق^(١).

وقال الآلوسي: الرافضة مثلهم كمثل اليهود، الرافضة يبغضون كثيراً من أولاد فاطمة - رضي الله عنها - بل يسبونهم كزيد بن علي^(٢).

أقول: إنّ الرافضة - حسب تسمية الآلوسي - يقتفون أثر أئمتهم في كل صغيرة وكبيرة، فإذا كان هذا موقف أئمتهم فكيف يمكن للشيعة التخطي عنه، والعجب أنّ الكاتبين كتبوا ما كتبوا ولم يرجعوا إلى معاجم الرجال للشيعة وقد أطبقت معاجمهم على تزكيتهم وترفع مقامه وتبجيله بكل كلمة.

بين أباة الضيم وحماة الذل :

لم أجد أحداً ممن كتب عن زيد، وكفاحه وجهاده الرسالي الذي عرف به، من القدامى والجدد من يغمطه حقه ويزدري به، ويتكلم فيه بهمز أو لمز، غير الكاتب السلفي: الشيخ شمس الدين الذهبي، ومع أنّه يصف زيدا بأنه كان أحد العلماء والصلحاء، لكنّه يصف جهاده سقطه وزلة يقول في موضع من كتبه: «بدت منه هفوة فاستشهد، فكانت سبباً لرفع درجته في آخرته»^(٣) وفي كتاب آخر: «خرج متأولاً، قتل شهيداً وليته لم يخرج»^(٤).

(٢) السنة والشيعة: ٥٢.

(١) ابن تيمية: منهاج السنة: ١٢٦/٢.

(٣) تاريخ الإسلام: حوادث (١٢١ - ١٤١هـ) ص ١٠٥. انظر إلى التناقض في كلامه إذ لو كان خروجه زلة فكيف صار

(٤) سير أعلام النبلاء: ٣٩١/٥.

سبباً لرفع درجته في الآخرة.

(٢١٩)

أقول: ما ذكره شنشنة أعرفها من كل سلفي يرى الجهاد والكفاح على الظلم والعدوان، أمراً محرّماً، والحياة مع الظالمين ومهادنتهم أمراً مشروعاً وسعادة، فهم حماة الذلّ، ودعاة الهوان، وأين هم من أباة الظلم والضييم.

ومن أصول الطائفة الأولى: الصبر تحت لواء السلطان على ما كان منهم، من عدل أو جور، ولا يخرج عليهم بالسيف وإن جاروا^(١) وما ذكره على طرف الخلاف مع ما حدّثه السبط الشهيد عن جده رسول الله ﷺ وذلك عندما اقترب من الكوفة استقبله الحر بن يزيد الرياحي بألف فارس مبعوثاً من الوالي عبيد الله ابن زياد لإكراه الحسين على إعطاء البيعة ليزيد، وإرساله قهراً إلى الكوفة، فعند ذلك قام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحرّ بقوله: أيّها الناس إنّ رسول الله ﷺ قال: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً حُرّم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله، وحزّموا حلاله...»^(٢).

كيف يكون جهاده هفوة، مع أنّ الرسول الأعظم تنبأ به وأثنى عليه عندما نظر يوماً إلى زيد بن حارثة وبكى وقال: المظلوم من أهل بيتي، سمّي هذا، المقتول في الله، المصلوب من أمتي سمّي هذا، ثم قال: ادنُ منّي يا زيد - زادك الله حباً عندي - يأنك سمّي الحبيب من ولدي^(٣). وقد بكى الوصي وأبكى، أفصح العزاء والبكاء على السقطة والزلة.

(١) أبو الحسين الملقب: التنبيه والرد: ١٥. (٢) الطبري: التاريخ: ٣٠٤/٤.

(٣) أخرجه السيوطي في الجامع الكبير كما في الروض النضير: ١٠٨/١.

(٢٢٠)

وما أحسن قول أخي الأوس لابن عمه وهو يريد نصرة رسول الله فخوفه ابن عمه وقال: أين تذهب فإنك مقتول؟ فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى	إذا مانوى حقاً وجاهد مسلماً
و واسى الرجال الصالحين بنفسه	وفارق مشوراً وخالف مجرماً
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم	كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً ^(١)

ما عشت أراك الدهر عجباً:

لا أظن من قرأ صحائف حياة الملك الأموي «هشام بن عبد الملك» يشك في أنه كان دموياً سفاكاً، لا يرى لدم الإنسان أية قيمة إذا ظنّ ولو واحداً بالمائة، إنه يريد خلافه، وقتل زيد وصلبه وإبقاء جثمانه الطاهر على الخشبة أربع أو ست سنوات، ثم حرقه ونسفه وذروه في الرياح والمياه، دليل واضح على أنّ الرجل بلغ في القسوة غايتها.

ومع ذلك كله ترى أنّ ابن سعد جاء في الطبقات ما يضيق به الإنسان ذرعاً يقول: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا سحبل بن محمد قال: ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشدّ عليه من هشام بن عبد الملك وقد دخله من مقتل زيد بن علي ويحيى بن زيد أمر شديد وقال: وددت أنّي كنت افتديتهما.

ثم ينقل عن أبي الزناد: ما كان فيهم أحد أكره إليه الدماء من هشام بن عبد الملك ولقد ثقل عليه خروج زيد بن علي، فما كان شيء حتى أتى برأسه، وصلب بدنه بالكوفة. ولي ذلك يوسف بن عمر في خلافة هشام بن عبد الملك^(٢).

أقول: نعم ولي ذلك يوسف بن عمر لكن بأمر منه حتى أنّ عامله في

(١) المفيد: الإرشاد: ٢٢٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ٣٢٦/٥.

الكوفة والحيرة كان غافلاً عما يجري فيها من وثوب الناس على زيد ومبايعتهم له، إلى أن كشف عنه هشام، وأمره بما أمره.

روى أبو الفرج قال: لما قتل زيد رثاه الكميّ بقصيدة هجا فيها بني أمية يقول فيها:

فيا رب هل إلّا بك النصر يُبتغى ويارب هل إلّا عليك المعول

وهي طويلة يرثي فيها زيد بن علي، والحسين بن زيد ويمدح بني هاشم فلما قرأها هشام بن عبد الملك أكبرها وعظمت عليه واستنكرها وكتب إلى خالد يُقسم عليه أن يقطع لسان الكميّ ويده، فلم يشعر الكميّ إلّا والخيّل محدقة بداره فأخذ وحبس في المخيِّس... (١).

يقول ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة ١٢٥:

وفيهما مات في ربيع الآخر، الخليفة أبو الوليد هشام بن عبد الملك الأموي، وكانت خلافته عشرين سنة إلّا شهراً، وكانت داره عند الخواصين بدمشق فعمل منها السلطان نور الدين مدرسة، وكان ذا رأي وحزم وحلم وجمع للمال. عاش أربعاً وخمسين سنة، وكان أبيض سميناً أحول، سديداً حسن الكلام، شكس الأخلاق، شديد الجمع للمال قليل البذل، وكان حازماً متيقظاً لا يغيب عنه شيء من أمر ملكه، قال المسعودي: كان هشام أحول، فظاً، غليظاً، يجمع الأموال ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبة. اجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس، وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل واستجاد الكساء والفرش وعدد الحرب، ولا متها، واصطنع الرجال، وقوى الثغور واتخذ القنى، والبرك بمكة وغير ذلك من الآبار التي أتى عليها داود بن علي في صدر الدولة العباسية، وفي أيامه عمل الحرز فسلک الناس جميعاً في أيامه مذهبه، ومنعوا ما في أيديهم فقلّ الإفضال وانقطع

(١) الأغاني: ٤/١٧.

الرغد ولم ير زمان أصعب من زمانه.

ودخل هشام بستاناً له ومعه ندماء فطافوا به وفيه من كل الثمار، فجعلوا يأكلون ويقولون: بارك الله لأُمير المؤمنين فقال: وكيف يبارك لي فيه وأنتم تأكلونه ثم قال: أدع قيمه فدُعي به فقال له: ألق شجره واغرس فيه زيتوناً حتى لا يأكل أحد منه شيئاً، وكان أخوه مسلمة مازحه قبل أن يلي الأمر فقال له: ياهشام أتؤمل الخلافة وأنت جبان بخيل قال: أي والله العليم الحليم.

ومن نوادره ما روي أنه تمادى في الصيد فوقع على غلام فأمر ببعض الأُمراء!! فأبى الغلام وأغلظ له في القول وقال له: لا قرب الله دارك ولا حياً مزارك - في قصة طويلة فيها - أنه أمر بقتله وقرب له نطح الدم فأنشأ الغلام يقول:

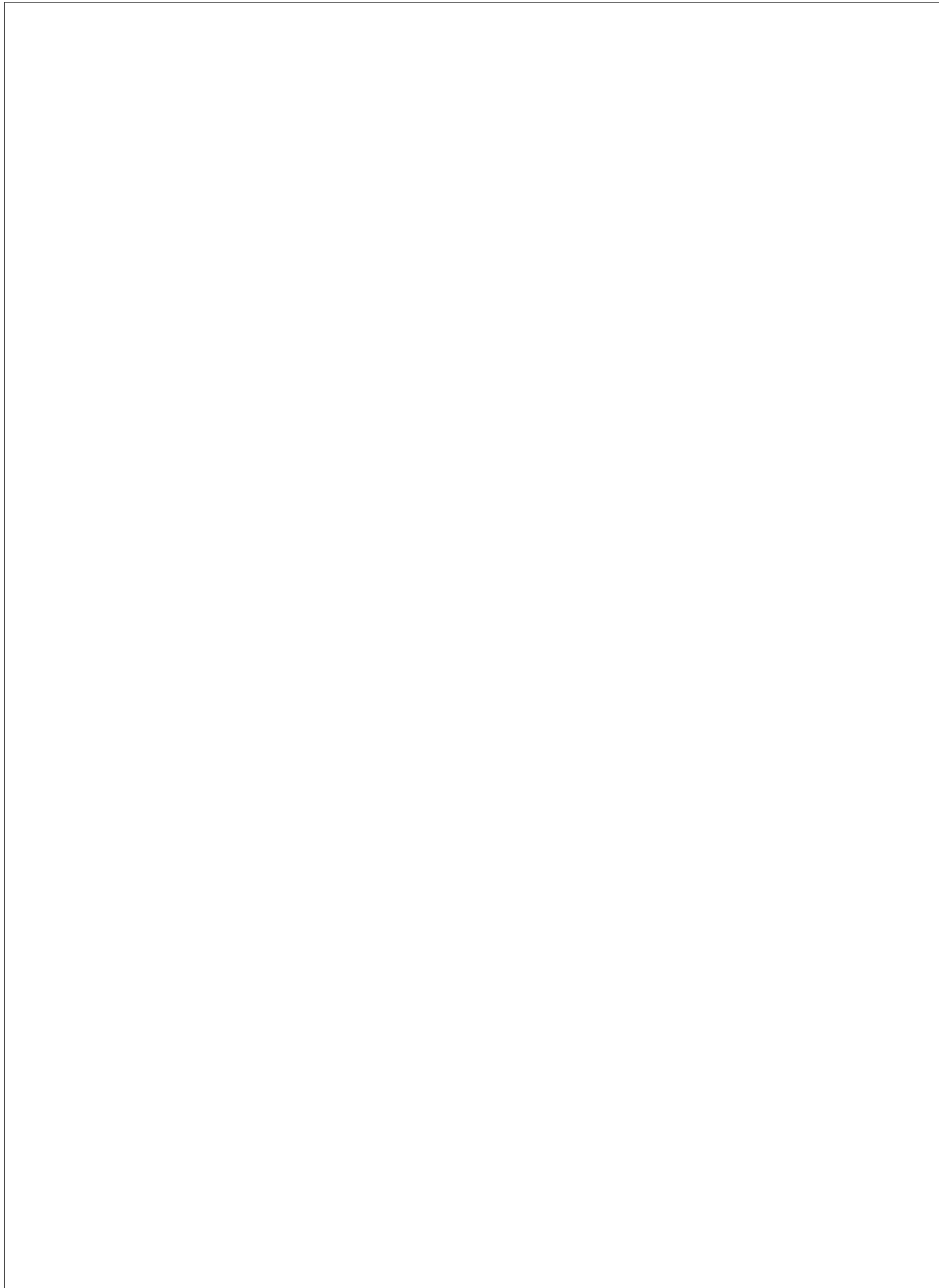
نبت أن الباز علق مرة	عصفور برّ ساقه المقدور
فتكلم العصفور في أظفاره	والباز منهمك عليه يطير
ما في ما يغني لبطنك شبة	ولئن أكلت فإنني لحقير
فتعجب الباز المدل بنفسه	عجباً وأفلت ذلك العصفور

فضحك هشام وقال: يا غلام أحش فاه درأ وجواهر (١).

أقول: إذا كان هذا أكره الخلفاء للدماء وأشدّهم عليه فمن هو أحرصهم عليها وعلى إراقته، وكأني بشاعر المعرة يخاطب ابن سعد صاحب الطبقات ومن لفّ لقه ويقول:

إذا وصف الطائي بالبخل مادر	وعير قساً بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس أنت خفية	وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض، السماء ترفعاً	وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زُر إن الحياة ذميمة	ويانفس جدي، إن دهرك هازلا

(١) عماد الدين الحنبلي: شذرات الذهب: ١٦٢ - ١٦٤.



الفصل الثالث عشر

الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين

عليه السلام

- ١ - ثورة أهل المدينة ومأساة الحرة.
- ٢ - ثورة عبد الله بن الزبير في مكة المكرمة أيام خلافة يزيد وبعدها.
- ٣ - ثورة التوابين المستميتين في الكوفة.
- ٤ - ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي.
- ٥ - ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أيام عبد الملك.

أُباة الضيم وأخبارهم

قال ابن أبي الحديد:

سيد أهل الإباء الذي علّم الناس الحميّة والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنيّة، أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام عُرِضَ عليه الأمان، فأَنَفَ من الذلّ، وخاف من ابن زياد أن يَنالَه بنوعٍ من الهوان؛ إن لم يقتله، فاختار الموت على ذلك ^(١).

الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين عليه السلام :

أرى أنّ اللازم قبل كل شيء تبين جذور ثورة الإمام زيد، وما دفعه إلى الخروج وهل كان هناك حافز نفساني دفعه إلى القيام واكتساح الأشواك عن طريق الخلافة التي كان يتبناها، أو كان هناك دافع خارجي يحضّه ويشوّقه إلى قبض الخلافة والزعامة، أو لا هذا ولا ذاك بل كان مستلهماً من ثورة جده الإمام الحسين عليه السلام وكانت ثورته استمراراً لثورته، تلك الثورة التي أُنارة الدرب لكل من يطلب الحقّ ويضحّي في سبيله.

إنّ ثورة الحسين عليه السلام منذ تفجرها صارت أسوة وقدوة للمضطهدين على وجه البسيطة، والمعذبين تحت نير الطغاة، وعلى المعانين من حكومات الجور والتعسف في الأوساط الإسلامية وانحراف الدول والحكومات عن خط العدل والاقتصاد.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٩/٣.

وقد لمس الثائرون أنَّ ثورة الحسين عليه السلام كانت ثورة مبدئية إلهية، لأجل صيانة الدين عن التحريف والمجتمع عن الانحراف والاعتساف، فلأجل إيقاف القارئ على مبادئ ثورته وغاياتها نذكر الحافز أو الحوافز التي دفعت الإمام الحسين عليه السلام إلى الثورة والتضحية بشيخه، وكهله، وطفله الرضيع، حتى يتبين عمق الثورة وملاحمها وآثارها. سلام الله عليه وعلى الثائرين المتأثرين التابعين لخطه.

الخصومة بين الحسين عليه السلام والحاكم الأموي كانت مبدئية :

كانت الخصومة بين الهاشميين والأمويين قائمة على قدم وساق منذ عصور قبل الإسلام، وكانت الخصومة عند ذاك تتسم بالقبلية وإن كان العداء السائد يتغذى من أمور تمت إلى المعنوية والمثالية بصلة، حيث إنَّ الهاشمي كان عنوان الفضل والفضيلة ومثالاً للتقى على عكس ما كان أمية وبنوه عليه، فكانوا منغمرين في الانهيار الخلقي، والانكباب على المادة والماديات وقد أَلَّف المؤرخ الشهير المقرئ كتاباً خاصاً أسماه بـ «النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم» نكتطف شيئاً قليلاً منه، حتى يتبين أنَّ التخاصم في ذلك العصر وإن كان متسماً بالنزاع القبلي ولكنه كان مبنياً على تمتع بني هاشم بنفسيات كريمة وروحيات طيبة حيث كانوا رافلين في حلل الفضائل والفواضل على جانب الخلاف مما كانت عليه بنو أمية.

مناشدة هاشم وأمية :

نافر أمية هاشماً على خمسين ناقة سود الحديق، تنحر بمكة وعلى جلاء عشر سنين وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي جد عمرو بن الحمق وكان منزله بعسفان وخرج مع أمية أبو همهمة حبيب بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهر

ابن مالك الفهري، فقال الكاهن: «والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر أول منه وآخر، وأبو همهمة بذلك خابر».

فأخذ هاشم الإبل فتحرها وأطعم لحمها من حضر، وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين فكان هذا أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبني أمية، ولم يكن أمية في نفسه هناك وإنما يرفعه أبوه وبنوه وكان مضعوفاً وكان صاحب عهار، ويدل على ذلك قول نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أمية وعبد المطلب بن هاشم فنفر عبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال:

أبوك معاهر وأبوه عفّ وذاد الفيل عن بلد حرام

وذلك أن أمية كان يعرض لامرأة من بني زهرة، فضربه رجل منهم، ضربة بالسيف وأراد بنو أمية ومن تابعهم إخراج زهرة من مكة فقام دونهم قيس بن العدي السهمي وكانوا أخواله... (١).

جاء نبي الإسلام بدين سمح قد شطب على جميع ما كان في الجاهلية من أحقاد وضغائن، وقال في خطبة حجة الوداع: ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع» (٢).

وبعد حروب ومعارك دامية قتلت فيها أبطال قريش وصناديدهم، كما استشهد لفيف من المهاجرين والأنصار، دخل بنو أمية في حظيرة الإسلام متظاهرين به ولكن مبطنين الكفر والنفاق شأن كل حزب منهزم أمام تيار جارف، فكانوا ينتهزون الفرص ليقضوا على الإسلام باسم الإسلام، وعلى العدل والتقوى

(١) النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم: ٢٠ - ٢١.

(٢) الصدوق: الخصال: ٤٨٧.

باسم الخلافة عن رسول الله وقد ظهرت بوادر ذلك في مجلس الخليفة عثمان بن عفان عندما بويج من جانب شوري سداسية أشبه بمسرحية سياسية حيث دخل عثمان بيته ومعه بنو أمية، جالسين حوله، يتبحرون بإناخة جمل الخلافة على بابهم، وقد تلقاها رئيس القبيلة أبو سفيان إنَّها إمرة سياسية أو سلطة بشرية وصلت إليهم، وإنَّه كان كذلك في عصر الخلفتين السابقين وحتى الرسول الأكرم وإنَّه لم تكن هناك أية إمرة إلهية وخلافة دينية وليس هناك جنة ولا نار.

يقول أبو بكر الجوهري: إنَّ أبا سفيان، قال لما بويج عثمان: كان هذا الأمر في تيم، وأنِّي لتييم هذا الأمر. ثم صار إلى عدي فأبعد وأبعد، ثم رجعت إلى منازلها، واستقر الأمر قراره، فتلقفوها تلقف الكرة.

وقال أيضاً: إنَّ أبا سفيان قال لعثمان: بأبي أنت. أنفق ولا تكن كأبي حجر، وتداولوها يابني أمية تداول الولدان الكرة، فوالله ما من جنة ولا نار، وكان الزبير حاضراً، فقال عثمان لأبي سفيان: أغرب، فقال: يابني أها هنا أحد؟ قال الزبير: نعم والله لا كتمتها عليك (١).

أسس عثمان حكومة أموية بحتة عزل سعد بن أبي وقاص عن ولاية الكوفة فولاه الوليد بن عقبة وكان أخاً لعثمان من أمه، كما أنه عزل عمرو بن العاص عن خراج مصر عام ٢٧هـ واستعمل عليه عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان أخاه من الرضاعة، وهو ابن خال عثمان، وأبقى معاوية على ولايته على الشام ولما كثرت الشكوى على عامله بالكوفة: الوليد بن عقبة، عزله فولى مكانه سعيد بن العاص، حتى قيل إنَّ سبعا وخمسين من ولاته وعماله الكبار كانوا من بني أمية (٢).

إنَّ هذه الحوادث المريرة وأضعافها التي حفظها التاريخ وجئنا بقليل منها

(١) ابن أبي الحديد: شرح النهج: ٢/٤٥ نقلاً عن كتاب السقيفة للجوهري.

(٢) لاحظ: الدينوري: الأخبار الطوال: ١٣٩، ابن الأثير: الكامل: ٨٨/٣ - ٨٩، الطبري: التاريخ: ٣/٣٣٩ و ٢٤٥

وغيرها.

في الجزء الخامس من هذه الموسوعة أغضبت جمهور المسلمين وأثارتهم ضد الخليفة حتى انتهت إلى قتله في داره، والمهاجرون والأنصار، بين مجهز عليه، أو مؤلّب ضده، أو مستبشر بمقتله أو صامت رهين بيته محايد عن الطرفين^(١).

قُتل عثمان بسيف مروان بن الحكم الذي سلّه عليه بأعماله المأساوية في بلاطه، وجاء بعده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالحاح من الجماهير وبايعوه على أن يرد الإسلام إلى عصر الرسول، وقد امتنع في بدء الأمر عن قبول الخلافة وتزهد فيها كما تزهد في عصر الخلفاء، غير أنه لما تمت الحجة عليه ورأى أن في التقاعس عن قبولها ضرراً على الإسلام والمسلمين أخذ بزمام الخلافة بيد من حديد وقد خضعت له الأوساط الإسلامية بعمالها وأمرائها قاطبة إلا معاوية بن أبي سفيان، فقد استمر على العناد، واقفاً على أنه لو بايع الإمام للحقه العزل عن العمل، ومصادرة الأموال الطائلة. فبقي على المخالفة وألّب بعض المهاجرين والأنصار على الإمام حتى بايعهم خفاءً إلى أن يبايعهم جلياً بعد سحب الإمام عن ساحة الخلافة، إلى أن آل الأمر إلى تأجيج نار حروب ثلاثة (الجمال وصفين والنهروان) قد عرفت تفاصيلها في الجزء الخامس، فلو قتل في الجمل قرابة أربعة عشر ألف مقاتل من الطرفين، أو قتل في صفين سبعين ألف مقاتل من العراقيين والشاميين، أو نشبت حروب دامية بين أنصار علي والخارجين على بيعته، طوال سنين، فكلها من جرائم وأثام ذلك الخلاف والعناد والخروج على الإمام.

التحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الرفيق الأعلى وقتل بيد أشقى الأولين والآخرين عبد الرحمن بن ملجم عام أربعين، ومعاوية بعد قابع على كرسيه، وقد صفا له الجوّ برحيل علي عليه السلام فلم ير في الساحة إنساناً منافساً ولا مخالفاً سوى، الحسن بن علي عليه السلام لأنّ الجماهير من المهاجرين والأنصار الذين كانوا مع علي في العراق بايعوه بالخلافة والإمامة ولكن معاوية خالفه ولم يبايعه كما

(١) الطبري: التاريخ: ٣٩٩/٣.

خالف أباه ولم يبايعه بل حاربه.

نشب الخلاف بين معاوية والحسن بن علي وانجر الأمر إلى تجنيد الجنود ونفرهم إلى ميادين الحرب وبعد حوادث مريرة رأى الإمام الحسن عليه السلام أنَّ الأصلح هو التنازل والتصالح تحت شروط ومبادئ خاصة حفظها التاريخ، ومن أهم الشروط التي وقَّع عليها كل من معاوية والحسن بن علي، هو أنه ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً^(١) ولكن معاوية لم يكن ممن يعتمد على قوله وعهده ولا على حلفه ويمينه.

إنَّ معاوية من الفئة الذين يقولون ولا يفعلون وقد أظهر نواياه بعدما تم التصالح فقال: إنَّي والله ما قاتلتكم لتصلُّوا ولا لتصوموا ولا لتحجُّوا ولا لتزكُّوا أنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون ألا وإنِّي كنت منيت الحسن أشياء وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي هاتين لا أفي بشيء منها له.^(٢)

رجع الحسن بن علي إلى مدينة جده، ومعه أخوه الحسين وبنو هاشم وكان يتجرع الغصص من آل أمية طيلة حياته إلى أن سمَّه معاوية بتغريز زوجته فوافاه الأجل عام خمسين من الهجرة النبوية، وكان يضرب به المثل في الصبر والحلم. قال أبو الفرج: لما مات الحسن بن علي عليه السلام وأخرجوا جنازته حمل مروان سريره، فقال له الحسين عليه السلام: أتحمل سريره أما والله كنت تجرعه الغيظ، فقال: مروان إنِّي كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال^(٣).

لم يكن معاوية يجترئ على نقض ما وقع من عدم العهد إلى أحد ما دام الحسن في قيد الحياة، وكان يتحين الفرص لنقض العهد واليمين وقد نقض أكثر ما

(١) ابن صباغ المالكي: الفصول المهمة: ١٦٣. (٢) المفيد: الإرشاد: ١٩١.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل، لطالبين: ٤٩، طبعة النجف الأشرف.

عهد ولم يبق إلا شيء واحد وهو أن لا يعهد إلى أحد وكان ولده يزيد أمنيته وقرّة عينه، ولما مات الحسن رأى الجو صافياً، فمهد الطريق لتنصيبه والياً من بعده، وقد بذل في طريق أمنيته أموالاً طائلة لأصحاب الدنيا من الصحابة والتابعين حتى أرضى طائفة بترغيه ونقوده، وطائفة أخرى بتخويفه وترهيبه. نعم بقي هناك لفيف قليل اشتروا سخط المخلوق برضا الخالق فلم يبايعوه بل ثاروا عليه ووبخوا معاوية على نقض عهده، منهم: أبو الشهداء الحسين بن علي فقد جاهر وطرده بيعته وذلك عندما أراد معاوية أخذ البيعة ليزيد فقام وحمد الله وصلى على الرسول، فقال بعد كلام: «وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمة محمد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً أو تخبر عما كان مما احتويته بعلم خاص. وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه، فخذ ليزيد فيما أخذ به ومن استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش، والحمام السبق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف، وضروب الملاهي، تجده ناصراً، ودع عنك لما تحاول فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقية»^(١).

تسبب معاوية منصة الحكومة فكان يحكم كالقيصرة والأكاسرة إلى ان أدركته المنية عام ستين وجلس مكانه وليده وربيبه، ونظيره في الخلق والخلق، واهتز العالم الإسلامي حينذاك حيث أحسوا أن إنساناً خميراً وسكيراً لاعباً بالكلاب والقردة، تصدى للإمارة وفي الحقيقة للقضاء على الإسلام والمسلمين باسم الخلافة عن النبي الأكرم، فعند ذاك تمت الحجّة على الحسين بن علي عليه السلام فجاهر بالخلاف والصمود أمامه حيث تجسد في الزمان قول جده رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله»^(٢).

(١) ابن قتيبة: الإمام والسياسة: ١٦٩/١.

(٢) الكليني: الكافي: ٥٤/١، ط الغفاري.

وكان يزيد يحس بذلك عن كُتب فكتب إلى عامله بالمدينة الوليد بن عقبة أن يأخذ الحسين بالبيعة له، فلما اجتمع مع عامله فعرض عليه البيعة فرفض بعد جدال عنيف بحضور مروان بن الحكم، وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه ونصحه بالبيعة ليزيد فعندئذ ارتجّ الحسين وثار ثورته وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام إذا بليت الأمة براع مثل يزيد»، ثم قال: «يا مروان أترشدني لبيعة يزيد، يزيد رجل فاسق لقد قلت شططاً من القول وزلاً ولا ألومك، فإنك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول الله، فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عني ياعدو الله فإننا أهل بيت رسول الله، الحقّ فينا ينطق على ألسنتنا وقد سمعت جدي رسول الله يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما أمروا فابتلاهم بابنه يزيد»^(١).

دوافعه نحو الثورة :

هذه الكلمة المباركة من الحسين بن علي عليه السلام في أعتاب تفجير الثورة تعرب عن أن خلافة مع يزيد لم يكن خلافاً قليلاً ولا استمراراً له، وإنما كان يثور عليه لأجل أن الحاكم يتسم بمبادئ هدامة للدين، ولو أُتيحت له الفرصة لقضى على الإسلام والمسلمين، فلأجل ذلك قام عن مجلس الوليد ولم يبايعه وترك مدينة جده والتجأ إلى مكة المكرمة، وليست هذه الكلمة كلمة وحيدة معربة عن نواياه وخوافزه التي دفعته إلى الثورة فكم لها من نظير في حياته.

وإليك كلمته الثانية عندما نزل منطقة البيضة من العراق واعترضه الجيش الأموي بقيادة الحر بن يزيد التميمي اليربوعي، فقال واقفاً بعد أن حمد الله وأثنى

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين: ١٨٤/١ - ١٨٥.

عليه: «أيها الناس أن رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرّموا حلاله» (١).

تري أنّ الإمام يعلل ثورته على يزيد في البيان الأوّل بأنّه رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة معن للفسق، وإن هذه الصفات لا تتفق مع شروط الخلافة كما أنّه يعلل ثورته في البيان الثاني بأنّه سلطان جائر، مستحل لحرام الله ناكث لعهد، مخالف لسنة رسوله عامل في عباده بالإثم والعدوان. كل ذلك يعرب عن أنّ ثورته لم تكن ثورة قبلية ولا عنصرية، بل مبدئية بحثة.

وهناك للإمام بيان ثالث ورابع وخامس و... يعرف موقفه من الحاكم الأموي، يعرف دافعه إلى النضال والكفاح نأتي بثالثة:

كتب الإمام إلى رؤساء الأخماس والأشراف بالبصرة كتاباً جاء فيه: «وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإنّ السنة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أحييت وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ، فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ وهو خير الحاكمين» (٢).

وفي هذه المقتطفات من خطب ورسائل الإمام أدلّة واضحة على أنّ الثورة لم تكن ثورة قبلية ولا عنصرية بل كانت ثورة دينية عقائدية بحثة، وكان الدافع المهم للتضحية ترسيم خط الشهادة والفداء لكل من يطلب رضى الحقّ، وبالتالي قطع

(١) ابن الأثير: الكامل: ٢٨٠/٣، الطبري: التاريخ: ٣٠٠/٤.

(٢) الخوارزمي: المقتل: ٨٨/١، الفصل ٩.

جذور الشر وتحطيم قوى الكفر والمنكر، وإن طال سنين، وقد نجح الإمام في ثورته هذه إلى أن انتهى الأمر إلى اجتثاث جذور بني أمية عن أديم الأرض وغلق ملفهم بقتل حمارهم مروان عام ١٣٢هـ ق.

نجاح الإمام الحسين عليه السلام في ثورته :

لقد درسنا الحافز أو الحوافز التي دفعت الإمام إلى الثورة غير أنه بقي هنا أن نتحدث عن نتائجها وعن عطائها، إذ بالوقوف عليها يعلم أنه كان في ثورته نجاحاً أو فشلاً، إنَّ هناك من ينظر إلى ثورة الحسين من منظار سياسي ضيق أو مادي بحت أضيق، فيظن أن ثورته كانت فاشلة حيث إنَّ الإمام استشهد ولم ينل الخلافة، والمسلمون بقوا بعد الثورة على ما كانوا عليه قبلها، فكان الإرهاب والتشريد حليفهم، وكانت الحكومة الأموية هي الحاكمة في البلاد الإسلامية قرابة سبعين سنة.

هذا ما يتصوره بعض الكتاب في ثورة الحسين، وكأنَّ نجاح الثورة في منطقهم، هو نجاحها في يومها أو بعد أيام، وهذا الزعم من هؤلاء ناش من الجهل بالحق أو التجاهل به، فلأجل قلع هذا التعقيم نركّز من عطاء الثورة في المقام على أمرين مهمين ونترك الباقي لأقلام الكاتبين في ثورة الحسين:

١ - إنَّ الإمام بتضحية نفسه ونفيسه، أعلم الأمة فظاظة الأمويين وقسوة سياستهم، وابتعادهم عن الناموس البشري فضلاً عن الناموس الديني وتوغلهم في الغلظة الجاهلية، وعادات الكفر الدفين.

ثار في وجه الحكم السائد ليُعلم الملاء الديني أنَّهم لم يوقروا كبيراً ولم يرحموا صغيراً، ولم يرقبوا على رضيع ولم يعطفوا على امرأة فقدَّم إلى ساحات المفاداة، أغصان الرسالة وأوراد النبوة، وأنوار الخلافة، ولم تبق جوهرة من هاتيک الجواهر

الفريدة، فلم يعتنم هو ولا هؤلاء إلاّ وهم ضحايا في سبيل تلك الطلبة الكريمة.

سل كربلا كم من حشاً لمحمّدٍ نهبت بها وكم استجذت من يد

أقمار تمّ غالها خسف الردي وانثالها بصروفها الزمن الردي^(١)

٢- لم يكن الحسين عليه السلام يطلب ملكاً عضوضاً ولا سلطة بشرية وإنّما يطلب إيقاظ الأمة بواجبه الحتمي، وما هو إلاّ إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكأنّ الأمة نسيت دينك العمادين وذلك لعوامل خلفت رفض دينك الأمرين المهمين.

كانت الأمة تعيش بين الترغيب والترهيب فصارت محايدة عن كل عمل إيجابي يغير الوضع الحاضر وهم بين راضٍ بما يجري، وبين مبغض صامت، يترك الأمر إلى الله تبارك وتعالى، فكانت القلوب مشفقة والأيدي مغلوطة وعلى الألسن أوكية.

وكيف يصح لمسلم واع، التساهل أمام عردة يزيد بالكفر الصريح في شعره ونثره، وإنكار الوحي والرسالة وهذا هو التاريخ يحكي لنا: أنّه لما ورد على يزيد نساء الحسين وأطفاله، والرؤوس على الرماح وقد أشرفوا ثنية جيرون نعب الغراب فأنشأ يزيد يقول:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت تلك الشموس على رُبى جيرون

نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح فلقد قضيت من الغريم ديوني^(٢)

يعني أنّه قتل بمن قتل رسول الله يوم بدر كجده عتبة وخاله وليد بن عتبة، وغيرهما وهذا كفر صريح لا يلهمج به إلاّ المنكر للرسالات والنبوات ورسالة سيد الرسل.

(١) الأميني: الغدير: ٢٦٤/٣.

(٢) ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ٢٣٥.

ولم يقتصر بذلك بل أخذ ينشد شعر ابن الزبعرى حين حضر رأس الحسين بين يديه وقال:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلوا واستهلوا فرحاً	ثم قالوا يايزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلنا قتل بدر فاعتدل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل ^(١)

وليس ذلك ببعيد عن ابن معاوية فإنَّ أباه كان يشمئز من سماع الشهادة الثانية على رسالة محمد فكان يقول: لله أبوك يا ابن عبد الله لقد كنت عالي الهمة ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك مع اسم رب العالمين^(٢).

ولما قال له المغيرة بن شعبة: لقد كبرت فلو أظهرت عدلاً لإخوانك من بني هاشم فإنه لم يكن عندهم شيء تخافه قال: هيهات ملك أخو تيم، وفعل ما فعل، فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمر فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر، ثم ملك أخونا عثمان، فعمل ما عمل فوالله ما غدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل عثمان.

وانَّ أخا هاشم يصرخ باسمه في كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله ﷺ فأبي عمل يبقى مع هذا لا أم لك والله إلا دفنا دفنا.

(١) البيتان الأولان لابن الزبعرى، والثلاثة الأخيرة ليزيد، لاحظ تذكرة الخواص: ٢٣٥.

(٢) شرح النهج الحديدي: ٥٣٧/٢.

ولما سمع المأمون بهذا الحديث كتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر فأعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامة فأشير عليه بالترك فأعرض عما كان عليه^(١).

فلما قام الحسين في وجه الحكومة بأولاده وأصحابه القليلين، فقد نفت في جسم الأمة روح الكفاح والنضال وحطمت كل حاجز نفسي واجتماعي كان يوقفهم عن القيام، وأثبت أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الظروف الحرجة ليس رهن العدة والعدة بل إذا حاق الخطر بالأمة من ملوكها وأمرائها وزعمائها وأصبحوا يسوقون الناس بأفعالهم وأعمالهم، والمجتمع إلى العيش الجاهلي، وجب على المؤمن الاستنكار بقلبه ولسانه ويده فكان في قيامه تحطيم السدود المزعومة الممانعة عن القيام بالفريضة، ولأجل ذلك استتبع ثورته، ثورات عديدة تترى من غير فرق بين من ثار وهو على خط الإمام وبين من ثار في وجه الطغمة الأموية ولم يكن على خطه وفكره ولكن الكل كانوا مستلهمين من تلك الثورة العارمة، ولولا حركة الحسين عليه السلام لما كان لهذه الحركات أي أثر في المجتمع الإسلامي، وإن كنت في ريب من ذلك فعليك بدراسة الثورات المتتابعة بعد قيامه ونهضته.

قضى الإمام نحبه في اليوم العاشر من محرم الحرام عام ٦١هـ والرضاء بقضاء الله وقدره بين شفتيه^(٢) وهو ظمآن لم يشرب الماء منذ ثلاثة أيام، والفرات يموج بمياهه وحيتانه «سبيل على الرواد منهله العذب» دون الحسين وأولاده وأصحابه حتى يموتوا عطشى. ولم يقتصر عدوه الغاشم بقتله حتى هم برض

(١) مروج الذهب: ٣٤٣/٢. آخر أخبار المأمون.

(٢) قال عليه السلام وهو طريق مصرعه: «رضاء بقضائك، وتسليماً لأمرك، لا معبود سواك، يا غياث المستغيثين».

صدره وظهره بالخيّل، ليقضي بذلك على جسم الإمام كلّ. لكنّه فاتّه أنّ شهداء طريق الحقّ، أحياء عند ربّهم يرزقون، أحياء بين الشعوب الحية، وأنّه سوف ينقلب الأمر لصالح الإمام وضد العدو حتى في اليوم الذي قضى عليه وأنّه عليه السلام سيجعل من أعدائه الذين وجهوا إليه سيوفهم ورماحهم، أنصاراً صامدين، وثواراً مناضلين.

روى المؤرخون: لما قتل الحسين وتسابق العسكر إلى نهب خيام آل الرسول ونهبوا ما فيها أولاً، وأضرموا النار ثانياً وبنات الزهراء حواسر مسلمات، باقيات فنظرت امرأة من آل بكر بن وائل، كانت مع زوجها، إلى بنات رسول الله بهذا الحال فصاحت: يا آل بكر بن وائل أتسلم بنات رسول الله لا حكم إلا لله، يالثرات رسول الله فردّها زوجها إلى رحله (١).

كان ذلك الهتاف من ذلك الوقت، نواة للثورة على العدو، وإن لم يشعر به العدو، واكتفى بجرها إلى رحله.

كان الحسين فاتحاً في نهضته، إذ لم يكن يتبنّى شيئاً سوى إيقاظ شعور الأمة بلزوم القضاء على دعاة الضلال، وكسح أشواك الباطل، عن طريق الشريعة، وتعريف الملاء بالذين هم الأحق بالخلافة والقيادة.

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام غدّوا الأمة بتحريضهم على عقد المحافل والمجالس لذكر حادثة الطف، وما جرى على الحسين من مصائب تدك الجبال الرواسي، وتذيب القلوب القاسية وقد اتخذوا أساليب مختلفة في إحياء حديث الطف بتشكيل أندية العزاء في بيوتهم تارة، ودعوة الناس إليها ثانياً، فقال الإمام الباقر عليه السلام «رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا» (٢) فكان لتلك

(١) ابن نما: مثير الأحزان: ٤، ابن طاووس: اللهوف: ٧٤.

(٢) المجلسي: البحار: ٣٥٤/٧٤ ح ٣١.

الذكریات أثراً باهراً في تخليد الثورة في نفوس الأمة حتى اتخذها الأحرار مقياساً للسير في ضوئه مصباحاً وإليك نزرأ يسيراً من الثورات التالية لثورة الإمام علي عليه السلام.

ثورة أهل المدينة وإخراج عامل يزيد

لما ولي الوليد الحجاز أقام يريد غرة عبد الله بن الزبير فلا يجده إلا محترزاً ممتنعاً، وثار نجدة بن عامر النخعي باليمامة حين قتل الحسين، وثار ابن الزبير بالحجاز ... فعزل يزيد الوليد، وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فيهم: عبد الله بن حنظلة، غسيل الملائكة وعبد الله ابن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشرف أهل المدينة، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم فأعطى عبد الله بن حنظلة، وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيّداً، مائة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين، فأعطى كل ولد عشرة آلاف.

فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد أجازته بمائة ألف دينار، فلما قدم أولئك النفر الوفد، المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعييه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر، ويضرب بالطنابير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وإنا نشهدكم إننا قد خلعناه.

وقام عبد الله بن حنظلة الغسيل فقال: جئتمكم من عند رجل لو لم أجد إلا

بني هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت منه عطاءه إلا لا أتقوى به فخلعه الناس، وبايعوا عبد الله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم^(١).

ولما دخل عام ٦٣هـ أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد، وحصروا بني أمية بعد بيعتهم عبد الله بن حنظلة، فاجتمع بنو أمية ومواليهم ومن يرى رأيهم في ألف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم فكتبوا إلى يزيد يستغيثون به فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأمره أن يسير إليهم فردّ وقال: لا أحب أن أتولى ذلك.

وبعث إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال: والله لا جمعتهم للفاسق، قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة. ثم أرسل إليه يعتذر.

فبعث إلى مسلم بن عقبة المري، وهو الذي سمّي مسرفاً، وهو شيخ كبير فاستجاب، فنادى في الناس بالتجهز إلى الحجاز، وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مائة دينار، فانتدب لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم، فأقبل مسلم إلى المدينة ودخل من ناحية الحرّة وضرب فسطاطه بين الصفين واقتتل الصفان قتالاً شديداً وانتهى الأمر، إلى غلبة قوات الشام على أهل المدينة بعدما قتل من الطرفين أناس كثير، ولم يقتصر المسرف بذلك بل أباح المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال...^(٢).

(١) ابن الأثير الجزري: الكامل: ١٠٣/٤.

(٢) المصدر نفسه: ١١١/٤ - ١١٧، الطبري: التاريخ: ٣٧٢/٤ - ٣٨٠، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

ثورة عبد الله بن الزبير

عبد الله بن الزبير بن العوام ولد بعد الهجرة بعشرين شهراً، وكان أبوه ابن عمه علي عليه السلام وهو ابن خاله، وهو ممن سل سيفه يوم السقيفة لصالح علي وقال: لا أغمد سيفي حتى يبايع علي، ولكن - وللأسف - كان ولده على الطرف النقيض من ذلك فهو كما قال علي عليه السلام: ما زال الزبير متاً أهل البيت حتى نشأ عبد الله فأفسده (١) وهو الذي دفع أباه إلى محاربة الإمام في وقعة الجمل بعد ما ندم وأراد التصالح والتراجع.

ومع هذا هو ممن اتخذ ثورة الإمام حجة على خروجه في وجه الحاكم الأموي وروى الطبري بسنده إلى عبد الملك بن نوفل قال: حدثني أبي: قال لما قتل الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله، وعاب أهل الكوفة خاصة ولام أهل العراق عامة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله: **إِنَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ غَدَرُوا فَجْرًا قَلِيلاً، وَإِنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ شَرَّارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَنْتُمْ دَعَاوُا حُسَيْنًا لِيَنْصُرُوهُ وَيُولُوهُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِمْ صَارُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: إِمَّا أَنْ تَضَعَ يَدَكَ فِي أَيْدِينَا فَتُبْعَثَ بِكَ إِلَى ابْنِ زِيَادَ بْنِ سَمِيَةَ، فَيَمْضِيَ فِيكَ حُكْمُهُ وَإِمَّا أَنْ تَحَارِبَ فَرَأَى وَاللَّهِ أَنَّهُ هُوَ مَقْتُولٌ وَلَكِنَّهُ اخْتَارَ الْمَيِّتَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْحَيَاةِ الذَّمِيمَةِ فَرَحِمَ اللَّهُ**

(١) تنقيح المقال: ١٨٤/٢، مادة «عبد الله بن الزبير».

حسيناً، وأخزى قاتل حسين - إلى أن قال: - أفبعد الحسين نطمئن إلى هؤلاء القوم ونصدق قولهم ونقبل لهم عهداً لا ولا نراهم لذلك أهلاً. أما والله لقد قتلوه، طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحق بما هم فيه منهم وأولى به في الدين والفضل.

أما والله ما كان يبدل بالقرآن، الغناء، ولا بالكاء من خشية الله الحداء، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد (يعرض بذلك يزيد) فسوف يلقون غياً.

فثار إليه أصحابه فقالوا له: أيها الرجل أظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد (إذ هلك حسين) ينازعك هذا الأمر وقد كان يبايع الناس سراً ويظهر أنه عائد بالبيت (١).

لما فرغ مسلم من قتال أهل المدينة ونهبها شخص بمن معه نحو مكة يريد ابن الزبير ومن معه، واستخلف على المدينة رُوح بن زنباع الجذامي، وقيل: استخلف عمرو بن مخرمة الأشجعي، فلما انتهى إلى المشلل نزل به الموت، وقيل: مات بثنية هَرَشَى، فلما مات سار الحصين بالناس فقدم مكة لأربع بقين من المحرم سنة أربع وستين وقد بايع أهلها وأهل الحجاز عبد الله بن الزبير واجتمعوا عليه، ولحق به المنهزمون من أهل المدينة فحمل أهل الشام عليهم حملةً انكشف منها أصحاب عبد الله، ثم نزل فصاح بأصحابه، وصابروهم ابن الزبير إلى الليل ثم انصرفوا عنه.

هذا في الحصر الأول ثم أقاموا يقاتلونه بقية المحرم وصفر كله حتى مضت ثلاثة أيام من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، ولأجل القضاء على ابن الزبير

(١) الطبري: التاريخ: ٣٦٤/٤، ابن الأثير: الكامل: ٩٨/٤ - ٩٩.

المتحصن في المسجد الحرام رموا البيت بالمجانيق وحرقوه بالنار، وكانت الحرب طاحنة إذ بلغهم نعي يزيد بن معاوية لهلال ربيع الآخر ولم يكن أمامهم إلا طريق واحد وهو الرجوع إلى الشام واختار الرجوع إليها^(١).

كان ابن الزبير يسوس الحجاز والعراق وفيهما عماله إلى أن استولى عبد الملك على العراق عام إحدى وسبعين من الهجرة وانحصرت إمارة ابن الزبير بالحجاز وعند ذاك وجّه عبد الملك، الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين وقيل في ثلاثة آلاف من أهل الشام لقتال عبد الله بن الزبير، وقدم مكة وحصر ابن الزبير والتجأ هو وأصحابه إلى المسجد الحرام، ونصب الحجاج المنجنيق على أبي قبيس ورمى به الكعبة إلى أن خرج أصحابه إلى الحجاج بالآمان، وقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء من جمادي الآخرة عام ثلاث وسبعين من الهجرة^(٢).

(١) ابن الأثير: الكامل: ١٢٣/٤ - ١٢٤، الطبري: التاريخ: ٣٨١/٤ - ٣٨٤.

(٢) الطبري: التاريخ: ٢٤/٥، ابن الأثير: الكامل: ٣٤٩/٤ - ٣٥٦.

ثورة التوابين في الكوفة

إنّ ثورة أهل المدينة على عامل يزيد وإخراجه من المدينة، وحركة ابن الزبير واستيلائه على الحجاز والعراق، لم يكن ردّ فعل مباشر لقتل الحسين (عليه السلام) وإن كانا متأثرين من ثورته وحركته، وهذا بخلاف حركة التوابين فقد كانت ردّ فعل مباشر لقتله، حيث أحسّوا أنّهم قصّروا في حقّ إمامهم، إذ دعاهم فلم يجيبوا، وذلك عار عليهم. يتبعهم عذاب أليم، وأنّه لا يغسل العار والأثم عنهم إلّا بالثورة على قاتليه وعلى رأسهم، النظام الحاكم.

يقول الطبري: «لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندّم، ورأت أنّها قد أخطأت خطأ كبيراً، بدعائهم الحسين إلى النصر، وتركهم إجابته ومقتله إلى جانبهم، لم ينصروه، ورأوا أنّه لا يُغسل عارهم والأثم عنهم في مقتله إلّا بقتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة:

١- سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي (صلى الله عليه وآله).

٢- المسيب بن نجبة الفزاري، وكان من أصحاب علي (عليه السلام) وخيارهم.

٣- عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي.

٤- عبد الله بن وال التيمي.

٥- رفاعة بن شدّاد البجلي.

إنّ هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار

أصحاب علي ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجههم قال: فلما اجتمعوا إلى منزل سليمان بن صرد بدأ المسيب بن نجبة القوم بالكلام وقال:

١ - قد ابتلينا بطول العمر والتعرض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربنا ألا يجعلنا ممن يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾^(١).

فإن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة، وليس فينا رجل إلا وقد بلغه وقد كنا مغرمين بتزكية أنفسنا، وتفريط شيعتنا حتى بلا الله أختيارنا فوجدنا كاذبين، في موطنين من موطن ابن ابنة نبينا ﷺ وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا، يسألنا نصره عوداً وبدءاً، وعلانية وسراً فبخلنا عنه بأنفسنا حتى قُتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا، ولا جادلنا عنه بألستنا ولا قويناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصر إلى عشائرننا، فما عذرنا إلى ربنا وعند لقاء نبينا ﷺ وقد قُتل فينا ولده وحبيبه وذريته ونسله، لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله، والموالين عليه، أو تقتلوا في طلب ذلك فعسى ربنا أن يرضى عنا ذلك، وما أنا بعد لقائه، لعقوبته بأمن.

أيها القوم ولوا عليكم رجلاً منكم فإنه لا بد لكم من أمير تفزعون إليه، وراية تحفون بها أقول قولني وأستغفر الله لي ولكم.

٢ - وتكلم رفاعة بن شداد وقال: إن الله قد هداك لأصوب القول ودعوت إلى أرشد الأمور، ودعوت إلى جهاد الفاسقين، وإلى التوبة من الذنب العظيم، فمسموع منك، مستجاب لك، مقبول قولك قلت: ولوا أمركم رجلاً منكم، تفزعون إليه، وتحفون برايته وذلك رأيي قد رأينا مثل الذي رأيته، فإن تكن أنت

ذلك الرجل تكن عندنا مرضياً، وفيما متنصّحاً وفي جماعتنا محباً، وإن رأيت ورأى أصحابنا ذلك ولينا هذا الأمر شيخ الشيعة صاحب رسول الله ﷺ وذا السابقة والقدم، سليمان بن صرد المحمود في بأسه ودينه، الموثوق بحزمه.

ثم تكلم كل من عبد الله بن وال، وعبد الله بن سعد وتكلما بنحو من كلام رفاعه بن شداد فذكرا المسيب بن نجبة بفضلته، وذكرا سليمان بن صرد بسابقتها ورضاها بتوليته.

٣- تكلم سليمان بن صرد وقال: فإني والله لخائف ألا يكون آخرنا إلى هذا الدهر الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة لما هو خير، إنّا كنّا نمد أعناقنا إلى قدوم آل نبينا، ونمنّيهم النصر ونحثهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا، وأدهنّا وتربصنا وانتظرنا ما يكون، حتى قتل فينا، ولدينا ولد نبينا وسلالته وعصارتته وبضعة من لحمه ودمه، إذ جعل يستصرخ ويسأل النصف فلا يُعطاه، إتخذة الفاسقون غرضاً للنبيل، ودريئة للرماح حتى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه. ألا انهضوا فقد سخط عليكم ربكم، ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله، والله ما أظنه راضياً دون أن تناجزوا مَنْ قتله أو تبيروا، ألا لا تهابوا الموت فوالله ما هابه امرؤ قط إلا ذلّ، كونوا كالأولى من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيهم ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فما فعل القوم جثوا على الركب والله ومدّوا الأعناق ورضوا بالقضاء حتى حين علموا أنه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دعيتم إلى مثل ما دعي القوم إليه، أشحدوا السيوف وركبوا الأسنة وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل حتى تدعوا حين تدعوا وتستنفروا:

٤- فقام خالد بن سعد بن نفيل فقال: أمّا أنا فوالله لو أعلم أنّ قتلي نفسي

يخرجني من ذنبي ويرضي عني ربِّي لقتلتها، ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا، ونُهيينا عنه فأشهد الله ومن حضر من المسلمين أن كل ما أصبحت أملكه سوى سلاحه الذي أقاتل به عدوي، صدقة على المسلمين أقويهم به على قتال القاسطين.

٥- وقام أبو المعتمر حنش بن ربيعة الكناني فقال: وأنا أشهدكم على مثل ذلك، فقال سليمان بن صرد: حسبكم من أراد من هذا شيئاً، فليأت بماله عبد الله ابن وال التيمي تيم بكر بن وائل، فإذا اجتمع عنده كل ما تريدون إخراجه من أموالكم، جهزنا به ذوي الحلة والمسكنة من أشياعكم^(١).

٦- ثم أخذ سليمان بن صرد يكاتب وجوه الشيعة في الأطراف وكتب سليمان بن صرد: إلى سعد بن حذيفة اليمان^(٢) يعلمه بما عزموا عليه، ويدعوه إلى مساعدتهم، ومن معه من الشيعة بالمدائن، فقرأ سعد بن حذيفة الكتاب على من بالمدائن من الشيعة فأجابوا إلى ذلك فكتبوا إلى سليمان بن صرد يعلمونه أنهم على الحركة إليه والمساعدة له.

وكتب سليمان أيضاً كتاباً إلى المثنى بن مخربة العبدي بالبصرة مثل ما كتب إلى سعد بن حذيفة فأجابه المثنى: إننا معشر الشيعة حمدنا الله على ما عزمتم عليه، ونحن موافوك إن شاء الله للأجل الذي ضربت وكتب في أسفله أبياتاً^(٣).

لم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس - في السر - إلى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم، والنفر بعد النفر ولم يزلوا على ذلك إلى أن هلك يزيد بن معاوية سنة أربع وستين.

فلما مات يزيد جاء إلى سليمان أصحابه فقالوا: قد هلك هذا الطاغية،

(١) الطبري: التاريخ: ٤٢٦/٤ - ٤٢٨. (٢) لاحظ نص الكتاب: تاريخ الطبري: ٤٢٩/٤ - ٤٣٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل: ١٥٨/٤ - ١٦٢، الطبري: التاريخ: ٤٣١.

(٢٤٩)

والأمر ضعيف فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث، وكان خليفة ابن زياد على الكوفة ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتتبعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم، المدفوعين عن حقهم.

فقال سليمان بن صرد: لاتعجلوا، إني قد نظرت فيما ذكرتكم فرأيت أن قتل الحسين هم أشرف الكوفة وفرسان العرب وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون كانوا أشد الناس عليكم، ونظرت فيمن تبغني منكم فعلت أنهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يشفوا نفوسهم، وكانوا جَزَرًا لعدوهم ولكن بثوا دعائكم وادعوا إلى أمركم هذا، شيعتكم وغير شيعتكم فإني أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه، ففعلوا واستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد، وهم يريدون قتال أهل الشام الذين أقاموا دعائم عرش يزيد، وعدم التعرض بمن في الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام على جانب الخلاف من ثورة المختار.

مسير التوابين:

لما أراد سليمان بن صرد الخزاعي الشخوص سنة خمس وستين بعث إلى رؤوس أصحابه فأتوه، فلما أهل ربيع الآخر خرج في وجوه أصحابه وكانوا تواعدوا للخروج في تلك الليلة، فلما أتى النخيلة دار في الناس فلم يعجبه عددهم فأرسل حكيم بن منقذ الكندي، والوليد بن عصور الكناني في الكوفة فناديا: يا ثارات الحسين فكانا أول ^(١) خلق الله دعوا يا ثارات الحسين.

فأصبح من الغد وقد أتاه نحو مما في عسكره، ثم نظر في ديوانه فوجدهم ستة عشر ألفاً ممن بايعه فقال: سبحان الله ما وافانا من ستة عشر ألفاً إلا أربعة

(١) لقد سبق أنه أول من دعا به، هو امرأة من بني بكر بن وائل يوم عاشورا عند إضرام النار في الخيام.

آلاف. فأقام بالنخيلة ثلاثاً يبعث إلى من تخلف عنه فخرج إليه نحو من ألف رجل. ثم قام سليمان في أصحابه فقال: أيها الناس من كان خرج، يريد بخروجه وجه الله والآخرة فذلك منّا، ونحن منه، ومن كان يريد الدنيا فوالله ما نأتي فيئاً نأخذه وغنيمة نغنمها ما خلا رضوان الله. فتنادى أصحابه من كل جانب: إنا لا نطلب الدنيا وإنما خرجنا نطلب التوبة والطلب بدم ابن بنت رسول الله ﷺ.

فسار سليمان عشية يوم الجمعة لخمس مضي من ربيع الآخر سنة خمس وستين فوصل دار الأهواز، ثم ساروا فانتهوا إلى قبر الحسين فلما دخلوا صاحوا صيحة واحدة فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم فترحموا عليه وتابوا عنده من خذلانه، وترك القتال معه، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه، وكان قولهم عند ضريحه: «اللهم إرحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد المهدي ابن المهدي، الصديق ابن الصديق، اللهم إنا نشهدك إنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم، وأولياء محبيهم. اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا ﷺ فاعفر لنا ما مضى، منّا وتب علينا وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين وإنا نشهدك أننا على دينهم، وعلى ماقتلوا عليه. وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. وزادهم النظر إليه حنقاً.

ثم ساروا بعد أن كان الرجل يعود إلى ضريحه كالمودع له، فازدحم الناس عليه أكثر من ازدحامهم على الحجر الأسود، ثم أخذوا على الأنبار وكتب إليهم عبد الله بن يزيد كتاباً يثبّطهم عن السير إلى الشام وقاتل العدو ولما وصل الكتاب إلى سليمان قرأه على أصحابه، فكتب إليه جواباً - بعد أن شكره وأثنى عليه - أن القوم قد استبشروا ببيعهم أنفسهم من ربهم، وأنهم قد تابوا من عظيم ذنبهم وتوجهوا إلى الله وتوكلوا عليه ورضوا بما قضى الله عليهم.

ثم ساروا حتى انتهوا إلى «قرقيسيا» على تعبئة وبها زفر بن الحارث الكلابي وقد فتح باب حصنه بعد ما عرف أن فيهم المسيب بن نجبة فأخرج لهم سوقاً وأمر للمسيب بألف درهم وفرس، فردّ المال وأخذ الفرس وقال: لعلّي أحتاج إليه إن عرج فرسي، وبعث «زفر» إليهم، بخبز كثير وعلف ودقيق حتى استغنى الناس عن السوق.

ثم ارتحلوا من الغد، وخرج «زفر» يشيّعهم وقال لسليمان أنّه قد سار خمسة أمراء من الرقة هم: الحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وأدهم بن محرز، وجبله بن عبد الله الخثعمي، وعبيد الله بن زياد، في عدد كثير مثل الشوك والشجر، ثم اقترح عليهم أن ينزلوا بديرهم حتى يكونوا يد واحدة على العدو الشاميين، فإذا جاءنا هذا العدو، قاتلناهم جميعاً. فلم يقبل سليمان وقال: قد طلب أهل مصر ذلك منا فأبيناهم. ثم ساروا مجدّين فأنتهوا إلى عين الوردة فنزلوا غربيّها وأقاموا خمساً فاستراحوا وأراحوا.

وأقبل أهل الشام في عساكرهم حتى كانوا من عين الوردة على مسيرة يوم وليلة، فقام سليمان في أصحابه وذكر الآخرة ورغب فيها ثم قال: أمّا بعد فقد أتاكم عدوكم الذي دأبتم إليه في السير آناء الليل والنهار، فإذا لقيتموهم فأصدقوهم القتال واصبروا إنّ الله مع الصابرين ثم قال: إن أنا قتلت فأمير الناس مسيب بن نجبة، فإن قتل، فالأمير عبد الله بن سعد بن نفيل، فإن قتل، فالأمير عبد الله بن وال، فإن قتل، فالأمير رفاعة بن شداد، رحم الله امرئاً صدق ما عاهد الله عليه.

كان أدنى عسكر من عساكر الشام هو عسكر شرحبيل بن ذي الكلاع، وكان على رأس ميل فسار المسيب ومن معه مسرعين فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا في جانب عسكرهم فانهزم العسكر وأصحاب المسيب منهم رجالاً فأكثروا فيهم الجراح وأخذوا الدواب وخلّى الشاميون عسكرهم وانهزموا، فغنم منه

أصحاب المسيّب ما أرادوا ثم انصرفوا إلى سليمان موفورين.

وبلغ الخبر ابن زياد فسرح الحصين بن نمير مسرعاً حتى نزل في اثني عشر ألفاً، فخرج أصحاب سليمان إليه لأربع بقين من جمادي الأولى، وعلى ميمنتهم عبد الله بن سعد، وعلى ميسرتهم المسيّب بن نجبة وسليمان في القلب، وجعل الحصين على ميمنته جملة بن عبد الله^(١)، وعلى ميسرته ربيعة بن المخارق الغنوي فلما دنا بعضهم من بعض دعاهم أهل الشام إلى الجماعة على عبد الملك بن مروان، ودعاهم أصحاب سليمان إلى خلع عبد الملك وتسليم عبيد الله بن زياد إليهم وأنهم يخرجون من بالعراق من أصحاب ابن الزبير ثم يرد الأمر إلى أهل بيت النبي ﷺ فأبى كل منهم، فحملت ميمنة سليمان على ميسرة الحصين، والميسرة أيضاً على الميمنة، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم، فانهزم أهل الشام إلى عسكرهم، وما زال الظفر لأصحاب سليمان إلى أن حجز بينهم الليل.

فلما كان الغد صبح الحصين جيش مع ابن ذي الكلاع ثمانية آلاف، أمدهم بهم عبيد الله بن زياد، وخرج أصحاب سليمان فقاتلوهم قتالاً لم يكن أشد منه جميع النهار، لم يحجز بينهم إلا الصلاة، فلما أمسوا تجاوزوا وقد كثرت الجراح في الفريقين، وطاف القصاص على أصحاب سليمان يحرضونهم.

فلما أصبح أهل الشام أتاهم أدهم بن محرز الباهلي في نحو من عشرة آلاف من ابن زياد، فاقتتلوا يوم الجمعة قتالاً شديداً إلى ارتفاع الضحى، ثم إن أهل الشام كثروهم وتعطفوا عليهم من كل جانب، ورأى سليمان ما لقي أصحابه، فنزل ونادى: عباد الله من أراد البكور إلى ربه والتوبة من ذنبه فإلي. ثم كسر جفنة سيفه ونزل معه ناس كثير وكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه، فقاتلوهم، فقتل من أهل الشام مقتلة عظيمة وجرحوا فيهم فأكثر الجراح. فلما رأى الحصين صبرهم

(١) كذا في النسخة.

وبأسهم، بعث الرّجالة ترميهم بالنبل واكتنفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان، رحمه الله، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوق ثم وثب ثم وقع.

فلما قُتل سلمان أخذ الراية المسيب بن نجبة وترحم على سليمان ثم تقدّم فقاتل بها ساعة ثم رجع ثم حمل. فعل ذلك مراراً، ثم قتل، رحمه الله، بعد أن قتل رجالاً.

فلما قتل أخذ الراية عبد الله بن سعد بن نفيل وترحم عليهما، ثم قرأ: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ وحفّ به من كان معه من الأزد. فبينما هم في القتال أتاهم فرسان ثلاثة من سعد بن حذيفة، يخبرون بمسيرهم في سبعين ومائة من أهل المدائن، ويخبرون أيضاً بمسير أهل البصرة مع المثنى بن مخربة العبدي في ثلاثمائة، فسّر الناس فقال عبد الله بن سعد: ذلك لو جاءونا ونحن أحياء.

فلما نظر الرسل إلى مصارع إخوانهم ساءهم ذلك واسترجعوا وقاتلوا معهم، وقتل عبد الله بن سعد بن نفيل، قتله ابن أخي ربيعة بن مخارق، وحمل خالد بن سعد بن نفيل على قاتل أخيه فطعنه بالسيف، واعتنقه الآخر فحمل أصحابه عليه فخلّصوه بكثرتهم وقتلوا خالداً، وبقيت الراية ليس عندها أحد، فنادوا عبد الله بن وال فإذا هو قد اصطلى الحرب في عصابة معه، فحمل رفاعه بن شداد فكشف أهل الشام عنه، فأتى فأخذ الراية وقاتل ملياً ثم قال لأصحابه: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نصب، والسرور الذي ليس بعده حزن، فليتقرب إلى الله بقتال هؤلاء المحليين، والرواح إلى الجنة، وذلك عند العصر فحمل هو وأصحابه فقتلوا رجالاً وكشفوهم.

ثم إن أهل الشام تعطفوا عليهم من كل جانب حتى ردوهم إلى المكان الذي كانوا فيه، وكان مكانهم لا يؤتى إلا من وجه واحد، فلما كان المساء تولى

قتالهم أدهم بن محرز الباهلي فحمل عليهم في خيله ورجله، فوصل ابن محرز إلى ابن وال وهو يتلو: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية، فغاض ذلك أدهم بن محرز فحمل عليه، فضرب يده فأبانها ثم تنحى عنه وقال: إني أظنك وددت أنك عند أهلك. قال ابن وال: بئس ما ظننت، واللّه ما أحب أن يدك مكانها إلا أن يكون لي من الأجر مثل ما في يدي ليعظم وزرك ويعظم أجري. فغاضه ذلك أيضاً، فحمل عليه وطعنه فقتله وهو مقبل ما يزول. وكان ابن وال من الفقهاء العبّاد.

فلما قتل أتوا رفاعه بن شداد البجلي وقالوا: لتأخذ الراية. فقال: إرجعوا بنا لعلّ الله يجمعنا ليوم شرهم. فقال له عبد الله بن عوف بن الأحمر: هلكنا والله، لئن انصرفت ليركبن أكتافنا فلا نبلي فرسخاً حتى نهلك عن آخرنا، وإن نجا منا ناج أخذته العرب يتقربون به إليهم فقتل صبراً، هذه الشمس قد قاربت الغروب فنقاتلهم على خيلنا، فإذا غسق الليل ركبنا خيولنا أول الليل وسرنا حتى نصبح ونسير على مهل، ويحمل الرجل صاحبه وجريحه ونعرف الوجه الذي نأخذه. فقال رفاعه: نعم ما رأيته، وأخذ الراية وقاتلهم قتالاً شديداً، ورام أهل الشام إهلاكهم قبل الليل فلم يصلوا إلى ذلك لشدة قتالهم، وتقدّم عبد الله بن عزيز الكناني فقاتل أهل الشام ومعه ولده محمد وهو صغير، فنادى بني كنانة من أهل الشام وسلّم ولده إليهم ليوصلوه إلى الكوفة، فعرضوا عليه الأمان، فأبى ثم قاتلهم حتى قتل.

وتقدّم كرب بن يزيد الحميري عند المساء في مائة من أصحابه فقاتلهم أشد قتال، فعرض عليه وعلى أصحابه ابن ذي الكلاع الحميري الأمان، قال: قد كنّا آمنين في الدنيا وإنّما خرجنا نطلب أمان الآخرة، فقاتلوهم حتى قتلوا وتقدّم صخر ابن هلال المزني في ثلاثين من مزينة فقاتلوا حتى قتلوا.

فلما أمسوا رجع أهل الشام إلى معسكرهم، ونظر رفاعه إلى كل رجل قد

عُقِرَ به فرسه وجرح فدفعه إلى قومه ثم سار بالناس ليلته، وأصبح الحصين ليلتيهم فلم يرهم، فلم يبعث في آثارهم، وساروا حتى أتوا قرقيسيا فعرض عليهم زفر الإقامة، فأقاموا ثلاثاً، فأضافهم ثم زودهم وساروا إلى الكوفة.

ثم أقبل سعد بن حذيفة بن اليمان في أهل المدائن فبلغ «هيت» فأتاه الخبر، فرجع فلقي المثنى بن مخزبة العبدي في أهل البصرة بصندوداء، فأخبره، فأقاموا حتى أتاهاهم رفاة فاستقبلوه، وبكى بعضهم إلى بعض وأقاموا يوماً وليلة ثم تفرقوا، فسار كل طائفة إلى بلدهم.

ولما بلغ رفاة الكوفة كان المختار محبوساً، فأرسل إليه: أما بعد فمرحبا بالعصبة الذين عظم الله لهم الأجر، حين انصرفوا ورضي فعلهم حين قُتِلوا، أما ورب البيت ما خطا خاط منكم خطوة، ولا ربا ربوة، إلا كان ثواب الله له أعظم من الدنيا. إنَّ سليمان قد قضى ما عليه، وتوفاه الله، وجعل وجهه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون، إني أنا الأمير المأمور، والأمين المأمون، وقاتل الجبارين، والمنتقم من أعداء الدين، المقيّد من الأوتار، فأعدوا واستعدوا وأبشروا، أدعوكم إلى كتاب الله، وسنة نبيه، والطلب بدم أهل البيت، والدفع عن الضعفاء وجهاد المحلين، والسلام»^(١).

هذه هي ثورة التوابين، المشرقة، وهمهم العالية، وتفاديهم في سبيل الهدى، وقد بذل لهم الأمان فلم يقبلوا فقد: ﴿صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾^(٢) فقد قاموا بواجبهم فما رجع منهم إلا قليل بعد اليأس من الغلبة على العدو فرجعوا إلى أوطانهم ولحقوا بعشائرتهم وبذلك ابتغوا أن الوظيفة بعد باقية، على عاتقهم.

وهناك كلمة قيمة للمحقق شمس الدين نأت بها: «لقد اعتبر التوابون أن

(١) الجزري: الكامل: ١٧٥/٤ - ١٨٦.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

المسؤول الأول والأهم عن قتل الحسين عليه السلام هو النظام، وليس الأشخاص وكانوا مصيبين في هذا الاعتقاد ولذا نراهم توجّهوا إلى الشام ولم يلقوا بالاً إلى من في الكوفة من قتلة الحسين عليه السلام ^(١).

إنّ هذه الثورة قد انبعثت عن شعور بالإثم والندم، وعن رغبة في التكفير فمن يقرأ أقوالهم وكتبهم وخطبهم، يلمس فيها الشعور العميق بالإثم والندم، والرغبة الحارة عن التكفير، وكونها صادرة عن هذه البواعث، جعلها ثورة انتحارية فالثائرون يريدون الانتقام والتكفير - ومع ذلك - إنّها أثّرت في مجتمع الكوفة تأثيراً عميقاً فقد عبّأت خطبُ قادات هذه الثورة وشعاراتهم، الجماهير في الكوفة للثورة على الحكم الأموي.

(١) محمد مهدي شمس الدين: ثورة الحسين: ٢٦٤.

ثورة المختار

المختار هو ابن أبي عبيدة بن مسعود بن عمرو بن عوف بن عبدة بن عوف ابن ثقيف الثقفي، ولد عام الهجرة وقد جاء أبوه به إلى علي عليه السلام وهو صغير وأجلسه على فخذه وقال له وهو يمسخ على رأسه: «يا كَيْس! يا كَيْس!» ولذا لُقِّبَ بالكيسان ^(١).

إنَّ ثورة المختار الثقفي من الثورات الانتقامية التي أثلجت قلوب بني هاشم إذ ما امتشطت هاشمية ولا اختضبت، حتى أخذ المختار ثأر الحسين من قتلته، ولما وقف الإمام علي بن الحسين عليه السلام على ما جرى على أعداء أبيه بيد المختار خرَّ ساجداً وقال: الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي وجزى المختار خيراً ^(٢).

وهناك سؤال يطرح نفسه وهو أنَّ المختار كان من أهل الولاء لأهل البيت عليهم السلام فلماذا لم يُشارك في جيش الإمام عليه السلام ولم يقاتل أمامه ولكن التاريخ يجيبك عن هذا السؤال، وهو أنَّ الرجل جاء لنصرة الإمام لكن قبض عليه وحيل بينه وبين أُمّنتيه.

(٢) المصدر نفسه.

(١) الكشي: الرجال: ١١٦.

(٢٥٨)

يذكر المؤرخون أنَّ مسلم بن عقيل عليه السلام خرج قبل الأجل الذي كان بينه وبين أصحابه منهم المختار بن أبي عبيدة، وكان في قرية تدعى «لقفا» فبلغه ما جرى على مسلم فجاء بمواليه إلى الكوفة يحمل راية خضراء ومعه عبد الله بن الحارث رافعاً لواء أحمر، فانتهى إلى باب الفيل ووضح لديهما قتل مسلم وهانئ وأشير عليهما بالدخول تحت راية عمرو بن حريث ليسلما على دمه، ففعلاً وحفظ دمه ابن حريث بشهادته عند ابن زياد باجتنابهما مسلم بن عقيل، فقبل منه بعد أن شتم المختار واستعرض وجهه بالقضيب فشتّر ^(١) عينه، ثم أمر بهما فسجنا وبقياً في السجن إلى أن قتل الحسين عليه السلام فكتب المختار إلى عبد الله بن عمر ابن الخطاب وكان زوج أخته (صفية) أن يشفع له عند يزيد بن معاوية ففعل وشفعه يزيد وأمر ابن زياد بإطلاقه من السجن بعد أن أجّله بالكوفة ثلاثاً ليخرج إلى الحجاز وإلا أعاده إلى السجن ^(٢).

خرج المختار إلى الحجاز وأقام هناك خمسة أشهر واجتمع مع ابن الزبير لخروجه على يزيد وكفاحه ضد الأمويين وهذه هي النقطة التي كان المختار وعبد الله بن الزبير وكثير من المعارضين يشتركون فيها حتى الخوارج. مكث عنده شهوراً وأياماً ولكن لم يجد بغيته فيه، ومع ذلك كله قاتل الشاميين جنود الطاغية تحت راية عبد الله بن الزبير، وهذا يدل على خلوصه في مكافحته الأمويين وقد ذكر الطبري شيئاً كثيراً من بطولته وقتاله ضد الشاميين نقتطف منه ما يلي:

مكث المختار مع عبد الله بن الزبير حتى شاهد الحصار الأول حين قدم الحُصين بن النمير السكوني مكة فقاتل في ذلك اليوم، فكان من أحسن الناس يومئذ بلاء وأعظمهم عناء، ولما قتل المنذر بن الزبير والمسور بن مخرمة ومصعب بن

(١) شتر: قلب جفنه.

(٢) اليعقوبي: التاريخ: ٢/٢٥٨، ط دار صادر - بيروت، الطبري: التاريخ: ٤/٢٤١ - ٤٤٢.

عبد الرحمن بن عوف الزهري، نادى المختار: يا أهل الإسلام! إليّ إليّ أنا ابن أبي عبيد بن مسعود، وأنا ابن الكرار لا الفرار، أنا ابن المقدمين غير المحجمين. إليّ يا أهل الحفاظ وحماة الأوتار، فحمى الناس يومئذ وأبلى وقاتل قتالاً حسناً ثم أقام مع ابن الزبير في ذلك الحصار حتى كان يوم أُحرق البيت، فإنه أُحرق يوم السبت لثلاث مضيّن من شهر ربيع الأوّل سنة ٦٤هـ فقاتل المختار يومئذ في عصابة معه نحواً من ثلاثمائة أحسن قتال قاتله أحد من الناس إن كان ليقاتل حتى يتبدّل ثم يجلس ويحيط به أصحابه، فإذا استراح نهض فقاتل، فما كان يتوجه نحو طائفة من أهل الشام إلّا ضاربهم حتى يكشفهم^(١).

وقد ذكر الطبري شيئاً كثيراً من هذه البطولات أيّام إقامته في مكة مع ابن الزبير قبل مهلك يزيد وبعده.

مغادرته مكة إلى الكوفة :

ولما بلغ نعي يزيد إليه غادر مكة إلى الكوفة للطلب بدم شهيد الطف وإنّما اختار الكوفة لأنّ هناك مجتمع أنصاره وأعدائه، ولما نزل الكوفة اجتمع حوله كثير من الشيعة، يقول المسعودي: نزل ناحية من الكوفة وجعل يظهر البكاء على الطالبين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع لهم ويحثّ على أخذ الثار فمالت إليه الشيعة وانضافوا إلى جملته^(٢) ولما بلغ إلى ابن الزبير التفاف الشيعة حول المختار وأنّه بصدد الخروج أحسّ خطراً وأنّه سوف يخرج العراق من يده، وقد كان العراق تحت قدرته، فرأى أنّ التفاف الناس حول المختار يرجع إلى عدم كفاءة عامله، فحاول إبداله بعامل آخر لم يكن في اللباقة أحسن منه فاستعمل عبد الله بن مطيع بالكوفة، وكان قدومه في رمضان لخمس بقين منه، ولما قدم صعد المنبر وخطبهم

(١) الطبري: التاريخ: ٤٤٥/٤ - ٤٤٦.

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ٧٣/٣ - ٧٤.

وقال: أمّا بعد فإنّ أمير المؤمنين (ابن الزبير) بعثني على مصركم وثوركم وأمرني بجباية فيئكم وأن لا أحمل فضل فيئكم عنكم إلّا برضا منكم، وأن أتبع وصية عمر ابن الخطاب التي أوصى بها عند وفاته، وسيرة عثمان بن عفان فاتقوا الله واستقيموا ولا تختلفوا وخذوا على أيدي سفهائكم فإن لم تفعلوا فلو موموا أنفسكم ولا تلوموني، فوالله لأوقعن بالسقيم العاصي، ولأقيمن درع الأصعر المرتاب (١).

ولو كان كلامه مقياساً لشعوره ودهائه وسياسته، فهذه الخطابة التي ألقاها، دليل على عدم تعرفه على بيئته، والنفسيات الحاكمة على سكانها فإنّ ما ذكره إنّما كان يتجاوب مع أفكار قليل من أهل الكوفة الذين كانوا يتجاوبون مع بني أمية ويحبّون خطهم، وأمّا الأكثرية الساحقة، فكانوا على خلاف تلك الفكرة.

ولأجل ذلك قام السائب بن مالك الأشعري ولم يممهله لإتمام كلامه وقال: «أمّا حمل فيئنا برضانا فإنّا نشهد أنّا لا نرضى أن يحمل عنا فضله، وأن لا يقسم إلّا فينا، وأن لا يُسار فينا إلّا بسيرة علي بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتى هلك، ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في فيئنا ولا في أنفسنا، ولا في سيرة عمر بن الخطاب فينا وإن كانت أهون السيرتين علينا وكان يفعل بالناس خيراً».

فقال يزيد بن أنس: صدق السائب وبرّ، وعندئذ تنبه عبد الله بن مطيع أنّ كلامه لم يكن بليغاً مطابقاً لمقتضى الحال فعاد بتلطيف ما سبق وقال: نسير فيكم بكل سيرة أحببتموها ثم نزل (٢).

لمس المختار ما تتبناه الأكثرية الساحقة من أهل الكوفة والعراق ولم يكن آنذاك في وسعه تحقيق العدل الاجتماعي الذي سار به علي عليه السلام في أيامه، ولكن كانت فيه مقدرة عظيمة على أخذ الثأر حتى يتمكن من الأخذ بمجامع القلوب.

(١) الجزري: الكامل في التاريخ: ٢١١/٤ - ٢١٣. (٢) الجزري: ٢١٣/٤.

ميزة ثورة المختار :

وتتميز ثورة المختار عن ثورة التوابين بأن ثورة هؤلاء كانت متوجهة على النظام الأموي بالذات دون الذين ارتكبوا الجرائم بالمباشرة، وذلك لاعتقادهم بأن النظام هو الأساس لقتل الحسين عليه السلام دون الأشخاص العملاء، فلا بد من السعي لقطع جذور السبب قبل مكافحة المسبب، فلأجل ذلك تركوا الكوفة وفيها قتلة الحسين عليه السلام فتوجهوا إلى الشام وقد استشهد كثير منهم في معركة الحرب مع الشاميين وتراجع القليل منهم إلى الكوفة وعلى رأسهم رفاعة بن شداد الأمير الأخير لهم، وتفرقوا في عشائريهم.

أما المختار فقد كانت ثورته متوجهة بالذات إلى القتلة، وتطهير أرض العراق من جرائم العيث والفساد من الأمويين، وأما الذي حدها إلى اتخاذ هذا الأسلوب في ثورته هو أن العراقيين قد استجابوا لابن الزبير وبايعوه وطرّدوا عامل الأمويين من الكوفة باسم عمرو بن حريث، وذلك قبل خروج المختار، وكانت أمنيته من تلك البيعة أمرين:

١ - تحقيق العدل الاجتماعي والسير وراء الإصلاح الذي قام به الإمام علي عليه السلام.

٢ - أخذ الثأر من قاتل الإمام الحسين عليه السلام.

أما الأمر الأول فلم يتحقق منه شيء واضح حتى يقنع العراقيين، وأما الثاني فكان على طرف النقيض من أمنيته حيث كانت هياكل الإثم كعمر بن سعد وشمر بن ذي الجوشن وشيث بن ربيعي وغيرهم مقربين إلى السلطة، فصار ذلك سبباً لتسرّب الضعف إلى سلطان ابن الزبير في القلوب فكانوا يتحينون الفرص للخروج عن بيعته وإقامة نظام جديد يحقق العدل الاجتماعي الذي مارسوه في

عهد الإمام علي وأخذ الثأر من قتلة الإمام.

نهض المختار والشيعة هم الأغلبية الساحقة على الكوفة - غير راضين من سلطة ابن الزبير وعامله في الكوفة عبد الله بن مطيع واجتمعت الشيعة حول المختار واتفقوا على الرضا به ولم يزل أصحابه يكثرون، وأمره يقوى.

إنّ ثورة المختار كانت ثورة وهاجة أنارت الطريق للثائرين الآتين بعده، غير أنّ حولها إبهامات وتأملات أهمها كونها مبعوثة أو مدعمة من جانب ابن الحنفية مع أنّ الإمام القائم مقام الحسين ووليه وسلطان دمه هو علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ولعلّ اتصاله بابن الحنفية لأجل أنّه قام بالأمر وقد مضت خمس سنين من شهادة الإمام وكان محمد الحنفية شخصية معروفة من عصر الإمام علي ويعد من علماء أهل البيت فاستجاز منه حتى يتخذه رصيذاً لثورته ولا يعد ذلك دليلاً على أنّه كان معتقداً بإمامته على أنّه لم يظهر لابن الحنفية أية دعوة لنفسه، ولو رمي بالدعوة فإنّما هو من أساطير المخالفين لأجل تشويه سمعته والتشكيك في قلوب الشيعة، مع أنّ المختار أرسل الرسل ورؤوس القتلة إلى علي بن الحسين عليه السلام أثناء ثورته كما سيوافيك.

خرج المختار بعد مناوشات واشتباكات بينه وبين عبد الله بن مطيع، عامل ابن الزبير في الكوفة حتى غلب عليه المختار، فدخل المختار القصر وبات فيه وأصبح أشرف الناس في المسجد وعلى باب القصر وخرج المختار فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال:

«الحمد لله الذي وعد وليه النصر، وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر وعداً مفعولاً، وقضاءً مقضياً وقد خاب من افتري، أيّها الناس إنّنا رفعت لنا راية ومدّت لنا غاية فقبل لنا في الراية إنّ إرفعوها، وفي الغاية أن أجروا إليها ولا تعدوها، فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي.

- وقال في نهاية كلامه: - فلا والذي جعل السماء سقفاً محفوظاً والأرض فجاءاً سبلاً، ما بايعتم بعد بيعتي علي بن أبي طالب وآل علي، أهدى منها».

ثم نزل ودخل عليه أشرف الكوفة فبايعوه على كتاب الله وسنة رسول الله والطلب بدماء أهل البيت وجهاد المحلّين والدفع عن الضعفاء وقتال من قاتلنا وسلم من سالما (١).

وأقبل المختار يمّني الناس ويستجّر مودة الأشرف ويحسن السيرة، وقيل له: إنّ عبد الله بن مطيع في دار أبي موسى، فسكت فلما أمسى بعث له بمائة ألف درهم وقال: تجهّز بهذه فقد علمت مكانك وأنك لم يمنعك من الخروج إلاّ عدم النفقة وكان بينهما صداقة (٢).

نهض المختار بالكوفة لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٦٦هـ وبقي إلى شهر رمضان من سنة ٦٧هـ وكانت ولايته ما يقارب ١٨ شهراً فجّد في الأمر وبالغ في النصرة وتتبع أولئك الأرجاس وقد أخذ الثأر من قتلة الحسين (عليه السلام). ونذكر هنا شيئاً قليلاً من قتاله وكفاحه في ساحة الأخذ بالثأر:

كان عامل المختار على الموصل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني فزحف إليه عبيد الله بن زياد بعد قتله سليمان بن صرد (الأمير الأول للتوابين)، فحاربه عبد الرحمن وكتب إلى المختار بخبره. فوجّه إليه يزيد بن أنس، ثم وجّه إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشر، فلقي عبيد الله بن زياد فقتله، وقتل الحصين ابن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وحرّق أبدانهم بالنار وأقام والياً على الموصل وأرمينية وأذربيجان من قبل المختار وهو على العراق والـ، ووجّه

(١) ابن الأثير: الكامل: ٢١١/٤ - ٢٢٦ بتلخيص. (٢) الجزري: الكامل: ٢٢٥/٤ - ٢٢٦.

برأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه، وقال له: قف بباب علي بن الحسين فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس فذاك الوقت الذي يوضع فيه طعامه، فادخل إليه، فجاء الرسول إلى باب علي بن الحسين عليه السلام فلما فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام، نادى بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة ومنزل الوحي أنا رسول المختار بن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد، فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلا صرخت، ودخل الرسول فأخرج الرأس فلما رآه علي بن الحسين قال: أبعد الله إلى النار.

وروى بعضهم أن علي بن الحسين عليه السلام لم يرَ ضاحكاً يوماً قط، منذ قتل أبوه، إلا في ذلك اليوم، وأنه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشام، فلما أتى برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ففرقت في أهل المدينة، وامتشطت نساء آل رسول الله، واختصبن، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي عليه السلام.

وتتبع المختار قتلة الحسين فقتل منهم خلقاً عظيماً، حتى لم يبق منهم كثير أحد، وقتل عمر بن سعد وغيره، وحرق بالنار، وعذب بأصناف العذاب (١).

وقد جاء الجزري بتفصيل قتل قادة الجيش الأموي في كربلاء. قال:

وكان عمرو بن الحجاج الزبيدي ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته، وقيل أدركه أصحاب المختار وقد سقط من شدة العطش فذبحوه وأخذوا رأسه.

وبعث المختار غلاماً له يدعى زربي في طلب شمر بن ذي الجوشن ومعه أصحابه أحاطوا بالبيت الذي فيه شمر، وقام شمر وقد اتزر ببرد وكان أبرص فظهر بياض برصه من فوق البرد وهو يطاعنهم بالرمح وقد عجلوه عن لبس ثيابه وسلاحه،

(١) اليعقوبي: التاريخ: ٢٥٩/٢.

وكان أصحابه قد فارقه فلما أبعدوا عنه، سمعوا التكبير وقائلاً يقول: قتل الخبيث، قتله ابن أبي الكنود وألقيت جثته للكلاب^(١).

ثم أرسل إلى خولي بن يزيد الأصبحي وهو صاحب رأس الحسين عليه السلام فاختم في مخرجه فدخل أصحاب المختار يفتشون عنه، فخرجت امرأته، واسمها العيوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين فقالت لهم: ماتريدون؟ فقالوا لها: أين زوجك؟ قالت: لا أدري، وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه وعلى رأسه قوصرة فأخرجوه وقتلوه إلى جانب أهله وأحرقوه بالنار. وبعث المختار أبا عمرة إلى عمر بن سعد فأتاه وقال: أجب الأمير فقام عمر، فعثر في جبة له، فضربه أبو عمرة بسيفه فقتله وأخذ رأسه فأحضره عند المختار، فقال المختار لابنه «حفص بن عمر» وهو جالس عنده: أتعرف من هذا؟ قال: نعم ولا خير في العيش بعده فأمر به فقتل، وقال المختار: هذا بحسين، وهذا بعلي بن الحسين ولا سواء، والله لو قتلته به ثلاثة أرباع قريش، ما وفوا أنملة من أنامله، ثم بعث برأسه ورأس ابنه إلى ابن الحنفية وكتب إليه يعلمه أنه قد قتل من قدر عليه وإنه في طلب الباقيين ممن حضر القتل^(٢).

ثم إن المختار أرسل إلى حكيم بن طفيل الطائي، وكان أصاب سلب العباس بن علي ورمى الحسين بسهم. كما بعث إلى قاتل علي بن الحسين وهو مرة ابن منقذ فأحاطوا بداره، فخرج إليهم على فرسه وبيده رمحه فطاعنهم فضرب على يده وهرب منهم فنجوا ولحق بمصعب بن الزبير وشلت يده بعد ذلك.

وطلب المختار سنان بن أنس الذي كان يدعي قتل الحسين فرآه قد هرب إلى البصرة فهدم داره، كما أرسل إلى محمد بن الأشعث ولم يجده وقد كان هرب إلى

(١) الجزري: الكامل: ٢٣٦/٤ - ٢٣٧ باختصار . (٢) الجزري: الكامل: ٢٤١/٤ - ٢٤٢.

مصعب، فهدم المختار داره وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي الكندي، كان زياد قد هدمها^(١). وفي الختام نذكر عمله القيم الذي أنجى به لفيماً من أهل بيت النبي الأكرم من الإحراق بالنار. إنَّ عبد الله بن الزبير حبس محمد الحنفية وأصحابه بزمزم وتوعدهم بالقتل والإحراق وإعطاء الله عهداً إن لم يُبايعوا أن ينفذ فيهم ما توعدهم به، وضرب لهم في ذلك أجلاً.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه، أنَّ يبعث إلى المختار يعلمه حالهم فكتب إلى المختار بذلك وطلب منه النجدة فقرأ المختار الكتاب على الناس، فبكى الناس وقالوا: سرّحنا إليه، وعجل، فبعث إليهم ثمانمائة راكب من أهل القوة، حتى دخلوا المسجد الحرام ومعهم الرايات وهم ينادون يا ثارات الحسين حتى انتهوا إلى زمزم، وقد أعدَّ ابن الزبير الحطب ليحرقهم، وكان قد بقي من الأجل يومان، فكسروا الباب، ودخلوا على ابن الحنفية يستأذنون القتال وهو يقول: إني لا أستحل القتال في الحرم. فخافهم ابن الزبير وتركهم. وخرج محمد بن الحنفية ومن معه إلى شعب علي وهم يسبون ابن الزبير ويستأذنون محمداً فيه فأبى عليهم فاجتمع في الشعب أربعة آلاف رجل فقسّم بينهم المال وعزوا وامتنعوا^(٢).

ونقل الجزري أنَّ ابن عباس كان أيضاً محبوساً مع محمد الحنفية فأزال جيش المختار الضرر عن كليهما، ولما قتل المختار قوى عليهما ابن الزبير فخرجا إلى الطائف ولما وصل ابن عباس إلى الطائف توفي به وصلى عليه ابن الحنفية^(٣).

(٢) الجزري: الكامل: ٢٥٠/٤ - ٢٥٤.

(١) الجزري: الكامل: ٢٤٢/٤ - ٢٤٤.

(٣) الجزري: الكامل: ٢٥٠/٤ - ٢٥٤.

قتل المختار بجيش مصعب بن الزبير :

كان المختار يسيطر على قسم كبير من أراضي العراق من الكوفة إلى الموصل وغيرهما وكان أمامه عدوين غاشمين: أحدهما عبد الله بن الزبير حيث كان يحكم على العراق كله غير أنه أخرج المختار عامله من الكوفة وبقيت البصرة بيد عامله مصعب بن الزبير، ثانيهما عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الذي كانت بيده مفاتيح الأقطار الإسلامية غير العراق والحجاز.

وكان مصعب يتحين الفرصة للهجوم على الكوفة وعزل المختار وكان عبد الله يشجعه على ذلك ناسياً عمله المشرق عند ما ضرب جيش الشام الحصار على ابن الزبير، فقد حارب المختار ذلك الجيش المكثف أياماً عديدة، ولكن الملك عقيم. هذا من جانب.

ومن جانب آخر أن المختار تتبّع قتلة الحسين (عليه السلام) بيتاً بيتاً وجدّ في الأمر، وقتل أولئك الأرجاس، ولأجل فتكه وقاتله، هرب قسم من أشراف الكوفة الذين كان لهم يد في قتل الحسين (عليه السلام) منهم شبت بن ربعي، حيث ورد البصرة على هيئة خاصة يحرص والي البصرة على قتال المختار وهو في عمله هذا اتّبع ضمضم بن عمرو الغفاري عند ما أرسله أبو سفيان ليخبر قريشاً بالخطر الذي يحدق بتجارته، فاستأجر ذلك الرجل وأمره بأن يجدع بعيره، ويقطع رحله ويشق قميصه من قبله ودبره، ويصيح: الغوث الغوث.

قام شبت بن ربعي بنفس ذلك العمل (والجنس إلى الجنس يميل) جاء راكباً بغلة قد قطع ذنبها وقطع أطراف أذنّها في قباء مشقوق وهو ينادي: وا غوثاه، فقال الأشراف الهاربون إلى البصرة لمصعب: سر بنا إلى محاربة هذا الرجل الذي هدم دورنا وأخذوا يحرصونه على ذلك.

فجاء مصعب بجيش كثيف وقد وقعت بينهما حروب طاحنة في أقطار متعددة إلى أن انحسر المختار إلى الكوفة، وتخبأ بالقصر.

فحاصره ابن الزبير بقصر الإمارة مع أربعمئة رجل من أصحابه أياماً، وقد كان المختار يخرج من القصر فيقاتل ويرجع إلى أن قتل لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، خرج بمن معه مستميتين فقتلوا وقتل المختار وجاء القاتل برأسه إلى مصعب بن الزبير فأجازه بثلاثين ألف درهم، ثم ابتداء الجيش بقتل الناهضين معه وقتلوا رجالاً كثيراً، ثم بعث مصعب على حرم المختار ودعاهن إلى البراءة فرجعت ابنة سمرة بن جندب ولعنته وتبرأت منه فأطلق سراحها وأبت زوجته الأخرى ابنة النعمان بن بشير وقالت: شهادة أرزقها ثم أتركها، كلاً إنَّها مودة ثم الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته، فأمر بها مصعب وقتلت صبراً.

ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

لا يهمنّا في المقام بيان تفاصيل الثورة التي جاءت في تاريخ الطبري والكمال وغيرهما وإنّما يهمنّا الإلّماع إلى النقطة الحساسة في خطب الثائرين على النظام الأموي، فقد ترى فيها محاكات عن خطب الإمام أبي الشهداء وبذلك صاروا مستلهمين ثورتهم من ثورته، و فكرتهم من فكرته، وقد نقموا من النظام بنفس ما نقم به الإمام منهم، وإليك بيانها على وجه موجز:

أرسل الحجاج، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى سجستان على رأس جيش عراقي وقد فتحوا من البلاد شيئاً كثيراً وكتب القائد في النهاية إلى الحجاج أنّ رأيه إيقاف الحرب في هذه البلاد حتى يعرفوا طريقها، ويجبوا خراجها، ولما وصل الكتاب إلى الحجاج كتب إليه كتاباً وبّخه فيه على إيقاف الحرب، ثم أردفه بكتاب ثانٍ وثالث يأمره بالتوغّل في الحرب وأنّه إن أظهر العجز فالأمير أخوه إسحاق بن محمد.

ولما وصلت كتب الحجاج إلى عبد الرحمن جمع أصحابه وقال: أيّها الناس! إنّني لكم ناصح ولصلاحكم محب، ثم ذكر ما دار بينه وبين الحجاج عن طريق الكتب، وأنّه أمره بالتوغّل في الحرب في أرض العدو، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس. وقال: إنّما أنا رجل منكم أمضي إذا مضيتهم، وأبي إذا أبيتم. فثار إليه الناس فقالوا: لا بل نأبى على عدوّ الله، ولا نسمع له ولا نطيع.

وقد تكلم فيمن تكلم عامر بن واثلة الكناني، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد فإنّ الحجاج والله ما يرى بكم إلّا ما رأى القائل الأوّل إذ قال لأخيه: إحمل عبدك على الفرس، فإن هلك هلك وإن نجا فلك، إنّ الحجاج والله ما يبالي أن يخاطر بكم فيقحمكم بلاداً كثيرة اللهب واللسوب، فإن ظفرتهم فغنمتم أكل البلاد، وحاز المال، وكان ذلك زيادة في سلطانه، وإن ظفر عدوكم كنتم أنتم الأعداء البغضاء الذين لا يبالي عندهم ولا يبقي عليهم، اخلعوا عدو الله الحجاج وبايعوا عبد الرحمن فإنّي أشهدكم أنّي أوّل خالع، فنادى الناس من كل جانب: فعلنا، فعلنا قد خلعنا عدو الله.

وقام عبد المؤمن بن شيبان بن ربعي التميمي ثانياً وكان على شرطته حين أقبل فقال: عباد الله إنكم إن أطعتم الحجاج جعل هذه البلاد بلادكم مابقيتم، وجمركم تجمير فرعون الجنود فإنّه بلغني أنّه أوّل من جمّر البعوث، ولن تعانوا الأحبة فيما أرى أو يموت أكثركم. بايعوا أميركم وانصرفوا إلى عدوكم فانفوه عن بلادكم، فوثب الناس إلى عبد الرحمن فبايعوه فقال: تبايعوني على خلع الحجاج عدو الله وعلى النصرة لي وجهاده معي حتى ينفيه الله من أرض العراق فبايعه الناس ولم يذكر خلع عبد الملك إذ ذاك بشيء.

ثم إنّه خرج عبد الرحمن من سجستان مقبلاً إلى العراق فلمّا دخل فارس اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: إنّنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك فقد خلعنا عبد الملك، فاجتمعوا إلى عبد الرحمن فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه وخلع أئمة الضلالة وجهاد المحلّين.

ثم بعد وقوع اشتباكات عنيفة بين عبد الرحمن وجنود الحجاج، دخل عبد الرحمن البصرة، وبايعه الناس من كهولها وقرائها على حرب الحجاج وخلع عبد الملك وكان ذلك في آخر ذي الحجة من سنة ٨١ هـ فصارت الحرب في

الحقيقة بين الشاميين يرأسهم الحجاج، والعراقيين يقودهم عبد الرحمن.

مضى ابن الأشعث إلى جانب الكوفة والحجاج خلف عبد الرحمن إلى أن حصل التقابل بين الجندين في دير الجماجم^(١) فلما حمل أهل الشام على العراقيين ناداهم عبد الرحمن ابن أبي ليلى الفقيه، فقال: يا معشر القراء إن الفرار ليس بأحد من الناس بأقبح منه بكم، إنني سمعت علياً رفع الله درجته في الصالحين وأثابه أحسن ثواب الشهداء والصديقين، يقول يوم التقينا أهل الشام: «أيها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يعمل به، ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه، فقد سلم، وبرئ، ومن أنكر بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكر بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ونور قلبه باليقين، فقاتلوا هؤلاء المحلّين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فليس ينكرونه.

وقال أبو البختري: أيها الناس قاتلوهم على دينكم وديناكم، فوالله لئن ظهروا عليكم ليفسدن عليكم دينكم وليغلبن على دنياكم.

وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج من قتالهم فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم، ولا أجور منهم في الحكم فليكن بهم البدار.

وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنية ويقين وعلى آثامهم، قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبّرهم في الدين واستذلّ لهم الضعفاء وإماتتهم الصلاح^(٢).

(١) دير الجماجم: بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البرّ للسالك إلى البصرة قال أبو عبيدة: الجمجمة:

القدح من الخشب وبذلك سُمّي دير الجماجم لأنّه يعمل فيه الأقداح من الخشب (معجم البلدان: ٥٠١/٢).

(٢) الطبري: التاريخ: ١٤٥/٥ - ١٦٣.

إلى غير ذلك من الخطب التي أُلقيت في ذلك المقام وإن تمت الحرب لصالح الحجاج وقضى على ثورة ابن الأشعث يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادي الآخرة عام ٨٣هـ ولكنها كانت ثورة وهّاجة في وجه العدو استتبع ثورات أخرى حتى قضت على بني أمية من رأس. وأعلّق على ثورة عبد الرحمن بأمور:

١- إنّ الإمامان في هذه الكلم الموجزة يقتضي بأنّ القوم كانوا مستلهمين من خطب الإمام أمير المؤمنين وخطب سيد الشهداء يوم عاشوراء وغيره، ويظهر ذلك بمقارنة خطب أبي الشهداء منذ غادر المدينة إلى أن استشهد في الطف، وبهذا يظهر أنّ هذه الثورات كانت نابعة عن ثورة الحسين ولولاها لما تتابعت هذه الثورات وبالتالي كان الحكم بيد الأمويين إلى قرون كما كان الأمر كذلك بيد العباسيين ولم يكونوا أحسن سلوكاً من الأمويين.

٢- نرى أنّ سعيد بن جبير ذلك التابعي العظيم وكميل بن زياد النخعي، ممن شاركوا في هذه الثورة وجاهدوا تحت راية عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث مع أنّ بين المقود والقائد بعد المشرقين، فهؤلاء كانوا علويين وعبد الرحمن وأبوه محمد ابن الأشعث كانا عثمانيّ الهوى، فإنّ محمد بن الأشعث هو الذي قضى على ثورة مسلم في الكوفة وقتله وشارك في قتل الحسين. وما هذا إلّا لأنّ رؤساء الشيعة آنذاك استثمروا الفرصة وشاركوا في هذه الثورة ليقضوا على العدو الغاشم بيد غيرهم، ولأجل ذلك لما وضعت الحرب أوزارها دعا الحجاج بكميل بن زياد النخعي فقال له: أنت المقتص من عثمان أمير المؤمنين قد كنت أحب أن أجد عليك سيلاً. فقال: والله ما أدري على أيّنا أنت أشد غضباً عليه حين أقاد من نفسه أم عليّ حين عفوت عنه؟ ثم قال: أيّها الرجل من ثقيف لا تصرف عليّ أنيابك ولا تهدم عليّ تهدم الكتيب، ولا تكسر كسر الذئب، والله ما بقي من

عمري إلا ضُمَّ الحمار فإنه يشرب غدوة ويموت عشية، ويشرب عشية ويموت غدوة، إقض ما أنت قاض فإن الموعد الله وبعد القتل الحساب. قال الحجاج: فإنَّ الحجة عليك. قال: ذلك إن كان القضاء إليك، قال: بلى كنتَ فيمن قتل عثمان وخلعت أمير المؤمنين. أقتلوه، فقدم فقتل، قتله أبو الجهم بن كنانة^(١).

٣- إنَّ الحجاج كان ممن نكست فطرته فالمعروف كان عنده منكراً والمنكر معروفاً، وكان قتل الأبرياء وتعذيبهم بألوان العذاب شيئاً سهلاً عنده. يقول المؤرخون: لما أسرف الحجاج في قتل أسارى دير الجماجم واعطائه الأموال بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه: أمّا بعد: فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطاء الدية وفي العمد القود، وفي الأموال ردّها إلى مواضعها...

فلما بلغ كتاب عبد الملك إليه كتب إليه في الجواب: واللّه ما عليّ من عقل ولا قود، ما أصبتُ القوم فأديهم، ولا ظلمتهم فأقاد بهم، ولا أعطيتهم إلا لك، ولا قتلت إلا فيك...^(٢).

وكان سعيد بن الجبير وكميل بن زياد ومئات من التابعين الأبرياء كانوا ممن تستباح دماؤهم وأموالهم فخصّص وجه الأرض بسيول الدماء... وإلى الله المشتكى.

٤- وإنَّ من العجب العجاب مشاركة الحسن المثنى في انتفاضة ابن الأشعث ولأجل ذلك يعدّه ابن المرتضى سلفاً للزيدية، ولم يكن زيد يوم ذاك إلا طفلاً أو مراهقاً، وبما أنّ أهل البيت كانوا يعانون من النظام الأموي المتمثل يوم

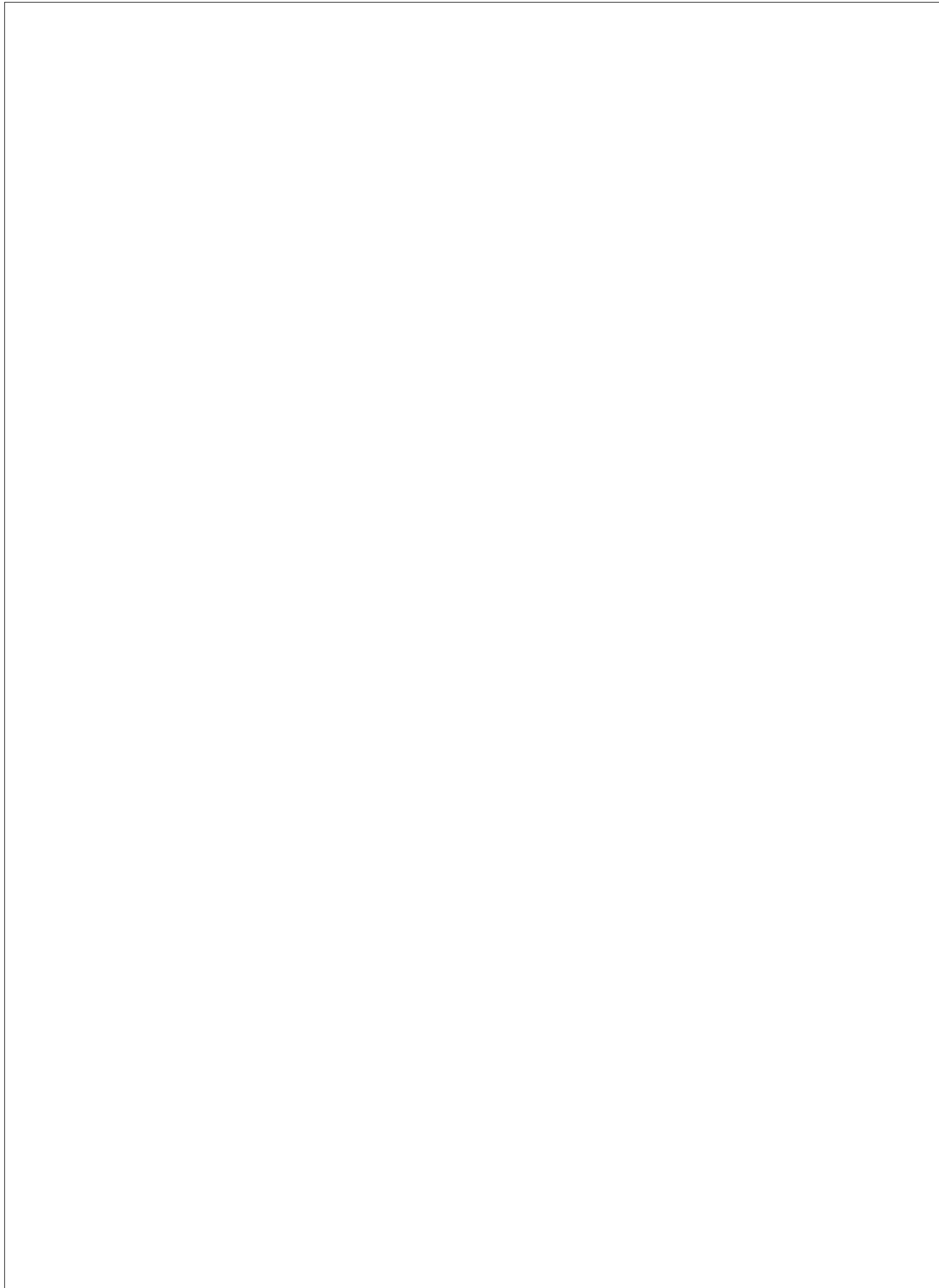
(١) الطبري: التاريخ: ١٦٩/٥ - ١٧٠.

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ١٣٤/٣ - ١٣٥.

ذلك في بني مروان، شاركوا في مثل هذه الانتفاضة لاتفاقهم معه في الهدف المؤقت أعني إزالة عبد الملك عن الحكم^(١).

إلى هنا تمت الثورات المتقدمة على ثورة الإمام زيد وقد اتضح كونها مستلهمة من ثورة الحسين بوجه وحن حين الكلام في ثورة زيد الشهيد التي أنارت الطريق للتأثرين المتأخرين الذين أنهضهم بثورته، للقضاء على النظام السائد في مدة لا تتجاوز عشر سنين وإليك البيان.

(١) البحر الزخار: المقدمة ٢٢٥، وسيوافيك الكلام عند ذكر أئمة الزيدية.
(٢٧٥)



الفصل الرابع عشر

ثورة زيد بن علي بن الحسين كانت استمراراً لثورة الحسين

عليه السلام

هذه هي الثورة السادسة من الثورات المتتابعة لثورة الإمام أبي الشهداء الحسين عليه السلام المستلهمة منها ولم تكن آخرتها، وقد جاءت الثورات بعد ثورة زيد أيضاً تترى على تقويض النظام الأموي ثم النظام العباسي وكان الهدف المشترك بين الجميع مكافحة الظلم والفساد ونشر العدل والقسط بين الناس. وإن لم تخل بعضها عن تحوير وانحراف.

نعم كانت في حياة زيد أحداث جزئية لم يكن لها دور في تكون الثورة واختمارها في نفسه وإنما أشعلت الفتيل، وفجرت الثورة، ولو صح ما ذكره من الأمور، فإنما كانت سبباً لظهور ما كان يختمه زيد طيلة سنوات عصر أخيه الإمام الباقر عليه السلام (٥٧ - ١١٤ هـ) وبعده عصر الإمام الصادق عليه السلام. وبعبارة واضحة: أن جفاء هشام^(١) مثلاً له في مجلسه - كما يذكره المؤرخون -

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٧٧ - ٨٦ وغيره كالصفدي في فوات الوفيات.
(٢٧٧)

لا يكون دليلاً شرعياً على النهضة وإراقة الدماء وقتل النفوس، وإنّما يكون موجباً لأن يندفع إلى ما يراه منذ سنوات من لزوم تطهير المجتمع الإسلامي من هؤلاء الظالمين الناصبين، المفسدين وفي النهاية المحقّرين للرسول وآله.

فإذا كان زيد الثائر إنساناً إذا ذكر الله عنده يغشى عليه حتى يقول القائل: ما يرجع إلى الدنيا، و كان حليف القرآن وأثر السجود في وجهه واضحاً - ومن كانت هذه ملامحه ومواصفاته - فلا يخوض المعارك المدلهمة، ولا يضحى بنفسه ونفيسه ودماء أصحابه الأبرياء إلا إذا كانت هناك مصلحة عامة ترجع إلى الدين ويرضى بها الله ورسوله وإمام عصره، والذي يميّط الستار عن نواياه وعن الحوافز التي دفعته إلى الثورة، أمران:

١ - ما أثر عن النبي وعترته من التنبؤ بشهادته.

٢ - ما أثر عنه من قول أوان النهضة.

فيجب علينا دراسة هذين الأمرين.

تنبؤ النبي وعترته عليهم السلام بقتله :

إنّ النبي الأكرم تنبأ بقتله واصفاً أصحابه بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب، ووصفه في رواية أخرى بالمظلوم من أهل بيته، وأنّه كان يحب زيد بن حارثة لكونه سمّي زيد من صلبه. كما أنّ علياً لما وقف بالكناسة بكى وأبكى أصحابه، ووصفه أخوه الإمام الباقر عليه السلام بأنّه سيد أهله والطالب بأوتارهم، كل ذلك ينم عن أنّه لم يخرج إلاّ بدافع ديني استحق به التكريم. وإليك نفس النصوص في هذا المجال:

- ١ - قال رسول الله ﷺ مخاطباً لولده الحسين عليه السلام «يا حسين، يخرج من صلبك رجل يقال له زيد، يتخطى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين يدخلون الجنة بغير حساب». (١)
- ٢ - قال - مشيراً إلى الحسين عليه السلام - : «إنه يخرج من ولده رجل يقال له زيد ويقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، ويخرج من قبره نبشاً، تفتح لروحه أبواب السماء، وتبتهج به أهل السموات» (٢).
- ٣ - روى حذيفة قال: نظر النبي إلى زيد بن حارثة فقال: «المقتول في الله، والمصلوب في أمي، المظلوم من أهل بيتي سمي - هذا وأشار بيده إلى زيد بن حارثة - ثم قال له: أدن مني يا زيد زادك اسمك عندي حباً، فأنت سمي الحبيب من أهل بيتي» (٣).
- ٤ - روى أبو الفرج عن رجاله عن جرير بن حازم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام وهو متساند إلى جذع زيد بن علي وهو مصلوب، وهو يقول: «أهكذا تفعلون بولدي؟!» (٤).
- ٥ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد وقف على موضع صلبه بالكوفة، فبكى وأبكى أصحابه فقالوا له: ما الذي أبكاك؟ قال: «إن رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع. من رضى أن ينظر إلى عورته أكبه الله على وجهه في النار» (٥).

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام الباب ٢٥، ص ٢٥٠ و ٢٥١ وفي بعض النسخ: «حين ينشر» مكان «نبشاً» والصحيح ما أثبتناه في المتن.

(٢) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام الباب ٢٥، ص ٢٥٠ و ٢٥١ وفي بعض النسخ: «حين ينشر» مكان «نبشاً» والصحيح ما أثبتناه في المتن.

(٣) ابن إدريس: السرائر: ٣/ قسم المستطرفات، فيما استطرفه من رواية أبي القاسم ابن قولويه.

(٤) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٩٨، ط النجف. (٥) ابن طاووس: الملاحم: الباب ٣١.

٦- روى أبو الفرج عن مولى آل الزبير قال: كنا عند علي بن الحسين عليه السلام فدعا ابناً له يقال له زيد: فكبا لوجهه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «أعيزك بالله، أن تكون زيدا المصلوب بالكناسة، من نظر إلى عورته متعمداً صلى الله وجهه النار» ^(١).

٧- روى الكشي عن أبي الجارود قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالساً إذ أقبل زيد بن علي فلما نظر إليه أبو جعفر عليه السلام قال: «هذا سيد أهل بيتي والطالب بأوتارهم» ^(٢).

٨- روى الصدوق عن معمر بن سعيد قال: «كنت جالساً عند الصادق عليه السلام فجاء زيد بن علي فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق: «يا عم أعيزك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة - إلى أن قال:- حدثني أبي عن جدي أنه قال: يخرج من ولدي رجل يقال له زيد يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره حين ينشر، تفتح له أبواب السماء يبتهج به أهل السماوات والأرض» ^(٣). إلى غير ذلك من التنبؤات الواردة حتى في كلمات غيرهم مثل عبد الله بن محمد الحنفية ^(٤). هذه التنبؤات وإن لم ترد عن طريق صحيح، لكن بعضها يدعم بعضاً خصوصاً إذا أُضيفت إليه ما سنقله عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حول ثورته ونهضته فتصبح جلالته الرجل ومكانته العالية أمراً قطعياً لا شك فيه وأن دافعه إلى الخروج كان أمراً إلهياً كما سنشرحه.

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٨٩، ورواه المجلسي عن فرحة الغري بوجه مبسوط لاحظ البحار: ١٨٣/٤٦. فرحة الغري: ٥١، المطبوع ملحقاً بمكارم الأخلاق.

(٢) الكشي: الرجال: في ترجمة هارون بن سعد البجلي، برقم: ١٠٥.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا: ٢٤٩/١، الباب ٢٥. (٤) المجلسي: البحار: ٢٠٩/٤٦.

ما أثر عنه من قول قبل الخروج وأوانه :

إنّ دراسة ما نقل عنه من كلمة أو كلمات يوقفنا على مرماه من الثورة، فإنّ الإنسان بصير على نفسه ومهما اهتم على كتمان ما يضمّره لكنه سيظهر على لمحات وجهه وفلتات لسانه، ولكن الثائر أصحّر بهدفه في غير واحد من المواضع حتى أنّ الحاكم الأموي (هشام بن عبد الملك) اتّهمه بفكر الثورة والقيام على النظام، وهذا يدلّ على أنّه كان يبوح بها أونة بعد أخرى، وإليك هذه الكلمات:

١ - إنّما خرجت على الذين أغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار^(١).

ويشير ثائرنا بكلامه هذا إلى ما ارتكبه الحجاج قائد الجيش الأموي - يوم التجأ ابن الزبير إلى البيت - فحصبه بالحجارة مستعيناً بالمنجنيق الذي نصبه الجيش على جبل أبي قبيس، المشرف على الكعبة. كما مر في ثورة عبد الله بن الزبير.

٢ - إنّما خرجت على الذين قاتلوا جدي الحسين عليه السلام^(٢).

٣ - روى عبد الله بن مسلم بن بابك، قال: خرجنا مع زيد بن علي إلى مكة فلما كان نصف الليل واستوت الثريا فقال: يا بابكي ما ترى هذه الثريا؟ أترى أنّ أحداً ينالها؟ قلت: لا، قال: والله لوددت أنّ يدي ملصقة بها فأقع إلى الأرض، أو حيث أقع، فأقطع قطعة قطعة وأن الله أصلح بين أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).

إنّ هذه الكلمة إشراقة من كلام الحسين ووصيته إلى أخيه محمد ابن الحنفية: «إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، وشيعة أبي علي بن أبي طالب فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٣٥ - ٣٦.

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق: ٣٥ - ٣٦.

(٣) أبو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين: ٨٧.

بالحق، ومن ردّ على هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»^(١). ترى أنّ بين الكلمتين تقارناً بل توافقاً، وهذا ما يدفعنا إلى أنّ ثورته كانت امتداداً لثورة الحسين عليه السلام.

٤- أقام زيد الثائر بالكوفة وبايعه أصحابه وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنّنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد المظالم، وإقفال المجمر، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا، وجهل حقنا. أتبايعون على ذلك فإذا قالوا نعم: وضع يده على يده، ثم يقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفني ببيعتي ولتقاتلن عدوي، ولتنصحن لي في السر والعلانية، فإذا قال نعم: مسح يده على يده، ثم قال: اللهم اشهد^(٢).

وفي كلامه هذا إلماع إلى كلام الإمام الحسين عليه السلام ألقاه بالبيضة عندما حبسه الحرّ بن يزيد الرياحي عن الحركة: فقال: «أيها الناس إنّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله ﷺ، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان. فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غير»^(٣).

٥- ومن كلامه: وإنّا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، وإلى السنن أن تحيي

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.

(٢) الطبري: التاريخ: ٤٩٢/٥، ابن الأثير: الكامل: ٢٣٣/٥ باختلاف في التعبير.

(٣) الطبري: التاريخ: ٣٠٤/٤.

وإلى البدع أن تدفع، فإن أنتم أحببتمونا سعدتم، وإن أنتم أبغيتكم فليست عليكم بوكيل^(١).

٦- ومن كلامه لهشام بن عبد الملك: أنه لم يكره قوم قط حدّ السيف إلاّ ذلّوا^(٢).

وهذه الكلمة من هشام تعرب عن أنّه تجاهر بالثورة في ظروف مناسبة حتى وُشي به إلى هشام.

٧- روى ابن عساكر أنّ زيداً دخل على هشام فقال له: يا زيد بلغني أنّ نفسك لتسمو بك إلى الإمامة، والإمامة لا تصلح لأولاد الإمام - فأجابه زيد بما مر عليك في الفصل الثالث المعقود لحياته فقال هشام: يا زيد إنّ الله لا يجمع النبوة والملك لأحد، فقال زيد: قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾^(٣).

٨- روى المسعودي أنّه لما قامت الحرب بين أصحاب زيد وجيش يوسف ابن عمر الشقي انهمزم أصحاب زيد وبقي في جماعة يسيرة فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلاً:

أذل الحياة وعزّ الممات	وكلاً أراه طعاماً وبيلاً
فإن كان لابد من واحد	فسيري إلى الموت سيراً جميلاً ^(٤)

(١) الطبري: التاريخ: ٤٩٨/٥، ابن الأثير: الكامل: ٢٤٣/٥.

(٢) المفيد: الإرشاد: ٢٦٩.

(٣) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، كما في زيد الشهيد للسيد العاملي: ٩١.

(٤) المسعودي: مروج الذهب: ٢٠٧/٣.

وما أنشأه زيد الثائر من الشعر نفس ما أنشده الإمام الحسين عليه السلام:

سأَمْضِي وما بالموت عار على الفتى إذا في سبيل الله يمضي ويقتل ^(١)

٩- روى المسعودي أنه دخل زيد على هشام بالرصافة، فقال له: ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله، فقال هشام: اسكت لا أم لك أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة، ثم نقل جواب زيد وقال: وقام زيد عن المجلس وهو يقول:

شَرَّدَهُ الخوف وأزرى به	كذاك من يكره حرَّ الجلال
منخرق الكفين يشكو الجوى	تنكته أطراف مَرِّ حداد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد
إن يُحدث الله له دولة	يترك آثار العدا كالرماد ^(٢)

١٠- إن رسالة زيد إلى علماء الأمة أو أن خروجه تدل بوضوح على أن دافعه إلى الخروج هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مر نصّها في الفصل الثالث.

توطين النفس على الشهادة :

خرج زيد موطناً نفسه على القتل والشهادة، مقدّماً المنية على الدنيا الدنية، وقتل العز على عيش الذل، كيف وهو الذي كان يترنّم بقوله:

فأجبتها أن المنية منهل
لا بد أن أسقى بذاك المنهل

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ٢٠٦/٣.

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام: ٣٣/٢.

ومن كان هذا كلامه ويترنم بما ماثله أيضاً، لا يخرج لطلب الملك والإمارة وكسب الجاه والمقام وهو مشرف على القتل، وطلب الجاه من شؤون من يريد البقاء والالتداذ بلذائذ الدنيا لا من يريد ركوب الرماح والأسنة.

ومن أراد اتهام زيد بطلب الإمارة والخلافة فلم يعرف نفسيته ولا بيئته وظروفه المحدقة به فإنها كانت تُحتم عليه الموت وهو كان يرى الشهادة أمامه.

والذي وطن نفسه على القتل هو الأمور التالية:

١ - كان كلام جده وأبائه رنين سمعه وأنه يخرج من ولده رجل يقال له زيد ويقتل بالكوفة ... وقد سمع عن والده علي بن الحسين عليه السلام وهو صغير: «أُعِيذُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ زَيْدًا الْمَصْلُوبَ بِالْكِنَاسَةِ» كما سمع نظيره عن ابن أخيه الإمام الصادق عليه السلام الذي أطبق المسلمون على صدقه، ومع هذه الأخبار المتضاربة كيف لا يوطن نفسه على الشهادة، ويخرج لطلب الملك والجاه والمقام دون إباء الضيم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعريف الأمة بواجبهم تجاه الطغمة الغاشمة.

٢ - إن الذين بايعوه ودعوه إلى النضال والكفاح كانوا - وللأسف - معروفين بالنفاق، وعدم الثبات والصمود في مسيرة الدعوة وطريق البيعة، فكانوا يبرمون أمراً وينقضونه من فوره، وأهل الكوفة وإن لم يكن كلهم كذلك وكان فيهم أبطال صامدون ولكن الأكثرية الساحقة كانوا بهذه الخصيصة وقد عرّفهم الإمام علي عليه السلام في غير واحد من خطبه نقتطف منها ما يلي:

١ - يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال، وعقول ربّات الحجال، لوددت أنّي لم أركم، ولم أعرفكم معرفة - والله - ... قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً^(١).

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٧.

٢- ويقول في خطبة أخرى: «يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنين، صمّ ذو أسماع، وبكم ذو كلام، وعمي ذو أبصار، لا أحرار صدقٍ عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء... لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم»^(١).

فإذا كان المبايعون هؤلاء الذين وصفهم جدّه بعدم الثبات والصدق عند اللقاء، فكيف يصح له أن يعتمد على بيعتهم ويطلب الإمارة؟! والكوفة وإن انجبت أبطالاً شهاماً كتبوا على جبين الدهر بطولاتهم وصدق مواقفهم في ميادين الحرب، ولكن كانت الكوفة تحتضن موالٍ أتوا من هنا وهناك وتوطنوا فيها، وكان العرب المتوطنون فيها وافدين من نقاط شتى وقبائل مختلفة لا تجمعهم فكرة واحدة وثقافة فريدة، وقد مضت الكوفة أيام عمر بن الخطاب ولم تكن قبل ذلك حاضرة، وهي بخلاف الشام فقد ضربت فيها حضارة عريقة بجرانها قبل قرون، وكانت تسوسهم الوحدة الحضارية والعنصرية والتربية المدنية والدينية قبل الإسلام، فاستغلال هذه المنطقة بمالها من المواصفات أسهل من استغلال هؤلاء الذين لا يربطهم سوى شيء واحد وهو التوطن في أرض الكوفة وما والاها.

وإن كنت في شكّ ممّا ذكرنا من هؤلاء فقارن عدد المبايعين لزيد وعدد الحاضرين في ساحة المعركة، فقد أقام زيد بالكوفة خمسة أشهر وبالبصرة شهرين، فأخذ الناس يبايعونه من الشيعة والمحكمة وبلغ ديوانه خمسة وعشرين ألفاً أو أزيد كما سيوافيك، ولكن لم يحضر منهم في ميدان القتال إلا مائتان وثمانية عشر رجلاً، ولما وقف زيد على قلة المجيبين، قال: سبحانه الله أين الناس؟ فقليل: إنهم محصورون في المسجد، فقال زيد: سبحانه الله ما هذا عذر لمن بايعنا.

كل ذلك يدلنا على أنّ زيدا قام بالأمر وهو موطن نفسه على الشهادة وإراقة

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٩٧.

دمه في طريق هدفه، ألا وهو إيقاظ الأمة وتوجيههم نحو واجبهم.

٣- إنَّ زيدا الشهيد كان يواجه دولة كبيرة أموية ضربت بجرانها أقطار الأرض شرقها وغربها ويدها مفاتيح الخير والشر وهو لا يملك من العدة إلا شيئاً قليلاً، أفصح أن يرمى مثل زيد بأنه خرج لطلب السلطة والإمامة لا للشهادة والفداء؟!

حول الأحداث الجزئية الدافعة إلى الخروج :

قد تعرفت على الدافع الواقعي لثورته غير أنَّ المؤرخين ذكروا أسباباً أخرى لخروجه لو صحت فإنَّما يعتبر كونها معدات للثورة، وأسباباً لتفجُّرها وتقدِّمها لا أنَّها كوَّنت فكرة الثورة في نفسه، وفي غضون ما نذكره من الأسباب دلالة واضحة على أنَّ الفكرة تكوَّنت قبل وقوع هذه الأسباب وإليك بيانها:

١- اتهامه بأخذ الجائزة من خالد القسري :

كان خالد بن عبد الله القسري عامل هشام على العراق فعزله ونصب يوسف بن عمر مكانه، وتتبع الوالي الثاني مزلق أقدام خالد، العامل الأوَّل وكتب إلى هشام: إنَّ خالدًا ابتاع من زيد، أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار، ثم ردَّ الأرض عليه، فكتب هشام إلى عامل المدينة أن يسيّرهم إليه، ففعل، فسألهم هشام عن ذلك فأقروا بالجائزة وأنكروا ما سوى ذلك وحلفوا، فصدّقهم وأمرهم بالمسير إلى العراق ليقابلوا خالدًا، فساروا على كره وقابلوا خالدًا، فصدّقهم، فعادوا نحو المدينة. فلمَّا نزلوا القادسية راسل أهل الكوفة زيدا فعاد إليهم. وقيل: بل ادّعى خالد بن عبد الله القسري أنَّه أودع زيدا وداود بن علي ونفراً من قريش مالا، فكتب يوسف بذلك إلى هشام، فأحضرهم هشام من المدينة

وسيرهم إلى يوسف ليجمع بينهم وبين خالد فقدموا عليه، فقال يوسف لزيد: إنَّ خالداً زعم أنَّه أودعك مالا. قال: كيف يودعني وهو يشتم آبائي على منبره؟! فأرسل إلى خالد فأحضره في عباءة، فقال: هذا زيد قد أنكر أنك قد أودعته شيئاً. فنظر خالد إليه وإلى داود بن علي وقال ليوسف: أتريد أن تجمع مع إثمك في إثماً في هذا؟ كيف أودعه وأنا أشتمه وأشتم آباءه على المنبر! فقالوا لخالد: ما دعاك إلى ما صنعت؟ قال: شدّد عليّ العذاب فادّعت ذلك وأمّلت أن يأتي الله بفرج قبل قدومكم. فرجعوا وأقام زيد وداود بالكوفة.

وقيل: إنَّ يزيد بن خالد القسري هو الذي ادّعى المال وديعة عند زيد.

فلما أمرهم هشام بالمسير إلى العراق إلى يوسف استقالوه خوفاً من شر يوسف وظلمه، فقال: أنا أكتب إليه بالكفّ عنكم، وألزمه بذلك، فساروا على كره.

وجمع يوسف بينهم وبين يزيد، فقال يزيد: [ما لي عندهم قليل ولا كثير. قال يوسف: أبَي تهزأ أم بأمر المؤمنين؟ فعذبه يومئذ عذاباً كاد يهلكه، ثم أمر بالفراشين فضربوا وترك زيدا. ثم استحلّهم وأطلقهم، فلحقوا بالمدينة، وأقام زيد بالكوفة، وكان زيد قد قال لهشام لما أمره بالمسير إلى يوسف: ما آمن إن بعثني إليه أن لا نجتمع أنا وأنت حين أبداً. قال: لا بد من المسير إليه، فساروا إليه^(١).

لا شك أنَّ هذا الحديث مهما كان صحيحاً، لا يكون مبرراً للثورة، لو لم يكن هناك عنصر قوي دفعه إليها. وأظن أنَّ الوالي المتتبع لعشرات الوالي الأوّل اتّهمه بأنّه ابتاع من زيد أرضاً بالمدينة بعشرة آلاف دينار ثم ردّ الأرض عليه ولم يكن هناك أي بيع وشراء، خصوصاً، البائع يقطن المدينة والمشتري والى العراق، والأرض المشتراة في المدينة، ومن أين لزيد مثل هذه الأرض بهذه القيمة العالية؟

(١) ابن الأثير الجزري: ٢٢٩/٥ - ٢٣٠.

وأما ما نقل عن خالد، من أنه اعترف على زيد بأنه أودع عنده، فلعله ذكره ليرفع العذاب عن نفسه ولم يكن عنده ولا عند غيره شيء فلذلك لما جمعهم يوسف ابن عمر تكلم بالحقيقة، وقال: كيف أودعه وأنا أشتمه وأشتم آبائه؟! وعلى كل تقدير فهذا الحدث وإن كان ثقیلاً على مثل زيد لكن لا يكون الثورة في نفسه بل يعرب عن تكونه قبل هذا الحدث ولأجل ذلك قال لهشام: ما آمن إن بعثتني إليه أن لا نجتمع أنا وأنت حين أبداً.

٢ - التخاصم في الأوقاف :

كان للنبي الأكرم ﷺ وفاطمة وعلي ﷺ أوقافاً يتولاها بنو الحسن وبنو الحسين وربما جرت بينهما مشاجرات وقد نقله غير واحد من المؤرخين نأتي بنص الجزري حيث قال:

كان السبب في ذلك أن زيدا كان يخاصم ابن عمه جعفر بن الحسن بن علي في ولاية [وقوف علي ﷺ]، وكان زيد يخاصم عن بني الحسين ﷺ، وجعفر يخاصم عن بني الحسن ﷺ، فكانا يتبالغان [بين يدي الوالي إلى] كل غاية ويقومان فلا يعيدان مما كان بينهما حرقاً.

فلما مات جعفر نازعه عبد الله بن الحسن بن الحسن، فتنازعا يوماً بين يدي خالد بن عبد الملك بن الحارث بالمدينة، فأغلظ عبد الله لزيد وقال: يابن السندية! فضحك زيد وقال: قد كان إسماعيل لأمة ومع ذلك فقد صبرت بعد وفاة سيدها إذ لم يصبر غيرها، يعني فاطمة ابنة الحسين أم عبد الله، فإنها تزوجت بعد أبيه الحسن بن الحسن، ثم ندم زيد واستحيا من فاطمة، وهي عمتة، فلم يدخل عليها زماناً، فأرسلت إليه: يابن أخي إني لأعلم أن أمك عندك كأُم عبد الله عنده. وقالت لعبد الله: بئس ما قلت لأُم زيد! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت! قال: فذكر أن خالداً قال لهما: أغدوا علينا غداً فلست لعبد الملك إن لم أفصل

بينكما. فباتت المدينة تغلي كالمرجل، يقول قائل: قال زيد كذا، ويقول قائل: قال عبد الله كذا.

فلما كان الغد جلس خالد في المسجد واجتمع الناس فمن بين شامت ومهموم، فدعا بهما خالد وهو يحب أن يتشاتما، فذهب عبد الله يتكلم، فقال زيد: لاتعجل يا أبا محمد، أعتق زيد ما يملك إن خاصمك إلى خالد أبداً. ثم أقبل على خالد فقال: جمعت ذرية رسول الله ﷺ لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر! فقال خالد: أما لهذا السفية أحد؟ فتكلم رجل من الأنصار من آل عمرو بن حزم فقال: يا ابن أبي تراب وابن حسين السفية! أما ترى للوالي عليك حقاً ولا طاعة؟ فقال زيد: اسكت أيها القحطاني فإننا لا نجيب مثلك. قال: ولم ترغب عني؟ فوالله إنني لخير منك، وأبي خير من أبيك، وأمي خير من أمك. فتضاحك زيد وقال: يامعشر قريش هذا الدين قد ذهب فذهبت الأحساب، فوالله ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم. فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال: كذبت والله أيها القحطاني! فوالله لهو خير منك نفساً وأماً وأباً ومحتدأً. وتناوله بكلام كثير، وأخذ كفاً من حصباء وضرب بها الأرض ثم قال: إنه والله ما لنا على هذا من صبر.

وشخص^(١) زيد إلى هشام بن عبد الملك، فجعل هشام لا يأذن له، فيرفع إليه القصص، فكلما رفع قصة يكتب هشام في أسفلها: أرجع إلى أميرك، فيقول زيد: والله لا أرجع إلى خالد أبداً. ثم أذن له يوماً بعد طول حبس ورقي^(٢) عليّة طويلة، وأمر خادماً أن يتبعه بحيث لا يراه زيد ويسمع ما يقول، فصعد زيد،

(١) سياق العبارة: أن شخوصه إلى هشام كان لحل عقدة تولية الأوقاف: ولكنه غير صحيح لما سيوافيك في تعليقنا

(٢) أي هشام بن عبد الملك.

(٢٩٠)

وكان بديناً، فوقف في بعض الدرجة، فسمعه يقول: والله لا يحب الدنيا أحد إلاّ ذلّ. ثم صعد إلى هشام فحلف له على شيء، فقال: لا أصدقك، فقال: يا أمير المؤمنين إنّ الله لم يرفع أحداً عن أن يرضى بالله، ولم يضع أحداً عن ألاّ يرضى بذلك منه. فقال هشام: لقد بلغني يا زيد أنّك تذكر الخلافة وتتمناها ولست هنالك وأنت ابن أمة. قال زيد: إنّ لك جواباً. قال: فتكلم. قال: إنّ الله ليس أحد أولى بالله ولا أرفع درجة عنده من نبي ابتعثه، وقد كان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة فاختره الله عليه وأخرج منه خير البشر، وما على أحد من ذلك إذ كان جده رسول الله وأبوه علي بن أبي طالب ما كانت أمّه. قال له هشام: أخرج. قال: أخرج ثم لا أكون إلاّ بحيث تكره. فقال له سالم: يا أبا الحسين لا تظهرن هذا منك.

فخرج من عنده وسار إلى الكوفة، فقال له محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب: أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأت أهل الكوفة، فإنّهم لا يفون لك، فلم يقبل. فقال له: خرج بنا أسراء على غير ذنب من الحجاز إلى الشام ثم إلى الجزيرة ثم إلى العراق إلى قيس ثقيف يلعب بنا، وقال: بَكَرَتْ تَخَوَّفَنِي الحُتُوفُ كَأَنِّي أصبحت عن عرض الحياة بمعزل (١)

إِلْفَاتُ نَظَرٍ:

يظهر من الجزري أنّ زيدا دخل الشام مرتين وقابل فيهما هشاماً، أحدهما: لأجل تحضير هشام إياه من المدينة وتسييره إلى يوسف بن عمر في قضية خالد بن عبد الله القسري، وأخرى: بعد النزاع في تولية الأوقاف، وسياق كلام الجزري هو أنّ الرحلة الثانية كانت عقيب ذلك الحدث وذلك لأنّه بعد ما فرغ من الكلام في النزاع في المدينة، قال:

(١) ابن الأثير الجزري: ٢٣٠/٥ - ٢٣٣.

«وشخص زيد إلى هشام بن عبد الملك فجعل هشام لا يأذن له فيرفع إليه القصص...»

مومياً إلى أن الرحلة الثانية كانت لأجل فصل الخصومة عند هشام ولكن السياق متروك قطعاً ولو صحت الرحلة الثانية فإنما كان لأجل شكايات وقصص مختلفة وصلت إليه وأراد رفعها إلى هشام لا لأجل فصل الخصومة بينه وبين بني الحسن في تولية الأوقاف، ويدل على ذلك أمران:

١ - أنه صاح على والي المدينة خالد بن عبد الملك عندما جمعه وعبد الله بن الحسن في المسجد لرفع الخصومة وقال: جمعت ذرية رسول الله لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا عمر، أفصح بعد هذا أن يرفع الشكاية في ذلك الموضوع إلى هشام بن عبد الملك؟

٢ - قال الجزري عند بيان الرحلة الثانية: «فيرفع إليه القصص فكلما رفع قصة يكتب هشام في أسفلها: ارجع إلى أميرك...» فظاهر العبارة أنه كانت هناك شكايات وقصص عديدة أراد أن يلفت نظر هشام إلى تلك الجرائم.

وأظن أن ما ذكره المسعودي في مروجه وشيخنا المفيد في إرشاده ليس قضية أخرى، بل هو نفس ما جاء به الجزري بتفصيل غير أن المسعودي اختزله. وإليك نصهما:

دخل زيد على هشام بالرصافة فلمّا مثل بين يديه لم ير موضعاً يجلس فيه فجلس حيث انتهى به مجلسه وقال: يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله ولا يصغر دون تقوى الله، فقال هشام: أسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة، وأنت ابن أمة، قال: يا أمير المؤمنين إنّ لك جواباً إن أحببت أجبتك به وإن أحببت أسكت عنه، فقال: بل أجب. قال: إنّ الأمّهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل أمة لأمّ إسحاق (صلى الله عليهما)

فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً، وجعله للعرب أباً فأخرج من صلبه خير البشر محمداً ﷺ فتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي، وقام وهو يقول:

شرده الخوف وأزرى به كذاك من يكره حرّ الجلال^(١)

فمضى عليه إلى الكوفة وخرج عنها ومعه القراء والأشراف فحاربه يوسف ابن عمر الثقفى^(٢).
ونقل الشيخ المفيد وأكمل به بقوله:

«فوثب هشام عن مجلسه (بعد ما أجابه زيد) وقال: لا يبيتنّ هذا في عسكري الليلة، فخرج زيد وهو يقول: إنّه لم يكره قط قوم حدّ السيوف إلّا ذلّوا فلما وصل إلى الكوفة اجتمع إليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب ثم نقضوا بيعته وأسلموه، فقتل وصلب بينهم أربع سنين لا ينكر أحد منهم ولا يعينوه بيد ولا لسان^(٣)».

٣- ردّ زيد على تجرؤ هشام:

دخل زيد على هشام وقد احتشد المجلس بأهل الشام فقال: ما يصنع أخوك البقرة؟ فغضب زيد حتى كاد يخرج من إهابه وقال: سمّاه رسول الله الباقر، وأنت تسمّيه البقرة، لشد ما اختلفتما، لتخالفه في الآخرة كما خالفته في الدنيا فيرد الجنة وترد النار، فانقطع هشام عن الجواب وبان عليه العجز، ولم يستطع دون أن صاح لغلمانه: أخرجوا هذا الأحمق المالك، فأخذ الغلمان بيده فأقاموه^(٤).

(١) مضت الأبيات: ص ٩٨، فراجع. (٢) مروج الذهب: ٢٠٦/٣ - ٢٠٧.

(٣) المفيد: الإرشاد: ٢٦٨ - ٢٦٩ وابن مهنا: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٤) ابن قتيبة: عيون الأخبار: ٢١٢/١، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٨٦/٣، الطبرسي: أعلام الوري: ٢٥٧.

وقال الصفدي: وفد على هشام بن عبد الملك فرأى منه جفوة، فكان ذلك سبب خروجه وطلبه للخلافة^(١).

لو أنّ الصفدي ومن لفّ لفّه عرف نفسيات زيد، وروحياته الطاهرة، لوقف على أنّ هذا الحدث وما أشبهه، لم يكن سبباً للقيام، فإنّه كان مختمراً في النهضة أيام إقامته في المدينة قبل أن يفد إلى هشام حتى أنّ الصفدي يروي نفسه ويقول: «دخل زيد بن علي مسجد رسول الله ﷺ في يوم حارّ من باب السوق فرأى سعد ابن إبراهيم في جماعة من القرشيين قد حان قيامهم، فقاموا، فأشار إليهم فقال: يا قوم أنتم أضعف من أهل الحرة! قالوا: لا، قال: وأنا أشهد أنّ يزيد ليس شراً من هشام فما لكم؟ فقال سعد لأصحابه: مدة هذا قصيرة، فلم ينشب أن خرج وقتل^(٢).

زيد الثائر في الكوفة :

دخل زيد الكوفة في النصف الثاني من عام مائة وعشرين وأقام بها وذلك بعدما أمر به هشام بن عبد الملك من المسير إلى العراق حتى يحاكمه يوسف بن عمر فيما كان يدعيه خالد بن عبد الله القسري أو ابنه يزيد بن خالد من توديع أموال عنده وعند داود بن علي بن عبد الله بن العباس. فلما تبينّت براءته عما يدّعى عليه لم يرحل إلى الحجاز بل أقام بها ظاهراً ومعه داود بن علي، وأقبلت الشيعة تختلف إلى زيد وتأمّره بالخروج ويقولون: إنّنا لنرجو أن تكون أنت المنصور، وإن هذا الزمان هو الذي تهلك فيه بنو أمية وفي خلال المدّة التي كان هو في الكوفة، يرسل يوسف بن عمر إليه رسولاً بعد رسول ليغادر الكوفة، ولكنه في كل مرّة يعتذر بعذر حتى أتى القادسية، وقيل: الثعلبية، فتبعه أهل الكوفة وقالوا: نحن أربعون ألفاً لم

(٢) المصدر نفسه: ٣٦/١٥.

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٣/١٥.

يختلف عنك أحد نضرب عنك بأسيافنا وليس هيهنا من أهل الشام إلاّ عدّة يسيرة، بعض قبائلنا يَكْفِيكهم بإذن الله وحلفوا له بالأيّمان المغلظة^(١).

وهناك من يقول: إنّ زيدا لما قضى وطره في الشام ورأى عند هشام من التجبر والأنانية غادر الشام إلى الكوفة فأقام بها مستخفياً فينتقل في المنازل، وأقبلت الشيعة تختلف إليه فبايعه وجوه أهل الكوفة وكانت بيعته: إنا ندعوكم إلى كتاب الله، وستة نبيه وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، واعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ورد المظالم ونصر أهل البيت أتباعون على ذلك؟ فإذا قالوا نعم وضع يده على أيديهم ويقول: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله لتفين ببيعتي ولتقاتلنّ عدوي ولتنصحنّ لي في السر والعلانية، فإذا قال نعم، مسح يده على يده، ثم قال: اللهم اشهد، فبايعه خمسة عشر ألفاً وقيل أربعون ألفاً فأمر أصحابه بالاستعداد، فأقبل من يريد أن يفي له، ويخرج معه ويستعد ويتهيأ وشاع أمره في الناس^(٢).

وبما أنه من البعيد أن تكون لمثل زيد حليف القرآن والعبادة رحلات أو رحلتان إلى الشام فالظاهر هو الوجه الأول، وأنه بعدما سيّره هشام بن عبد الملك إلى الكوفة لأجل المحاكمة فأقام بها متهيئاً للثورة، وهذا هو الظاهر أيضاً من أبي الفرج الأصفهاني وبما أنه زبدي له عناية خاصة بتحقيق مواقف زيد فاقصر بالوجه الأول، وقال: «فأقام زيد بعد خروجه من عند «يوسف» بالكوفة أياماً، وجعل يوسف يستحثه بالخروج فيعتل عليه بالشغل، وبأشياء يبتاعها فألح عليه حتى خرج فأتى القادسية، ثم إنّ الشيعة لقوا زيدا فقالوا له: «أين تخرج عنا رحمك الله، ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بني أمية بها دونك، وليس قبيلنا من أهل الشام إلاّ عدّة يسيرة فأبى عليهم فما زالوا يناشدونه

(١) الجزري: الكامل: ٢٣٤/٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٣/٥.

حتى رجع بعد أن أعطوه العهد والمواثيق... وأقبلت الشيعة وغيرهم يختلفون إليه ويبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان وجرجان وأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً وأرسل دعائه إلى الآفاق والكور يدعو الناس إلى بيعته فلما دنا خروجه، أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ، فجعل من يريد أن يفي له يستعد^(١).

من بايع زيدا من المحدثين والفقهاء :

قد عرفت أنه بايعه وجوه أهل الكوفة كما بايعه أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان^(٢) ولكن نركز على أسماء أهل العلم ونقله الآثار الذين أتى بأسمائهم أبو الفرج الأصفهاني في كتاب «مقاتل الطالبين» فإن في التعرف عليهم تأثيراً للتعرف على مكانة زيد في قلوب الفقهاء والمحدثين وأهل العلم في ذلك الزمان، وأن الرجل ما لم تكن فيه مكانة كبرى في قلوب الناس لما بايعه نظراء أبي حنيفة والأعمش وابن أبي ليلى وغيرهم.

١- منصور بن المعتمر :

عده الرجاليون من أصحاب الإمام الباقر والصادق عليه السلام^(٣) كان يدعو إلى الخروج مع زيد بن علي، أبطأ منصور عن زيد لما بعثه يدعو إليه، فقتل زيد ومنصور غائب عنه، فصام سنة يرجو أن يكفر ذلك عن تأخره، ثم خرج بعد ذلك مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر^(٤).

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين: ٩١ - ٩٢.

(٢) ابن مهنا: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٥٦، وقد عرفت كلام أبي الفرج في مقاتل الطالبين.

(٣) تنقيح المقال: ٢٥٠/٣، نقله عن الشيخ الطوسي.

(٤) ذكر خروجه (عبد الله بن معاوية) أبو الفرج في مقاتل الطالبين ١١١ - ١١٦.

٢- نعمان بن ثابت (أبو حنيفة):

روى أبو الفرج عن الفضل بن الزبير، قال: قال أبو حنيفة من يأتي زيدا في هذا الشأن من فقهاء الناس؟ قال: قلت: سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وهشام بن البريد وأبو هاشم الرماني، والحجاج بن دينار وغيرهم، فقال لي: قل لزيد: لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح، ثم بعث ذلك معي إلى زيد فأخذه زيد.

٣- سليمان بن مهران (الأعمش):

أحد أعلام الشيعة بالكوفة، وقد جاء عثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه فجلس إلى الأعمش فقال: أخلصنا فإن لنا إليك حاجة، فقال: وما خطبكم؟ هذا شريك وهذا عمرو بن سعيد، أذكر حاجتك فقال: أرسلني إليك زيد بن علي أدعوك إلى نصرته والجهاد معه وهو من عرفت. قال: أجل ما أعرفني بفضل إقرياه مني السلام وقولا له: يقول لك الأعمش: لست أثق لك - جعلت فداك - بالناس ولو أنا وجدنا لك ثلاثمائة رجل أثق بهم، لغيرنا لك جوانبها.

٤- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري:

كان من أصحاب الرأي تولى قضاء الكوفة وأقام حاكماً ثلاث وثلاثين سنة ولي لبني أمية، ثم لبني العباس ومات على القضاء في سنة ١٤٨ هـ وله ٧٤ سنة، نقل أبو الفرج عن أحمد بن محمد بن عمران بن أبي ليلى، قال: حدثني أبي، قال: كان محمد بن أبي ليلى ومنصور بن المعتمر بايعا زيد بن علي. قال: وبعث يوسف ابن عمر إلى الناس فأخذ عليهم أبواب المسجد فحال بينه وبينهم.

٥- هلال بن حباب:

كان عالماً فاضلاً راوياً تولى قضاء المدائن ومات بها. قال أبو الفرج: كتب زيد بن علي إلى هلال بن حباب وهو يومئذ قاضي المدائن فأجابه وباع له.

٦- زبيد بن الحارث الياامي:

ينتهي نسبه إلى يام، بطن من همدان، كان من الشيعة المحدثين في الكوفة ومن التابعين، روى أبو الفرج عن سالم بن أبي الحديد، قال: أرسلني زيد بن علي إلى زبيد الياامي أدعوه إلى الجهاد معه.

٧- يزيد بن أبي زياد القرشي الهاشمي :

كان هاشمياً ولأهلاً لا نسباً، أحد أعلام الشيعة بالكوفة مات سنة مائة وسبع وثلاثين، روى أبو الفرج عن عبدة بن كثير السراج الجرمي، قال: قدم يزيد بن أبي زياد مولى بنى هاشم صاحب عبد الرحمن بن أبي ليلى الرقة يدعو الناس إلى بيعة زيد بن علي، وكان من دعاة زيد بن علي، وأجابه الناس من أهل الرقة، وكنت فيمن أجابه.

٨- قيس بن ربيع الأسدي :

كان من فقهاء الكوفة وكثرة أحاديثه وسماعه الحديث قيل له الحوال، قال أبو الوليد: كتبت عن قيس ستة آلاف حديث توفي بالكوفة سنة مائة وثمان وستين. روى أبو الفرج أن أبا حصين قال لقيس بن الربيع: يا قيس، قال: لبيك. قال: لا لبيك ولا سعديك، لتبايعن رجلاً من ولد رسول الله ﷺ ثم تخذله، وذلك أنه بلغه بايع زيد بن علي رضوان الله عليه.

٩- سلمة بن كهيل :

عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب علي بن الحسين والباقر والصادق عليهم السلام ويظهر من الروايات انحرافه عن الإمام الباقر، روى الكليني عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة: «شرقاً وغرباً فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا» (١).

روى الكشي أنه دخل سلمة بن كهيل ومعه جماعة على أبي جعفر وعنده أخوه زيد فقالوا لأبي جعفر عليه السلام: نتولّى علياً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: نعم، قالوا: فنتولّى أبا بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم؟ فالتفت إليهم زيد بن علي وقال لهم: أتتبرؤون من فاطمة، بترتم أمرنا بتركهم الله. فيومئذ سموا البترية (٢).

١٠- هارون بن سعد العجلي :

ويقال له الجعفي الفقيه كان من حملة الآثار في الكوفة وقد عدّه أبو الفرج من المبايعين كما عرفت.

١١- أبو هاشم الرماني :

اسمه يحيى بن دينار من الفقهاء التابعين.

١٢- الحجاج بن دينار :

كثير الرواية كان من فقهاء التابعين.

(٢) الكشي: الرجال: ٢٣٦.

(١) الكليني: الكافي: ٣٩٢/١.

(٢٩٩)

١٣ - سفيان الثوري:

نسبه إلى ثور بن عبد مناة سمي بذلك لأنه نزل جبل ثور الذي به الغار، كان من أعيان فقهاء الكوفة ورواة الحديث استقضاه المهدي على الكوفة فامتنع وتولاه شريك بن عبد الله النخعي فقال الشاعر:

تحرز سفيان وفاز بدينه وأمسى شريك مرصداً للدرهم
مات في البصرة عام ١٦١ هـ وله ٦٦ سنة وكان مختفياً من السلطان بايع زيدا على الخروج
ولما بلغه قتل زيد. قال: لقد بذل مهجته لربه وقام بالحق لخالقه ولحق بالشهداء المرزوقين.

١٤ - مسعر بن كدام الفدكي :

يعد من مشاهير رواة الحديث في الكوفة من بني صعصة يبسط له في المسجد الأعظم
ليجلس عليه ويحدث، طلبه المنصور للقضاء فأبى ومات سنة ١٥٢ هـ ولم يتول شيئاً من ذلك.
هوؤلاء هم الذين ذكرهم أبو الفرج في مقاتل الطالبين إلا الأخير^(١) وهناك شخصيات أخرى
بايعوه ولم يذكرهم بل جاءت في مصادر أخرى، فمن أراد التفصيل فليرجع إليها.^(٢)

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين: ٩٨ - ١٠١، ط النجف.

(٢) لاحظ الروض النضير: ج ١/١١١؛ حميد بن أحمد المحلي: الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية: ١/١٤٤،

السيد عبد الرزاق الموسوي المقمم: زيد الشهيد: ١٢٠ - ١٢٣.

(٣٠٠)

دعائه :

إنَّ لمكانة دعاة الثورة ومنزلتهم بين الناس، تأثيراً بالغاً في اجتذاب الناس وعطفهم إليها، فإذا كان الداعي عالماً بارعاً، أو فقيهاً ورعاً، يأخذ بمجامع القلوب، ويؤثر في الشعوب وقد تعرفت على أسماء بعض دعائه عند الكلام في المبايعين لزيد من الفقهاء ونقله الآثار نظراء:

١ - منصور بن المعتمر

٢ - يزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم

٣ - سالم بن أبي الحديد - كما في مقاتل الطالبين - ويحتمل كونه مصحف سالم بن أبي حفصة، الذي عنونه الكشي مع فريق ممن بايعوا زيدا كسلمة بن كهيل، والحكم بن عتيبة وغيرهما (١).

٤ - الفضيل بن الزبير الذي دعا أبا حنيفة إلى بيعة زيد

٥ - عبدة بن كثير الجرمي

٦ - الحسن بن سعد الفقيه

قال أبو الفرج كان رسول زيد إلى خراسان عبدة بن كثير الجرمي، والحسن بن سعد الفقيه.

٧ - عثمان بن عمير أبو اليقظان الفقيه رسول زيد إلى الأعمش

وذكر السياغي أنَّ من دعائه:

٨ - نصر بن معاوية بن شداد العبسي

٩ - معمر بن خثيم العامري.

(١) الكشي: الرجال: ٢٠٠ - ٢٠٢.

١٠ - معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري (١).

أنّ بث الدعاة في مختلف الأقطار ينم عن علو همة زيد، وسعة دعوته وأنّه كان بصدد تشكيل حكومة إسلامية عادلة، غير أنّ الظروف القاسية وتساهل المبايعين، حالت بينه وبين أمنيته.

تحذيره عن القيام :

قد حذره عن القيام غير واحد من أقاربه وأصدقائه، حذروه عن الخروج معتضداً بالكوفيين وأنّهم أناس لا يوفون بمواثيقهم وعهودهم، ويشهد بذلك، حياتهم منذ عهد الإمام إلى يومهم هذا نذكر كلمات بعض المحذرين:

١ - روى الصدوق عن معمر بن سعيد قال: كنت جالساً عند الصادق عليه السلام ف جاء زيد بن علي فأخذ بعضادتي الباب فقال: له الصادق عليه السلام: «ياعم أعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة...» (٢).

٢ - قال محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب: أذكرك يا زيد لما لحقت بأهلك ولا تأت أهل الكوفة فإنّهم لا يفون لك، فلم يقبل (٣).

٣ - قال داود بن علي بن عبد الله بن عباس: يا بن عم إنّ هؤلاء ليغزّونك من نفسك أليس قد خذلوا من كان أعز عليهم منك: جدّك علي بن أبي طالب حتى قُتل، والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه وجرحوه، أوليس أخرجوا جدّك الحسين وحلفوا له وخذلوه وأسلموه ولم يرضوا بذلك حتى قتلوه؟ (٤).

(٢) الصدوق: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٤٩/١، الباب ٢٥.

(١) السياغي: الروض النضير: ١٣٠/١.

(٤) الطبري: التاريخ: ٥ / ٤٨٨، الجزري: الكامل: ٢٣٤/٥.

(٣) الجزري: الكامل: ٢٣٢/٥.

٤- قال سلمة بن كهيل: نشدك الله كم بايعك؟ قال: أربعون ألفاً، قال: فكم بايع جدك؟ قال: ثمانون ألفاً، قال: فكم حصل معه، قال ثلاثمائة، قال: نشدتك الله، أنت خير أم جدك؟ قال: جدي. قال: فهذا القرن خير أم ذلك القرن؟ قال: ذلك القرن. قال: أفطمع أن يفي لك هؤلاء، وقد غدر هؤلاء بجدك. قال: قد بايعوني ووجبت البيعة في عنقي وأعناقهم، قال: أفتأذن لي أن أخرج من هذا البلد؟ فلا آمن أن يحدث حدث فلا أملك نفسي، فأذن له فخرج إلى الإمامة^(١).

٥- كتب عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى زيد: أما بعد فإن أهل الكوفة نفخ العلانية، خور السرية، هرج في الرخاء، جزع في اللقاء، تقدّمهم ألسنتهم، ولا تشايعهم قلوبهم. ولقد تواترت إليّ كتبهم بدعوتهم فصممت عن ندائهم، وألبست قلبي غشاء عن ذكرهم، يأساً منهم واطراحاً لهم، ومالهم مثل إلا ما قال علي بن أبي طالب: «إن أهملتم، خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتهم إلى مشاقة نكصتم»^(٢).

أعذاره تجاه الناصحين :

هذه النصائح لم تكن رادعة لزيد عن أمنيته وجهاده، لأنه كان واقفاً على ما تنطوي عليه سرائر أهل الكوفة من التساهل في مجال العمل بالمواثيق والعهود، ولكنه عليه السلام لم يصغ إلى شيء منها، لأنه كان موطناً نفسه على القتل والشهادة سواء أُنال بغيته الظاهرة أي الحكومة والسلطة أم لا، وذلك لأن من أهدافه العالية إنهاض المسلمين إلى الثورة ولو باستشهاده وقتله في سبيل الله حتى يقضوا على

(١) الطبري: التاريخ: ٥ / ٤٨٩، الجزري: الكامل: ٢٣٥/٥.

(٢) الطبري: التاريخ: ٥ / ٤٨٩، الجزري: الكامل: ٢٣٥/٥.

عروش بني أمية، ومن حسن الحظ أنّ زيداً وصل إلى تلك الأمية، فقد تواترت الثورات بعد زيد هنا وهناك ضد النظام فازيلت عروشهم بعد استشهادهم بمدة لاتزيد على عشر سنوات، فصارت جثث بني أمية طعمة للكلاب والوحوش، فاستؤصلوا من الأراضي الإسلامية ولم يبق منهم إلا حثالات فروا إلى الأندلس أو كانوا فيها وما أجاب به زيد، سلمة بن كهيل من كون بيعة الكوفيين على عنقه ولا بد له من الوفاء بها فإنما كان جواباً ظاهرياً لا قناع سلمة، وإلاّ فللعمل بالميثاق شروط أوضحها كون الظروف هادئة والعدو غافلاً، أو ضعيفاً والمبايعين صامدين في طريق بيعتهم ولم يكن واحد منها موجوداً.

المؤامرة على زيد من الداخل :

ولما استتب الأمر لزيد وكانت الثورة تستفحل يوماً بعد يوم ويرجع الناس إلى زيد زرافات ووحداناً.

اجتمعت إليه جماعة من المبايعين، فقالوا: رحمك الله ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال: رحمهما الله وغفر لهما ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلاّ خيراً، قالوا: فلم تطلب إذا بدم أهل هذا البيت؟ إلاّ أن وثبا على سلطانكم فنزاعه من أيديكم، فقال لهم زيد: إنّ أشد ما أقول فيما ذكرتم إنّنا كنّا أحقّ بسلطان رسول الله من الناس أجمعين وإنّ القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً، قد ولّوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة. قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك؟ فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين؟ فقال: إنّ هؤلاء ليسوا كأولئك، إنّ هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، ففارقوه ونكثوا بيعته وقالوا: سبق الإمام وكانوا يزعمون أنّ أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام وكان قد هلك يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً.

فقالوا: جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه وهو أحقُّ بالأمر بعد أبيه، ولانتبع زيد بن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة، فهم اليوم يزعمون أنَّ الذي سمَّاهم رافضة المغيرة حيث فارقه (١).

ما ذكره الطبري في ذلك الموضع نقله أكثر المؤرخين وأصحاب المقالات حتى اللغويين، قال ابن منظور: الروافض قوم من الشيعة سمَّوا بذلك لأنَّهم تركوا زيد بن علي. قال الأصمعي: كانوا قد بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له: إبرأ من الشيخين نقاتل معك فأبى. فقال: كانا وزيرني جدي فلا أبرأ منهما فرفضوه وأرفضوا عنه فسمَّوا رافضة (٢).

يقول البغدادي: وكان زيد بن علي قد بايعه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة، وخرج بهم على والي العراق وهو يوسف بن عمر الثقفي. قالوا له: إنَّا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر بعد أن ظلما جدك علي ابن أبي طالب، فقال زيد بن علي: لا أقول فيهم إلاَّ خيراً وما سمعت من أبي فيهم إلاَّ خيراً، وإنَّما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم وقعة الحرة ثم رموا بيت الله بالمنجنيق والنار ففارقوه عند ذلك حتى قال لهم: رفضتموني ومن يومئذ سمَّوا رافضة (٣).

قال البزدوي: وإنَّما سمَّوا روافض لأنَّهم وقعوا في أبي بكر وعمر فزجرهم زيد فرفضوه فسمَّوا روافض (٤).

قال نشوان في شرح رسالة الحور العين: وسميت الرافضة من الشيعة،

(١) الطبري: التاريخ: ٥ / ٤٩٨. (٢) لسان العرب: ٧ / ٤٥٧، مادة رفض.

(٣) الفرق بين الفرق: ٣٥، ولاحظ الروض النضير: ١ / ١٣٠.

(٤) البزدوي، أصول الدين: ٢٤٨.

رافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين وتركهم الخروج معه حين سأله البراءة من أبي بكر وعمر فلم يجيبهم إلى ذلك...^(١).

نظرنا في الموضوع :

إنّ هذا الموضوع نقله المؤرخون وأرسله أصحاب المقالات وكتاب العقائد والمذاهب، إرسال المسلم، ولكن لنا فيه ملاحظات نشير إليها:

١ - إنّ تسمية الشيعة بالرافضة لا تفارق التنازع بالألقاب المحرّم بنص الذكر الحكيم^(٢) ولا يصدر من إمام فقيه ورع مثل زيد خصوصاً أوان الثورة الذي هو أحوج في هذا الظرف، إلى التآلف وتوحيد الكلمة، وأظن أنّ القصة من أوهام حشوية المشاركة، أو من صنائع نواصب المغاربة الذين كان لهم دور في عصر تدوين التاريخ وتأليف الحديث (أيام المنصور ١٣٨ - ١٥٨ هـ) وبعدها فاختلقوها لتشويه سمعة الشيعة ونسبوها إلى أحد علماء أهل البيت عليه السلام ليقع موقع القبول من الناس، حتى أنّ المسكين «نشوان الحميري» لم يقتصر على ما ذكر وأردفه بأمر آخر وهو أنّ زيداً لمّا أحسّ أنّ السائلين بصدد نقض البيعة قال حدثني أبي عن جدي أنّه قال لعلي: «إنّه سيكون قوم يدعون حبنا لهم نبز^(٣) يعرفون به فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإنّهم مشركون» اذهبوا فأنتم الرافضة، ففارقوا زيداً عليه السلام فسماهم الرافضة فجري عليهم الاسم^(٤).

يلاحظ عليه: أنّه كيف اعتمد على ذلك الحديث ويلوح عليه أثر الوضع إذ أيّ صلة بين نقض البيعة أو عدم المشاركة في جهاد زيد ونضاله، وبين كونهم

(١) شرح رسالة الحور العين: ١٨٤.

(٢) الحجرات: الآية ١١.

(٣) النبز: اللقب.

(٤) السياغي: الروض النضير: ١٣١/١.

(٣٠٤)

مشركون. هب أنهم يكونون بذلك فاسقين لا مشركين.

٢- إنَّ النبي الأكرم ﷺ لم يكن إنساناً فارغاً عن كل عملٍ حتى يتحدث عن هؤلاء الذين لم يكن لهم دور في الأوساط الإسلامية إلّا لمحاً وأياماً قلائل فهذا الحديث وزان سائر الأحاديث التي حشاها الحشوية في كتبهم حول الفرق والمذاهب كالقدرية والمعتزلة والمرجئة وغيرهم، بل كسائر الأحاديث الموضوعة حول محاسن أو مساوئ الأئمة الأربعة الفقهية التي استدل بها الموافق والمخالف لصالح إمامه أو لصد إمام الغير، أعاذنا الله وإياكم من دسائس الدجالين.

٣- إنَّ السؤال عن الشيخين في ذلك الوقت العصيب مع كون المبايعين بين محبٍ وغير محبٍ، بين من يراهما خليفتي رسول الله ﷺ ومن يراهما غير مستحقّي هذا المقام، سؤالٌ من يريد تشتيت الأمر، وإيجاد الفرقة بين المجاهدين في ساحة الحرب خصوصاً أنَّ السؤال طرح عندما رأى أصحاب زيد بن علي أنَّ يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد وأنه يدس إليه ويبحث في أمره^(١).

فاللائق بقائد محنك مثل زيد هو التعظيم والكف عن الإجابة، ولو اضطر إليها لكان له أن يأتي بجمل متشابهة لا تخدش العواطف كما فعله جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين عند تقارع السيوف واشتباك الأسنة، ففوجيء بمثل هذا السؤال، حيث قام أحد أصحابه سائلاً - والمجاهدون فيها بين شيعة يرى الإمام هو الإنسان المنصوص عليه بالخلافة، ومن يراه الخليفة الذي بايعه الناس - كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال عليه السلام :

يا أبا بني أسد، إنك لقلق الوضين، ترسل في غير سدّد، ولك بعدُ ذمامة الصهر وحقّ المسألة، وقد استعلمت فاعلم.

أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام، ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرسول ﷺ

(١) الطبري: التاريخ: ٤٩٩/٥.

نوطاً، فإنّها كانت أثرة شُحّت عليها نفوس قومٍ، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله والمعود^(١) إليه يوم القيامة.

ودع عنك نهباً صيح في حجراته ولكن حديثاً ما حديث الرواحل
وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه، ولا غرو والله، فياله خطباً
يستفرغ العجب، ويكثر الأود.

حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسد فؤاره من ينبوعه، وجدحوا بيني وبينهم شرباً
وبيئاً، فإن ترتفع عنّا وعنهم محن البلوي، أحملهم من الحقّ على محضه، وإن تكن الأخرى، ﴿فَلَا
تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^{(٢)(٣)}.

ترى أنّ الإمام أوجز في الجواب وعطف نظر السائل إلى خطورة الموقف ولزوم الحرب مع ابن
أبي سفيان، قال ابن أبي الحديد: ولو أخذ الإمام يصرح له بالنص ويعرفه تفاصيل باطن الأمر، لنفر
عنه، واتّهمه ولم يقبل قوله ولم ينجذب إلى تصديقه، فكان أولى الأمور في حكم السياسية وتديير
الناس أن يجيب بما لا نفره منه ولا مطعن عليه فيه^(٤).

وأين هو من الجواب المبسوط الذي أتى به زيد بن علي كأنه يريد أن يدرس العقائد في ساحة
الحرب. ونحن نجل قائدنا المحنك من الكلام الخارج عن طور البلاغة.

(١) المعود - بسكون العين وفتح الواو - كذا ضبطت في اللسان. وفي النهاية لابن الأثير: هكذا جاء «المعود» على الأصل، وهو «مفعول» من عاد يعود، ومن حقّ أمثاله أن تقلب واوه ألفاً، كالمقام والمراح، ولكنه استعمله على الأصل.

(٢) فاطر: ٨ (٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣.

(٤) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ٢٥١/٩، الخطبة: ١٦٣.

(٣٠٨)

٤- أن علياً وأهل بيته مقتفون أثر فاطمة بنت النبي الأكرم ﷺ في حق الخلفاء ولا يصح لمن ينتمي إلى ذلك البيت أن يبوح بخلاف ما عليه أمهم وجدهم، هذا الإمام البخاري يذكر موقف فاطمة من الخلفاء ويقول: أبي أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها (فدك وميراثها من النبي) شيئاً فوجدت^(١) فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها^(٢).

هذا من جانب، ومن جانب آخر، روى الإمام البخاري عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني^(٣).

أبعد هذين الحديثين هل يصح أن يترنم ولد فاطمة بما نسب إليه؟!

على أن المروي عن طريقنا عن سدير ما لا يلائم ذلك، قال: دخلت على أبي جعفر، ومعي سلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحدادوسالم بن أبي حفصة وكثير النواء، وجماعة معه، وعند أبي جعفر أخوه زيد بن علي فقالوا لأبي جعفر: نتولى علياً وحسناً وحسيناً ونتبرأ من أعدائهم؟ قال: نعم، قالوا: نتولى أباً بكر وعمر ونتبرأ من أعدائهم؟ فالتفت إليهم زيد بن علي وقال: أتتبرأون من فاطمة بتركهم الله؟ بترتم أمرنا، فيومئذ سموا البترية^(٤).

وقد مضت أشعاره في ذلك في الفصل الثالث الخاص بخطبه وشعره.

٥- أن ظاهر ما نقل عن زيد في هذا الموضع أنه هو الذي ابتكر ذلك المصطلح وأطلقه على لفيف من الشيعة الذين رفضوه وتركوه في ساحة الحرب أو

(١) فوجدت: غضبت. (٢) البخاري: الصحيح: ١٧٧/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦/٥، باب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب فاطمة.

(٤) الكشي: الرجال: برقم ١١٠ في ترجمة مسلمة بن كهيل.

(٣٠٩)

أنه مما حدّث به النبي الأكرم علياً وهو حدّث أبنائه مع أنّ التاريخ يشهد بخلاف ذلك وأنّ كلمة (الرافضة) كانت كلمة سياسية تطلق على مخالف الدولة والحكومات الحاضرة من غير فرق بين علوي أو عثماني حتى أنّ معاوية بن أبي سفيان سمّى مخالفي علي عليه السلام رافضة، وقد جاءت الكلمة في كلمات أبي جعفر الباقر قبل أن تكون لزيد فكرة الثورة أو نفسها وقد أتينا بما جاء حول الكلمة في الجزء الأول من هذا المشروع فلا نعيدها، فلاحظ (١).

٦- أنّ المنقول مسنداً عن طرقتنا أنّه لم يذكرهما بخير في ذلك الموقف الرهيب (٢).

الكوفة في مخاض الثورة :

كان يوسف بن عمر عامل هشام في العراق، وكان يسكن بالحيرة وهي بلدة بين الكوفة والنجف، وخليفته في الكوفة هو الحكم بن الصلت ورئيس شرطه عمرو بن عبد الرحمن، ومع ما كان لهم عيون وجواسيس لم يطلعوا على ما كان يجري في الكوفة وما والاها من العشائر، وهذا يدل على حنكة الثائر حيث صانها من الفشل والتسرب إلى الخارج، وقد كان التخطيط معجباً جداً، حيث كان الناس يبايعون زيدا ولا يعرفون مكانه، وذلك لأنّ معمر بن خثيم وفضيل بن الزبير يُدخلان الناس عليه وعليهم براقع لا يعرفون موضع زيد، فيأتيان بهم من مكان لا يبصرون شيئاً حتى يدخلوا عليه فيبايعون (٣).

كانت الثورة تستفحل إلى أن وافت رسالة هشام إلى عامله أطلعه على الأمر

(١) بحوث في الملل والنحل: ١٢٥/١ - ١٢٦.

(٢) الخزاز القمي: كفاية الأثر: ٣٠٧، المجلسي: البحار: ٢٠١/٤٦ ح ٧٥.

(٣) السياغي: الروض النضير: ١٣٠/١.

وشتمه وسقّمه فيها بقوله: إنَّك لغافل، وجاء فيها أنَّ رجلاً من بني أمية كتب في ما ذكر إلى هشام يذكر له أمر زيد فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهله ويقول: إنَّك لغافل وزيد عاوز ذنبه بالكوفة يبايع له فألجج في طلبه (١).

فكتب يوسف إلى الحكم بن الصلت وهو خليفته على الكوفة بطلبه، فطلبه، فخفي عليه موضعه، فدرس يوسف مملوكاً له خراسانياً ألكن، وأعطاه خمسة آلاف درهم، وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حباً لأهل البيت وأنَّ معه مالا يريد أن يقويهم به، فلم يزل المملوك يلقي الشيعة ويخبرهم عن المال الذي معه حتى أدخلوه على زيد، فخرج، ودلَّ يوسف على موضعه (٢).

وفي رواية أخرى أنه انطلق سليمان بن سراقبة إلى يوسف بن عمر فأخبره خبره، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر، وإلى رجل من بني تميم يقال له طعمة ابن أخت لبارق، وهو نازل فيهم، فبعث يوسف يطلب زيدا في منزلهما، فلم يوجد عندهما، وأخذ الرجلان فأتيا بهما فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ فتعجل قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة (٣).

ظلت الحكومة تفحص عن موضع زيد فلم تحصّله، ولكن وقف على زمان تفجر الثورة وأنه واعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة ١٢٢هـ.

الحيلولة بين الناس وزيد :

لما بلغ يوسف أنَّ زيدا قد أزمع على الخروج في زمان محدود، أراد فصل

(٢) الطبري: التاريخ: ٥٠٥ / ٥.

(١) الطبري: التاريخ: ٥٠٤ / ٥.

(٣) الطبري: التاريخ: ٤٩٨ / ٥.

الناس عن زيد، والحيولة بين القائد والمقود.

قال الطبري: بعث يوسف بن عمر إلى الحكم بن الصلت فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة، فأدخلهم المسجد، ونادى مناديه: ألا إن الأمير يقول: من أدركناه في رحله فقد برئت منه الذمة ادخلوا المسجد الأعظم، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم. وطلبوا زيدا في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، فخرج ليلاً وذلك ليلة الأربعاء في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق^(١).

وقف زيد على أن العدو قد اطلع على سره فظل يبحث موضعه، وأنه لو تأخر وأمهل في الخروج ربما كشف عن مخبأه، فاستعد للقتال، بإلقاء خطب تحت الأفراد، للقيام، وقد عرفت بعضها ونورد في المقام ما لم نذكره هناك:

خطبه في حث المبايعين على القتال :

قد نقل عن الإمام الثائر خطب بليغة عند اشتعال الحرب.

- ١ - روي أنه لما خفقت الرايات على رأسه قال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني بعد أن كنت أستحيي من رسول الله ﷺ أن أرد عليه ولم أمر أمته بمعروف ولم أنه عن منكر^(٢).
- ٢ - روى صاحب كتاب: «التقية والتقوى» بإسناد إلى خالد بن صفوان، قال: سمعت زيد بن علي يقول: أيها الناس عليكم بالجهاد، فإنه قوام الدين

(١) الطبري: التاريخ: ٤٩٩/٥.

(٢) السياغي: الروض النضير: ١٠٢/١.

وعمود الإسلام ومنار الإيمان، واعلموا أنه ما ترك قوم الجهاد قط إلاّ حقروا وذلّوا... ثم قرأ الفاتحة إلى قوله: ﴿الصراط المستقيم﴾: وقال: الصراط المستقيم هو دين الله وسنامه وقوامه الجهاد، ثم ذكر ما نزل من القرآن في فضل الجهاد من أول القرآن إلى آخره (١).

٣- روى الإمام المهدي في «المنهاج» والإمام أبو طالب في «الأمال» والسيد أبو العباس في «المصابيح» عن سعيد بن خثيم، قال: إنّ زيدا عليه السلام كتب كتابه فلما خفقت راياته رفع يديه إلى السماء، فقال: الحمد لله الذي أكمل لي ديني، والله ما يسرني إنّي لقيت محمداً عليه السلام ولم أمر في أمته بالمعروف ولم أنههم عن المنكر، والله ما أبالي إذا أقمت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن أجبت لي نار ثم قُذِفْتُ فيها، ثم صرْتُ بعد ذلك إلى رحمة الله تعالى، والله لا ينصرني أحد إلا كان في الرفيق الأعلى مع محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام.

ويحكم أما ترون هذا القرآن بين أظهركم، جاء به محمد ﷺ ونحن بنوه؟ يا معاشر الفقهاء ويا أهل الحجا أنا حجة الله عليكم، هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتاب الله ونقسم فيئكم بينكم بالسوية، فسلوني عن معالم دينكم فإن لم أنبئكم عما سألتم فولّوا من شئتم ممن علمتم أنه أعلم مني، والله لقد علمت علم أبي علي بن الحسين وعلم جدي الحسين وعلم علي بن أبي طالب وصي رسول الله وعيبة علمه، وإنّي لأعلم أهل بيتي، والله ما كذبت كذبة منذ عرفت يميني من شمالي، ولا انتهكت محرماً لله عزّ وجلّ منذ عرفت أن الله يؤاخذني (٢).

ومضى من طرقنا ما لا يجمع بعض ما ورد في هذه الخطبة فقد كان زيد

(١) السياغي: الروض النضير: ١٠٦/١.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٨/١.

معتزلاً بأعلمية الإمام الصادق عليه السلام فانتظر.

روى الإمام المهدي في «المنهاج»، وصاحب «المحيط» في كتابه، والإمام المرشد بالله في «أماله» عن محمد بن فرات، قال: وقف زيد عليه السلام على باب الجسر وجاء إلى أهل الشام، فقال لأصحابه: انصروني على أهل الشام فوالله لا ينصروني رجل عليهم إلا أخذت بيده أدخله الجنة، ثم قال: والله لو عملت عملاً هو أَرْضَى الله من قتال أهل الشام لأفعلنه، وقد كنت نهيتكم أن لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، أو تفتحوا باباً مغلقاً، فإن سمعتموهم يسبون علي بن أبي طالب فاقتلوهم من كل وجه (١).

٤- روى الإمام المهدي والسيد أبو العباس الحسني وأبو طالب في «الأمال» بالإسناد إلى سهل بن سليمان الرازي عن أبيه، قال: شهدت زيد بن علي عليه السلام يوم خرج لمحاربة القوم بالكوفة، فلم أر يوماً قط كان أبهى، ولا رجلاً كانوا أكثر قراء، ولا فقهاء ولا أوفر سلاحاً من أصحاب زيد بن علي، فخرج على بغلة شهباء وعليه عمامة سوداء، بين يدي قربوس سرجه مصحف. قال: أيها الناس أعينوني على أنباط الشام، فوالله لا يعينني عليهم منكم أحد إلا رجوت أن يأتيني يوم القيامة آمناً، حتى يجوز على الصراط ويدخل الجنة، والله ما وقفت هذا الموقف حتى علمت التأويل والتنزيل، والمحكم والمتشابه، والحلال والحرام بين الدفتين (٢).

إن هذه الخطب تحكي عن روح ثورية وبطولة باهرة، وتفانٍ في سبيل الحق، غير أن بعض المغالين في حقّه أدخل في خطبه ما لا يدّعيه زيد، ولا يصدق أهل بيته. ومن المكذوب المنسوب إليه ما روي عن أبي الجارود أن زيدا قال: سلوني قبل

(١) السياغي: الروض النضير: ١ / ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧/١ - ١٢٨.

أن تفقدوني، سلوني فإنكم لن تسألوا مثلي، والله لا تسألوني عن آية من كتاب الله إلا أنبأتكم بها، ولا تسألوني عن حرف من سنة رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم به، ولكنكم زدتم ونقصتم، وقدمتم وأخرتم، فاشتبهت عليكم الأخبار^(١).

إلفات نظر:

كيف يصدق ذلك الكلام وقد روى ابن عبد البر بإسناده إلى سعيد بن المسيب، قال: ما كان أحد من الناس يقول سلوني، غير علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢) قال العلامة المجلسي: أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء هذا الكلام^(٣).

روى الأصبغ بن نباته قال: لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ لا بساً بردة رسول الله ﷺ، متنعلًا نعل رسول الله ﷺ، متقلداً سيف رسول الله ﷺ، فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال: «يامعشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سبط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، هذا مازقني رسول الله ﷺ زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو شئت لي وسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في. وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً، فهل فيكم أحد يعلم ما نزل فيه؟ ولولا

(٢) الاستيعاب: ٣٩/٣.

(١) السباغي: الروض النضير: ١٢٨ / ١.

(٣) المجلسي: البحار: ١٢٨/١٠.

آية في كتاب الله عز وجل لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتهموني عن آية آية في ليل أنزلت أو في نهار أنزلت، مكيها ومدنيها، سفرية وحضرية، ناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأخبرتكم»^(١).

ونزيد بياناً: كيف يصحّ لزيد ومن هو في درجته ومنزلته، أن يدّعي أن عنده علم الكتاب والسنة، ولا يشدّ عنه جواب سؤال، مع أنه لم يدرس إلا عند أبيه الإمام زين العابدين (عليه السلام) وكان له من العمر عندما توفي والده (٩٤ أو ٩٥ هـ) ما لا يتجاوز العشرين، ولو أكمل دراسته عند أخيه الإمام الباقر (عليه السلام) فليس هو بأرفع من أستاذه الكبير الذي أطبق العلماء على أنه كان يبقر العلم بقرراً.

إنّ هذه الكلمة إنّما هي لمن كانت له تربية إلهية، وتوعية غيبية، تربي في أحضان الوحي، فصار موضع سرّ النبي، وعيبة علمه إلى أن بلغ شأواً يرى ما رآه النبي (صلى الله عليه وآله) ويسمع ما سمعه وليس هو إلا الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي ابن أبي طالب، وهو يصف نفسه بقوله: «يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان، حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وآله وسلّم فقلت: يا رسول الله ما

(١) المجلسي: البحار: ١١٧/١٠ ح ١، والآية ٣٩ من سورة الرعد.

هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى إلا أنك لست نبي ولكنك وزير وإنك لعلی خير»^(١).

ولم يكن زيد، إلا محدثاً واعياً، وفقهياً بارعاً وله من العلم والفضل، ما للطبقة العليا من تلاميذ أبيه وأخيه غير أن الذي رفعه، وأخلد ذكره، إنما هو جهاده ونضاله، وتفانيه في سبيل الله: «فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»^(٢)، ولا صلة له بعلمه وفضله، ولو قيس ما روى عن الإمام زيد من الحديث والفقه، إلى ما روى عن الصادقين من العلوم والمعارف لعلم أن الأولى أن ينسب ذلك الكلام إلى الإمامين لا إلى زيد، ولكنهما لم يبوحا بذلك أبداً.

تكتيب الكتائب والهجوم على الكوفة والحيرة :

غادر زيد ليلة الأربعاء، دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاري، واستقر خارج الكوفة فأمر برفع الهرادي^(٣) فيها فكلما أكل النار هردياً، رفعوا آخر فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر فلما أصبح، أمر بعض أصحابه النداء وبالشعار لغاية تقاطر المبايعين إلى النقطة التي استقر فيها لإرسال الكتائب منها إلى الكوفة والحيرة ولفتح البلدين، ومحاربة المانعين من أبناء البيت الأموي وأنصارهم، فكان التخطيط عسكراً بارعاً لولا أن القضاء سبق التدبير، وتسرب أسرار الثورة إلى الخارج، وحالت العامل وخليفته، بينه وبين وثوب الناس واجتماعهم لديه. أصبح زيد وتعجب من قلة الحاضرين^(٤) وقال: أين الناس، فقليل له: هم

(١) الرضي: نهج البلاغة، الخطبة القاصعة: برقم ١٩٢. (٢) النساء: ٩٥.

(٣) القصب.

(٤) الحاضرون: حسب ما نقله الطبري كانوا مائتين وثمانية عشر رجلاً: التاريخ: ٥٠٠/٥.

في المسجد الأعظم محصورون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر، ولم يجد بداً من القتال بمن معه، موطناً نفسه على الاستشهاد وقد ذكر المؤرخون كيفية قتاله وقاتل أصحابه الموفين بعهدهم وبيعتهم، وهم بين موجز في القول ومسهب في النقل، ونحن نكتفي بنصوص ثلاثة:

١ - قال المسعودي: «مضى زيد إلى الكوفة وخرج عنها ومعه القراء والأشراف، فحاربه يوسف بن عمر الثقفي فلما قامت الحرب، انهزم أصحاب زيد، وبقي في جماعة يسيرة، فقاتلهم أشد قتال وهو يقول متمثلاً:

أذل الحياة وعزّ الممات وكلاً أراه طعاماً وبَيْلاً
فإن كان لابد من واحد فسيروني إلى الموت سيراً جميلاً

وحال المساء بين الفريقين فراح زيد مثخناً بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلبوا من ينزع النصل، فأتى بحجام من بعض القرى فاستكتموه أمره فاستخرج النصل فمات من ساعته، فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش، وأجري الماء على ذلك، وحضر الحجام مواراته، فعرف الموضع فلما أصبح مضى إلى يوسف متنصحاً، فدلّه على موضع قبره، فاستخرجه يوسف، وبعث برأسه إلى هشام، فكتب إليه هشام: أن أصلبه عرياناً، فصلبه يوسف كذلك، ففي ذلك يقول بعض شعراء بني أمية يخاطب آل أبي طالب وشيعتهم من أبيات:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم أر مهدياً على الجذع يصلب

وبنى تحت خشبته عموداً، ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بإحراقه وذروه في الرياح^(١).

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢٠٧/٣.

هذا ما يذكره المسعودي الذي يذكر الأحداث على وجه الإيجاز.

٢- أنَّ الطبري يذكر القصة ببسط وتفصيل ويذكر لزيد بطولات باهرة وأنه دامت الحرب يومين (الأربعاء والخميس) وأنه وصل بأصحابه إلى باب الفيل، فجعل أصحابه يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا، وجعل نصر بن خزيمة يناديهم، ويقول: يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العز، اخرجوا إلى الدين والدنيا فإنكم لستم في دين ولا دنيا، فأشرف عليهم أهل الشام فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد... (١).

ولو صح ما ذكره الطبري وتبعه الجزري لزم أن يكون المتواجدون في معسكره أزيد مما ذكره. ٣- وممن لخص الحادثة ولم تفته الإشارة إلى دقائقها: الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في «الشافى» قال: «وكان ديوانه قد انطوى على خمسة عشر ألف مقاتل خارجاً عن بايع من جميع أهل الأمصار وسائر البلدان، ثم قال: ولما خرج عليه السلام خرج معه القراء والفقهاء وأهل البصائر قدر خمسة آلاف رجل في زي لم ير الناس مثله، وتخلّف باقي الناس عنه، فقال: أين الناس؟ قال: أحتبسوا في المسجد، فقال: لا يسعنا عند الله خذلانهم، فسار حتى وصل إليهم وأمرهم بالخروج فلم يفعلوا. فقال نصر بن خزيمة:

يا أهل الكوفة اخرجوا من الذل إلى العز إلى خير الدنيا والآخرة، وأدخلوا عليهم الرايات من طاقات المسجد فلم ينجح ذلك فيهم شيئاً.

وأقبلت جنود الشام من تلقاء الحيرة، فحمل عليهم عليه السلام كأنه الليث المغضب، فقتل منهم أكثر من ألفي قتيل بين الحيرة والكوفة وأقام بين الحيرة

(١) الطبري: التاريخ: ٥٠١/٥.

والكوفة، ودخلت جيوش الشام الكوفة ففرق أصحابه فرقتين، فرقة بأزاء أهل الكوفة وفرقة بأزاء أهل الحيرة، ولم يزل أهل الكوفة يخرج الواحد منهم إلى أخيه والمرأة إلى زوجها، والبنت إلى أبيها والصديق إلى صديقه، فيبكي عليه حتى يرده فأمسى عليه السلام وقد رقى عسكره وخذله كثير ممن كان معه، وأهل الشام في اثني عشر ألفاً وحاربهم عليه السلام يوم الأربعاء ويوم الخميس وحمل عليهم عشية الخميس، فقتل من فرسانهم زيادة على مائتي فارس، وأصيب عليه السلام آخر يوم الجمعة بنشابة في جبينه، فحمل إلى دور «أرحب» و «شاكر» وجيء بطبيب نزع النصل، بعد أن عهد إلى ولده يحيى بجهاد الظالمين، ثم مات من ساعته ودفن في مجرى ماء وأجري عليه الماء، فأبصرهم غلام سندي، فلما ظهر قتله وصاح صائح يوسف بن عمر بطلبه دلّ عليه، فصلبوه في الكناسة وحرّقه بعد ذلك، وخبطوه بالشماريخ والعثاكيل حتى صار رماداً، وسقّوه في البر والبحر وذروه في الرياح، فحرق الله هشاماً في الدنيا وله في الآخرة عذاب النار^(١).

وقد بسط أبو الفرج الكلام في قتاله ونضاله وقال في آخر كلامه:

قال: وجعلت خيل أهل الشام لا تثبت لخيل زيد بن علي. فبعث العباس ابن سعد إلى يوسف بن عمر يعلمه ما يلقي من الزيدية وسأله أن يبعث إليه الناشبة فبعث إليه سليمان بن كيسان في القيقانية وهم نجارية وكانوا رماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد. وقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري يومئذ قتالاً شديداً فقتل بين يدي زيد. وثبت زيد في أصحابه حتى إذا كان عند جنح الليل رُمي زيد بسهم فأصاب جانب جبهته اليسرى فنزل السهم في الدماغ، فرجع ورجع أصحابه ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلاّ للمساء والليل.

قال أبو مخنف: فحدثني سلمة بن ثابت وكان من أصحاب زيد وكان آخر

(١) السياغي: الروض النضير: ١٣٣/١.

من انصرف عنه هو و غلام لمعاوية بن إسحاق، قال: أقبلت أنا وأصحابي نقتفي أثر زيد فنجدته قد دخل بيت «حران بن أبي كريمة» في سكة البريد في دور «أرحب» و «شاكر» فدخلت عليه فقلت له: جعلني الله فداك أبا الحسين، وانطلق ناس من أصحابه فجاءوا بطبيب يقال له سفيان مولى لبني دواس. فقال له: إنك إن نزعته من رأسك مت، قال: الموت أيسر علي مما أنا فيه.

قال: فأخذ الكبتين فانتزعه فساعة انتزاعه مات صلوات الله عليه.

قال القوم: أين ندفنه؟ أين نواريه؟ فقال بعضهم: نلبسه درعين ثم نلقيه في الماء. وقال بعضهم: لا بل نحتر رأسه ثم نلقيه بين القتلى.

قال: فقال يحيى بن زيد: لا والله لا يأكل لحم أبي السباع. وقال بعضهم نحمله إلى العباسية فندفنه فيها. فقبلوا رأيه.

قال: فانطلقنا فحفرنا له حفرتين وفيها يومئذ ماء كثير حتى إذا نحن مكنا له، دفناه ثم أجرنا عليه الماء ومعنا عبد سندي. قال سعيد بن خثيم في حديثه: عبد حبشي كان مولى لعبد الحميد الرواسي وكان معمر بن خثيم قد أخذ صفته لزيد وقال يحيى بن صالح: هو مملوك لزيد سندي وكان حضرهم.

قال أبو مخنف عن كهمس قال: كان نبطي يسقي زرعاً له حين وجبت الشمس فرأهم حيث دفنوه، فلما أصبح أتى الحكم بن الصلت فدلّهم على موضع قبره، فسرّح إليه يوسف بن عمر، العباس بن سعيد المري. قال أبو مخنف: بعث الحجاج بن القاسم فاستخرجوه - وحملوه - على بعير.

قال هشام: فحدثني نصر بن قابوس قال: فنظرت والله إليه حين أقبل به على جمل قد شدّ بالحبال وعليه قميص أصفر هروي، فألقي من البعير على باب القصر فخرّ كأنه جبل. فأمر به فصلب بالكناسة، وصلب معه معاوية بن

إسحاق، وزيد الهندي ونصر بن خزيمة العبسي^(١) وعن ابن عساكر: «وأمر بحراستهم وبعث بالرأس إلى الشام فصلب على باب مدينة دمشق ثم أرسل إلى المدينة»^(٢).

«وقال الوليد بن محمد: كنا على باب الزهري إذ سمع جلبة، فقال: ما هذا يا وليد؟ فنظرت، فإذا رأس زيد بن علي يطاف به بيد اللعانيين، فأخبرته فبكى، ثم قال: أهلك أهل هذا البيت العجلة! قلت: ويملكون؟ قال: نعم، وكانوا قد صلبوه بالكناسة سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث وعشرين ومائة، وله اثنتان أو أربع وأربعون سنة، ثم أحرقوه بالنار فسمي زيد النار. ولم يزل مصلوباً إلى سنة ست وعشرين، ثم أنزل بعد أربع سنين من صلبه. وقيل: كان يوجه وجهه ناحية الفرات فيصيح، وقد دارت خشبته ناحية القبلة مراراً، ونسجت العنكبوت على عورته، وكان قد صلب عرياناً. وقال الموكل بخشبته: رأيت النبي ﷺ في النوم وقد وقف على الخشبة وقال: «هكذا تصنعون بولدي من بعدي! يا بني يا زيد! قتلوك قتلهم الله! صلبوك صلبهم الله!» فخرج هذا في الناس. فكتب يوسف بن عمر إلى هشام أن عجل إلى العراق فقد فتنتهم! فكتب إليه: أحرقه بالنار!، وقال: جرير ابن حازم: رأيت النبي ﷺ مسنداً ظهره إلى خشبة زيد بن علي وهو يبكي ويقول: «هكذا تفعلون بولدي»، ذكر ذلك كله الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق»^(٣).

وفي معجم البلدان: «وعلى باب الكورتين مشهد زيد، فيه مدفن زيد بن علي بن أبي طالب الذي قتل بالكوفة وأحرق وحمل رأسه فطيف به الشام، ثم حمل إلى مصر فدفن هناك»^(٤).

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ٩٦؛ ونقل الطبري في تاريخه خطبة يوسف بن عمر بعد قتل زيد لاحظ: ٥٠٧/٥.

(٢) السيد الأمين: زيد الشهيد: ٧٧. (٣) صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات: ٣٤/١٥.

(٤) ياقوت: معجم البلدان: ٧٧/٨، مادة مصر.

وقال ابن مهنا: «قال الناصر الكبير الطبرستاني لما قتل زيد بعثوا برأسه إلى المدينة ونصب عند قبر النبي ﷺ يوماً وليلة» (١).

وقال السيد الأمين: كأنهم يريدون أن يقولوا: يا محمد هذا برأس ولدك الذي قتلناه بمن قُتل منّا يوم بدر نصبناه عند قبرك (٢).

قيل لأبي نعيم الفضل دكين: كان زهير بن معاوية يحرس خشبة زيد بن علي؟ قال: نعم، وكان فيه شر من ذلك، وكان جده الرحيل فيمن قتل الحسين - صلوات الله عليه - (٣).

الرأي العام في استشهاد زيد :

إنّ وعاظ السلاطين وشعراء البلاط الأموي كانوا ينقمون منه وينظمون القريض في ذمّه، ولمّا صلب أقبل شاعر منهم وقال:

ألا يا ناقض الميثا	ق أبشر بالذي ساكا
نقضت العهد والميثا	ق قدماً كان قدما كا

ف قيل له: ويلك أتقول هذا لمثل زيد، فقال: إنّ الأمير غضبان فأردت أن أرضيه، فرد عليه بعض الشعراء المخلصين وقال:

(١) ابن مهنا: عمدة الطالب: ٢٥٨، ط النجف. (٢) الأمين: زيد الشهيد: ٨٠.

(٣) المفيد: الاختصاص: ١٢٨؛ المجلسي: بحار الأنوار: ١٨١/٤٦.

ألا يا شاعر السوء لقد أصبحت أفاكا
أتشتم ابن رسول الله له وتُرضي من تولاكا
ويوم الحشر لا شك فإن النار مثواكا^(١)

هذا ولما قتل زيد لبست الشيعة السواد، ورثوه بقصائد نذكر بعضها:

١ - ما رثى به فضل بن العباس بن عبد الرحمان بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب (ت ١٢٩هـ) مصلوب على عمود بالكناسة.

الا ياعين لاترق وجودي بدمعك ليس ذا حين الجمود
غداة ابن النبي أبو حسين صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويُمسي بنفسي أعظم فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه فأخرجه من القبر اللحد
فظلوا ينبشون أبا حسين خضيباً بينهم بدم جسيد^(٢)
وقال أبو ثميلة الآبار يرثي زيدا:

أبا الحسين أعار فقدك لوعةً من يلقي ما لقيت منها يكمد
كنت المؤمل للعظام والنهي ترجى لأمر الأمة المتأود
فقتلت حين رضيت كل مناضل وصعدت في العلياء كل مصعد
والقتل في ذات الإله سجية منكم وأحرى بالفعال الأمجد
والناس قد آمنوا وآل محمد من بين مقتول وبين مشرد^(٣)

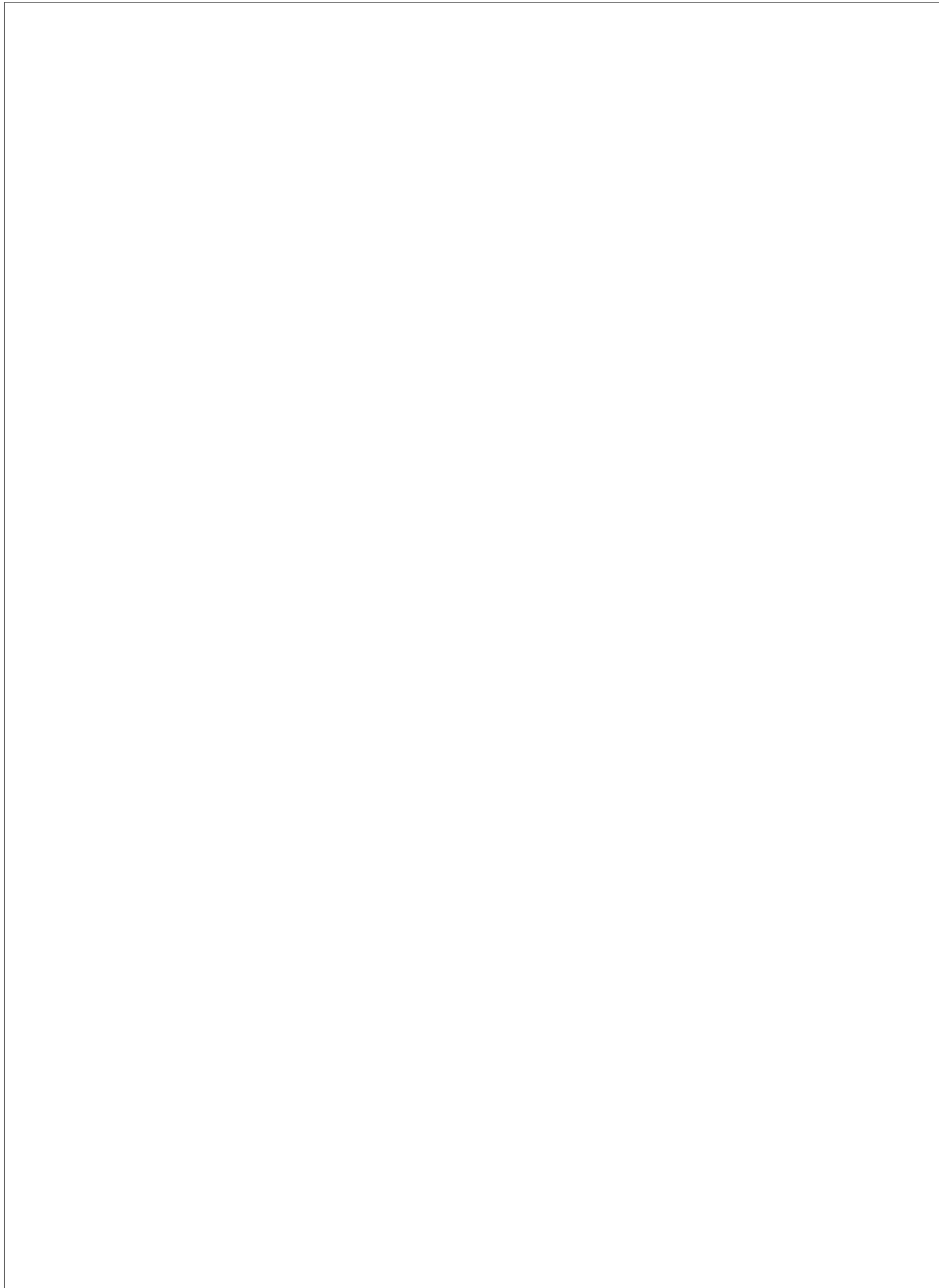
(٢) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ١٠١ - ١٠٢.

(١) الطبري: التاريخ: ٥٠٦/٥.

(٣) أبو الفرج: مقاتل الطالبين: ١٠١ - ١٠٢.

وقد رثي الإمام الثائر بقصائد كثيرة لوجمعت لكاتباً مفرداً ونكتفي في المقام بما جادت به قريحة سيدنا العلامة الأمين نقتطف منه ما يلي:

لقد لامني فيك الوشاة وأطنبوا	وراموا الذي لم يدركوه فخُيِّبوا
أرقتَ وقد نام الخلي ولم أزل	كأنِّي على جمر الغضى أتقلَّب
عجبت وفي الأيام كم من عجائب	ولكما فيها عجب وأعجب
تفاخرنا قوم لنا الفخر دونها	على كل مخلوق يجيء ويذهب
وما ساءني إلا مقالة قائل	إلى آل مروان يضاف وينسب
(صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة	ولم أر مهدياً على الجذع يصلب)
فإن تصلبوا زيدا عناداً لجده	فقد قُتلت رسل الإله وصلَّبوا
وإننا نعد القتل أعظم فخرنا	بيوم به شمس النهار تحجب
فما لكم والفخر بالحرب إنها	إذا ما انتمت تنمى إلينا وتنسب
هداة الورى في ظلمة الجهل والعمى	إذا غاب منهم كوكب بان كوكب
كفاهم فخاراً أن أحمد منهم	وغيرهم أن يدَّعوا الفخر كذبوا ^(١)



القسم الثاني:

وإليك مجمل ما فيه من فصول:

الفصل الأول: عرض إجمالي للتأثرين بعد الإمام زيد وهم بين داع وإمام.

الفصل الثاني: أصحاب الانتفاضة.

الفصل الثالث: أئمة الزيدية ودولتهم في اليمن.

الفصل الرابع: أئمة الزيدية ودولتهم في طبرستان.

الفصل الخامس: الدولة الزيدية في المغرب.

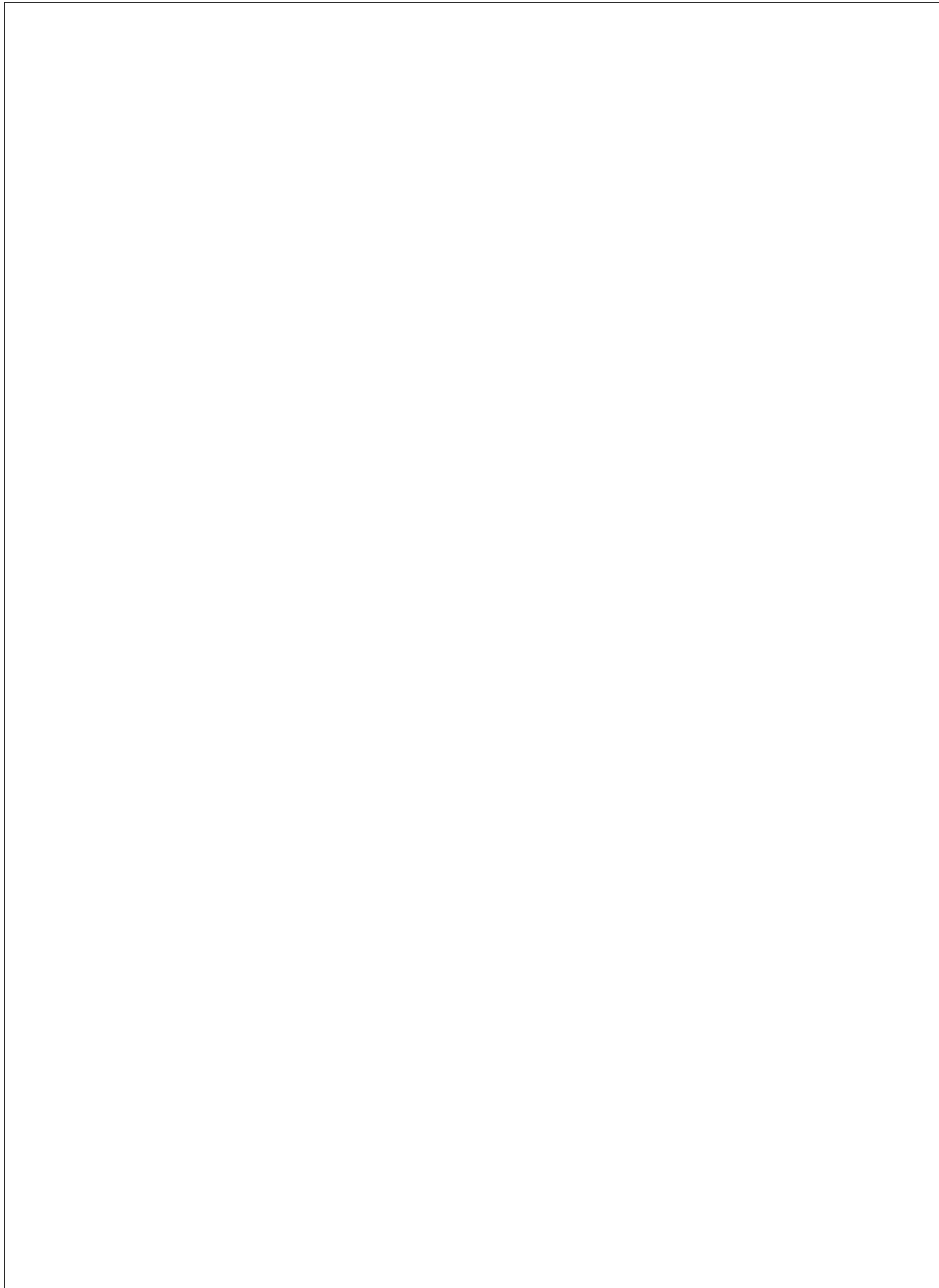
الفصل السادس: الأعلام المجتهدون من الزيدية.

الفصل السابع: شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة.

الفصل الثامن: فرق الزيدية في كتب تاريخ العقائد.

الفصل التاسع: في عقائد الزيدية.

الفصل العاشر: في أمور متفرقة.



الفصل الأول

عرض إجمالي للتأثرين بعد الإمام زيد وهم بين داع وإمام

إنّ ثورة زيد بن علي كانت ثورة عارمة بوجه الظالمين هزّت وضععت أركان الدولة الأموية وساعدت على إزالتهم عن أديم الأرض، وقد استغلّها العباسيون في تنظيم حركتهم لإقامة دولتهم وقد تركت ثورته في القلوب محبةً للتأثر ومن حبا حبه بشكل قلّ نظيره، حتى أنّ يحيى بن زيد لما أطلق سراحه اتخذ الخراسانيون من قيد قدميه فصوصاً لخواتيمهم، يتبركون بها، وهذا يدلّ على عمق تأثير ثورة زيد في قلوب المسلمين. ولا يقف القارئ على الأحداث التي وقعت بعد ثورته، نذكر الذين نهجوا منهجه وساروا على دربه، أخذوا بزمام الثورة وقادوها، واحداً بعد الآخر، وإليك أسماءهم أولاً، ثم الإدلاء بحياتهم وثورتهم، ثانياً:

- ١ - يحيى بن زيد، الذي اشترك مع أبيه في الثورة وبقي بعد مقتل أبيه.
- ٢ - محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية المستشهد عام ١٤٥ هـ خرج بالمدينة مطالباً بإرجاع الحقوق إلى أصحابها الشرعيين، وكان محمد

قد شارك في ثورة زيد بن علي ولما فشلت عاد إلى المدينة، وسيوافيك أن يحيى بن زيد قد فوّض الأمر إلى النفس الزكية.

٣- لما قتل محمد بن عبد الله قام أخوه إبراهيم بن عبد الله في نفس العام في البصرة، التحق به أنصار زيد بن علي، لمواصلة القتال من جديد. إلى أن قضى عليه أبو جعفر المنصور في نفس العام.

٤- ولما قتل محمد بن عبد الله، مضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب فأجابه خلق من الناس وبعث المنصور من اغتاله بالسم وقام ولده إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن مقامه، وأسس دولة الأدارسة في المغرب. ذكر تفصيله المسعودي في مروج الذهب^(١) وسيوافيك الكلام فيه في محله.

٥- عيسى بن زيد بن علي، أخو يحيى بن زيد، وقد توارى بعد ثورة أخيه فمات متوارياً عام ١٦٦هـ

٦- محمد بن إبراهيم (طباطبا)، فقد خرج في خلافة المأمون ودعا إلى الرضا من آل محمد وكانت له أتباع وغلب على بلاد العراق وهزمت جيوش المأمون التي أرسلت للقضاء عليه، وصلت سيطرة ابن طباطبا إلى الحجاز حتى أن الحسين بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي المعروف بـ «الأفطس» دعا له بالمدينة، وتوفي عام ١٩٩هـ

٧- محمد بن محمد بن زيد بن علي، وكان أبو السرايا قائداً عاماً لجيشه وكان قبل ذلك داعية لابن طباطبا.

لما توفي محمد بن إبراهيم (طباطبا) هرب أخوه القاسم بن إبراهيم (طباطبا)

(١) المسعودي مروج الذهب: ٢٩٦/٣، قال: وقد أتينا على خبرهم عند ذكرنا بخبر عبيد الله صاحب المغرب، وبنائه المدينة المعروف بالمدينة.

إلى الهند وتوفي هناك عام ٢٥٤ هـ فعاد ابنه الحسين بن القاسم إلى اليمن، وعند ذلك تواصلت قيادة الثورة بابنه الآخر أعني:

٨- محمد بن القاسم بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب، فقد ظهر في الطالقان عام ٢١٩ هـ ودعا إلى الرضا من آل محمد، ولكن أُلقي القبض عليه فجاء به إلى المعتصم فسجن.

٩- يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، خرج بالكوفة عام ٢٥٠ هـ غير أن ثورته فشلت.

١٠- يحيى بن الحسين بن القاسم، المعروف بالزاهد وقد دعا لنفسه بصعده وبويع للإمامة عام ٢٨٨ هـ.

ثم إن الإمام يحيى بن الحسين أسس دولة زيدية باليمن وقامت بالإمامة واحد بعد الآخر وكلهم من أبناء القاسم إلى أن أقصيت الزيدية عن الحكم في اليمن بحلول الجمهورية، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ١٣٨٢ هـ وسيوافيك أسماء أئمتهم إلى المنصور بالله محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين. في محله.

١١- قامت دولة زيدية أخرى في طبرستان بين ٢٥٠ - ٣٦٠ هـ.

وفي عام ٢٥٠ هـ ظهر الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب في طبرستان أيام المستعين، واستطاع السيطرة على طبرستان وجران بعد قتال مرير ضد محمد بن طاهر أمير خراسان وتوفي عام ٢٧٠ هـ.

١٢- قام مقامه أخوه محمد بن زيد ودخل بلاد الديلم عام ٢٧٧ هـ وامتلكها وتمت بيعة رافع

له.

وفي عام ٢٨٧ هـ سار محمد بن زيد نحو خراسان للاستيلاء عليها، فاصطدم بإسماعيل الساماني المتوفى عام ٢٩٥ هـ ومات متأثراً بجراحه.

١٣ - ثم ملك طبرستان بعد ذلك الناصر للحق الحسن بن علي المعروف بـ «الأطروش» وقد كان يدعو الناس إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، وكانوا على دين المجوسية فاستجابوا له واستطاع عام ٣٠١، أن يستولي على طبرستان والديلم إلى أن وافته المنية عام ٣٠٤ هـ.

١٤ - وجاء بعده الحسن بن القاسم (الملقب بالداعي) بن الحسن بن علي ابن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط.

١٥ - وقام مقامه محمد بن الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط المتوفى سنة ٣٦٠ هـ.

هذه جدولة موجزة وضعتها أمام القارئ للتأثرين المشهورين، وإلا الثوار الداعون إلى منهج الإمام زيد أكثر من ذلك، وقد ذكر الإمام الأشعري منهم اثنين وعشرين نفرًا كلهم من العلويين، حيث ضرجوا بدمائهم، أو أقصوا من ديارهم، لإرجاع العدالة والدين إلى الساحة الإسلامية، ولعل بين قراء الكتاب من له رغبة في الوقوف على أسماء الجميع، - ولذلك - نذكر نصّ الشيخ الأشعري بتلخيص.

قائمة التأثرين بعد زيد الشهيد :

قال الأشعري: هذا ذكر من خرج من آل النبي ﷺ فذكر أولاً خروج أبي الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، ثم خروج زيد بن علي على وجه التفصيل، وأوجز الكلام فيما يأتي، أعني بهم:

- ١ - يحيى بن زيد...
- ٢ - محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، ذو النفس الزكية.
- ٣ - إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، أخو محمد.
- ٤ - الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، قتيل فخ.
- ٥ - يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، صار إلى الديلم.
- ٦ - محمد بن جعفر بن يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى خرج بـ «تاهرت».
- ٧ - محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي.
- ٨ - محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.
- ٩ - إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليه السلام خرج مرة باليمن وبالعراق أخرى.
- ١٠ - محمد بن القاسم من ولد الحسين بن علي، بخراسان، خرج ببلدة يقال لها طالقان.
- ١١ - محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي الملقب بـ «الديباج» لحسن وجهه، خرج داعية لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا لنفسه.
- ١٢ - الأفطس خرج بالمدينة داعياً لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، فلما مات محمد بن إبراهيم دعا إلى نفسه.
- ١٣ - علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين، خرج في خلافة المعتصم.
- ١٤ - الحسن بن زيد بن الحسن بن علي أبي طالب، خرج بطبرستان في سنة ٢٥٠هـ.

١٥ - وخرج بقزوين، الكوكبي وهو من ولد الأرقط، واسمه: الحسن بن أحمد بن إسماعيل، من ولد الحسين بن علي بن أبي طالب.

١٦ - وخرج بالكوفة أيام المستعين، أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

١٧ - وخرج في أيامه أيضاً، الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله من ولد الحسين بن علي.

١٨ - خرج بسواد الكوفة أيام فتنة المستعين، ابن الأفتس.

١٩ - وخرج بسواد المدينة سنة ٢٥٠هـ، إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم من ولد الحسن بن علي فغلب عليها وتوفي عام ٢٥٢هـ.

٢٠ - خلف أخوه محمد بن يوسف وجاء به أبو الساج، وقتل كثيراً من أصحابه وهرب محمد فمات في هربه.

٢١ - خرج بالكوفة في آخر أيام بني أمية، عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وحاربه عبد الله بن عمر فغادر الكوفة عازماً إلى فارس، فمات فيها.

٢٢ - وخرج صاحب البصرة وكان يدعى أنه علي بن محمد بن علي بن عيسى ابن زيد بن علي وأنصاره الزنج وغلب على البصرة سنة ٢٥٧هـ وقتل سنة ٢٧٠هـ.

٢٣ - وخرج بأرض الشام المقتول على الدكة، فظفر به المكتفي بالله بعد حروب ووقائع كانت

(١)

والنسبة بين ما ذكرناه وما ذكره الأشعري عموم وخصوص من وجه، وهو

بعد لم يذكر التأثر الطائر الصيت يحيى بن الحسين الذي أقام الدولة في اليمن، كما ترك بعض التأثرين المؤسسين للدولة في طبرستان.

والجدير بالدراسة، هو البحث عن الحافز أو الحوافز التي كانت تدفع هؤلاء الأماثل الأشراف نحو القتال في الساحة، فكانوا يرون بأعينهم، أنه لا يقوم واحد منهم إلا ويقتل أو يسجن ويعذب بألوان العذاب، ومع ذلك كانوا يبادلون هدوء الحياة وملاذها بالشهادة في المعارك، والصلب على المشانق، وقتل الأولاد والأصحاب، ونهب الأموال.

وهذه هي النقطة الحساسة في حياة العلويين التي تحتاج إلى دراسة معمقة بحياد ورحابة صدر وبما أن موسوعتنا، موسوعة تاريخ العقائد، لا تاريخ الشخصيات والحوادث، نرجى البحث عنها إلى أونة أخرى، وفي نهاية المطاف نقول: يُقسّم التأثرون بعد زيد الشهيد إلى أصناف أربعة:

١- أصحاب الانتفاضة: الذين قاموا بوجه الظلم، بعد استشهاد زيد في أقطار مختلفة وعلموا أن أعواد المشانق نصب أعينهم وكان نصيبهم من القيام هو الشهادة، وإيقاظ الأمة وأداء الواجب من دون أن يؤسسوا دولة في قطر من الأقطار، وإنما كانت أعمالهم أشبه بما يعبر عنها اليوم بالانتفاضة. الذين ساروا على درب الإمام زيد وصار التوفيق نصيبهم، فأسسوا دولة في قطر من الأقطار امتدت قرناً أو قرناً، وهؤلاء عبارة عن:

٢- أئمة الزيدية في اليمن: ابتداءً بالإمام يحيى بن الحسين الذي قام بالأمر عام ٢٨٤ هـ وتوفي عام ٢٩٨ هـ وانتهاءً بحياة المنصور بالله محمد البدر الذي أزيل عن الحكم بقيام الجمهورية عام ١٣٨٢ هـ

٣- أئمة الزيدية في طبرستان: ابتداءً من الحسن بن زيد بن محمد بن

إسماعيل الذي قام بالحكم وأسس الدولة سنة ٢٥٠ هـ وانتهاءً بمحمد بن الحسن ابن القاسم الذي توفي سنة ٣٦٠ هـ

٤ - دعاة الزيدية في المغرب: ابتداءً بإدريس بن عبد الله المحض وانتهاءً بأحد أحفاده، وسيوافيك تفصيله.

فندكرهم على وجه التفصيل في فصول:

الفصل الثاني

أصحاب الانتفاضة

استشهد زيد بن علي عليه السلام وهو في طريق دعوته إلى كسح الظلم ونشر العدل، وأشعل فتيل الثورة وبقيت نارها بعد استشهاد متآججة بين أولاده وأصحابه، بيد كابر بعد كابر. وإليك من نهج منهجها:

١

يحيى بن زيد بن علي

(١٠٧-١٢٥ هـ)

هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمّه «ريطة» بنت أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وإياها عنى أبو ثميلة الأبار بقوله:

فلعل راحم أم موسى والذي نجّاه من لجج خضمّ مزبد
سيسر «ريطة» بعد حزن فؤادها يحيى، ويحيى في الكتائب يرتدي
وأم «ريطة» هي بنت الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب، أمّها ابنة المطلب بن أبي
وادعة السهمي.

شرف تتابع كابر عن كابر كالرمح انبوب على انبوب

(٣٣٧)

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني ثورته واستشهاده على وجه مبسط، وجاء الجزري باختصاره في الكامل ونذكر نص الثاني:

لما قتل زيد بن علي ودفنه يحيى ابنه، سار بعد قتل أبيه، إلى خراسان، فأتى «بلخ» فأقام بها عند الحريش بن عمرو بن داود حتى هلك هشام، وولي الوليد بن يزيد. فكتب يوسف بن عمر إلى «نصر» بمسير يحيى بن زيد وبمنزله عند الحريش، وقال له: خذه أشد الأخذ، فأخذ «نصر» الحريش، فطالبه بيحيى، فقال: لا علم لي به. فأمر به فجلد ستمائة سوط. فقال الحريش: والله لو أنه تحت قدمي ما رفعتهما عنه. فلما رأى ذلك قريش بن الحريش قال: لا تقتل أبي وأنا أدلك على يحيى، فدلّه عليه، فأخذه «نصر» وكتب إلى الوليد يُخبره، فكتب الوليد يأمره أن يؤمّنه ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه. فأطلقه «نصر» وأمره أن يلحق بالوليد وأمر له بألفي درهم، فسار إلى «سرخس» فأقام بها، فكتب «نصر» إلى عبد الله بن قيس بن عباد يأمره أن يسيّره عنها، فسيّره عنها، فسار حتى انتهى إلى «بيهق»، وخاف أن يغتاله يوسف بن عمر فعاد إلى نيسابور، وبها عمرو بن زرارة، وكان مع يحيى سبعون رجلاً، فرأى «يحيى» تجاراً، فأخذ هو وأصحابه دوابهم وقالوا: علينا أثمانها، فكتب عمرو بن زرارة إلى «نصر» يخبره، فكتب «نصر» يأمره بمحاربته، فقاتله عمرو، وهو في عشرة آلاف ويحيى في سبعين رجلاً، فهزمهم يحيى وقتل عمراً وأصاب دواب كثيرة وسار حتى مرّ بهرات فلم يعرض لمن بها وسار عنها.

وسرح «نصر بن سيار» سالم بن أخوز في طلب يحيى، فلحقه بالجوزجان فقاتله قتالاً شديداً، فرمى يحيى بسهم فأصاب جبهته، رماه رجل من عنزة يقال له عيسى، فقتل أصحاب يحيى من عند آخرهم وأخذوا رأس يحيى وسلبوه قميصه.

فلما بلغ الوليد قتل يحيى، كتب إلى يوسف بن عمر: خذ عَجِيل أهل العراق فأنزله من جذعه، - يعني زيدا -، وأحرقه بالنار ثم انسفه باليَمِّ نسفاً. فأمر

يوسف به فأحرق، ثم رضه وحمله في سفينة ثم ذراه في الفرات.

وأما يحيى فإنه لما قتل صلب بالجوزجان، فلم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني واستولى على خراسان، فأنزله وصلى عليه ودفنه وأمر بالنيابة عليه في خراسان، وأخذ أبو مسلم ديوان بني أمية وعرف منه أسماء من حضر قتل يحيى، فمن كان حياً قتله، ومن كان ميتاً خلفه في أهله بسوء^(١).

وقال السيد المدني في شرح الصحيفة:

«لما قتل أبوه زيد بن علي، خرج يحيى حتى نزل بالمدائن، فبعث يوسف بن عمر في طلبه، فخرج إلى الري ثم إلى نيسابور من خراسان، فسأله المقام بها فقال: بلدة لم تُرفع فيها لعلي وآله راية لا حاجة لي في المقام بها، ثم خرج إلى «سرخس» وأقام بها عند يزيد بن عمر التميمي ستة أشهر، حتى مضى هشام بن عبد الملك لسبيله، وولى بعده الوليد بن يزيد فكتب إلى «نصر بن سيار» في طلبه فأخذه ببلخ وقيده وحبسه، فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما بلغه ذلك:

أليس بعين الله ما تفعلونه
عشية يحيى موثق بالسلاسل
كلاب عوت لا قدس الله سرها
فجئن بصيد لا يحل لأكل

وكتب نصر بن سيار إلى يوسف بن عمر، يخبره بحبسه وكتب يوسف إلى الوليد، فكتب الوليد إليه بأن يحذره الفتنة ويخلى سبيله فخلّى سبيله وأعطاه ألفي درهم وبغلين، فخرج حتى نزل الجوزجان^(٢) فلحق به قوم من أهلها ومن الطالقان، زهاء خمسمائة رجل، فبعث إليه «نصر بن سيار»، سالم بن أهور فاقتتلوا

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين: ١٠٣ - ١٠٨، والجزري: الكامل: ٢٧١/٥ - ٢٧٢.

(٢) الجوزجان: بزاي بين الجيمين المفتوحتين: كورة واسعة من كور بلخ بخراسان.

أشد قتال ثلاثة أيام حتى قتل جميع أصحاب يحيى وبقي وحده فقتل عصر يوم الجمعة سنة خمس وعشرين ومائة، وله ثماني عشرة سنة، وبعث برأسه إلى الوليد، فبعث به الوليد إلى المدينة، فوضع في حجر أمه «ريطة» فنظرت إليه، وقالت: شردتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، صلوات الله عليه وعلى آبائه بكرة وأصيلاً.

فلما قتل عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، مروان بن محمد بن مروان، بعث برأسه حتى وضع في حجر أمه فارتاعت. فقال: هذا بيحيى بن زيد، وكان الذي احتز رأس يحيى بن زيد، سورة بن أبجر، وأخذ العنبري سلبه، وهذان أخذهما أبو مسلم المروزي فقطع أيديهما وأرجلهم وصلبهما. ولا عقب ليحيى بن زيد^(١).

هذا ما يذكره المؤرخون وقد كان ليحيى عند الإمام الصادق عليه السلام مكانة عالية، وقد استشهد ولم يكمل العقد الثاني من عمره الشريف حيث تولد عام ١٠٧هـ واستشهد في عام ١٢٥هـ ولما سمع الإمام الصادق شهادته وصلبه حزن حزناً عظيماً ومن كلامه في حق يحيى فيما بعد قال: «إِنَّ آل أَبِي سَفِيَان قَتَلُوا الْحُسَيْنَ ابْنَ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَنَزَعَ اللَّهُ مَلَكَهُمْ، وَقَتَلَ هِشَامَ، زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ فَنَزَعَ اللَّهُ مَلَكَهُ، وَقَتَلَ الْوَلِيدَ، يَحْيَى بْنَ زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَنَزَعَ اللَّهُ مَلَكَهُ»^(٢).

أمّا أعلام الإمامية فقد عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقال: يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المدني، ومن غرائب الكلام عدّه من أصحاب الكاظم عليه السلام مع أنّه ولد عام ١٢٨هـ بعد ثلاثة سنين من استشهاد يحيى بن زيد.

(١) السيد علي خان المدني: رياض السالكين: ٦٩/١ - ٧٠.

(٢) المجلسي: البحار: ١٨٢/٤٦ ح ٤٦.

يحيى بن زيد والصحيفة السجادية :

إنَّ الصحيفة السجادية نسخة من علوم أئمة أهل البيت، وهي أدعية للإمام السجاد تهز كل إنسان إذا قرأها بدقة وإمعان، وقد أودع فيها الإمام كنوزاً من المعارف، وعلم الإنسان كيفية الدعاء والابتهاال إلى الله سبحانه، انشأها سيد الساجدين في عصر الظلم والقتل والتشريد وقد كانت نسخة منها عند زيد الثائر، وقد أوصى بها إلى ولده يحيى، وهو أيضاً أوصى إلى: محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وذكر تفصيله عمير بن المتوكل الثقفي البلخي عن أبيه متوكل بن هارون قال:

لقيت يحيى بن زيد بن علي عليه السلام وهو متوجه إلى خراسان فسلمت عليه، فقال لي: من أين أقبلت؟ قلت: من الحج، فسألني عن أهله وبني عمه بالمدينة وأحفي السؤال عن جعفر بن محمد فأخبرته بخبره وخبرهم وحزنهم على أبيه زيد بن علي عليه السلام فقال لي: قد كان عمي محمد بن علي عليه السلام أشار إلى أبي بترك الخروج وعرفه أنه إن هو خرج وفارق المدينة ما يكون إليه مصير أمره، فهل لقيت ابن عمي جعفر بن محمد عليه السلام؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعته يذكر شيئاً من أمري؟ قلت: نعم، قال: بم ذكرني؟ قلت: جعلت فداك ما أحب أن أستقبلك بما سمعته منه، فقال: أبا الموت تخوفني؟ هات ما سمعته، فقلت سمعته يقول:

إنك تقتل وتصلب كما قتل أبوك وصلب، فتغير وجهه وقال: ﴿يَمَحُّوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يا متوكل إنَّ الله عزَّ وجلَّ أيد هذا الأمر بنا، وجعل لنا العلم والسيف، فجمعنا لنا وخصَّ بنو عمنا بالعلم وحده، فقلت: جعلت فداك إنني رأيت الناس إلى ابن عمك جعفر عليه السلام أميل منهم إليك وإلى أبيك، فقال: إنَّ عمي محمد بن علي وابنه جعفر عليه السلام دعوا الناس إلى الحياة ونحن دعوناهم إلى الموت، فقلت: يا بن رسول الله أهم أعلم أم أنتم؟

فأطرق إلى الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال: كلنا له علم غير أنهم يعلمون كل ما نعلم ولا نعلم كل ما يعلمون.

ثم قال لي: أكتب من ابن عمي شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أرينه، فأخرجت إليه وجوهاً من العلم وأخرجت له دعاء أملاه عليّ أبو عبد الله عليه السلام وحدثني أنّ أباه محمد بن علي عليه السلام أملاه عليه، وأخبره أنّه من دعاء أبيه علي بن الحسين عليه السلام من دعاء الصحيفة الكاملة، فنظر فيه يحيى حتى أتى على آخره وقال لي: أتأذن في نسخه فقلت: يابن رسول الله أتستأذن فيما هو عنكم، فقال: أما أنّي لأخرجن إليك صحيفة من الدعاء الكامل ممّا حفظه أبي عن أبيه، وإنّ أبي أوصاني بصونها ومنعها غير أهلها، قال عمير: قال أبي: فقمتم إليه فقبلت رأسه، وقلت له: والله يابن رسول الله إنّني لأدين الله بحبكم وطاعتكم وأنّي لأرجو أن يسعدني في حياتي ومماتي بولايتكم. فرمى صحيفتي التي دفعتها إليه إلى غلام كان معه وقال: أكتب هذا الدعاء بخطيّن وحسن وأعرضه عليّ لحفظه، فإنّي كنت أطلبه من جعفر حفظه الله فيمنعني قال المتوكل: فندمت على ما فعلت ولم أدر ما أصنع ولم يكن أبو عبد الله عليه السلام تقدم إليّ ألا أدفعه إلى أحد.

ثم دعا بعبية فاستخرج منها صحيفة مقفلة مختومة فنظر إلى الخاتم وقبّله وبكى ثم فضّه وفتح القفل، ثم نشر الصحيفة ووضعها على عينيه وأمرّها على وجهه، وقال: والله يامتوكل لولا ما ذكرت من قول ابن عمي إنّني أقتل وأصلب لما دفعتها إليك ولكنك بها ضنيناً ولكني أعلم أنّ قوله حقّ أخذه عن آبائه وأنّه سيصح، فخفت أن يقع مثل هذا العلم إلى بني أمية فيكتموه ويدّخروه في خزائنهم لأنفسهم، فاقبضها واكفينها وتربص بها، فإذا قضى الله من أمري وأمر هؤلاء القوم ما هو قاض، فهي أمانة لي عندك حتى توصلها إلى ابني عمي: محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام فإنّهما القائمان في

هذا الأمر بعدي.

قال المتوكل: فقبضت الصحيفة، فلما قتل يحيى بن زيد صرت إلى المدينة فلقيت أبا عبد الله عليه السلام: فحدثته الحديث عن يحيى فبكى واشتد وجده به، وقال: «رحم الله ابن عمي وألحقه بأبائه وأجداده، والله يا متوكل مامنني من دفع الدعاء إليه إلا الذي خافه على صحيفة أبيه، وأين الصحيفة؟» فقلت: ها هي، ففتحها، أو قال: «هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين عليه السلام» ثم قال لابنه: «قم يا إسماعيل فأتني بالدعاء الذي أمرتك بحفظه وصونه» فقام إسماعيل فأخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها إلي يحيى بن زيد فقبلها أبو عبد الله ووضعها على عينه وقال: «هذا خط أبي وإملاء جدي عليه السلام بمشهد مني» فقلت: يا بن رسول الله إن رأيت أن أعرضها مع صحيفة زيد ويحيى، فأذن لي، وقال: «قد رأيتك لذلك أهلاً» فنظرت وإذا هما أمر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الأخرى، ثم استأذنت أبا عبد الله عليه السلام في دفع الصحيفة إلى ابني عبد الله بن الحسن، فقال: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، نعم فأدفعها إليهما» فلما نهضت للقائهما قال لي: «مكانك» ثم وجه إلى محمد وإبراهيم فجاءا، فقال: هذا ميراث ابن عمكما يحيى من أبيه قد خصكما به دون إخوته ونحن مشترطون عليكم فيه شرطاً، فقالا: رحمك الله قل فقولك المقبول، فقال: «لا تخرجا بهذه الصحيفة من المدينة» قالا: ولم ذاك؟ قال: «إن ابن عمكما خاف عليهما أمراً أخافه أنا عليكما» قالا: إنما خاف عليها حين علم أنه يقتل، فقال: أبو عبد الله عليه السلام: «وأنتما فلا تأمنا فوالله إنني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج وستقتلان كما قتل» فقاما وهما يقولان: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فلما خرجا قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يامتوكل كيف قال لك يحيى إن عمي محمد بن علي وابنه جعفرأدعوا الناس إلى الحياة ودعوناهم إلى الموت» قلت:

نعم أصلحك الله قد قال لي ابن عمك يحيى ذلك، فقال: «يرحم الله يحيى إنَّ أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام إنَّ رسول الله ﷺ أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقري، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً والحزن يُعرف في وجهه، فأتاه جبريل عليه السلام بهذه الآية: «وما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»^(١) يعني بني أمية قال: يا جبريل أعلّى عهدي يكونون وفي زمني، قال: لا ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمسة وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها ثم ملك الفراغة قال وأنزل الله تعالى في ذلك: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ»^(٢) يملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر، قال: فأطلع الله عزّ وجلّ نبيه ﷺ أن بني أمية تملك سلطان هذه الأمة وملكها طول هذه المدة فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتى يأذن الله تعالى بزوال ملكهم، وهم في ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيه بما يلقي أهل بيت محمد وأهل مودتهم وشيعتهم منهم في أيامهم وملكهم قال وأنزل الله تعالى فيهم: «الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ»^(٣) ونعمة الله محمد وأهل بيته، حبهم إيمان يدخل الجنة وبغضهم كفر ونفاق يدخل النار، فأمر رسول الله ﷺ ذلك إلى علي وأهل بيته»^(٤).

(٢) القدر: ١ - ٣.

(١) الإسراء: ٦٠.

(٣) إبراهيم: ٢٨.

(٤) الصحيفة السجادية: قسم المقدمة، لاحظ رياض السالكين: ٦٩/١ - ١٨٧ قسم المتن.

وسيوافيك خبر أخيه: عيسى بن زيد بعد أخبار محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى وذلك حفظاً للتسلسل الزمني، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم بيعت حياً.

وقد رثى يحيى بن زيد لفيف من الشعراء منهم دعبل الخزاعي بتأنيته المعروفة المشهورة التي تبلغ مائة وعشرين بيتاً رائعاً وفيها من مناقب أهل البيت ومصائبهم الجرم الغفير ومطلعها قوله:

تجاوبن بالأرنان والزفرات	نوائح عجم اللفظ والنطقات
يخبرن بالأنفاس عن سر أنفس	أسارى هوئى ماضٍ وآخر آت

إلى أن انتقل عن كل ما يوشح به أوائل القصائد إلى قوله:

فكيف ومن أنى بطالب زلفة	إلى الله بعد الصوم والصلوات
سوى حبّ أبناء النبي ورهطه	وبغض بني الزرقاء والعبلات
وهند وما أدت سمية وابنها	أولو الكفر في الإسلام والفجرات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه	ومحكمه بالزور والشبهات

ثم إلى أن جدد المطلع بقوله:

بكيت لرسم الدار من عرفات	وأجريت دمع العين بالعبرات
وبان عرى صبري وهاجت صابتي	رسوم ديار قد عفت وعرات
مدارس آيات خلت من تلاوة	ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى	وبالبيت والتعريف والجمرات

ثم إلى أن قال عطر الله مرقدہ وفاه:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً	وقد مات عطشاناً بشط فرات
إذاً للطمت الخد فاطم عنده	وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير فاندبي	نجوم سماوات بأرض فلاة
قبور بكوفان وأخرى بطيبة	وأخرى بفخ نالها صلواتي
وأخرى بأرض الجوزجان محلها	وقبر بباخمرى لدى الغربات
وقبر ببغداد لنفس زكية	تضمنها الرحمن في الغرفات
قبور ببطن النهر من جنب كربلا	معرسهم منها بشط فرات
توفوا عطاشا بالفرات فليتني	توفيت فيهم قبل حين وفاتي ^(١)

(١) ذكرها غير واحد من الأدباء والمؤرخين، ومن أراد أن يقف على جميعها فليرجع إلى: روضات الجنات: ٣٠٢/٣

- ٣٠٤ والغدير: ٣٤٩/٢.

عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب

(٧٠-١٤٥ هـ)

إنَّ عبد الله بن الحسن والد محمد النفس الزكية وإبراهيم اللذين استشهدا في عصر المنصور بطيبة والبصرة.

فلابد من الإشارة إلى حياة الوالد قبل الولدين.

يطلق عليه عبد الله المحض، لأنَّ أباه هو الحسن بن الحسن السبط، وأمّه فاطمة بنت الحسين السبط، فهو منسوب إلى رسول الله، من كلا الطرفين وكان قوي النفس شجاعاً، ولما قدم أبو العباس السفاح وأهله سرّاً على أبي سلمة الخلال الكوفة ستر أمرهم، وعزم أن يجعل الخلافة شورى بين ولد علي والعباس حتى يختاروا من أرادوا، فكتب إلى ثلاثة نفر منهم: جعفر بن محمد وعمر بن علي بن الحسين، وعبد الله بن الحسن، ووجه بالكتب مع رجل من مواليهم من ساكني الكوفة فبدأ بجعفر بن محمد عليه السلام ولقيه ليلاً وأعلمه أنَّه رسول أبي سلمة وأنَّ معه كتاباً إليه منه، فقال: «ما أنا وأبو سلمة وهو شيعة لغيري» فقال الرسول: تقرأ الكتاب وتجييب عليه بما رأيت، فقال جعفر لخدمته: «قدّم مني السراج» فقَدّمه فوضع عليه كتاب أبي سلمة فأحرقه فقال: ألا تجيبه؟ فقال: «قد رأيت الجواب» ^(١).

(١) ذكر الشهرستاني أنَّ الإمام الصادق عليه السلام قال له: «ما أنت من رجالي، ولا الزمان زمانِي» الممل والنحل: ١٥٤/١، ط

فخرج من عنده وأتى عبد الله بن الحسن بن الحسن فقَبِلَ كتابه وركب إلى جعفر بن محمد، فقال: هذا كتاب أبي سلمة يدعوني لأمر، ويراني أحق الناس به وقد جاءت شيعتنا، من خراسان فقال له جعفر الصادق (عليه السلام): «ومتى صاروا شيعتك؟ أنت وجهت أبا سلمة إلى خراسان؟ وأمرته بلبس السواد؟ هل تعرف أحداً منهم باسمه ونسبه؟ كيف يكونون من شيعتك وأنت لاتعرفهم إلا يعرفونك؟ فإن هذه الدولة ستتم إلى هؤلاء القوم ولا تتم لأحد من آل أبي طالب وقد جاءني مثل ما جاءك» فانصرف غير راض بما قاله.

وأما عمر بن علي بن الحسين فردّ الكتاب وقال: ما أعرف كاتبه فأجيبه.

ومات عبد الله المحض في حبس أبي جعفر الدوانيقي مخنوقاً وهو ابن خمس وسبعين سنة. وقد ذكر المسعودي كيفية القبض عليه وقال: وكان المنصور قبض على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي (عليه السلام) وكثير من أهل بيته وذلك في سنة أربع وأربعين ومائة في منصرفه من الحج، فحملوا من المدينة إلى الربرة من جادة العراق وكان ممن حمله مع عبد الله بن الحسن: إبراهيم بن الحسن بن الحسن، وأبو بكر بن الحسن بن الحسن، وعلي الخير، وأخوه العباس، وعبد الله بن الحسن بن الحسن، والحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن، ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان أخو عبد الله بن الحسن بن الحسن لأُمّه فاطمة ابنة الحسين بن علي، وجدتهما فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فجرد المنصور بالربرة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان فضره ألف سوط، وسأله عن ابني أخيه محمد وإبراهيم فأنكر أن يعرف مكانهما، فسألت جدته العثماني في ذلك الوقت، وارتحل المنصور عن الربرة وهو في قبة، وأوهن القوم بالجهد، فحملوا على المحامل المكشوفة، فمر بهم المنصور في قبته على الجمازة، فصاح به عبد الله بن الحسن يا أبا جعفر ما هكذا فعلنا بكم يوم بدر،

فصيرهم إلى الكوفة، وحبسوا في سرداب تحت الأرض لا يفرقون بين ضياء النهار وسواد الليل، وخلص منهم: سليمان وعبد الله ابني داود بن الحسن بن الحسن، وموسى بن عبد الله بن الحسن، والحسن بن جعفر، وحبس الآخرين ممن ذكرنا حتى ماتوا وذلك على شاطئ الفرات من قنطرة الكوفة، ومواضعهم بالكوفة تزار في هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، وكان قد هدم عليهم الموضع، وكانوا يتوضؤون في مواضعهم فاشتدت عليهم الرائحة، فاحتال بعض مواليهم حتى أدخل عليهم شيئاً من الغالية، فكانوا يدفعون بشمها تلك الروائح المنتنة، وكان الورم في أقدامهم، فلا يزال يرتفع حتى يبلغ الفؤاد فيموت صاحبه.

وذكر أنهم لما حبسوا في هذا الموضع أشكل عليهم أوقات الصلاة، فجزأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلون الصلاة على فراغ كل واحد منهم من جزئه وكان عدد من بقي منهم خمسة، فمات اسماعيل بن الحسن فترك عندهم فجيف، فصعق داود بن الحسن فمات، وأتى برأس إبراهيم بن عبد الله فوجه به المنصور مع الربيع إليهم فوضع الرأس بين أيديهم وعبد الله يصلي، فقال له إدريس أخوه: اسرع في صلاتك يا أبا محمد، فالتفت إليه وأخذ الرأس فوضعه في حجره، وقال له: أهلاً وسهلاً يا أبا القاسم، والله لقد كنت من الذين قال الله عز وجل فيهم:

﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدُوا وَلَا يُنْقِضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ

يُوصَلَ﴾ إلى آخر الآية، فقال له الربيع: كيف أبو القاسم في نفسه؟ قال: كما قال الشاعر:

فتى كان يحميه من الذل سيفه ويكفيه أن يأتي الذنوب اجتنابها

ثم التفت إلى الربيع: فقال: قل لصاحبك قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام؟ والملتقى،

القيامة. قال الربيع: فما رأيت المنصور قط أشدّ انكساراً

منه في الوقت الذي بلغته الرسالة... (١).

وكان يتولى صدقات أمير المؤمنين علي عليه السلام بعد أبيه الحسن، ونازعه في ذلك زيد بن علي بن الحسين، وأعقب عبد الله المحض من ستة رجال:

١ - محمد ذي النفس الزكية، المقتول بقرب المدينة.

٢ - إبراهيم قتيل باخمري، قريب الكوفة.

٣ - موسى الجون.

٤ - يحيى بن عبد الله صاحب الديلم.

٥ - سليمان بن عبد الله.

٦ - إدريس بن عبد الله (٢).

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢٩٨/٣. والآيتان ٢٠ و ٢١ من سورة الرعد.

(٢) النسابة ابن عتبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٠١ - ١٠٣.

(٣٥٠)

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب النفس الزكية

(١٠٠-١٤٥ هـ)

محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية المقتول عام ١٤٥ هـ في أيام أبي جعفر المنصور ، هو الثائر الثاني، وقد ذكر الشهرستاني أنَّ يحيى بن زيد أوصى إليه، ولذلك يعد إماماً ثانياً بعده. وتقدم أنَّ أباه عبد الله من أكابر بني هاشم وكان الجميع يَكُنُّ له الاحترام، وكان أكبر سناً من الإمام الصادق عليه السلام كما تقدم - ومع ذلك كان يدعو الناس لبيعة ولده محمد، وهذا وما سبق من قبول دعوة أبي سلمة الخلال يكشفان عن روح ثورية أولاً، وسذاجة في الأمور السياسية ثانياً. ولما قتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك إثر خلاعته ومجانبته عام ١٢٦ هـ تهيأت الظروف المناسبة للدعوة إلى بني هاشم، ففي هذا الظرف الهادئ جمع عبد الله بن الحسن، بني هاشم وألقى فيهم خطبة نقلها أبو الفرج الأصفهاني في كتابه وقال: إنكم أهل البيت قد فضلكم الله بالرسالة واختاركم لها وأكثركم بركة ياذرية محمد بن عبد الله بنو عمه وعترته، وأولى الناس بالفرع في أمر الله، من وضعه الله

بحوث في الملل والنحل / ج ٧ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب النفس الزكية

موضعكم من نبيّه ﷺ وقد ترون كتاب الله معطلاً، وسنة نبيه متروكة، والباطل حياً، والحق ميتاً، قاتلوا لله في الطلب لرضاه بما هو أهله قبل أن ينزع منكم اسمكم وتهونوا عليه كما هانت بنو إسرائيل وكانوا أحب خلقه إليه، وقد علمتهم أنا لم نزل نسمع أن هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً خرج الأمر من أيديهم، فقد قتلوا صاحبهم - يعني الوليد بن يزيد -، فهل من نبياع محمدًا، فقد علمتم أنه المهدي.

فقالوا: لم يجتمع أصحابنا بعد، ولو اجتمعوا فعلنا، ولسنا نرى أبا عبد الله جعفر بن محمد.

وبعد محاولات حضر الإمام الصادق عليه السلام مجلس القوم فاطلع على أمر القوم وأنهم يريدون بيعة محمد بن إبراهيم، فقالوا: قد علمت ما صنعوا بنا بنو أمية وقد رأينا أن نبياع لهذا الفتى.

فقال: لا تفعلوا فإن الأمر لم يأت بعد، فغضب عبد الله وقال: لقد علمت خلاف ما تقول، ولكنه يحملك على ذلك الحسد لابني، فقال: لا والله، ما ذاك يحملني، ولكن هذا وإخوته وأبنائهم دونكم و ضرب يده على ظهر أبي العباس (السفاح) ثم نهض واتبعه عبد الصمد وأبو جعفر المنصور فقالا: يا أبا عبد الله أتقول ذلك؟ قال: «نعم والله أقوله وأعلمه».

وفي رواية قال لعبد الله بن الحسن: «إنها والله ما هي إليك ولا إلى ابنك ولكنها لهؤلاء وإن ابنك لمقتولان» ففرق أهل المجلس ولم يجتمعوا بعدها.

وقال عبد الله بن جعفر بن المسور، فخرج جعفر بن محمد يتوكأ على يدي فقال لي: «أرايت صاحب الرداء الأصفر؟» يعني أبا جعفر المنصور، قلت: نعم، قال: «فإن الله نجده يقتل محمدًا»، قلت: أو يقتل محمدًا؟! قال: «نعم» فقلت في نفسي: حسده ورب الكعبة. ثم ما خرجت والله من الدنيا حتى رأيته قتله^(١).

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين: ١٧١ - ١٧٢.

حكى ابن عنبه أن محمد بن عبد الله بن الحسن ولد سنة ١٠٠هـ بلا خلاف، وقيل مات سنة ١٤٥هـ في رمضان، وقيل في الخامس والعشرين من رجب، وقال البخاري: وهو ابن خمس وأربعين سنة وأشهرًا، وكان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم مع جماعة من بني هاشم، فلما بويع لبني العباس اختفى محمد وإبراهيم مدة خلافة السفاح فلما ملك المنصور (١٣٦ هـ) وعلم أنهما على عزم الخروج جدّ في طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما فيحكى أنهما أتيا أباهما وهو في السجن وقالاه: يقتل رجلان من آل محمد خير من أن يقتل ثمانية، فقال لهما: إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين فلا يمنعكما أن تموتا كريمين.

ولما عزم «محمد» على الخروج واعد أخاه إبراهيم على الظهور في يوم واحد، وذهب محمد إلى المدينة وإبراهيم إلى البصرة، فاتفق أن إبراهيم مرض فخرج أخوه بالمدينة وهو مريض بالبصرة، ولما خلاص من مرضه وظهر أتاه خبر أخيه أنه قتل وهو على المنبر يخطب.

ومن عجيب ما يروى عن محمد بن عبد الله أنه لما أحس بالخذلان دخل داره وأمر بالتنور فسجّر ثم عمد إلى الدفتر الذي أثبت فيه أسماء الذين بايعوه فألقاه في التنور فاحترق، ثم خرج فقاتل حتى قتل بأحجار الزيت، قريباً من المدينة.

وكان مالك بن أنس الفقيه قد أفتى بالخروج مع محمد وبايعه ولذلك تغير المنصور عليه فقال: إنّه خلع أكتافه^(١).

وقد ذكر المؤرخون دعوته وشهادته بين موجز في القول ومعتدل في البيان ومفصل في القصة وبما أن في كلامهم ما يلقي الضوء على حياة القائد، نذكر بعض نصوصهم.

(١) النسابة ابن عنبه: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٠٤ - ١٠٥.

وممن أوجز فيه الكلام أبو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ) في «الأخبار الطوال» قال: وفي ذلك العام (١٤٥هـ) خرج على المنصور، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الملقب بالنفس الزكية فوجه إليه أبو جعفر - المنصور - عيسى بن موسى بن علي في خيل فقتل رحمه الله، وخرج أخوه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن فقتل رضوان الله عليه^(١).

وقال اليعقوبي: «وظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بالمدينة مستهل رجب سنة ١٤٥هـ فاجتمع معه خلق عظيم وأتته كتب أهل البلدان ووفودهم، فأخذ رياح بن عثمان بن حيان المري عامل أبي جعفر، فأوثقه بالحديد وحبسه، وتوجه (أخوه) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن إلى البصرة وقد اجتمع جماعة فأقام مستتراً، وهو يكاتب الناس ويدعوهم إلى طاعته، فلما بلغ أبا جعفر أراد الخروج إلى المدينة ثم خاف أن يدع العراق مع ما بلغه من أمر إبراهيم، فوجه عيسى بن موسى الهاشمي، ومعه حميد بن قحطبة الطائي في جيش عظيم فصار إلى المدينة، وخرج محمد إليه في أصحابه فقاتلهم في شهر رمضان ومضى أصحابه إلى الحبس فقتل رياح بن عثمان وكانت أسماء ابنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بالمدينة وكانت معادية لمحمد بن عبد الله، فوجهت بخمار أسود قد جعلته مع مولى لها حتى نصبه على مأذنة المسجد، ووجهت بمولى لها يقال له: مجيب العامري إلى عسكر محمد، صاح: الهزيمة الهزيمة قد دخل المسودة المدينة، فلما رأى الناس العلم الأسود انهزموا وأقام محمد يقاتل حتى قتل، فلما قتل محمد بن عبد الله بن الحسن، وجه عيسى بن موسى، كثير بن الحصين العبدى إلى المدينة فدخلها، فتتبع أصحاب محمد فقتلهم وانصرف إلى العراق^(٢).

(١) الدينوري الأخبار الطوال: ٣٨٥، طبع مصر، الحلبي، وممن أوجز الكلام فيه النسابة العلوي العمري صاحب المجدي: ٣٧. (٢) ابن واضح الإخباري: تاريخ اليعقوبي: ٣٧٦/٢.

وقال المسعودي: وفي سنة خمس وأربعين ومائة كان ظهور محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالمدينة، وكان قد بُوع له من كثير من الأنصار وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه، وكان مستخفياً من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعمومته، وكثير من أهله وعدتهم، ولما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة، استشار إسحاق بن مسلم العقيلي وكان شيخاً ذا رأي وتجربة فأشار إلى ما لم يستحسنه أبو جعفر وبينما كان يتفكر في كيفية المقابلة مع محمد بن إبراهيم بلغه أن إبراهيم أخا محمد خرج بالبصرة يدعو إلى أخيه، فبعث عيسى بن موسى في أربعة آلاف فارس وألفي راجل وأتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف فقاتلوا محمداً بالمدينة حتى قتل وهو ابن خمس وأربعين سنة ولما اتصل بإبراهيم قتل أخيه، محمد بن عبد الله وهو بالبصرة صعد المنبر فناه وتمثل:

أبالمنازل ياخير الفوارس من	يفجع بمثلک في الدنيا فقد فجعا
اللّٰه يعلم أنّي لو خشيتهم	وأوجس القلب من خوف لهم فزعا
لم يقتلوه ولم أسلم أخيّ لهم	حتى نموت جميعاً أو نعيش معا

تفرّق إخوة محمد في البلاد :

وقد كان تفرّق أخوة محمد وولده في البلدان يدعون إلى إمامته فكان فيمن توجه ابنه، علي بن محمد إلى مصر فقتل بها، وسار ابنه عبد الله إلى خراسان فهرب لما طُلب، إلى السند فقتل هناك، وسار ابنه الحسن إلى اليمن فحبس فمات في الحبس، وسار أخوه موسى إلى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى إلى الري، ثم إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب فأجابه خلق من الناس

بحوث في الملل والنحل/ج ٧ محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب النفس الزكية

فبعث المنصور من اغتاله بالسم وقام ولده إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
مقامه (١).

هؤلاء من المؤرخين قد أوجزوا الكلام في دعوته وشهادته، وقد فصل أبو الفرج الأصفهاني
(٢) في المقامين وابن الاثير في الكامل وقد ذكر كتاب المنصور إلى محمد بن إبراهيم، كما ذكر جوابه
إليه (٣).

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢٩٤/٣ - ٢٩٦، وسيوافيك ذيل هذا النص في البحث عن تأسيس دولة زيدية في
المغرب باسم الأدارسة.
(٢) راجع: مقاتل الطالبين: ١٧٦ - ٢٠٠.
(٣) ابن الأثير: الكامل: ٥٢٢/٥ - ٥٥٤، وفيه لما قتل محمد صادر عيسى أموال بني الحسن وحتى أموال الإمام
الصادق، لاحظ ص ٥٥٣.

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن

(١٠٣-١٤٥ هـ)

إبراهيم بن عبد الله بن الحسن أخو محمد ذو النفس الزكية الثائر الثالث بعد يحيى بن زيد والنفس الزكية، وقد تقدم اتفاق الأخوين على الثورة في يوم واحد في قطرين مختلفين، وقد عرفت تأخر إبراهيم عن أخيه في الخروج.

قال المسعودي: مضى إبراهيم أخوه إلى البصرة وظهر بها، فأجابه أهل فارس والأهواز وغيرهما من الأمصار وسار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية وجماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة وغيرهم، ومعه عيسى بن زيد بن علي ابن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسيّر إليه المنصور عيسى بن موسى وسعيد بن سلم في العساكر، فحارب حتى قتل في الموضع المعروف بـ«باخمري» وذلك على ستة عشر فرسخاً من الكوفة من أرض الطف، وهو الموضع الذي ذكرته الشعراء ممن رثى إبراهيم. فممن ذكر ذلك:

دعبل بن علي الخزاعي، في قصيدته الرائعة الثائية التي نقل قسم منها عند ذكر شهادة أخيه محمد النفس الزكية وفيها قوله:

قُبور بكوفان وأخرى بطيبة	وأخرى بفخّ نالها صلوات
وأخرى بأرض الجوزجان محلها	وقبر بباخمري لدى الغربات

(٣٥٧)

وقتل معه من الزيدية من شيعته أربعمئة رجل، وقيل: خمسمئة رجل^(١).

وقال صاحب المجدي: وكان إبراهيم يكنى أبا الحسن، قتل بأرض «باخمرى» وهي قرية تقارب الكوفة وظهر ليلة الإثنين غرة شهر رمضان سنة ١٤٥ هـ وذلك بالبصرة وكان مقتله بعد مقتل أخيه محمد (رضي الله عنهما) في ذي الحجة من السنة المذكورة.

وباع إبراهيم وجوه المسلمين منهم بشير الرحال، وأبو حنيفة الفقيه، والأعشى، وعباد بن المنصور القاضي صاحب مسجد عباد بالبصرة، والمفضل بن محمد وشعبة الحافظ إلى نظائهم^(٢).

وقال النسابة ابن عنبه: كان إبراهيم من كبار العلماء في فنون كثيرة، يقال إنه كان أيام اختفائه في البصرة قد اختفى عند المفضل بن محمد الضبي، فطلب منه دواوين العرب ليطالعها فأتاه بما قدر عليه فأعلم إبراهيم على ثمانين قصيدة. فلما قتل إبراهيم استخرجها المفضل وسماها بـ (المفضليات) وقرئت بعده على الأصمعي فزاد بها، وظهر إبراهيم ليلة الإثنين غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة بالبصرة وباعه وجوه الناس - إلى أن قال: - ويقال: إن أبا حنيفة الفقيه بايعه أيضاً وكان قد أفتى الناس بالخروج معه، فيحكي أن امرأة أخته فقالت: إنك أفتيت ابني بالخروج مع إبراهيم فخرج فقتل. فقال لها: ليتني كنت مكان ابنك. وكتب إليه أبو حنيفة: أما بعد: فإنني قد جهزت إليك أربعة آلاف درهم ولم يكن عندي غيرها، ولولا أمانات الناس عندي للحققت بك، فإذا لقيت القوم وظفرت بهم فافعل كما فعل أبوك في أهل صفين، أقتل مدبرهم وأجهز على جريحهم، ولا تفعل كما فعل أبوك في أهل الجمل فإن القوم لهم فئة. ويقال: إن هذا الكتاب وقع

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٢٩٦/٣ - ٢٩٧.

(٢) النسابة العلوي العمري: المجدي في أنساب الطالبين: ٤٢.

(٣٥٨)

إلى الدوانيقي وكان سبب تغييره على أبي حنيفة - إلى أن قال: - وجيء برأس إبراهيم فوضعه في طشت بين يديه والحسن بن زيد بن الحسن بن علي واقف على رأسه عليه السواد فخنقته العبرة والتفت إليه المنصور وقال: أتعرف رأس من هذا؟ فقال: نعم:

فتى كان تحميه من الضيم نفسه وينجيه من دار الهوان اجتنابها
فقال المنصور: صدقت ولكن أراد رأسي فكان رأسه أهون علي ولوددت أنه فاء إلى طاعتي،
ويقول أيضاً: وحمل ابن أبي الكلام الجعفري رأسه إلى مصر^(١).

(١) ابن المهنا: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٠٩- ١١٠، ولعله دفنه في المحل المعروف برأس الحسين

عيسى بن زيد الثائر

(... - ١٦٨ هـ)

أحد أولاد زيد الثائر المعروف بـ «موتم الأشبال»، وكان وصي إبراهيم - قتيل باخمري - بن عبد الله المحض وحامل رايته، فلمّا قتل إبراهيم اختفى عيسى إلى أن مات، وكان أبو جعفر المنصور قد بذل له الأمان وأكده وكان شديد الخوف منه لم يأمن وثوبه عليه، فقبل لعيسى في ذلك فقال: واللّه لئن بيّتنّ ليلة واحدة خائفاً منّي أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس. وإنّما يسمّى موتم الأشبال لأنّه قتل أسداً له أشبال فسمّى موتم الأشبال. فخرج عيسى مع محمد بن عبد الله النفس الزكية ثم مع أخيه إبراهيم، وكان إبراهيم قد جعل له الأمر بعده وكان حامل رايته فلمّا قتل إبراهيم استتر ولم يتم له الخروج فبقي مستتراً أيام المنصور وأيام المهدي وأيام الهادي وصلى عليه الحسن بن صالح سرّاً ودفنه.

وقد ذكر النسابة ابن عنبه من حياته شيئاً كثيراً يؤجّج الفؤاد ومما ذكره أنّه كان في أيام اختفائه يستقي الماء على جمل، وقال: حكى لي الشيخ النقيب تاج الدين بإسناده عن محمد بن زيد الشهيد: قال محمد بن محمد: قلت لأبي محمد بن زيد: أريد أن أرى عمي عيسى، فقال: اذهب إلى الكوفة فإذا وصلتّها اذهب إلى الشارع الفلاني واجلس هناك فإنّه سيمر عليك رجل آدم طويل، له سجادة بين عينيه، يسوق جملاً عليه مزادتان، كلّما خطا خطوة كبر الله سبحانه، وسبحه وهللّه

(٣٦٠)

وقدّسه، فذلك عمك عيسى فقم إليه فسلم عليه، قال محمد بن محمد بن زيد فذهبت إلى الكوفة فلمّا وصلتّها جلستُ حيث أمرني أبي فلم ألبث أن جاء الرجل الذي وصفه لي أبي وبين يديه جمل عليه راوية فقامت إليه وأكبت على يديه أقبلهما فذعر مني فقلت: أنا محمد بن زيد (١) فسكن ثم أناخ جملة وجلس إليّ في ظل حائط هناك وحدثني ساعة، وسألني عن أهلي وأصحابه ثم ودّعني وقال لي: يا بني لاتعد إليّ بعد هذا فإنّي أخشى الشهرة (٢).

وقال صاحب المجدي: وكان من أصحاب محمد بن عبد الله قتيل «أحجار الزيت» فاختم عيسى من يد المهدي ومات في الاستتار على أيام الرشيد وكان شيخنا أبو الحسن يقول: كان ابن دينار يزعم أنّه قتل زيد ولابنه الحسين أربع سنين ولابنه عيسى سنة ولابنه محمد أربعين يوماً (٣) وعلى ذلك فقد توفي عيسى حوالي عام ١٦٧ للهجرة.

(١) كذا في النسخة المطبوعة والصحيح محمد بن محمد بن زيد ولعل الحذف للسهولة.

(٢) ابن عتبة: عمدة الطالب، في أنساب آل أبي طالب: ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٣) أبو الحسن العلوي العمري: المجدي في أنساب الطالبين: ١٨٦ - ١٨٧.

(٣٦١)

الحسين بن علي الفخّي

(... - ١٦٩ هـ)

هو الحسين بن علي بن الحسن المثلث أي الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال صاحب المجدي: ومن ولد علي زين العابدين الحسن المثلث، الحسين بن علي وهو الشهيد صاحب فخ، خرج ومعه جماعة من العلويين زمن الهادي موسى بن المهدي بن المنصور بمكة، وجاء موسى بن عيسى ابن علي ومحمد بن سليمان بن المنصور فقتلهم بفخ يوم التروية سنة تسع وستين ومائة. وقيل: سنة سبعين، وحملوا رأسه إلى الهادي، فأنكر الهادي فعلهما وأمضاهما حكم السيف فيهم دون رأيه، ونقل أبو نصر البخاري عن محمد الجواد ابن علي الرضا عليه السلام أنه قال: لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ ^(١).

(١) النسابة ابن عتبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٨٢ - ١٨٣.
(٣٦٢)

محمد بن إبراهيم طباطبا

(١٧٣ - ١٩٩ هـ)

هو محمد بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن علي الغمر بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب^(١).

قال صاحب المجدي: أمّا إبراهيم بن إسماعيل بن الغمر فهو طباطبا ولقب بذلك لأنّه أراد أن يقول قبا فقال طبا، لردّة في لسانه، وكان له خطر وتقدم وأبرز صفحته ودعا إلى الرضا من آل محمد. فولد إبراهيم بن إسماعيل بن الغمر ثلاثة عشر ولداً، منهم: بنتان وهما: لبابة وفاطمة، والذكور: جعفر، وإبراهيم، وإسماعيل، وموسى، وهارون، وعلي، وعبدالله، ومحمد.

هذا هو الوالد وأمّا الولد أي محمد، يقول في حقّه: «إنّه صاحب أبي السرايا يكتنّى أبا عبد الله، خرج بالكوفة فجأة وانقرض ولده غير أن رجلاً منهم يقال له محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد هذا، صاحب أبي السرايا خرج إلى بلاد الحبشة فما نعرف له خبراً^(٢).

(١) سيوافيك في الفصل القادم أنّ الإمام يحيى مؤسس الدولة الزيدية في اليمن عام ٢٨٤ من أحفاد إبراهيم إذ نسبه:

يحيى بن الحسين، بن القاسم بن إبراهيم طبا. (٢) النسابة العلوي العمري: المجدي: ٧٢.

(٣٦٣)

وقال ابن عنبه: ومن ولد إبراهيم طباطبا أيضاً محمد بن إبراهيم ويكنى أبا عبد الله أحد أئمة الزيدية، خرج بالكوفة داعياً إلى الرضا من آل محمد، وخرج معه أبو السرايا (السري بن منصور) الشيباني في أيام المنصور، فغلب على الكوفة ودعا بالآفاق ولقب بأمير المؤمنين وعظم أمره ثم مات فجأة، وانقرض عقبه، وكان من ولده محمد بن الحسين بن جعفر بن محمد هذا، خرج إلى الحبشة فما يعرف له خبر. وفي بعض النسخ مات ١٩٩ هـ وقيل: سمّاه أبو السرايا سمّاً ومات منه والله أعلم (١).

وقال الطبري في حوادث سنة ١٩٩ هـ: وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة يدعو إلى الرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يقال له ابن طباطبا وكان القيم بأمره في الحرب وتديرها وقيادة جيوشه أبا السرايا واسمه السري بن منصور (٢).

وبما أنّ أبا السرايا جاء اسمه في ذكر لفيف من الثائرين، نذكر عنه شيئاً.

يقول خير الدين الزركلي: السري بن منصور الشيباني ثائر شجاع من الأمراء العصاميين فجمع عصابة كان يقطع بها الطريق، ثم لحق بيزيد بن مزيد الشيباني بأرمينيا ومعه ثلاثون فارساً فجعله في القواد فاشتهرت شجاعته، ولما نشبت فتنة الأمين والمأمون انتقل إلى عسكر هرثمة بن أعين وسار معه نحو ألفي مقاتل وخوطب بالأمير، ولما قتل الأمين نقص هرثمة من أرزاقه وأرزاق أصحابه فخرج في نحو مائتي فارس فحصر عامل عين التمر وأخذ ما معه من المال ففرقه في أصحابه، ثم استولى على الأنبار وذهب إلى الرقة وقد كثر جمعه فلقبه بهما ابن

(١) ابن عنبه: عمدة الطالب: ١٧٢.

(٢) الطبري: التاريخ: ١١٧/٧.

طباطبا العلوي (محمد بن إبراهيم) وكان قد خرج على بني العباس، فبايعه أبو السرايا وتولّى قيادة جنده، واستوليا على الكوفة، فضرب بها أبو السرايا الدرهم، وسيّر الجيوش إلى البصرة ونواحيها، وعمل على ضبط بغداد، وامتلك المدائن وواسطاً، واستفحل أمره، وأرسل العمال والأمرء إلى اليمن والحجاز وواسط والأهواز، وتوالت عليه جيوش العباسيين فلم تضععه إلى أن قتله الحسن بن سهل وبعث برأسه إلى المأمون ونصبت جثته على جسر بغداد^(١).

وقد فصل أبو الفرج الكلام حول خروج أبو السرايا ولقائه مع محمد بن إبراهيم يرجع ملخصه إلى ما ذكره خير الدين، ولذلك اقتصرنا عليه^(٢).

و ليعلم أنّ القاسم الرّسي الذي يعتبر الإمام الثاني للزيدية من فريق الأئمة المجتهدين هو أخو محمد بن إبراهيم، كما أنّ الإمام الهادي الذي أسس دولة فيها هو حفيد القاسم الرّسي، فالكل من أغصان الشجرة الطيبة العلوية.

(١) خير الدين الزركلي: الأعلام: ٨٢/٣ نقلاً عن البداية والنهاية: ٢٤٤/١٠ ومقاتل الطالبين: ٣٣٨، والطبري: التاريخ: ٢٢٧/١٠.

(٢) انظر: أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥١٨ - ٥٣٦. تحقيق سيد أحمد صقر. (٣٦٥)

محمد بن محمد بن زيد بن علي

(١٨٢ - ٢٠٢ هـ)

يحدث صاحب المجدي عن أبيه فيقول: محمد بن زيد الشهيد بن علي بن الحسين عليه السلام وكان بليغاً، وله أحد عشر ولداً، منهم: محمداً الأكبر وكان على عهد المأمون وهو صاحب أبي السرايا بعد ابن طباطبا قبره بمرو، وكان سقي سماً^(١).

وقال ابن عنبه: وكان لمحمد بن زيد الشهيد عدة بنين، منهم محمد بن محمد ابن زيد. ولما خرج أبو السرايا وأخذ البيعة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (المذكور آنفاً) وتوفي «محمد» فجأة نصب أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد هذا، ولقبه «المؤيد» فندب الحسن بن سهل إليه هرثمة بن أعين، فحاربه وأسرته وحمله إلى الحسن بن سهل فحمله الحسن إلى المأمون، فتعجب المأمون من صغر سنه وقال: كيف رأيت الله في الصنع بآب عمك؟ فقال محمد بن محمد بن زيد:

رأيت أمين الله في العفو والحلم وكان يسيراً عنده أعظم الجرم

فأعرض عن جهلي وداوي سقامه بعفو جرى عن جلده هبوه السقم

وتوفي محمد بن محمد بن زيد بمرو وسقاه المأمون السم ٢٠٢ هـ وهو ابن عشرين سنة، فيقال: إنه كان ينظر كبده يخرج من حلقة قطعاً فيلقيه في طشت ويقلبه بخلال في يده^(٢).

(١) النسابة العلوي العمري: المجدي: ١٨٤.

(٢) ابن عنبه: عمدة الطالب: ٣٠٠، لاحظ أيضاً مقاتل الطالبين: ٣٤٣ و ٥١٧ من الطبعة الأخرى.

محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

(... - بعد ٣١٩ هـ)

قال صاحب المجدي: أمّا الوالد أي القاسم بن علي بن عمر فهو يكنى بـ «أبي علي» وكان شاعراً وقد اختفى ببغداد، وأمّا الولد فقد أشخصه الرشيد من الحجاز وحبسه وأفلت من الحبس (١).

وقال أبو الفرج: محمد بن القاسم يكنى أبا جعفر، وكانت العامة تلقّبه الصوفي، لأنّه كان يُدْمِن لبس ثياب من الصوف الأبيض، وكان من أهل العلم والفقه والدين والزهد وحسن المذهب، وكان يذهب إلى القول بالعدل والتوحيد ويرى رأي الزيدية الجارودية، خرج في أيام المعتصم بالطالقان، فأخذه عبد الله بن طاهر ووجّه به إلى المعتصم (٢).

يقول المسعودي: وفي هذه السنة أي ٢١٩ هـ أخاف المعتصم، محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رحمهم الله، وكان بالكوفة من العبادة والزهد والورع في نهاية الوصف، فلمّا خاف على نفسه هرب فصار إلى خراسان، فتنقل في مواضع كثيرة من كورها كمرور، وسرخس والطالقان ونسا، فكانت له هناك حروب وكوائن وانقاد إليه وإلى إمامته خلق كثير من

(١) النسابة العلوي: المجدي: ١٤٩.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين: ٣٨٢.

(٣٦٧)

بحوث في الملل والنحل / ج ٧ محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

الناس، ثم حمّله عبد الله بن طاهر إلى المعتصم، فحبسه في أزج اتخذته في بستان بسر من رأى. وقد تنوزع في محمد بن القاسم، فمن قائل يقول: إنّه قتل بالسم، ومنهم من يقول: إنّ ناساً من شيعة من الطالقان أتوا ذلك البستان فتأتوا للخدمة فيه من غرس وزراعة، واتخذوا سلاليم من الجبال واللبود والطالقانية ونقبوا الأزج وأخرجوه، فذهبوا به فلم يعرف له خبر إلى اليوم، وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت وهو سنة ٣٣٣هـ (١).

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٤٦٤/٣ - ٤٦٥.

الفصل الثالث

أئمة الزيدية ودولتهم في اليمن

قد تعرفت على أسماء وحياة الثائرين بعد زيد الشهيد إجمالاً، وهؤلاء الأماثل قاموا في وجه الظلم في مناطق مختلفة، بصورة انتفاضات ناجحة وغير ناجحة.
ويأتي الآن دور الثائرين الأفاضل، المؤسسين دولاً في قطر كبير من الأقطار الثلاثة وهؤلاء عبارة عن:

أئمة الزيدية وتأسيس الدولة في اليمن.

أئمة الزيدية وتأسيس الدولة في طبرستان.

أئمة الزيدية وتأسيس الدولة في المغرب.

وإليك البيان ابتداء من أئمتهم في اليمن وأول ثائريهم وفي الحقيقة مؤسس دولتهم هو:

١

يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا

قال صاحب المجدي في حق والده: الحسين بن القاسم الرسي كان سيداً كريماً ولد له يحيى، وهو أبو الحسين الهادي، الجليل، الفارس، الدين، إمام الزيدية وكان مصنفاً، شاعراً، ظهر باليمن مات سنة ٢٩٨هـ وكان يتولى الجهاد بنفسه

ويلبس جبة صوف وكان قشفاً رحمه الله^(١).

وقال ابن عنبه: أمّا أبو عبد الله الحسين بن القاسم الرسي وكان سيداً كريماً، فأعقب من رجلين:

١ - أبو الحسين يحيى الهادي.

٢ - أبو محمد عبد الله السيد العالم.

أمّا يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم الرسي يكنى أبا عبد الله، كان إماماً من أئمة الزيدية، جليلاً فارساً، ورعاً، مصنفاً، شاعراً، ظهر باليمن ويلقب بالهادي إلى الحق، وكان يتولى الجهاد بنفسه ويلبس جبة صوف، له تصانيف كبار في الفقه قريبة من مذهب أبي حنيفة، وكان ظهوره باليمن أيام المعتضد سنة ٢٨٠ هـ وتوفي هناك عام ٢٩٨ هـ وخُطِبَ له بمكة سبع سنين، وأولاده أئمة الزيدية وملوك اليمن وقد ولي الحكومة بعد رحيل الهادي ولداه:

١ - أبو القاسم محمد المرتضى، قام بالأمر بعد أبيه.

٢ - أحمد الناصر قام بالأمر بعد تنازل أخيه.

وسيوافيك ترجمة الوالد والولدين في الفصل السادس المختص ببيان أعلامهم المجتهدين، وإليك أسماء الأئمة الذين كان لهم الحكم إلى قيام الجمهورية عام ١٣٨٢ هـ

وقد توالى الإمامة من عقب الإمام يحيى بعد الولدين إلى قيام الجمهورية العربية في أرض اليمن إلا في فترات قليلة، فلأجل إيقاف القارئ على أسمائهم نأتي بالقائمة التالية ومن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المعدة لذلك.

(١) النسابة العلوي العمري: المجدي: ٧٨.

سلسلة أئمة الزيدية في اليمن:

قد قام غير واحد من الزيدية بذكر أئمتهم حسب التسلسل الزمني، وتصديهم لأمر الإمامة منهم:

أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت ٨٤٠هـ) في مقدمة البحر الزخار قال: «باب في تعداد أئمة الزيدية» والمقصود الدعاة دون المقتصدين هو مرتب على مراتبهم في القيام عليه السلام أولهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بوبع له في المدينة...

ثم ولده الحسن بن علي قام يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان...

ثم أخوه الحسين بن علي قام حين أتى نعي معاوية...

ثم الحسن بن الحسن قام ودعا وباعه خلق كثير...

ثم زيد بن علي قام يوم الأربعاء...

ثم يحيى بن زيد قام ودعا...

ثم ساق أسماء الأئمة إلى والده الإمام المهدي علي بن محمد بن علي بن منصور بن يحيى بن مفضل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي بن يحيى بن أحمد الناصر بن الهادي إلى الحق ولد سنة ٧٠٥ هـ وتوفي سنة ٧٧٤ هـ^(١)

ولا تعجب من ذكر الإمام علي بن أبي طالب والحسين، والحسن بن الحسن، وزيد بن علي دون الإمام زين العابدين، من أئمة الزيدية مع أن زيدا تولد وقام بالدعوة بعد قرن وربع وذلك لأجل أن المراد من الزيدية هي يتبع المنهج

(١) البحر الزخار: ٢٢٥ - ٢٣١، آخر كتاب الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر. (٣٧١)

الخاص في باب الإمامة وهو الذي قام ودعا إلى إمامته وبويع وخرج، وله من المؤهلات والمواصفات المذكورة في بابها، والإمام والسبطان مشوا على هذا الدرب دون الإمام السجاد عليه السلام.

وممن قام بتدوين أسماء وحياة أئمة الزيدية مؤلف كتاب «التحف شرح الزلف» فقد نظم أسماء الأئمة نظماً وشرحها شرحاً، والمؤلف أنموذج السلف السيد مجد الدين بن محمد بن منصور الحسن المؤيدي شيخ الزيدية في العصر الحاضر باليمن فقد أتى بأسمائهم وقليلاً من حياتهم إلى الإمام المتوكل على الله يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى الذي قام بعده وفاة أبيه سنة ١٣٢٢هـ قال: فجند الجنود وخفقت له الرايات، وصفت البنود، وفي أيامه النعمة الكبرى والمنة العظمى إخراج الأتراك وإجلالهم من اليمن وفي هذا التاريخ (١٣٦٥هـ) أوامره ونواهيته في أرض اليمن جارية ^(١).

وقد سبق زمن تأليف الكتاب على دعوة الإمامين بعد المتوكل ولم يذكر منهما شيئاً أعني:

١ - الناصر لدين الله أحمد بن يحيى حميد الدين (ت ١٣٨٢هـ).

٢ - المنصور بالله محمد البدر بن أحمد بن يحيى حميد الدين.

حيث لم يحكم الثاني إلا أياماً قلائل وأزيل عن الحكم بقيام الثورة وإعلان الجمهورية بقيام أحد العسكريين باسم السلال عام ١٣٨٣هـ.

وبما أنا استوفينا ذكر الأئمة الدعاة حتى عصر الإمام يحيى الهادي نذكر سلسلة الزيدية بعد عصره إلى زماننا هذا، وقد استخرجت القائمة من عدة مصادر ولم نذكر فيها الدعاة الذين ليسوا بأئمة بل هم حسب مصطلح الزيدية

(١) التحف شرح الزلف: ١٩٤ ولاحظ أيضاً كتاب اليمن عبر التاريخ: ٢٥٠ - ٢٥٩ تأليف أحمد حسين شرف الدين وهو يذكر أئمة الزيدية باليمن فقط.

مقتصدون، وقد عقد في البحر الزخار باباً لأسماء هؤلاء أيضاً^(١).

وقد استعنت في تنظيم القائمة، أحد الفضلاء أعني الشيخ علي اليمني دامت إفاضاته.

١- الإمام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى وهو ابن الهادي يحيى بن الحسين، بويع له بالإمامة في غرة محرم سنة ٢٩٩ هـ بعد وفاة الهادي واستمر في الحكم عشرة أشهر ثم تنازل عن الحكم لما رأى من تخاذل بعض الناس، وتوفي في أيام أخيه الناصر أحمد سنة عشر وثلاثمائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة، وكان يلقب بجبريل الأرض لنسكه، ودفن بجوار الهادي في مدينة صعدة في اليمن.

٢- الإمام الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين، بويع له بعد تنازل المرتضى محمد وكان حين وفاة الهادي في الحجاز ثم قدم بعد ذلك، وكانت له حروب مع القرامطة وهزمهم في جميعها وصفت له أكثر اليمن، واستمر في الحكم حتى توفي سنة ثلاثمائة وخمسة وعشرين ودفن بجوار أبيه وأخيه.

٣- المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله العياني قام ببلاد خثعم من أرض الشام ثم خرج إلى اليمن وتوفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بقرية عيان شمال اليمن وهو من ذرية محمد بن القاسم بن إبراهيم طباطبا.

٤- الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي وهو أبو الفتح بن الحسين بن محمد من ذرية علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قام في بلاد الديلم شمال إيران في عام ثلاثين وأربعمائة، ثم خرج إلى اليمن فاستولى على أكثر اليمن واستشهد سنة نيف وأربعين أو خمسين وأربعمائة في وقعة بينه وبين علي بن محمد الصليحي.

(١) البحر الزخار: المقدمة/٢٢٥، والمراد من المقتصدين هم الذين لم يتمكنوا من الخروج وإن كانت لهم دعوة.

٥- الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان من ذرية الناصر أحمد بن الهادي، استولى على جميع اليمن وخطب له بينبع وخيبر وتوفي في ربيع سنة ست وخمسين وخمسمائة عن ست وستين سنة.

٦- الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ينتهي نسبه إلى عبد الله بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم طباطبا، دعوته سنة أربع وتسعين وخمسمائة ويعتبر مجدد المذهب الزيدي في القرن السابع الهجري، توفي في محرم سنة أربع عشرة وستمائة عن عمر يناهز الثانية والخمسين.

٧- الإمام المهدي أحمد بن الحسين من ذرية محمد بن القاسم بن إبراهيم طباطبا، دعا إلى الله سنة ست وأربعين وستمائة وقتل سنة ست وخمسين وستمائة.

٨- الإمام المنصور بالله الحسن بن بدر الدين دعا في الخامس والعشرين من شوال سنة سبع وخمسين وستمائة وتوفي سنة سبعين وستمائة عن أربع وسبعين عاماً.

٩- الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى وكانت دعوته سنة ست وسبعين وستمائة وتوفي في سنة سبع وتسعين وستمائة.

١٠- الإمام المهدي محمد بن المطهر وكانت دعوته سنة إحدى وسبعمائة وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة عن سبعين عاماً، ويعتبر من المجددين للمذهب الزيدي في القرن الثامن.

١١- الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة ينتهي نسبه إلى الإمام علي بن موسى الرضا من جهة الإمام الجواد عليه السلام ثم الإمام علي الهادي عليه السلام وكان قيامه سنت تسع وعشرين وسبعمائة وتوفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة.

١٢- الإمام المهدي لدين الله علي بن محمد، كانت ولادته سنة سبعمائة وخمسة للهجرة ودعوته سنة سبعمائة وخمسين للهجرة وتوفي في جمادي الآخرة سنة

سبعمائة وأربعة وسبعين للهجرة وقليل في ربيع الأول من نفس العام.

١٣ - الإمام الهادي لدين الله علي بن المؤيد، كانت دعوته سنة ست وسبعمائة وتوفي في العاشر من محرم سنة ست وثلاثين وثمانمائة عن ثمانين سنة، ومدة حكمه ما يقرب من أربعين سنة.

١٤ - الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى، ولادته سنة سبعمائة وأربعة وستين وكانت دعوته سنة سبعمائة وثلاثة وتسعين فأُسِرَ وحبس فلما آيس الهادي علي بن المؤيد من خروجه من الحبس دعا لنفسه، وتوفي المهدي في سنة ثمانمائة وأربعين للهجرة.

١٥ - الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد وهو من ذرية عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم طباطبا.

كان قيامه في سنة ثمانمائة وإحدى وأربعين وتوفي في صفر سنة تسع وسبعين وثمانمائة. ١٦ - الإمام الهادي عز الدين بن الحسن، كانت دعوته في تسعة شوال سنة ثمانين وثمانمائة ويعتبر مجدداً للدين في القرن التاسع الهجري، وحكم اليمن ومكة وكانت وفاته في رجب سنة تسعمائة عن خمس وخمسين عاماً.

١٧ - الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، كانت بيعته في جمادي الأولى سنة اثنتي عشرة وتسعمائة وفي أيامه خرج الجراكسة والأتراك من اليمن وتوفي سنة خمس وستين وتسعمائة وهو ابن سبع وثمانين سنة.

١٨ - الإمام الهادي الحسن بن عز الدين، كانت دعوته أواخر أيام الإمام شرف الدين وذلك بإشارة من الإمام شرف الدين بعد ذهاب بصره، فبويع له سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وتوفي سنة سبع وثمانين وتسعمائة عن سبع وسبعين سنة.

١٩- الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود، بويغ له سنة أربع وثمانين وتسعمائة، أسره الأتراك سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة في سادس عشر من شهر رمضان وسجن في اليمن سنة ثم أرسل إلى القسطنطينية وبقي مسجوناً إلى أن توفي سنة أربع وعشرين وألف للهجرة.

٢٠- الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي، بويغ له في محرم سنة ألف وستة هجرية، وهو مجدد القرن الحادي عشر، وهو وأولاده الذين أخرجوا الأتراك من اليمن وتوفي سنة ألف وتسعة وعشرين هجرية.

٢١- الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، بويغ له بعد وفاة أبيه القاسم بن محمد وتوفي بعد صلاة الجمعة في اليوم الثامن من شهر رجب في سنة ألف وأربع وخمسين للهجرة، وفي أيامه تم خروج الأتراك نهائياً من اليمن.

٢٢- الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد، بويغ له بعد وفاة المؤيد سنة أربع وخمسين وألف وتوفي في جمادي الآخر سنة سبع وثمانين وألف وامتد حكمه إلى ظفار عمان.

٢٣- الإمام المنصور بالله القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد، بويغ له بعد وفاة عمه المتوكل على الله إسماعيل وتوفي سنة ألف وسبعة وعشرين للهجرة النبوية على صاحبها وآله السلام.

٢٤- الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل، دعا بعد وفاة المؤيد وتوفي سنة سبع وتسعين وألف للهجرة.

٢٥- الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أحمد بن عبد الله الكبسي المغلس دعوته سنة إحدى وعشرين ومائتين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائتين ويعتبر مجدداً للمذهب الزيدي في القرن الثاني عشر.

٢٦- الإمام المنصور بالله أبو محمد أحمد بن هاشم بن المحسن، كانت

دعوته سنة ألف ومائتين وأربع وستين وتوفي سنة ألف ومائتين وتسع وستين.

٢٧- الإمام المنصور بالله محمد بن عبد الله الوزير، كانت دعوته سنة ألف ومائتين وسبعين ثم اعتزل بعد سنة من قيامه وتوفي سنة ألف وثلاثمائة وسبعة.

٢٨- الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد الحوثي، كانت دعوته في سنة ألف ومائتين وإحدى وسبعين وتوفي سنة ألف ومائتين وخمس وتسعين.

٢٩- الإمام المهدي لدين الله أبو القاسم محمد بن القاسم بن إسماعيل الحسيني يرجع نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزة الحسيني، كانت دعوته سنة ألف ومائتين وثمان وتسعين للهجرة ثم أخذ بعد ذلك وسجنه الأتراك وتوفي سنة ألف وثلاثمائة وتسعة عشر للهجرة.

٣٠- الإمام الهادي لدين الله شرف الدين بن محمد الحسيني، يرجع نسبه إلى الإمام يحيى بن حمزة الحسيني خرج أواخر القرن الثالث عشر أثناء سجن الإمام المهدي وتوفي سنة ألف وثلاثمائة وسبعة.

٣١- الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد حميد الدين وهو من ذرية الإمام القاسم بن محمد، دعا سنة سبع وثلاثمائة وهو وابنه الإمام يحيى حميد الدين من أخرج الأتراك من اليمن وتوفي سنة ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين.

٣٢- الإمام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين، دعا بعد وفاة والده المنصور بالله محمد في سنة ألف وثلاثمائة واثنين وعشرين، وهو الذي أخرج الأتراك نهائياً من اليمن وله المنة الكبرى في إبقاء اليمن بعيداً عن الاستعمار والأجانب، واستمر حكم الإمام يحيى حتى استشهد سنة ألف وثلاثمائة وسبع وستين.

هؤلاء هم الأئمة الذين حكموا اليمن بعد الهادي يحيى بن الحسين وهم

الذين أجمعوا على إمامتهم وكان هناك غيرهم ممن حكم اليمن إلا أنهم لم يصلوا إلى درجة الإمامة عندهم وهم إمّا دعاة أو محتسبون، وجاء بعد الإمام يحيى من أخذ بثأره الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين كان عالماً جليلاً وفارساً شجاعاً وكان عادلاً في حكمه إلا أنه لم تكتمل شروط الإمامة فيه واستمر حكمه إلى سنة ألف وثلاثمائة وثلاثة وثمانين للهجرة.

الفصل الرابع

أئمة الزيدية ودولتهم في طبرستان

وقد أسس بعض الثائرين على منهج زيد الثائر دولة زيدية في طبرستان، وهم بين داع وإمام، أو بين إمام جهاد، وإمام اجتهاد، نعم هنا مشكلة وهو اجتماع إمامين في عصر واحد وإن كانا في قطرين، وسيوافيك أن الناصر الأطروش من أئمة الزيدية في طبرستان كان معاصراً مع الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي توفي ٢٩٨هـ وإليك أسماءهم وقليلاً من حياتهم:

١ - الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٢٧٠هـ).

قال المسعودي: وفي خلافة المستعين وذلك في سنة ٢٥٠هـ ظهر ببلاد طبرستان الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل، بن الحسن، بن زيد بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - فغلب عليها وعلى جرجان بعد حروب كثيرة وقتال شديد وما زالت في يده إلى أن مات سنة سبعين ومائتين (١).

وقال الجزري: وفيها توفي الحسن بن زيد العلوي، صاحب طبرستان، في رجب وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر وستة أيام، وولي مكانه أخوه

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٤/٦٨.

محمد بن زيد.

وكان الحسن جواداً مدحه رجل فأعطاه عشرة آلاف درهم، وكان متواضعاً لله تعالى.
حكى عنه أنه مدحه شاعر فقال: الله فرد، وابن زيد فرد، فقال: بفيك الحجر، يا كذاب، هلا قلت الله فرد، وابن زيد عبد. ثم نزل عن مكانه، وخزّ ساجداً لله تعالى، وألصق خده بالتراب وحرّم الشاعر^(١).

٢- أخوه: محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل، فقام مكانه أخيه «الحسن» وحاربه رافع بن هرثمة ودخل محمد بن زيد إلى الديلم في سنة ٢٧٧هـ فصارت في يده وبايعه بعد ذلك رافع بن هرثمة، وصار في جملته وانقاد لدعوته والقول بطاعته (إلى أن توفي سنة ٢٨٧هـ بعد ما أثخن في معركة الحرب مع السامانيين) وكان الحسن بن زيد ومحمد بن زيد يدعوان إلى الرضا من آل محمد وكذلك من طراً بعدهما ببلاد طبرستان^(٢).

٣- الإمام الناصر للحقّ الأطروش، أبو محمد: الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف^(٣) بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٢٣٠ - ٣٠٤هـ) وستوافيك ترجمته في الفصل القادم.

٤- الحسن بن القاسم بن الحسن بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (ت ٣١٦هـ).

قال المؤيدي: هو الإمام الداعي إلى الله أبو محمد الحسن بن القاسم بن

(١) الجزري: الكامل: ٤٠٧/٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ٦٨/٤.

(٣) إنما يوصف بالأشرف لكونه من جانب الأب والأمّ علويّاً في مقابل عمر الأطراف إذ كان علويّاً من جانب الأب.
(٣٨٠)

الحسن بن علي بن عبد الرحمن الشجري: كان هذا الإمام من أركان الناصر للحق الحسن بن علي الاطروش، وكان يضرب بعدله المثل، واستشهد سنة ست عشرة وثلاثمائة وله اثنتان وخمسون سنة، وأقام أود الدين الحنيف في نيسابور والري ونواحيهما وفي الجبل والديلم. وقال المؤيدي في الزلف:

كذا الحسن بن القاسم بن الفرد بعده فلم يبق في جيلان للحق مانع^(١)

٥- محمد بن الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط (ت ٣٦٠هـ).

قال المؤيدي: هو الإمام أبو عبد الله المهدي لدين الله محمد بن الإمام الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد ابن الحسن السبط.

وهذا الإمام الذي جمع بين القاسمية والناصرية بعد التباين العظيم بسبب الاختلاف في الاجتهاد فأظهر القول بأن كل مجتهد يصيب في الاجتهادات وهو الذي قيل فيه لو ماتت الأرض لشيء لعظمه لمات لعلم أبي عبد الله الداعي ووالده الإمام الحسن بن القاسم الذي تقدم بعد الإمام الناصر الاطروش.

قام ببغداد ثم وصل الديلم وبايعه من علماء الأمة أربعة آلاف، سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة قبضه الله بـ «هوسم» سنة ٣٦٠هـ روي عن الإمام أبي طالب أنه مات مسموماً^(٢). وبذهاب هؤلاء، ذهب الدولة الزيدية في طبرستان ولهم إلى الآن آثار وقبور تزار.

(١) مجد الدين المؤيدي: التحف شرح الزلف: ٧٢ - ٧٣.

(٢) التحف شرح الزلف: ٨٣ - ٨٤.

الفصل الخامس

الدولة الزيدية في المغرب

الادارة :

كان لعبد الله المحض أي عبد الله بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام ستة أبناء قد ذكرنا أسماءهم عند ذكر ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية، منهم:

١- إدريس بن عبد الله المحض :

قال المسعودي: لما خرج محمد بن عبد الله المحض المعروف بالنفس الزكية تفرق إخوته في البلاد، يدعون إلى إمامته، فكان فيمن توجه، ابنه علي بن محمد إلى مصر، فقتل هناك، وسار ابنه الحسن إلى اليمن فحبس فمات في الحبس، وسار إخوة موسى إلى الجزيرة، ومضى أخوه يحيى إلى الري، ثم إلى طبرستان، ومضى أخوه إدريس بن عبد الله إلى المغرب فأجابه خلق من الناس فبعث المنصور من اغتاله بالسهم فيما احتوى عليه من مدن المغرب ^(١).

قال العلوي العمري النسابة: كان إدريس بن عبد الله مع الحسين صاحب

(١) المسعودي: مروج الذهب: ٣٩٦/٣.

الفخ^(١)، فلما قتل الحسين انهزم حتى لحق بالمغرب فسمّ هناك^(٢).

وقال ابن عنبه: لما قتل الحسين انهزم إدريس حتى دخل المغرب فسمّ هناك بعد أن ملك، وكان قد هرب إلى فاس وطنجة ومعه مولاه راشد ودعاهم إلى الدين فأجابوه وملكوه، فاغتم الرشيد (هارون) لذلك حتى امتنع من النوم ودعا سليمان ابن جرير الرقي متكلم الزيدية وأعطاه سماً، فورد سليمان بن جرير متوسماً بالمذهب فسرّ به إدريس بن عبد الله ثم طلب منه عزة ووجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم فهرب، فخرج راشد خلفه فضربه على وجهه ضربة منكرة وفاته، وعاد وقد مضى إدريس لسبيله.

كانت بيعة إدريس بن عبد الله في شهر رمضان سنة ١٧٢هـ واستمر بالأمر إلى ست سنين إلا ستة شهر^(٣).

وقال الزركلي: إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب: مؤسس دولة الأدارسة في المغرب وإليه نسبتها، أوّل ما عرف عنه أنه كان مع الحسين بن علي بن الحسن المثلث، في المدينة أيام ثورته على الهادي العباسي سنة ١٦٩هـ ثم قتل الحسين، فانهزم إدريس إلى مصر فالمغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ ونزل بمدينة ويلي (على مقربة من مكناس وهي اليوم مدينة قصر فرعون) وكان كبيرها يومئذ إسحاق بن محمد فعزّفه إدريس بنفسه، فأجاره وأكرمه، ثم جمع البربر على القيام بدعوته، وخلع طاعة بني العباس، فتم له الأمر (يوم الجمعة ٤ رمضان ١٧٢هـ) فجمع جيشاً كثيفاً وخرج به غازياً فبلغ بلاد تاذلة

(١) فخ - بفتح أوّله وتشديد ثانيه - واد بمكة قتل فيه الحسين بن علي بن الحسن العلوي يوم التروية سنة ١٦٩ هـ وقتل معه جماعة من أهل بيته وفيه دفن عبد الله بن عمرو جماعة من الصحابة، انظر مراصد الإطلاع، مادة فخ.

(٢) النسابة العلوي العمري: المجدي: ٦٢. (٣) ابن عنبه: عمدة الطالب: ١٥٧ - ١٥٨.

(قرب فاس) ففتح معاقلها، وعاد إلى ويلي، ثم غزا تلمسان فبايع له صاحبها، وعظم أمر إدريس فاستمر إلى أن توفي مسموماً في ويلي في عام ١٧٧ هـ وهو أول من دخل المغرب من الطالبين، ومن نسله الباقي إلى الآن في المغرب شرفاء العلم (العلميون) والشرفاء الوزانيون، والريسيون، والشيبهيون، والطاهريون الجوطيون، والعمرانيون، والتونسيون (أهل دار القيطون) والطالبيون، والغالبون، والدباغيون، والكتانيون، والشفشاويون، والودغيريون، والدرقاويون، والزكاريون^(١).

٢- إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض :

يقول ابن عنبه: وأعقب إدريس بن عبد الله المحض من ابنه إدريس وحده، وكان إدريس بن إدريس لما مات أبوه حملاً، وأمّه أم ولد بربرية، ولما مات إدريس ابن عبد الله وضعت المغاربة التاج على بطن جاريته أم إدريس فولدته بعد أربعة أشهر، قال الشيخ أبو نصر البخاري: قد خفي على الناس حديث إدريس لبعده عنهم ونسبوه إلى مولاه راشد، وقالوا: «إنّه احتال في ذلك لبقاء الملك له، ولم يعقب إدريس بن عبد الله وليس الأمر كذلك فإنّ داود بن قاسم الجعفري وهو أحد كبار العلماء وممن له معرفة بالنسب، حكى أنّه كان حاضراً قصة إدريس بن عبد الله وسمّه وولادة إدريس بن إدريس، قال: وكنت معه بالمغرب فما رأيت أشجع منه ولا أحسن وجهاً، وقال الرضا بن موسى الكاظم عليه السلام: «إدريس بن إدريس ابن عبد الله من شجعان أهل البيت والله ماترك فينا مثله» وقال أبو هاشم داود بن القاسم بن إسحق بن عبد الله بن جعفر الطيار: أنشدني إدريس بن إدريس لنفسه - أبياتاً شعرية - .

(١) الزركلي: الأعلام : ١ / ٢٧٩.

وكان لإدريس بن إدريس بن عبد الله المحض أحد عشر رجلاً وبنيتين: رقية وأم محمد، ولكنه أعقب من سبعة، وهم:

١ - القاسم ٢ - عيسى ٣ - عمر ٤ - داود ٥ - يحيى ٦ - عبد الله ٧ - حمزة.

وقد قيل: إنه أعقب من غير هؤلاء أيضاً ولكل منهم ممالك في بلاد المغرب هم بها ملوك إلى الآن^(١).

وفي تعليقه الكتاب: والذي أولدهم إدريس بن إدريس أحد عشر رجلاً، وبنيتين: رقية وأم محمد، والذي أعقب فيهم سبعة، والذي ملك الأمر منهم في بلاد المغرب محمد واستمر بالأمر ثماني سنين ثم توفي في شهر ربيع الأول سنة ٢٢١ هـ وقام بعده أولاده ثم أحفاده وكان آخرهم الحسن بن القاسم كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس الذي تولى الملك سنة ٣٤٨ وقاتل سنة ٣٧٥ وبموته انقرضت دولة الأدارسة من بلاد المغرب وقد ملكوا الأمر ٢٠٠ سنة تقريباً.

وقال ابن عذارى المراكشي: أخذت الهجرات العربية تنثال على مراكش من أفريقية والأندلس، فقرر إدريس الثاني تأسيس عاصمة له وشرع في إنشاء مدينة فاس عام ١٩٢ هـ حيث سكن البربر المنطقة الشرقية والعرب المنطقة الغربية، وقد أصبحت هذه المدينة مركزاً من أكبر مراكز الإسلام علمياً ودينياً وتجارياً وصناعياً.

قام إدريس الثاني بحملات عسكرية في جبال أطلس وظل يتنقل بعدها بين فاس وتلمسان ووليله إلى أن مات مسموماً عام ٢١٣ هـ في ظروف غامضة.

ترك اثني عشر ولداً هم: محمد وأحمد وعبد الله وعيسى وإدريس وجعفر

(١) ابن عنبه: عمدة الطالب: ١٥٩ ومعنى ذلك بقاء حكمهم وسلطتهم إلى أوائل القرن التاسع.

ويحيى وحمزة وعبد الله والقاسم وداود ويحيى، ولّي منهم: محمد بن إدريس، ففرّق البلاد على إخوته بأمر جدته البربرية «كنزة» ولكن الخلاف نشأ بين بعض الإخوة ولم تستقرّ بعدها دولة الأدارسة بسبب منازعة الخوارج لهم برئاسة عبد الرزاق الخارجي الصفري إلى أن انتهت عام ٣٢٣هـ^(١).

وقال الزركلي: إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، أبو القاسم: ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس. ولد في ويلي (بجبل زرهون. على نحو ٣٠ كم من مكناس) وتوفي أبوه وهو جنين، فقام بشؤون البربر راشد (مولى أبيه إدريس الأول وأمينه) وقتل راشد سنة ١٨٦هـ فقام بكفالة إدريس أبو خالد العبدي، حتى بلغ الحادية عشر، فبايعه البربر في جامع ويلي سنة ١٨٨هـ فتولّى ملك أبيه وأحسن تديبره وكان جواداً فصيحاً حازماً، أحبته رعيته. واستمال أهل تونس وطرابلس الغرب والأندلس إليه (وكانت في يد العباسيين بالمشرق، يحكمها ولاتهم) وغصت ويلي بالوفود والسكان فاختلفت مدينة «فاس» سنة ١٩٢هـ وانتقل إليها. وغزا بلاد المصامدة فاستولى عليها، وقبائل نفزة (من أهل المغرب الأوسط) فانقادت إليه، وزار تلمسان - وكان أبوه قد افتتحها - فأصلح سورها وجامعها وأقام فيها ثلاث سنوات، ثم عاد إلى فاس. وانتظمت له كلمة البربر وزناته، واقتطع المغريين (الأقصى والأوسط) عن دولة العباسيين من لدن السوس الأقصى إلى وادي شلف. وصفا له ملك المغرب وضرب السكة باسمه وتوفي بفاس^(٢) في ٢١٣هـ وكان قد ولد عام ١٧٧هـ وبذلك يكون عمره ٣٦ عاماً.

(١) ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ٢١٠ كما في الزيدية للدكتور أحمد محمود

صبي: ١١٣. (٢) الزركلي: الأعلام: ١ / ٢٧٨.

(٣٨٦)

الفصل السادس

الأعلام المجتهدون من الزيدية

إنَّ أعلام الزيدية بين إمام جهاد واستشهاد وإمام فقه واجتهاد، فمن الطبقة الأولى:

١ - يحيى بن زيد.

٢ - محمد النفس الزكية.

٣ - إبراهيم بن عبد الله.

٤ - عيسى بن زيد.

٥ - الحسين الفخري.

٦ - يحيى بن عبد الله .

٧ - ابن طباطبا.

٨ - محمد بن محمد بن زيد، وغيرهم.

وقد تعرفت على موجز أحوالهم وجهادهم واستشهادهم.

نعم هناك أئمة فقه واجتهاد أشادوا هذا المذهب بتفكيرهم وجهادهم العلمي المتواصل عبر

القرون منضماً إلى حروبهم مع المتمردين والظالمين، وها نحن

نأتي على ذكر لفيف منهم مع الإشارة إلى حياتهم وتأليفاتهم، وأفضل مرجع لدراسة أحوالهم إلى القرن السابع، كتاب «الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية»، تأليف أبي الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي (٥٨٢-٦٥٢هـ).

وقد أُلّف في ذلك المجال كتب تتضمن حياة أئمة الزيدية نشير إلى أسمائها:

١ - «قرة العيون في أخبار اليمن الميمون» لوجيه الدين عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ) نشرها القاضي محمد بن علي الأكوغ.

٢ - «مصادر الفكر العربي الإسلامي» في اليمن لعبد الله الحبشي، طبع بيروت - ١٩٧٨ م.

٣ - «اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجتهدين» لمحمد بن محمد بن يحيى «زبارة» (ت ١٣٨٠هـ).

٤ - «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).

٥ - «حكام اليمن المجتهدون» لعبد الله محمد الحبشي، طبع بيروت.

٦ - «مطلع البدور، ومجمع البحور» لابن أبي الرجال صفى الدين (ت ١٠٩٢هـ) مخطوط.

٧ - «طبقات الزيدية» تأليف إبراهيم بن القاسم الشهاري (ت ١١٥٣هـ) مخطوط.

إلى غير ذلك مما يقف عليه المتتبع في آثار الزيدية.

أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

(١٥٧ - ٢٤٧ هـ)

الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام يكنى أبا عبد الله، وأمّه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. ولد يوم الثاني من شهر محرم الحرام سنة ١٥٧ هـ توفي والده وهو صغير السن.

قال أبو الفرج الأصفهاني: إنّه وُشي إلى هارون بأحمد بن عيسى والقاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين فأمر بإشخاصهما إليه من الحجاز فلما وصلا إليه، أمر بحبسهما فحبسا في سعة عند الفضل بن الربيع مكاناً عنده قال: فاحتال بعض الزيدية فدس إليهما فالوذجا في حاجات أحدهما مُبْنَج فأطعما المُبْنَج الموكّلين فلما علما إلى ذلك قد بلغ فيهم خرجاً، - إلى أن قال: - ولم يزل مدّة ببغداد مستتراً، وقد بلغ الرشيد خبره، فوضع الرصد في كل موضع، وأمر بتفتيش كل دار، يتّهم صاحبهما بالتشيع وطلب أحمد فيها، فلم يزل ذلك دأبه حتى أمكنه التخلص فمضى إلى البصرة فأقام بها ^(١).

وقال الذهبي: أحمد بن عيسى بن زيد له كتاب «الصيام» روى عن حسين (يريد الحسين بن علوان) روى عنه محمد بن منصور الكوفي ^(٢).

وقال السيد المؤيّد: الإمام أبو عبد الله أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن

(١) أبو الفرج: مقاتل الطالبيين: ٤٠٨ - ٤٠٩. (٢) الذهبي: ميزان الاعتدال: ١٢٧/١ برقم ٥١٢.

الحسين السبط عليه السلام فقيه آل محمد، وله الأمالي المعروفة بعلوم آل محمد سمّاها الإمام المنصور بالله «بدائع الأنوار» توفي وقد جاوز الثمانين سنة ٢٤٧هـ وقد كان حبسه الرشيد ثم أخرجه الله تعالى وبقي في البصرة إلى أن توفي.
أولاده: محمد وعلي (١).

أقول: يروي عن حسين بن علوان كثيراً ومحمد بن بكر العلائي، وعن محمد ابن بكر عن أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام.

وروى عنه: ابنه: علي ومحمد، ومحمد بن المنصور المرادي بواسطة ابنه المذكورين وبواسطة ولم يرو عن أبيه.

وأما كتاب الأمالي فهو الذي طبع باسم «رأب الصدع» في ثلاثة أجزاء بتحقيق العلامة علي بن إسماعيل بن عبد الله المؤيد الصنعاني وصدر عن دار النفائس ببيروت عام ١٤١٠هـ وقال محقق الكتاب إنه كصحيح البخاري عند أهل البيت النبوي الشريف (٢).

وقد أخرج المؤلف فيه ٢٧٩٠ حديثاً عن الرسول وأئمة أهل البيت والباقر والصادق عليهما السلام، وقد أكثر النقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله عن غير طريق علي وأبنائه عليهم السلام، كما حدّث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام والكتاب جدير بالمطالعة والدراسة والاستفادة والاعتماد عليه، عند صحّة السند، فلا يتمّ جامع حديثي الشيعة إلاّ بنقل ما ورد فيه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد استخرج المحقق - المغفور له - مصادر ما رواه عن النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الصحابة والتابعين، وقصرت يده عن استخراج ما رواه عن أئمة أهل البيت عليهم السلام عن المصادر الحديثية الشيعية، ليكون آية للصحة والإتقان. وذيل الجزء الثالث برسالة أسماها: «تعريف برواة الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب» وهي ممتعة.

الجامع لأحاديثه هو أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد المرادي. وإليك

(٢) رأب الصدع: ١١/١.

(١) المؤيدي: التحف شرح الزلف: ٤٥.

سند الحديث الأول:

أخبرنا أبو جعفر محمد بن منصور بن يزيد، قال: حدثني أحمد بن عيسى بن زيد عن حسين بن علوان، عن أبي خالد، عن زيد عن آبائه عن علي عليه السلام وإليك ترجمتهم:

١ - محمد بن منصور بن يزيد ^(١) ولقد رجعت في ترجمة محمد بن منصور المرادي إلى العلامة بدر الدين أحد العلماء الكبار في اليمن والذي يزور حالياً الجمهورية الإسلامية في إيران، وحرّر شيئاً ما هذا ملخصه:

ترجمة محمد بن منصور الكوفي المرادي مؤلف الامالي:

قال العلامة أحمد بن صالح ابن أبي الرجال أحد كبار علماء الزيدية في كتابه مطلع البدور: شيخ العترة والشيعة، عذب الشريعة، لمن أراد بحار الشريعة محمد بن منصور المقرئ المرادي كان الأئمة يجلبونه إجلال الأب الكريم وهو ينزلهم في منزلهم الشريف العظيم، وكان شيخاً معمرًا قد ذكر في عمره بخط بعض الطلبة كلام لم يتفق عندي فانقله. وهو الذي جمع أمالي أحمد بن عيسى، وهو أحد الأربعة الذين اعتمد عليهم في الجامع الكافي، لأن مؤلف الجامع الكافي وهو صاحب «المقنع» وهو الذي قال الذهبي فيه: الامام المحدث الثقة العالم مسند الكوفة أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي جمع كتاباً فيه علم الأئمة بالعراق فاجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره.

وقال السيد العلامة صارم الدين إبراهيم بن محمد عليه السلام لمحمد بن منصور، تفسير، قلت: وذكر بعض شيوخنا رضى الله عنه أن لمحمد بن منصور

(١) لم يترجمه الذهبي في سير أعلام النبلاء، ولا في ميزان الاعتدال، ولا جمال الدين المزي في تهذيب الكمال.

كتاب التفسير الكبير، وكتاب التفسير الصغير، وكتاب أحمد بن عيسى عليه السلام لعله يريد الأمالي وسيرة الأئمة العادلة، وكتاب رسالة بخراسان، وبعض ينسبها إلى الحسن بن زيد بطبرستان. انتهى.

وقال ابن النديم: المرادي من الزيدية وهو أبو جعفر محمد بن منصور المرادي الزيدي وله من الكتب: كتاب التفسير الكبير، كتاب التفسير الصغير، كتاب أحمد بن عيسى، كتاب سيرة الأئمة العادلة، وله كتب في الاحكام مثل طهارة وصلاة وغير ذلك على تلاوة كتب الفقه، وله كتاب الخميس. كتاب رسالته على لسان بعض الطالبين إلى الحسن بن زيد بطبرستان ^(١).

٢ - أحمد بن عيسى بن زيد، وقد مرت ترجمته.

٣ - حسين بن علوان، قال النجاشي: الكلبي ولأء كوفي عامي (غير شيعي) وأخوه الحسن يكنى أبا محمد، ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام وليس للحسن كتاب، والحسن أخص بنا وأولى، روى الحسين عن الأعمش، وهشام بن عروة، وللحسين كتاب تختلف رواياته ^(٢).

٤ - أبو خالد: قال النجاشي: عمرو بن خالد الواسطي عن زيد بن علي له كتاب كبير رواه عنه نصر بن مزاحم المنقري وغيره ^(٣) روى الصدوق في أماليه بإسناده عن عمرو بن خالد قال: قال لي زيد بن علي بن الحسين: في كل زمان رجل منا أهل البيت يحتج الله به على خلقه، وحجة زماننا ابن أخي جعفر بن محمد عليه السلام لا يضل من تبعه ولا يهتدي من خالفه ^(٤) وضعفه الذهبي تبعاً لعادته من تضعيف شيعة أهل البيت عليهم السلام ومواليهم ^(٥).

(٢) النجاشي: الرجال: برقم ١١.

(١) ابن النديم: الفهرست: ٢٤٤.

(٤) المامقاني: تنقيح المقال: ٣٣٠/٢ برقم ٨٦٩١.

(٣) النجاشي: الرجال: برقم ٧٦٩.

(٥) الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢٥٧/٣ برقم ٦٣٥٩.

القاسم الرسي

(١٦٩ - ٢٤٦هـ)

القاسم بن إبراهيم (طباطبا) بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى المعروف بالقاسم الرسي، فهو الحجر الأساس لظهور الأئمة في اليمن وهو جد الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي خرج في اليمن وأسس حكومة زيدية فيها طالت قروناً.

وممن ترجمه: أبو الحسن حسام الدين حميد الدين المحلي فقد ذكر نسبه، وصفاته، وطرفاً من مناقبه وأحواله وزهده وقسماً من الوصايا والحكم والآداب المنقولة منه، ثم شرح دعوته وقال: لما استشهد أخوه محمد بن إبراهيم عليه السلام وهو بمصر دعا إلى نفسه وبث الدعاة وهو على حال الاستتار فأجابه عالم من الناس من بلدان مختلفة، وجاءته بيعة أهل مكة، والمدينة، والكوفة، وأهل الري، وقزوين، وطبرستان وتخوم الديلم، وكاتبه أهل العدل من البصرة والأهواز، وحثّوه على الظهور وإظهار الدعوة.

وأقام عليه السلام بمصر نحو عشر سنين واشتد الطلب له هناك من عبد الله ابن طاهر فلم يمكنه المقام، فعاد إلى بلاد الحجاز وتهامة وخرج جماعة من دعائه من بني عمه وغيرهم إلى بلخ والطارقان والجوزجان، فبايعه كثير من أهلها وسألوه أن ينفذ إليهم بولد له ليظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمكن من ذلك، فوجهت الجيوش في طلبه فانحاز إلى حي من البدو، واستخفى فيهم وأراد الخروج بالمدينة في وقت من الأوقات فأشار عليه أصحابه بأن لا يفعل ذلك - إلى أن قال: - ولم يزل على هذه الطريقة، مثابراً على الدعوة، صابراً على التغرّب والتردد في النواحي والبلدان متحملاً للشدة مجتهداً في إظهار دين الله.

ولما تهيأت مقدمات ظهوره وكانت له بيعات كثيرة في أوقات مختلفة أولها

(٣٩٣)

(سنة ١٩٩هـ) والبيعة الجامعة كانت سنة ٢١٩هـ في منزل محمد بن منصور المرادي بالكوفة. فشلت دعوته ولم تساعده المقادير إلى كل ما أراد، فانتقل إلى الرّس في آخر أيامه، وهي أرض اشتراها وراء جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة، وبنى هناك لنفسه ولولده وتوفي بها سنة ٢٤٦هـ وله سبع وسبعون سنة، ودفن فيها ومشهده معروف يزوره من يريد زيارته.

وله من المؤلفات:

- ١- الدليل الكبير، وقد بالغ فيه في الكلام على الفلاسفة.
- ٢- الدليل الصغير.
- ٣- كتاب العدل والتوحيد الكبير، وفيه من أصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعد والمبالغة في الكلام على الجبرية على لطافة حجمه، ما يشهد بغزارة علمه، ووفور فهمه.
- ٤- الرد على ابن المقفّع.
- ٥- الرد على النصارى.
- ٦- كتاب المسترشد.
- ٧- كتاب الرد على المجبرة.
- ٨- كتاب تأويل العرش والكرسي.
- ٩- كتاب المسألة وفيها مناظرته مع الملحد.
- ١٠- كتاب تثبيت الإمامة وتقديم أمير المؤمنين على المشايخ.
- ١١- كتاب الفرائض والسنن.
- ١٢- كتاب الطهارة.
- ١٣- كتاب صلاة اليوم والليلة.
- ١٤- كتاب مسائل علي بن جهشيار.
- ١٥- كتاب الناسخ والمنسوخ.
- ١٦- كتاب سياسة النفس^(١).

(١) حسام الدين المحلي: الحقائق الوردية: ٢/٢ - ٦؛ ولاحظ الأعلام للزركلي: ١٧١/٥. التحف شرح الزلف ٦٣ - ٧٠.

يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي

(٢٤٥ - ٢٩٨ هـ)

هو الإمام الهادي إلى الحقّ المبين، أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ولد بالمدينة المطهرة سنة ٢٤٥ هـ وحمل إلى جده القاسم فوضعه في حجره المبارك وعوّذه، وقال لابنه: بم سمّيته؟ قال: يحيى، وقد كان للحسين أخ يسمى يحيى توفي قبل ذلك، فبكى القاسم حين ذكره وقال: هو والله، يحيى صاحب اليمن. - إلى أن قال: - أقام الله به الدين في أرض اليمن وأحيا به رسوم الفرائض والسنن، فجدد أحكام خاتم النبيين، وأثار سيد الوصيين.

قيامه سنة ٢٨٠ هـ وله مع القرامطة الخارجين عن الإسلام نيف وسبعون وقعة كانت له اليد فيها كلها، ومع بني الحارث نيف وسبعون وقعة - إلى أن قال: - وخطب له بمكة المشرفة سبعة سنين كما ذكر ذلك في عمدة الطالب وغيره، وقبضه الله إليه شهيداً بالسّم وهو في ثلاث وخمسين سنة ليلة الأحد لعشر بقين من ذي الحجة سنة ٢٩٨ هـ ودفن يوم الإثنين في قبره الشريف المقابل لمحراب جامع الذي أسّسه بصعدة^(١).

ذكر حسام الدين المحلي طرفاً من مناقبه وأحواله وسيرته، وأنه المؤسس للدولة الزيدية في اليمن، وإليك فهرساً من أسماء كتبه التي ذكرها المحلي وقال: وصنف التصانيف الفائقة والكتب البديعة:

(١) مجد الدين المؤيدي: شرح الزلف: ٦٢ - ٧٠ بتلخيص.

١ - كتاب المنتخب في الفقه، وهو من جلائل الكتب وفيه فقه واسع وعلم رائع. ٢ - كتاب الفنون في الفقه، مهذب ملخص. ٣ - كتاب المسائل. ٤ - كتاب مسائل محمد بن سعيد. ٥ - كتاب الرضاع. ٦ - كتاب المزارعة. ٧ - كتاب أمهات الأولاد. ٨ - كتاب الولاء. ٩ - كتاب القياس. ومنها في التوحيد كتب جليلة القدر: ١ - كتاب التوحيد ٢ - كتاب المسترشد ٣ - كتاب الإرادة والمشية ٤ - الرد على ابن الحنفية في الكلام على الجبرية ٥ - نوادر القرامطة ٦ - كتاب أصول الدين ٧ - كتاب الإمامة ٨ - كتاب إثبات النبوة والوصية ٩ - كتاب الرد على الإمامية ١٠ - كتاب البالغ المدرك ١١ - كتاب المنزلة بين المنزلتين ١٢ - كتاب الحملة ١٣ - كتاب الديانة ١٤ - كتاب الخشية ١٥ - كتاب تفسير خطايا الأنبياء ١٦ - كتاب الرد على ابن جرير ١٧ - كتاب التفسير في ٦ أجزاء ١٨ - كتاب معان القرآن في ٩ أجزاء ١٩ - كتاب الفوائد جزآن إلى غير ذلك، وقد ذكر عبد الله بن محمد الحبشي له ٧٧ أثراً أتى بأسمائها وخصوصياتها ومحل نسخها المخطوطة. وقد طبع منه كتابان:

الأول: كتاب الأحكام وقد طبع في جزأين وهو يشمل الكتب التالية:

١ - الطهارة. ٢ - الصلاة. ٣ - الجنائز. ٤ - الزكاة. ٥ - الصيام. ٦ - الحج. ٧ - النكاح. ٨ - الطلاق. ٩ - الرضاع. ١٠ - النفقات. ١١ - البيوع. ١٢ - الشفعة. ١٣ - الشركة. ١٤ - المضاربة. ١٥ - الرهن. ١٦ - الكفالة، والضمان، والحوالة، والوكالة. ١٧ - الغصب والإقرار. ١٨ - التفليس. ١٩ - الصلح. ٢٠ - الإيمان، والنذور، والكفارات. ٢١ - الدعوى. ٢٢ - المزارعة. ٢٣ - الهبة، والصدقة، والعمرى، والرقبي، والعارية، والوديعة. ٢٤ - الضالة، واللقطة، واللقيط. ٢٥ - الحدود. ٢٦ - الديات، والجراحة، والجنائيات. ٢٧ - الفرائض. ٢٨ - الصيد.

٢٩- الذبائح. ٣٠- الأطعمة والأشربة واللباس. ٣١- الوصايا. ٣٢- القاضي، والقضاء، والشهادات. ٣٣- السير. ٣٤- الزهد، والآداب، وغيره من محاسن الأخلاق.

الثاني: كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية أجاب فيه على ثلاث وأربعين سؤالاً وجهه الحسن على القائمين بالاختيار.

قال الإمام، في صدر الكتاب: فإنّه وقع إلينا كلام الحسن ^(١) بن الحنفية، يؤكد فيه الجبر، ويشدد في ذلك منه الأمر، ويزعم فيه أنّ الله سبحانه جبر العباد أجمعين من الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، وجميع الثقلين على كل الأعمال من صالح أو طالح فرأينا أن نجيبه في ذلك وننقض عليه ما جاء به من المهالك ونثبت عليه في ذلك كله لرنا وسيدنا وخالقنا ما هو أهله مما هو عليه وما لا يجوز لخلق الله، أن يقول بغيره فيه، فاختصرنا له في قوله الجواب، وتركنا خشية التطويل، كثيراً من الأسباب، فليُنظر من نظر في قولنا وقوله، وجوابنا لسؤاله بلب حاضر ورأي حيٍّ صادر، بين له الحقّ إن شاء الله ويثبت في قلبه الصدق ^(٢).

طبعت الرسالة ضمن رسائل العدل والتوحيد في ١٧٧ صفحة.

وطبعته معها، رسائل آخر عام ١٤٠٠هـ في بيروت بإشراف سيف الدين الكاتب المجاز من جامعة الأزهر.

وقد خرج مرتين، مرة سنة ٢٨٠هـ حتى بلغ موضعاً يقال له الشرفة بالقرب من صنعاء وأذن له الناس بالطاعة، وأقام مدة يسيرة، حتى خذله أهل البلاد، فعاد إلى الحجاز ثم وصلت كتبهم إليه سنة ٢٨٣هـ فأجاب طلبهم.

(١) وهو من أحفاد محمد الحنفية، أعني: الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن محمد الحنفية، ألف رسالة يؤكّد فيها الجبر، طبعت الرسالة في ضمن البدايات الكلامية من جانب المستشرقين.

(٢) الإمام الهادي يحيى بن الحسين: الرد والاحتجاج ضمن رسائل العدل والتوحيد: ١٩.

وقد ذكر المؤيدي قسماً من أشعاره وقصائده، ومما قال:

نحن الفواطم لهونا طعن القنا ومدامنا حرب يدور رهاها
ومما كتب إلى بني حرث مع كتاب:
خذوا حذرکم مني فإنّي مسيرٌ إليکم جيوش الله والله غالب^(١)

(١) حسام الدين المحلي: الحقائق الوردية: ١٣/٢ - ٢١، عبد الله محمد الحبشي: حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ٢١ - ٤٥.

الناصر للحق، الأطروش أبو محمد الحسن بن علي

(٢٣٠ - ٣٠٤هـ)

هو أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن، بن علي بن عمر الأشرف بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

أحد الأئمة الزيديين، مؤسس دولتها في طبرستان، صاحب التأليف والتصنيف، وقد كان مع محمد بن زيد إلى أن قتل محمد بجرجان فجرّه القضاء إلى بلاد الديلم وهم كفار فأسلموا على يديه، وظهروا وذلك سنة ٢٨٧هـ بعد ظهور الهادي في اليمن بسبع سنين ^(١). واستنقذهم من الضيم وبقي على هذه الحالة يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلى أن استولى على أهلها سنة ٣٠١هـ.

ذكره حسام الدين المحلي وحكى طرفاً من مناقبه فقال: وحكى أنه عليه السلام حضر لغذاء بعض الأشراف فلما سمع البكاء من داره، قال: هذا الميت الذي يبكى عليه مات حتف أنفه على فراشه وبين أهله وعشيرته، وإنما الأسف على أولئك النفوس الطاهرة التي قتلت تحت أديم السماء، وفرّق بين الأجساد والرؤوس، وعلى الذين قتلوا في الحبوس وفي القيود والقبول.

وله تأليف نذكرها:

١ - كتاب «البساط» ٢ - كتاب في التفسير احتج فيه بألف بيت من الشعر

(١) التقدير بالسبع باعتبار القيام الأول، لأنه قام أولاً سنة ٢٨٠هـ ولم يكن ناجحاً، وقام ثانياً عام ٢٨٣هـ

٣- كتاب «الحجاج الواضحة»، وفيه دلائل حسنة على إمامة أمير المؤمنين. ٤- كتاب «الأمالى»، إلى غير ذلك مما يبلغ إلى أربعة عشر كتاباً واسعاً وألف في فقهه كتاب «الحاصر لفقه الناصر» للسيد المؤيد بالله، وكتاب «الناظم» للسيد أبي طالب، وكتاب «الموجز» للشيخ أبي القاسم البستي، وكتاب «الإبانة» للشيخ العالم أبي جعفر محمد بن يعقوب الهوسمي، (هذه الكتب الأربعة ألفت في فقه الناصر وجميع أهل الجبل من الزيدية كلهم على مذهبه في الفروع) توفي ليلة الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة ٣٠٤هـ وله أربع وسبعون سنة. ومن أحسن شعره قصيدة أولها:

أناف على السبعين ذا الحول رابع ولا بد لي إلا إلى الله راجع
وصرت تقومني العصا أدب كائي كلما قمت راع (١)

وكانت مدة ظهوره بـ «أمل» ثلاث سنين وأشهرًا ودفن فيها ومشهده هناك معروف. وعلى ضوء ذلك فلو كانت إمامته مختصة بهذه السنين الأخيرة فلا يكون في وقت واحد إمامان. ولكن المعروف أنه دعا إلى نفسه قبل ذلك كما عرفت حيث دخل بلاد ديلم عام ٢٨٧هـ داعياً إلى نفسه. قال مجد الدين المؤيدي: وكان يرد بين الصفيين متقلداً مصحفه وسيفه، ويقول: أنا ابن رسول الله وهذا كتاب الله، فمن أجاب إلى هذا وإلا فهذا. قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه، ولم ير الناس مثل عدل الأطروش وحسن سيرته وإقامته الحق. وقال ابن حزم: كان الأطروش، فاضلاً حسن المذهب، عدلاً في أحكامه، ولى طبرستان...

(١) حسام الدين المحلي: الحقائق الوردية: ٢٨/٢ - ٤٠. والتحف شرح الزلف: ٧٠ - ٧٣.

وقال الإمام أبو طالب: وكان يحث الناس على نصرته الهادي يحيى بن الحسين ^(١) ويقول من يمكنه أن ينصره وقرب منه فنصرته واجبة عليه. ومن تمكن من نصرتي وقرب مني فلينصرني. كان طويل القامة يضرب إلى الأدمة، به طرش من ضربة. أولاده:

أبو الحسن الأديب الشاعر، وأبو القاسم جعفر وأبي الحسين أحمد وقد أشار، مؤلف التحف إلى تعاصر الإمامين: الهادي والناصر في قطرين بقوله:

وعاصره في الجيل أفضل قائم وأبسل من يدعى إذا انحاز هالع ^(٢)

(١) في المصدر الحسن وهو مصحف الحسين. (٢) المؤيدي: التحف شرح الزلف: ٧٠ - ٧٣. الهالع: الجبان

الإمام المرتضى أبو القاسم محمد بن يحيى

(٢٧٨ - ٣١٣هـ)

هو ابن الإمام الهادي بايعه الناس بعد وفاة والده سنة ٢٩٩هـ وأقام بصعدة وفي يده بلاد همدان ونجران وخولان، وسيّر جنوده لقتال القرامطة، فقتلوا في كل فج واستقامت له الأمور، وبويع يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة مضت من ذي القعدة من سنة ٢٩٩هـ وكان ورعاً متقللاً من المعاش كثير العبادة مؤثراً للعلم والعمل وقد تخلّى عن الحكم بعد سنتين لأخيه الناصر بعد أن رأى أشياء ساءت له من عشيرته وله من العمر ٣٢ سنة.

مؤلفاته:

١ - الأصول في العدل والتوحيد ٢ - تفسير القرآن ٧ أجزاء ٣ - جواب ابن فضل القرمطي ٤ - جواب مسائل ابن مهدي ٤ أجزاء ٥ - رسالة الإمام المرتضى إلى أهل طبرستان ٦ - الرسائل السبع المنتقاة ٧ - الرد على الروافض ٨ - الرد على القرامطة أتباع علي بن فضل ٩ - الشرح والبيان في تفسير القرآن.

وله شعر جيد، وله قصيدة مطلعها:

ياحي همدان انّ الله فضلكم
بنصر آل رسول الله في الكتب (١)
ولما تنازل ورثه في الحكم أخوه الآتي:

(١) حسام الدين المحلي: الحقائق الوردية: ٢ / ٤١ - ٤٦، الحبشي: حكام اليمن: ٤٦.

(٤٠٢)

الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ابن الحسين ولد الإمام الهادي

(... - ٣٢٠هـ)

ذكر حسام الدين المحلي طرفاً من مناقبه وشعره وظهوره وأجمل الكلام في سبب تنازل أخيه الإمام المرتضى عن الحكم لصالحه، وقد كانت بيعته سنة ٣٠١ هـ يقول: وبويع له بالخلافة يوم الجمعة في مسجد الهادي إلى الحق (والده) واجتمع إليه خلق كثير من الناس، ثم أقبلت نجران وأهل همدان فبايعوه على الطاعة، فأرسل قواده وأعماله إلى جميع مخالفيه وساس الأمور أحسن سياسة، وكانت أكثر حروبه مع الباطنية، إلى أن وافته المنية سنة ٣٢٠ هـ وكانت مدة ظهوره نحو عشرين سنة ودفن بصعده إلى جنب أخيه وأبيه ومشاهدهم معروفة مزورة^(١).

(١) حسام الدين المحلي: الحقائق الوردية: ٤٦/٢ - ٥٣، وحكام اليمن للحبشي: ٥٤ وفيه أنه توفي عام ٣٢٥ هـ.

(٤٠٣)

الإمام السيد المؤيد أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون

(٣٣٣ - ٤١١ هـ)

من أئمة الزيدية في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس، ترجمه حسام الدين المحلي في الحقائق الوردية وقال: نسب تغنو له الأنوار، وتغض من شعاعها الشمس والأقمار، ينتهي إلى جوهر النبي ﷺ جواهره، ونمت إلى عنصره الكريم عناصره، وهذا هو الفضل الرائق، والحسب الفائق.

كان وحيد عصره وفريد دهره، والحافظ لعلوم العترة عليهم السلام والناصر لفقه الذرية الكرام فأخذ عنه مذهب الزيدية، وقرئ عليه الكلام على طريقة البغدادية وكان في الأصل إمامياً فوضح له الحق فانقاد له أحسن انقياد واختلف أيضاً إلى أبي الحسين علي بن إسماعيل بن إدريس. وقرأ عليه فقه الزيدية والحنفية وروى عنه الحديث عن الناصر للحق عليه السلام.

وكان أبو الحسين هذا من أجلة أهل طبرستان رئاسة وسترأ وفضلاً وعلماً، قال مصنف سيرته: وكان عليه السلام في الورع والتقشف والاحتياط والتفرد إلى حد يقصر العبارة عنه، والفهم عن الإحاطة وتصوّف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغاً منيعاً وحلّ التصوف والزهد محلاً رفيعاً وصنف سياسة المريدين.

وكان يحمل السمك من السوق إلى داره، وكانت الشيعة يتشبثون ويتبركون بحمله فلا يمكن أحداً من حمله، ويقول: أنا أحمله قسراً للهوى وتركاً للتكبر لا لعواز من يحمله.

(٤٠٤)

وكان قدس الله روحه يجالس الفقراء وأهل المسكنة ويكابر أهل السير والعفة ويميل إليهم، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال وكان يكثر ذكر الصالحين وإذا خلى بنفسه يتلو القرآن بصوت حزين إلى آخر ما ذكره^(١).

وقال الزركلي: أحمد بن الحسين بن هارون الأقطع، من أبناء زيد بن الحسن العلوي الطالبي القرشي، أبو الحسين: إمام زيدي، من أهل طبرستان. مولده بها في أمل، ودعوته الأولى سنة ٣٨٠ ببيع له بالديلم ولقب بالسيد «المؤيد بالله» ومدة ملكه عشرون سنة. وكان غزير العلم، له مصنفات في الفقه والكلام، منها «الأمالي» و«التجريد» في علم الأثر، و«شرحه» في أربعة مجلدات^(٢). أقول: له ترجمة ضافية في مقدمة الجزء الأول من كتابه «شرح التجريد في فقه الزيدية».

وما ذكره حسام الدين المحلي من أنه كان إمامياً، ثم صار زيدياً، حق، وقد نبه بذلك الشيخ الطوسي في أوائل كتاب التهذيب ناقلاً عن الشيخ المفيد أنه قال: إنَّ أبا الحسين الهاروني العلوي كان يعتقد الحق ويدين بالإمامة فرجع عنها لما التبس عليه الأمر في اختلاف الأحاديث وترك المذهب، ودان بغيره لما لم يتبين له وجوه المعاني فيها. وهذا يدل على أنه دخل فيه على غير بصيرة واعتقد المذهب من جهة التقليد، لأنَّ الاختلاف في الفروع لا يوجب ترك ما ثبت بالأدلة من الأصول^(٣).

أقول: قد ذكرنا علل اختلاف الأخبار المروية عن أئمة أهل البيت وذكرنا أسبابها المختلفة، مقرونا بالشواهد في محاضراتنا في الأصول^(٤) وكان الشيخ أبا

(١) حسام الدين المحلي: الحقائق الوردية: ٦٥/٢ - ٦٦.

(٢) الطوسي: التهذيب: ٣-٢/١.

(٣) الزركلي، الأعلام: ١١٦/١.

(٤) المحصول: ٤٢٩/٤ - ٤٣٧.

الحسين لم يكن واقفاً عليها عن كتب، وإلا لما ترك المذهب، وقد وصل إلينا من كتبه، كتابه «شرح التجريد في فقه الزيدية» في ثلاثة أجزاء كبار - على القطع الرحلي، نشرته مكتب عنبر بدمشق عام ١٤٠٥ والكتاب شرح لفتاوى الإمامين: القاسم بن إبراهيم الرسي، والهادي يحيى بن الحسين بوجه مبسط، وقد تجلّى فيه تبحره في الفقه الزيدي بعيداً عن الفقه الحنفي كما هو ظاهر لمن طالع الكتاب بالإمعان والدقة ولأبي الحسين الهاروني، شعر رائق منه ما يمدح به صاحب بن عباد نقبس منه ما يلي:

سقى عهدها، صوب من المزن الهاطل يحيى بها تلك الربا والمنازل
منازل نجم الوصل فيهن طالع يضىء ونجم الهجر فيهن آفل
إلى أن يقول:

ألا أيّها ذا صاحب الماجد الذي أنا مله العليا غيوث هواطل
أنامل لو كنت تشير إلى الصفا تفجر للعافين منها جداول
إليك عميد المجد سارت ركا بهم وليس لهم إلاّ علاك وسایل
وأسعدتهم والنحس لولاك ناجم وأعذرتهم والذل لولاك شامل
فكل زمان لم تزيّنه عاطل وكل مديح غير مدحك باطل^(١)

(١) شرح التجريد: قسم المقدمة: بقلم يوسف بن السيد محمد المؤيد الحسن: ٧١ - ٧٢.

الحاكم الجشمي

(٤١٣ - ٤٩٤ هـ)

المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، المعروف بـ «الحاكم الجشمي»، أحد المفسرين العظام المتبحرين في علم الكلام، شيخ الزمخشري. قرأ بنيسابور وغيرها. واشتهر بصنعاء «اليمن» وتوفي مقتولاً بمكة. له تأليف يبلغ إلى اثنين وأربعين، وإليك بعضها:

١ - «التهذيب» في تفسير القرآن، في ثمانية أجزاء، ويوجد منها الجزء ٤، ٦، ٨ في مكتبة الفاتيكان تاريخ كتابتها سنة ٥٦٥ هـ.

٢ - شرح عيون المسائل في علم الكلام.

٣ - التأثير والمؤثر في الكلام.

٤ - المنتخب في فقه الزيدية.

٥ - السفينة في التاريخ إلى زمانه في أربعة أجزاء.

٦ - تحكيم العقول في الأصول.

٧ - الإمامة على مذهب الزيدية.

٨ - الرسالة التامة في نصيحة العامة.

٩ - جلاء الأبصار في علم الحديث.

١٠ - «تفسيران» بالفارسية، مبسوط وموجز^(١).

إنّ الكعبي المعتزلي ألف كتاباً باسم «ذكر المعتزلة» وأكمله عبد الجبار القاضي المعتزلي بكتاب أسماه «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» وقد استدركه الحاكم الجشمي بطبقتين من طبقات المعتزلة: الحادية عشرة، والثانية عشرة، وقد طبعه فؤاد السيد، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية عام ١٤٠٦ هـ^(٢).

(٢) لاحظ: بحوث في الملل والنحل: ٤٠٨/٣ - ٤٠٩.

(١) الزركلي، الأعلام: ٢٨٩/٥.

أبو سعيد نشوان بن سعيد الحميري

(... - ٥٧٣هـ)

كان أُوحد أهل عصره، وأعلم أهل زمانه في اللغة والنحو والإنسان والتواريخ وسائر ما يتصل بفنون الأدب، شاعراً، كاتباً خطيباً مفوهاً. وكانت له في الفرائض اليد الطولى.

قال السيوطي: الفقيه العلامة المعتزلي النحوي اللغوي، كذا ذكره الخزرجي، وقال: كان أُوحد أهل عصره، وأعلم أهل دهره، فقيهاً نبيلاً، عالماً متفتناً، عارفاً بالنحو واللغة والأصول والفروع والأنساب والتواريخ وسائر فنون الأدب، شاعراً فصيحاً بليغاً مفوهاً.

صنف: شمس العلوم في اللغة، ثمانية أجزاء.

قال في البلغة: سلك فيها مسلكاً غريباً، يذكر الكلمة من اللغة، فإن كان لها نفع من جهة الطلب ذكره، فاختصره ولده في جزأين وسمّاه «ضياء الحلوم».

وقال ياقوت: استولى نشوان على تلاع وحصون وقدمه أهل جبل صَبِر، حتى صار ملكاً.

وقال غيره: مات بعد عصر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسائة^(١).

وكان نشوان ذا نفس وثابة، طموحة إلى المعالي، لا ترضى إلا بالوصول إلى قمة المجد والجمع بين شرف العلم وشرف الملك.

(١) بغية الوعاة: ٣١٢/٢ برقم ٢٠٥٧.

مؤلفاته:

١ - شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم، وهو من كتب الأدب الهامة ألفه في ثمانية أجزاء ورتبه على حروف المعجم، وهو أشبه بدائرة المعارف الرائجة في عصرنا، وقد اختصر هذا الكتاب ابنه في جزأين وسمّاه «ضياء الحلوم» كما مرّ وقد نشرت منتخبات منه في أخبار اليمن بعناية عظيم الدين أحمد مطبوعة في مطبعة بريد في مدينة ليدن في سنة ١٩١٦م.

٢ - القصيدة الحميرية أو النشوانية، وهي خلاصة السيرة لملوك حمير، والإذواء والإقبال، مطلعها.

الأمر جد وهو غير مزاح فاعمل لنفسك صالحاً يا صاح

٣ - كتاب القوافي

٤ - التبيان في تفسير القرآن

٥ - أحكام صنعاء وزبيد

٦ - أرجوزة في الشهور الرومية

٧ - رسالة على التصريف

آخرها رسالة «الحوار العين وتنبيه السامعين». وقد طبعت عام ١٣٦٧هـ بتحقيق كمال مصطفى وذكر ترجمة المؤلف في أوله شكر الله مساعيه. وقدّم له المحقق محمد زاهد الكوثري. ومن قرأ الكتاب يقف على أنّه كان زيدياً، ومع ذلك ربما لا يصرح بمذهبه.

ومن ذلك ما يذكره في باب الإمامة عدّة نظريات، منها: نظرية إبراهيم بن سيار النظام، وهي إمامة أكرم الخلق وخيرهم عند الله، فمن كان أتقى الناس لله،

وأكرمهم عند الله، وأعلمهم بالله، وأعملهم بطاعته، كان أولاهم بالإمامة، والقيام في خلقه، كائناً من كان منهم، عربياً كان أو أعجمياً، ثم يقول: قال مصنف الكتاب: وهذا المذهب الذي ذهب إليه النظام هو أقرب الوجوه إلى العدل وأبعدها عن المحاباة^(١).

ومن المعلوم أن الضابط الذي أعطاه النظام وقبله المؤلف لا ينطبق إلا على علي عليه السلام، مع ذلك لم يصرح المؤلف بالاسم.

وقد خص فصلاً لفضل زيد^(٢) وذكر خروجه: ويظهر منه أن باليمن في عصره كان فرقتين فقط:

الجارودية من الزيدية، والمباركية من الإسماعيلية^(٣).

وفي الكتاب بحوث واسعة حول الفرق الإسلامية، ولأجل ذلك صار الكتاب ممتعاً.

وقد ترجمه الزركلي^(٤) ولم يزد شيئاً عما جاء في مقدمة ذلك الكتاب.

(٢) الحور العين: ١٨٨.

(٤) الأعلام: ٢٠/٨.

(٤١٠)

(١) الحور العين: ٢٥٢.

(٣) نفس المصدر: ١٥٦.

الإمام المنصور بالله: عبد الله بن حمزة بن سليمان

(٥٦١ - ٦١٤هـ)

عبد الله بن حمزة بن سليمان المنتهي نسبه إلى إبراهيم طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الحسن بن المثنى، كان آية في الحفظ، قرأ الأصولين على حسام الدين أبي محمد الحسن بن محمد الرصاص. وألف كتباً كثيراً وله شعراً رائعاً نقلها حسام الدين المحلي في الحقائق الوردية وترجم له، ترجمة ضافية استغرق خمسين صفحة ذكر أنه دعا لنفسه عام ٥٩٣هـ وبويع عام ٥٩٤هـ وتوفي عام ٦١٤هـ بأرض حولان، قال عبد الله الحبشي: تسلم الإمامة بتكليف من أهل عصره. وكان يأمل في دعوة الأمير عماد الدين بن يحيى فاعتذر عنها وتحملها الإمام عبد الله، على مشقة. وفي بداية دعوته جاءت رسائل من أهل حصن «ميتك» يطلبونه لتخليصهم من نفوذ بني حاتم. وكانوا قد استولوا على ناحيتهم فاعتذر فلم يقبلوا عذره وما زالوا به حتى أقبل عليهم وخلصهم من بني حاتم. ويقول المؤرخون: إنه قبل أن يدخل حصن «ميتك» أرسل إلى أهله يقول: «قد ملكت هذا الحصن ولكم فيه حق العمارة ولست أقيم إلا برضاكم، فإن تأذنوا لي وإلا خرجت عنه» فقالوا بأجمعهم: رضينا بك، فأقام بين ظهرائهم سنتين وثلاثة أشهر.

وأكثر أخباره معارك مع سلاطين بني حاتم، وكان قد أتى من مصر إلى اليمن سيف الإسلام «طغتكين» سنة ٥٧٩هـ ف وقعت بينه وبين الإمام بعض المعارك كتلك الواقعة التي قتل فيها أخوه الإمام محمد بن حمزة.

وما زالت الحروب بينهم حتى مات «طغتكين» سنة ٥٩٣هـ وتم الصلح

(٤١١)

بينه وبين السلطان علي بن حاتم بعد أن جدّد لنفسه الدعوة.

وله كتب في شتى المواضيع من الفقه وأصوله والكلام والحديث والأدب:

- ١- صفوة الأخيار في أصول الفقه ٢- حديقة الحكم النبوية شرح الأربعين السلفية ٣- الشافي في أصول الدين أربعة أجزاء ٤- الرسالة الرهادية بالأدلة البادية في السبي ٥- الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية ٦- الدرة اليمينية في أحكام السبي والغنيمة ٧- الاختيار المنصورية في المسائل الفقهية ٨- الإيضاح لعجمة الإفصاح أكثره يتعلق بالسير ٩- كتاب الفتاوى مرتب على كتب الفقه ١٠- الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة في الفقه ١١- الرسالة الحاكمة بالأدلة العالمية ١٢- الرسالة الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة ١٣- العقيدة النبوية في الأصول الدينية ١٤- الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة ١٥- الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة ١٦- الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية ١٧- الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة ١٨- الجوهرية الشفافة الرادعة للرسالة الطوافة ١٩- الأجوبة الرافعة للإشكال ٢٠- الزبدة في أصول الدين ٢١- العقد الثمين في الإمامة ٢٢- القاطعة للأوارد في الجهاد ٢٣- كتاب تحفة الإخوان ٢٤- الرسالة التهامية ٢٥- ديوانه.

ومن شعره الرائق قوله في حقّ الوصي:

بنينا عمنا! إنَّ يوم «الغدير»	يشهد للفارس المعلم
أبينا علي وصي الرسول	ومن خصه باللوا الأعظم
لكم حرمة بانتساب إليه	وها نحن من لحمه والدم
لأن كان يجمعنا هاشم	فأين السنام من المنسم؟
وإن كنتم كنجوم السماء	فنحن الأهلة للأنجم
ونحن بنو بنته دونكم	ونحن بنو عمه المسلم
حماه أبونا أبو طالب	وأسلم والناس لم تسلم

وقد كان يكتُم إيمانه	فأما الولاء فلا يكتُم
وأي الفضائل لم نحوها	ببذل النوال وضرب الكمي؟
قفونا محمد في فعله	وأنتم قفوتُم أبا مجرم ^(١)
هدى الملك هدي العروس	فكافئتموه بسفك الدم
ورثنا الكتاب وأحكامه	على مفصح الناس والأعجم
فإن تفزعوا نحو بارئكم	فزعنا إلى آية المحكم
أشرب الخمر وفعل الفجور	من شيم النفر الأكرم؟
قتلتُم هداة الورى الطاهرين	كفعل يزيد الشقي العمي
فخرتم بملك لكم زائل	يقصر عن ملكنا الأدوم
ولابد للملك من رجعه	إلى مسلك المنهج الأقوم
إلى النفر الشم أهل الكسا	ومن طلب الحق لم يظلم ^(٢)

وقد ترجمه الزركلي في الأعلام وذكر صورة تأليفه مشيراً إلى المخطوط منه والمطبوع وذكر «العقد الثمين» ورمز بعلامة «خ» مشيراً إلى أنه مخطوط^(٣) مع أنه طبع في الثمانينات بعد قيام الجمهورية وهو رد على الإمامية، ولأجل إيقاف القارئ على نماذج من نقده على الإمامية نأتي بنظره في النص على إمامة علي، وهو ممن يقول بأن النص كان خفياً لا جلياً، قال:

الخلاف بين الشيعة في علي بن أبي طالب أمير المؤمنين في وجوه:
أحدها: في كيفية النص عليه عليه السلام بعد اتفاقهم على ثبوت إمامته بالنص.

(١) يعني أبا مسلم الخراساني، عبد الرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة ١٢٩هـ.

(٢) مصادر الترجمة: الحقائق الوردية: ١٣٢/٢ - ١٨٢. الغدير: ٣٩٦/٥ - ٤٠٠، حكام اليمن: ٨٢.

(٣) الزركلي: الأعلام: ٨٣/٤ ولاحظ: التحف شرح الزلف: ١٠٣ - ١٠٥.

ثانيها: في حاله بعد ظهور قتله وإخبار الرسول ﷺ بذلك وإخبار علي عليه السلام بذلك من بعده
وكون ذلك معلوماً بالضرورة.

وثالثها: في حكم المتقدمين عليه، المخالفين له:

ونحن نترك كلامه في الأمرين الأخيرين ونقتصر بكلامه في الأمر الأول، وقد اختار أن
النص على إمامته لم يكن جلياً بل كان خفياً ولكن الإمامية تقول بكونه جلياً قال: وأما الإمامية فقد
ادّعوا أن النص جلي بحيث نعلم أن الجميع اضطروا إلى العلم بالمراد، وإن الكل علموا أن قصد النبي
ﷺ كون علي إمام الأمة بعده بلا فصل.....

ثم أشكل عليه بقوله: إنه لو كان المراد من النص معلوماً بالضرورة لاستغنوا عن الكشف
والبيان كما هو الحال في الأمور الضرورية، مثلاً إننا لا نصب لأهل الإسلام الدليل على أن الصلوات
خمس، وأن الزكاة مفروضة في الأموال، وأن الحج إلى بيت الله، وأن نبي هذه الأمة محمد رسول
الله، لما كانت هذه معلومة ضرورة، لم تفتقر إلى بيان ولا كشف. ولما رأى علماءهم المبرزين
كالشريف المرتضى الموسوي ومن تقدمه وتأخر عنه من أهل الكلام، بالغوا في تبیین معنى الآية
والخبر بل الأخبار علمنا أنهم من اعتقاد الضرورة، على شفا جرف هار، لأن من تحمل المشقة في
إظهار الظاهر كان عابثاً وكيف يكشف المكشوف أو مجتهد في صفة المشاهد المعروف.

ولأننا قد اتفقنا نحن وإياهم ونحن الجهم الغفير والعدد المتعذر الانحصار الكثير، فكيف لم
يحصل العلم لكلنا أو بعضنا. ونحن وإياهم قد اتفقنا على أن الإمام بعد رسول الله ﷺ بلا فصل
علي بن أبي طالب وأن من تقدم عليه فقد أخطأ وعصى، فلو كان ما ذكروا من النص يوصل إلى
الضرورة لوصلنا لاتفاقنا نحن وإياهم على العلم بالدليل وكيفية ترتيب الاستدلال فلو حصل العلم
لهم، لحصل

لنا ضرورة^(١).

يلاحظ عليه: أولاً: أنَّ الإمامة - حسب عقيدة الشيعة - من الأصول التي يعتبر فيها العلم، ولا يكفي فيها الظن والحدس ولا خبر الآحاد، والمراد من العلم، هو العلم بما صدر عنه ﷺ فإذا كان المطلوب فيها العلم، ثم الاعتقاد وعقد القلب فهو يطلب لنفسه أن يكون النص الوارد في ذلك المجال جلياً مورثاً للعلم واليقين، ذائباً للشك والريب عن أذهان المكلفين حاضريهم وغائبهم، وكل من وصل إليه خطابه إلى يوم القيامة، وإلا فلا ينتج إلا الظن والشك غير المفيد في ذلك الباب. وبعبارة أخرى: إذا كان الإعلام بإمامة علي واجباً على النبي من الله سبحانه، إذاً لا يخلو الأمر من حالتين: إما أن يكون مع تمكنه من النص الجلي، أو لا معه، والثاني لا تصدقه حياة النبي خصوصاً القسم الأخير منها، عندما استقر الاسلام ملقياً جرائه ومتبوعاً أوطانه^(٢) فكان النبي، مطاعاً ومهاباً، منذ وعى الوحي الإلهي بملاً قلبه ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا أَبَدًا وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب - ٣٩) وعلى ضوء ذلك فكان في وسع النبي، التنصيب الواضح بولاية الإمام في أنه سبحانه جعله إماماً للناس بعد رحيله. إذاً العدول عنه إلى النص الخفي، تعريض للأمة، للتفرقة والنزاع، وزرع لبذر الخلاف والنقاش ومع أنه سبحانه يقول: ﴿واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ولا تفرقوا﴾ (آل عمران - ١٠٣).

ثانياً: أنَّ القضايا البديهية في المنطق تنقسم إلى أقسام، بعضها غنية عن

(١) الإمام المنصور بالله حمزة بن عبد الله بن سليمان: العقد الثمين: ٧ - ٨.

(٢) اقتباس من كلام الإمام علي نهج البلاغة: الخطبة ٥٦.

الكشف والبيان والبرهنة والاستدلال دون البعض الآخر والمجموع عبارة عن:

١- الأوليات ٢- المشاهدات ٣- المتواترات ٤- التجريبات ٥- الحدسيات ٦- الفطريات.

ولكل تعريف واحد، والثلاثة الأول وإن كانت غنية عن البرهنة والاستدلال، لكن الثلاثة الأخيرة، بحاجة إليها. مع كونها من أصول اليقينية والبديهيات لدى المنطقيين.

مثلاً كون نور القمر مستفاداً من الشمس من الحدسيات، لكن الإذعان بالحكم المذكور غير غني عن البيان، ولأجل ذلك يستدل عليه بتشكل القمر عند اعتراض الأرض بينه وبين الشمس، ومثلها التجريبات التي لا تفارق عن بذل الجهد، في طريق المطلوب أياماً وشهوراً. وأمّا الفطريات فمصطلح المنطقيين فيها غير مصطلح القرآن، فهي عندهم عبارة عما لا يصدق العقل بمجرد تصور طرفيها - كالأوليات - بل لا بد من وسيط إلا أن هذا الوسيط ليس مما يذهب عن الذهن حتى يحتاج إلى الفكر.

وعلى ذلك فليس كل قضية ضرورية، غنية عن الكشف والبيان.

إن الإمام ابن حمزة جعل القضايا الضرورية مساوية للأوليات التي يصدقها العقل لذاتها وبدون سبب خارج عن ذاتها مثل قولنا، الكل أعظم من الجزء وغفل عن أن المراد من النصّ الجلي هو المفيد للعلم بالضرورة وإن كانت الإفادة متوقفة على أمور بسيطة، لو التفت إليها، لحصل العلم، فبذل الجهد في الاستدلال بحديث الغدير، سنداً ومضموناً لا ينافي كونها من القضايا اليقينية المفيدة لليقين ولو بعد التأمل في أمور حوله.

وثالثاً: أن النبي الأكرم ألقى حديث الغدير الذي هو من أوضح الأدلة على إمامة علي عليه السلام في منصرفه عن حجة الوداع في أرض تسمى بـ«غدير خم»،

ألقاه في محتشد عظيم ضمّ إلى نفسه أزيد من ثمانين ألف صحابي من أقطار مختلفة.

وقد وقف من شهد الواقعة على مقاصد النبي ومآربه، من غير شك ولا ترديد فيها، ولكن ابتعاد الأجيال اللاحقة، عن عصر الرسول، صار سبباً، لاختفاء كثير من القرائن اللفظية والحالية التي كان لها دور في تبين المقصود فمست الحاجة بجمعها وترصيفها على وجه، تحكي لنا الواقعة على ما هي عليها، بلا زيادة ولا نقيصة حتى يصير الغائب كالحاضر في فهم المراد، وينتقلا بالضرورة إلى معنى واحد.

وبعبارة أخرى: الغرض من البيان والكشف إحضار الواقعة بمالها من الخصوصيات المسموعة والمرئية في عقلية الغائب حتى يكون هو والحاضر في رحاب الخطاب سيان، وهذا طبيعة كل قضية حصل الفصل الزمني بينها والجيل اللاحق، فليس للقائل بصحة الواقعة إلاّ مسير واحد، وهو إخراج الواقعة عن ملفّ التاريخ وتصويرها على وجه كأنّ الجيل اللاحق، يرى نفس ما رآه السابق حتى يكون الجيلان أمام التاريخ سواسية، ومثل ذلك لا يُخرج الواقعة عن كونها جلية.

المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي

(٦٦٩ - ٧٤٩هـ)

هو الإمام المؤيد بالله، أبو إدريس يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن جعفر بن علي التقي ابن محمد الجواد بن الإمام علي الرضا.

وهو المعروف بعلمه الجم، واطّلاعه الواسع، وتوغّله في علم الكلام وبروزه في أسرار البلاغة والفصاحة، يعرفه المؤيدي بقوله:

هذا الإمام من منن الله على أرض اليمن، وأنواره المضيئة في جبين الزمن، نفع الله بعلومه الأئمة وأفاض من بركاته على هذه الأمة، قام بالحكم بعد وفاة الإمام محمد بن المطهر سنة ٧٢٩هـ وتوفي ٧٤٩هـ عن عمر يناهز ٨٢ سنة.

وأما مؤلفاته فهي كثيرة جداً وقد وصل إلينا منها الكتاب الآتي:

الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، فرغ منه مؤلفه سنة ٧٢٨هـ طبع بالقاهرة عام ١٣٣٢هـ بمطبعة المقتطف في ثلاثة أجزاء وهذا الكتاب من حسنات الدهر، وقد أفادنا كثيراً عند البحث عن إعجاز القرآن في محاضراتنا في الإلهيات. ومن تأليفاته المهمة أيضاً:

الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدنيوية، ومنه نسخة في المكتبة العربية في اليمن برقم ٨٨ وهذا هو الكتاب الذي استخرجه الدكتور أحمد

محمود صبحي آراء المؤلف الكلامية منه وضم إليه آراء مختلف المتكلمين الذين أدلوا بأرائهم حول مختلف الموضوعات.

غير أن الذي أبرزه بين العلماء هو كتابان:

الأول: كتاب الطراز على ما عرفت.

الثاني: كتاب الانتصار في الفقه، وهو الينبوع الذي نهل منه ابن المرتضى (وستوافيك ترجمته) وهو المادة الأولى لكتاب البحر الزخار. ويذكر أنه في ١٨ مجلدًا، وقد ذكر غير واحد من المترجمين له كتاب:

الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، وهو شرح لكتاب نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي (١).

(١) المؤيدي: التحف شرح الزلف: ١٢٠ - ١٢٣، وانظر حكام اليمن: ١٣٣ - ١٤٨، ولاحظ الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراءه الكلامية تأليف الدكتور أحمد محمود صبحي، نشره عام ١٤١٠هـ (٤١٩)

أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدي لدين الله

(٧٦٤ - ٨٤٠ هـ)

مؤلف البحر الزخار

ابن المرتضى أحد الأئمة الزيديين اللامعين، لا يشق غباره، فهو بحر لا يبارى في الفقه والأصول ولنذكر شيئاً من حياته: قال مجد الدين المؤيدي:

الإمام المهدي لدين الله، أحد من ارتضع من العلوم لبابها، واكترع من لجج البحار عبابها، هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل الكبير بن عبد الله الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن الإمام يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى الحسين بن القاسم الرسي.

تلقى العلوم الأدبية واللغوية والدينية من أسرته وبلغ إلى حد بايعه العلماء بالإمامة بعد وفاة الإمام الناصر صلاح الدين بن محمد عام ٧٩٣ هـ بينما بايع الوزراء ابن الإمام الناصر يعني علي بن صلاح. فصارت الغلبة نصيب الثاني فسجن ابن المرتضى، ولقد كان التوفيق حليفه في السجن فتفرغ للتأليف وانتج أثراً لها مكانة كبرى في الأوساط العلمية لا سيما الزيدية إلى أن وافته المنية عام ٨٤٠ هـ

وينقل المؤيد أنّ الهادي بن إبراهيم يستعطف علي بن صلاح الذي سجن

ابن المرتضى ويطلب منه إطلاق سراحه بالأبيات الشعرية التالية:

فقلت له فداك أبي وأمي	تلطف بالقراية والرحامة
فإن السيد المهدي منكم	بمنزلة تحق له الفخامة
ألم يكن جدك المهدي خالاً	له وكفى بذاك في الرحامة
أخاف إذا استمر القيد فيه	تجىء مقيداً يوم القيامة
فيسألك الإله بأي ذنب	تقيده وتحبسه ظلامة ^(١)

أُعتقل ابن المرتضى في سجن صنعاء سبع سنوات ثم أفرج عنه فتوجه إلى «ثلاء» سنة ٨٠١ هـ إلى صعدة سنة ٨٠٢ هـ وفي سنة ٨١٦ هـ رحل إلى بلاد حجة وتزوج هناك وعكف إلى التأليف وترك الترقب بالمهدي وأراح قلبه من مشاكل السياسة، وقد ترجمه غير واحد من الأعلام منهم: الشوكاني، قال:

(ولد) بمدينة ذمار يوم الاثنين لعله سابع شهر رجب سنة ٧٧٥ هـ خمس وسبعين وسبعمائة^(٢). قرأ في علم العربية فلبث في قراءة النحو والتصريف والمعاني والبيان قدر سبع سنين. وبرع في هذه العلوم الثلاثة وفاق غيره من أبناء زمانه ثم أخذ في علم الكلام على صنوه الهادي، وعلى القاضي يحيى بن محمد المدحجي فسمع على الآخر الخلاصة وحفظ الغياضة ثم شرح الأصول للسيد مانكديم، ثم أخذ في علم اللطيف فقرأ تذكرة ابن متويه على القاضي المذكور مرة. ثم على القاضي علي بن عبد الله بن أبي الخير مرة أخرى ثم قرأ عليه المحيط والمعتمد لأبي الحسين البصري ومنتهى السؤل. وسمع على الفقيه علي بن صالح السيرة النبوية ونظام الغريب، ومقامات الحريري. وعلى المقرئ المعروف بابن النساخ الكشاف،

(١) التحف شرح الزلف: ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) ويروى أنه ولد ٧٧٤ هـ كما عليه المقدم للكتاب البحر الزخار.

وعلى أخيه الهادي المتقدم علم الفقه وقرأ غير ذلك وتبحر في العلوم واشتهر فضله وبعد صيته وصنف التصانيف.

ففي أصول الدين: «نكت الفرائد في معرفة الملك الواحد» و«القلائد وشرحها الدرر الفرائد» و«الملل وشرحها الأمنية والأمل» و«رياضة الأفهام في لطيف الكلام» وشرحها «دامغ الأوهام» وفي أصول الفقه: «كتاب الفصول في معاني جوهرة الأصول» و«معيار العقول وشرحه منهاج الوصول» وفي علم النحو: «الكوكب الزاهر شرح مقدمة طاهر» و«الشافية شرح الكافية» و«المكمل بفرائد معاني المفصل» و«تاج علوم الأدب في قانون كلام العرب» و«أكلیل التاج وجوهرة الوهاج» وفي الفقه: «الأزهار» وشرحه «الغيث المدرار» في أربعة مجلدات و«البحر الزخار» في مجلدين. وفي الحديث: كتاب «الأنوار في الآثار الناصة على مسائل الأزهار» في مجلد لطيف وكتاب «القمر النوار في الرد على المرخصين في الملاهي والمزمار».

وفي علم الطريقة: «تكملة الأحكام» وفي الفرائض: «كتاب الفائض».

وفي المنطق: «القسطاس» وفي التاريخ: «الجواهر» و«الدرر» وشرحها يواقيت السير. وقد انتفع الناس بمصنفاته لاسيما الفقهية فإن عمدة زيدية اليمن في جميع جهاته على الأزهار وشرحه والبحر الزخار^(١).

وقد بسط الكلام في سيره وآثاره علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين.

قال: فلاحظ من سيرة المهدي عليه السلام أنه بعد أن خرج من سجن صنعاء جئد نفسه للجهاد والجلاد، ولكن جهاده وجلاده في هذه الفترة لم يكن مع المنصور علي بن صلاح ولا مع غيره وإنما كان مع الجهل والبدع والضلالات،

(١) الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع: ١٢٢/١.

جاهد هذا الثالث الرهيب بلسانه، وبيانه، وسلوكه، وخرج بنفسه من أجل ذلك إلى القرية وتجول في السهول حيثما تسكن القبائل وتأوي إليها النصور القشاعم من أحفاد الأنصار وأشبال أحفاد الأنصار، وفيها حمل راية الجهاد ونادى بوجوب الاجتهاد وبحرية وقدسيتها الفكر والرأي للانتقاد الحر والاستنباط الحر من مصادر الإسلام الأولى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاستفادة من الثروات الفكرية التي خلفها الأئمة الهادون، والعلماء المجتهدون في كل أصقاع الأرض، ومن أجل ذلك ألف المؤلفات الشاملة وحرر الرسائل الصاعدة وبدد الشبهات بالحجج النيرات، ولذا ظهرت بعض مؤلفاته في هذه الفترة على النحو التالي:

في «ثلا» وبعد خروجه من السجن ألف كتاب (البحر الزخار) الجامع لمذاهب علماء الأمصار وفيه تظهر آراؤه وأنظاره الخاصة في كل المسائل التي اشتمل عليها الكتاب.

وفي سنة ٨١٦ هـ سافر من «ثلا» إلى بلاد مسور وفيه مكث ما شاء الله وبدأ في كتابة «غايات الأفكار» وهو شرح لما تضمنه كتاب «البحر الزخار» من العلوم.

وبعد أن سافر إلى الأهنوم وأصلح أحوال أهله رجع إلى «الحيمة» لنفس الغرض، ومنها استدعاه أهل حراز لإصلاح شأنهم ومكث في «حراز» ما شاء الله وفيه ألف «الدامغ» و «منهاج الوصول لمعيار العقول» و كتاب «علوم الأدب» و «القسطاس في المنطق» و «القاموس الفائض في الفرائض» ثم رجع إلى «مسور» لزيارة أولاده وفي هذه الفترة ألف «القمر النوار».

ثم نزل «الدقائق» من بلاد «لاعة» وفيها ألف «حياة القلوب».

وفي سنة ٨٣٦ هـ توفي الإمام الهادي علي بن المؤيد وأوصى بتسليم ما كان بيده من الحصون إلى الإمام المهدي صاحب الترجمة فأمر ابنه الحسن بن المؤيد بتعهداها وافتقادها، أما الإمام نفسه فقد رحل إلى ظفير حجة، حيث اتخذها وطناً له

وذلك في سنة ٨٣٨ هـ وفي سنة ٨٤٠ هـ توفاه الله شهيداً بالطاعون وقبره بالظفير مشهور رحمه الله وجزاه خيراً وألحقنا به صالحين^(١).

آثاره المعروفة :

ثم إن الذي شهّر الإمام ابن المرتضى هو آثاره القيمة نذكر منها ما يلي:

١ - البحر الزخار الجامع لمذاهب أهل الأمصار:

وقد طبع مرة واحدة عام ١٣٦٨ مبتوراً مشتملاً على أربعة فنون:

١ - الأحكام الفقهية ٢ - الفرائض الشرعية ٣ - الغرائب من فقه السيرة النبوية المسمى بالدرة ٤ - تكملة الأحكام والتصفية عن بواطن الآثار.

ثم طبع ثانياً عام ١٣٩٣ هـ منضماً إلى الكتب التالية:

١ - أصول الدين، ٢ - أصول الفقه، ٣ - علم اللطيف (الفلسفة) ٤ - الملل والنحل ٥ - آيات الأحكام ٦ - تاريخ سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر، وعترته المنتجبين الزهر.

وقد طبع الكتاب في سبعة أجزاء، والجزء الأول باسم المقدمة، والكتاب مشتمل على عشرة فنون، وهو موسوعة كبيرة أحتفل بها العلماء في الأوساط المتنورة.

٢ - كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأطهار :

وقد حظي الكتاب بالاهتمام البالغ من قبل المقلّدين والمجتهدين وربما يقال نظمت ونضدت فيه مسائل الفقه، أو ثمانية وعشرين ألفاً من مسائل الشريعة منطوقاً ومفهوماً وعليه اعتمدت الزيدية حتى عصرنا هذا.

(١) البحر الزخار، ج ١: المقدمة بقلم علي بن عبد الكريم بن محمد الفضيل شرف الدين: ١٩ - ٢٦.

والحق أنه لم يحظ متن فقهي من متون الأئمة بمثل ما حظى به متن الأزهار من عناية العلماء واهتمامهم بتعليقاتهم، وهو بين الزيدية، كالعروة الوثقى عند الإمامية. ولقد ألف بعده كتابان: الآثار، والهداية على غرار الأزهار، ولكن لم يحرز القبول والأول لحفيد المؤلف شرف الدين المتوفى سنة ٩٦٥هـ والثاني لصارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير المتوفى سنة ٩٢٤هـ.

وهناك من قام بمناقشة المضمون وكيفية الاستنباط كالعلامة الجلال في كتابه ضوء النهار، ورد عليه، ابن الأمير في كتابه «منحة الغفار».

إلى أن وصلت النوبة للشوكاني فقام بالتعليق عليه مع النقد اللاذع وسمى كتابه بـ «السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» والاسم يعرب عن المسمى وهو بصدد هدم ما بناه الإمام، وتخریب ما أرساه وقد أثار هذا النوع من التأليف مشاعر أكثر رجالات العلم المتحررين، فكتبوا ردوداً عليه.

وأما تصانيفه فيبلغ عدد الجمع ٣٣ وقد طبع قسم منها ضمن البحر الزخار وتعرفت على فهرسته في ترجمة الشوكاني له.

ولم يكتف الإمام بالرسائل والمواعظ والمؤلفات في نشر علومه وأفكاره، بل قرض الشعر ونظم القصائد الهادفة، وله قصيدة تذكر أبناء فاطمة الزهراء - سلام الله عليها - ويقول:

إذا ما رأيت الفاطمي تمردا	أقام على كسب المعاصي وأخلدا
فذاك الذي لما أكتسى ثوب عزة	تبدل أثواب الدناءة وارتدا
فيا سوءا للفاطمي إذا أتى	أسير المعاصي يوم يلقي محمدا
فلو لم يكن إلا الحياء عقوبة	ولم يخش أن يصلى الجحيم مخلدا

لكن له والله أعظم وازع	من النكر والفحشاء كهلاً وأمردا
فقل لبني الزهراء إن محمدا	بنى لكموا بيت التقاء وشيدا
وأن أباكم حيدر بعده الذي	حماه وقد قامت إلى هدمه العدى
فلا تهدموا بنيان والدكم وقد	تحسى أبوكم دونه جرع الردا
فسر فتى في العالمين فتى أتى	وقد أصلحت كفا أبيه فأفسدا

نظرة في كتاب طبقات المعتزلة:

إن من سبر كتاب طبقات المعتزلة لابن المرتضى يقف على أنه يرى منهج الاعتزال صورة صحيحة للإسلام، وأنه والاعتزال، وجهان لعملة واحدة حيث ذكر للمعتزلة اثنتي عشر طبقة إلى عصره. بالشكل التالي:

الطبقة الأولى: الخلفاء الأربعة وعبد الله بن العباس وعبد الله بن مسعود وغيرهم من الصحابة.

الطبقة الثانية: الحسان اللذين منهما اشتهر القول بالتوحيد والعدل ثم ذكر أسماء عدة من تلك الطبقة.

الطبقة الثالثة: الحسن بن الحسن المثنى، وعبد الله بن الحسن وأولاده: النفس الزكية وغيره ^(١) ومن أولاد علي أبو هاشم عبد الله بن محمد الحنفية.

الطبقة الرابعة: غيلان بن مسلم الدمشقي وواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد إلى أن انتهى إلى الطبقة الأخيرة.

(١) لو كان المقياس في تنظيم الطبقات هو التقدم الزمني، فالأولى عد أولاد عبد الله بن الحسن من الطبقة اللاحقة.

إنَّ واصل بن عطاء هو مؤسس منهج الاعتزال، وقد انتقل إلى أحد الأصول الخمسة أي
المنزلة بين المنزلتين من النقاش الدائر بينه وبين الحسن البصري، ثم تكامل المنهج وتصلَّ عبر
العصور فكيف يكون الاعتزال صورةً أخرى للإسلام؟
ومن قرأ كتاب طبقات المعتزلة للإمام ابن المرتضى، لا يشك في أنَّ الكاتب معتزلي مائة
بالمائة، ومع ذلك هو زيدي متمسك بأهداب المذهب الزيدي كذلك فكيف جمع بينهما. لا أدري،
ولعله، اعتزل في غير باب الإمامة.

الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد علي

(١٠٢٩)

مؤلف كتابي: الاساس، والاعتصام

هو الإمام الأجل المنصور بالله أبو محمد القاسم بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين الأملحي بن علي بن يحيى بن محمد ابن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين قام بعد إياسه من خروج الإمام الناصر الحسن بن علي في المحرم سنة ست وألف وطهر الأرض من الردى. ونشر فيها الإيمان والهدى ولقد جدد الله بعلمه وسيفه الدين الحنيف وأحى بجهاده واجتهاده معالم الشرع الشريف وطلع عليه السلام من أيام الشدائد إلى الحصن المنيع جبل برط من بلد همدان بن زيد.

قبضه الله ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وألف عن اثنتين وستين سنة.
أولاده:

محمد وعلي الشهيد - أحمد - والحسن - والحسين - وإسماعيل وإسحاق درج - ويحيى - وعبد الله - ويوسف.
مؤلفاته:

ومن مؤلفاته الاعتصام في السنة بلغ فيه إلى الحج وأتمه السيد العلامة أحمد ابن يوسف زيارة المتوفى سنة ١٢٥٢هـ
المرقاة - في أصول الفقه.

(٤٢٨)

الإرشاد والتحذير وغير ذلك.

والأساس في أصول الدين الذي يقول فيه الأبيات البليغة من البحر الكامل.

ياصاحبي بكرامة الإنصاف	هذا الأساس كرامة فتلقه
جمعت بغوض في خضم صاف	واحرز نفيساً من نفائس نثره
جمعاً يفي بإصابة وتصادف ^(١)	جمع المهيمن بيننا في دينه

وله شروح.

وقال مجد الدين في مقدمة كتاب الاعتصام: هو الذي ألف الله به الدين بعد شتاته، ووصل به حبل الاسلام بعد انبثاته، ورفع بدعوته من الملة الحنفية اعلامها، وأنفذ بجهاذه من الشريعة المطهرة في الأقطار أحكامها، وجلي الظلم، وكشف به البهم، ذو الآيات الظاهرة والبراهين الزاهرة، والأخلاق النبوية، والعلوم العلوية، الذي كشف به غياهب ظلم الظالمين، الإمام الأعظم الداعي إلى التي هي أقوم، أبو محمد مولانا الإمام أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، والصادق بالحق المبين، المحيي لطريقة سلف الأئمة السابقين، المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن الأمير علي بن يحيى العالم البر بن محمد العالم التقي بن يوسف الأصغر الأشل بن الإمام الداعي إلى الله القاسم بن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأكبر بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضي بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين وسيد الوصيين وأفضل الصديقين علي بن أبي طالب وابن فاطمة البتول الزهراء، والصديقة الكبرى،

(١) مجد الدين: التحف في شرح الزلف:

سيدة نساء الأعاجم والأعارب ابنة سيد المرسلين، وختم النبيين أحمد الأمين، صلوات الله وسلامه وتحياته وإكرامه عليهم أجمعين ما أنهلت السحاب، وأنارت الكواكب وانزاحت بأنوار هدايتهم الغياهب (١).

هذا وكتابه الأكياس خير دليل على شجاعته الأدبية في بيان الحق، وترك التقية أو المماشة مع أهل السنة قال في فصل «حكم أبي بكر في فذك».

«قال الإمام يحيى والإمام المهدي (عليه السلام) : وحكم أبي بكر في فذك صحيح، لأنه حكم باجتهاده.

قلنا: هو المنازع، وأيما منازع حكم لنفسه فحكمه باطل إجماعاً، ولو لم يخالف اجتهاده قال الشاعر:

ومن يكن القاضي له من خصومة
أضرب به إقراره وجوده
وأيضاً فإن الإمام عندهما (عليه السلام) علي (عليه السلام)، وهو لم يرض ولايته، فكيف يصح قضاؤه.
وأيضاً كانت اليد لفاطمة (عليها السلام)، لأن في الرواية أنها (عليها السلام) أته تطلب حقها بعد أن رفع عاملها،
فايجاب البينة عليها خلاف الإجماع.

وأيضاً اعتمد على خبره وهو: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما خلفناه صدقة» مع احتمال أن يكون معناه: أن الصدقة (أي الزكاة التي لا تحل لبني هاشم غير موروثه بل تصرف في مصرفها).
ولفاطمة (عليها السلام) أن تعتمد على خبرها وخبر علي والحسن والحسين (عليهم السلام). صح لنا ذلك من رواية الهادي (عليه السلام) (في كتاب «تثبيت الإمامة») (أم أيمن (أنه (عليه السلام) أنحلها) مع أنه نص صريح لا يحتمل التأويل (٢).

(١) الاعتصام بحبل الله المتين، المقدمة: ١، بقلم مجد الدين بن محمد المؤيدي. مفتي الزيدية في اليمن حالياً.

(٢) القاسم بن محمد: الأساس لعقائد الأكياس: ١٦٥.

ومع ذلك نرى أنه يتتبع ويتلثم في بيان حكم من تقدم الوصي.

ولا يجتري أن يحكم بأنهم بغوا على الإمام وعصوه قال:

واختلف في حكم من تقدم الوصي عليه .

والحق أنهم إن لم يعلموا استحقاقه عليه السلام دونهم بعد التحري فلا إثم عليهم، وإن أخطأوا لقوله

تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ (الأحزاب - ٥) ولم يفصل.

وقوله عليه السلام: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان) ولم يفصل.

وإن علموا فخطيئتهم كبيرة للإجماع على أن منع إمام الحق من تناول الواجب أو منع الواجب منه بغى عليه، والإجماع على أن البغي عليه فسق، لأنه اتباع لغير سبيل المؤمنين والله تعالى يقول:

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُضْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء -

١١٥) ولعل توقف من أئمتنا عليهم السلام لعدم حصول العلم بأنهم علموا أو جهلوا (ذلك) ومعارضة إبقائهم

على الأصل من الجهل باستحقاقه (عليه السلام)، بأن الأصل في أعمال المكلفين التي تعلق بالحقوق العمد، ألا نرى أن رجلاً قتل رجلاً، ثم ادعى الخطأ أنه لا يقبل قوله بالإجماع.

وبوجوب حمل علماء الصحابة على السلامة، وعدم الإخلال بتعريفهم، إذ مثل ذلك واجب

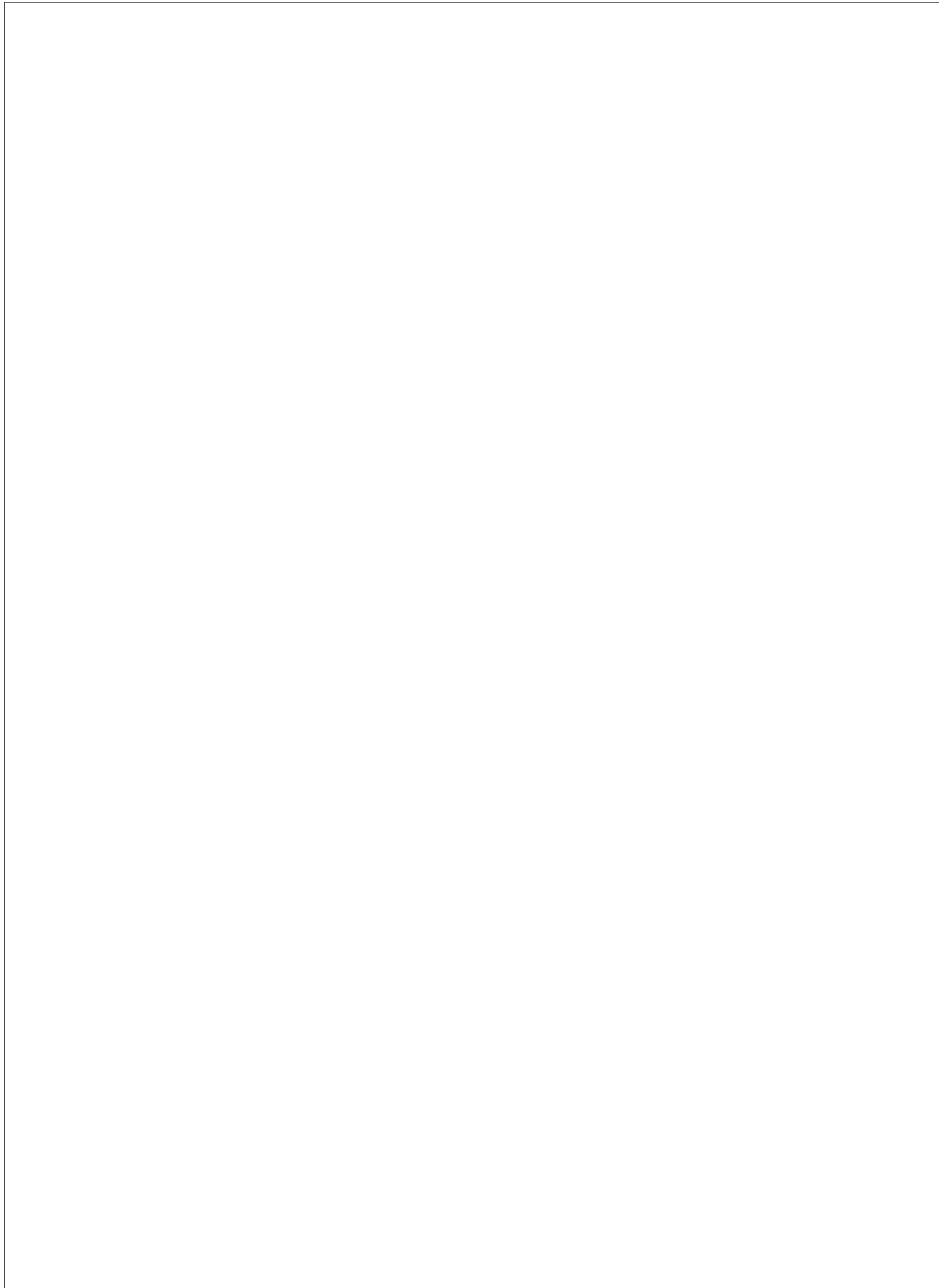
لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَيْنَاهُ لِلنَّاسِ فِي

الكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة - ١٥٩) ولنقل تعريفهم إياهم نقلاً لم

يبلغ حد التواتر وجب الوقف في حقهم دون علماء الصحابة لحصول العلم بتلبسهم بالمعصية، وهو

اغتصاب إمامته عليه السلام، ولم يحصل مثل ذلك في حق علماء الصحابة (١).

(١) القاسم بن محمد: الأساس لعقائد الأكياس: ١٦٢ - ١٦٣.



الفصل السابع

شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة

الطابع الفريد للمذهب الزيدي، هو أنه عقليّ في الأصول والعقائد، يقتفي أثر الدليل والبرهان ويتعرض للشكوك والشبهات، ويجيب عنها، وهو يرافق المعتزلة في أكثر المسائل إلا ما يرجع إلى الإمامة، ويناضل الأشاعرة في غالبها. ومع أن المذهب الأشعري، هو المذهب المعتدل بين المذهب العقلي المحض (الاعتزال) والنقليّ المحض (الحشوية) فالمذهب الزيدي لا يرافقه إلا في الأقل القليل في مجال العقائد.

وأما اتجاهه في الفقه فهو نفس ذلك الاتجاه، فالفقه الرائج بين الزيدية هو فقه الإمام يحيى الهادي (٢٤٥ - ٢٩٨ هـ)، مؤلف «الأحكام» ولكنه حنفيّ الاتجاه، يعمل بالقياس والاستحسان، ويرجّح بالعقل عند تعارض الأدلة.

هذا هو طابع المذهب الزيدي، ومع ذلك ترى أن شخصيات بارزة نقضوا ذلك الإطار، وتحرّروا عن القيد الذي ضربه المذهب عليهم، وهم بين: متفتّح مع السلف وأهل الحديث، أو مؤيد للحركة الوهابية المدمّرة لآثار الرسالة باسم مكافحة الشرك.

والممّثل للاتجاه الأول، هو ابن الوزير في القرن الثامن، كما أن الممّثل للاتجاه الثاني، الأمير الصنعاني في القرن الثاني عشر، والجامع بين الاتجاهين في القرن الثالث عشر هو الشوكاني وبما أنه كان لهم دور في تطوير المذهب الزيدي في بعض الأدوار، وإن غاب نجمهم بعد حين، ناسب أن نشير إلى زوايا من حياتهم وتفكيراتهم حسب التسلسل الزمني.

ابن الوزير محمد بن إبراهيم

(٧٧٥ - ٨٤٠ هـ)

هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور، بن محمد، بن العفيف، بن مفضل بن الحجاج، بن علي، بن يحيى بن القاسم، ابن الإمام الداعي يوسف، ابن الإمام المنصور بالله يحيى بن الناصر أحمد ابن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم جميعاً، ولد في رجب عام ٧٧٥ هـ وتوفي في محرم عام ٨٤٠ هـ مجتهد باحث، من أعيان اليمن وهو أخو الهادي بن إبراهيم تعلم بصنعاء وصعدة ومكة، وأقبل في أواخر عمره على العبادة^(١).

يعرفه ابن حجر العسقلاني: أنه مقبل على الاشتغال بالحديث، شديد الميل إلى السنة بخلاف أهل بيته^(٢).

ويقول الشوكاني: «وكلامه لا يشبه كلام أهل عصره ولا كلام من بعده بل هو نمط من كلام ابن حزم وابن تيمية وهو في عداد أئمة الزيدية المجتهدين الذين لا يرفعون إلى التقليد رأساً ولا يشوبون دينهم بشيء من البدع الذي لا يخلو أهل مذهب من المذاهب شيء منها»^(٣).
وكلامه في كتاب «إيثار الحق على الخلق» يعرف موقفه من المذاهب

(١) الشوكاني: البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع: ٨١/٢ برقم ٣٩، وقد ذكر نسبه الزركلي بغير ما ذكرناه، وما ذكرناه هو المعتمد، لأن الشوكاني من أهل البيت.

(٣) المصدر نفسه: ٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ٨٣.

الكلامية يقول فيه:

لقد رأيت مصنفي كتب المذاهب ينتصر فيها المصنف لمذهب واحد في القوي والضعيف، ولم يسلك أحد منهم مسلك مصنفي كتب الفقه التي تذكر فيها مذاهب أهل الملة الإسلامية، ويقوى فيها ما قوته الدلائل البرهانية سواء أكانت لقريب أم بعيد، لصديق أم بغض، وكتب العقائد أحقّ بسلوك هذا المسلك من كتب الفروع، أمّا كون الحقّ واحداً فصحيح، ولكن لا يستلزم أن يكون الصواب في جميع المواضع المتفرقة قد اجتمع لفرقة منها إلا ما حصل فيه إجماع من الأمة والعتره، وإنّ من أندر الأشياء أن يحرص المتكلم على معرفة الحقّ في أقوال المخالفين.

والذي وسّع دائرة المرء والضلال هو البحث عما لا يُعلم والسعي فيما لا يُدرك والاشتغال بالبحث عن الدقائق التي لا طريق إلى معرفتها، السير في الطريق التي لا توصل إلى المطلوب. وليس طلب أي علم بجحود ولا كل مطلوب بموجود.

إنّ المحتاج إليه من المعارف الإسلامية في الأصول سبعة أمور كلها فطرية جليّة وهي:

- ١ - إثبات العلوم الضرورية التي يبتني الإسلام على ثبوتها.
- ٢ - ثبوت الربّ عزّ وجلّ.
- ٣ - توحيده سبحانه وتعالى.
- ٤ - كماله بأسمائه.
- ٥ - ثبوت النبوّات.
- ٦ - الإيمان بجميع الأنبياء وعدم التفريق بينهم.
- ٧ - ترك الابتداع في الدين بالزيادة على ما جاء به الأنبياء أو النقص عنه.

هذه الأمور السبعة تكفي العامي فإن تعرض فيها لشبهة قاذحة تمكن من حلها عن طريق القرينة الجلية^(١).

إنّ ما ذكره ابن الوزير من أنّه يكفي العامي الاعتقاد بالأمور وإن كان أمراً صحيحاً، لكن إلزام الجميع بالعمل على نمط واحد، أمر لا يقبله العقل وهل يصح إيقاف البحث على وجوه أصحاب العقول والأدمغة الكبيرة، كالفارابي وابن سينا، وابن رشد والرازي ونصير الدين الطوسي ومن جاء بعدهم بحجة أنّه يكفيهم تحصيل البرهان على الأمور المذكورة.

إنّ تحريم الحوار الصحيح والمناظرة المبنية على الأسس الصحيحة ممّا دعى إليه الذكر الحكيم، وأحاديث العترة الطاهرة وقد قدّمنا شيئاً من ذلك في غضون الأجزاء السابقة.

أظنّ أنّ الوزير تأثر بالتيار السلفي الذي أثاره ابن تيمية (٦٦١-٧٢٨ هـ) وتلميذه ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) قريباً من عصره وبلغ إلى أرض الحجاز واليمن، ولقد كانت الأذهان الساذجة، أرضاً خصبة لتلك الفكرة فإنّها كانت تحمل حقاً وباطلاً فمن جانب تدعو إلى الاجتهاد الحرّ وترك التقليد، لإمام من أئمة الفقه، ومن جانب آخر، يدعو إلى إغلاق العقل وإعدامه في مجال المعارف وتقليد حرفية النصوص الواردة فيها. وإن انتهى إلى القول بالتشبيه والتجسيم والجهمة، غاية الأمر يتبرأون من مضاعفاتها، بلفظ «بلا كيف».

إنّ ابن الوزير مع ذكائه وتوقّده، تأثر بموجة الفكر السلفي، وابتدع من حيث لا يشعر، فزعم أنّ السلفية مذهب، مع أنّه ليس بمذهب وليس السلف خيراً من الخلف، ولا الخلف بأقصر منهم عقلاً ووعياً، والحجة هو الكتاب والسنة الصحيحة والعقل الصريح الذي لولاه، لانسدّ باب المعرفة، فما معنى ترجيح

(١) إشار الحق على الخلق.

السلف على الخلف، ورفض تقليد الأئمة الفقهية، ووضع قيد السلفية على العقول والأفئدة مكان تقليدهم.

يقول الشوكاني: إنَّ صاحب الترجمة لما ارتحل إلى مكة وقرأ علم الحديث على شيخه ابن ظهيرة قال له: ما أحسن يا مولانا لو انتسبت إلى الإمام الشافعي أو أبي حنيفة؟ فغضب وقال: لو احتجت إلى هذا النسب والتقليدات، ما اخترت غير الإمام القاسم بن إبراهيم (الرسي) أو حفيده الهادي.

ثم إنَّه أتى بأسماء كتبه: وإليك ما ذكره:

- ١ - العواصم والقواصم في الذب عن سنَّة أبي القاسم.
 - ٢ - الروض الباسم وهو مختصر كتاب العواصم (وقد طبع في مصر في إدارة الطباعة المنيرية).
 - ٣ - ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، يقول الشوكاني: وهو كتاب في غاية الإفادة والإجادة على أسلوب مخترع لا يقدر على مثله إلا مثله، طبع بمصر عام ١٣٤٩هـ.
 - ٤ - نصر الأعيان على شر العميان، ردَّ فيه على المعري.
 - ٥ - البرهان القاطع في معرفة الصانع ألفه عام ٨٠١هـ وطبع بمصر عام ٨٠١هـ.
 - ٦ - التنقيح في علوم الحديث.
 - ٧ - إثبات الحق على الخلق، المطبوع بمصر عام ١٣١٨هـ.
- إلى غير ذلك مما ذكره الشوكاني وغيره (١).

(١) البدر الطالع: ٩٠/٢، الأعلام للزركلي: ٣٠٠/٥.

ابن الأمير: محمد بن إسماعيل

(۱۰۹۹-۱۱۸۶ھ)

مؤلف سبل السلام

هو محمد بن إسماعيل بن صلاح، ينتهي نسبه إلى الأمير يحيى بن حمزة الحسني، الذي تعرفت عليه.

ولد بكحلان، ثم انتقلت أسرته عام ۱۱۱۰هـ إلى صنعاء عاصمة اليمن، وتعلّم النحو والبيان وعلوم الفقه وأصول الدين، ثم سافر إلى الحجاز مرتين، وأخذ علوم الحديث هناك وبرع في العلوم المختلفة حتى برع أقرانه وتفرد بالرئاسة العلمية في صنعاء وأظهر الاجتهاد والوقوف مع الأدلة ونفر من التقليد وزيف ما لا دليل عليه من الآراء الفقهية.

ومن كتبه النافعة كتاب «سبل السلام في شرح بلوغ المرام» لابن حجر.

أمّا بلوغ المرام فقد ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وجمع فيه كل الأحاديث التي استنبط الفقهاء منها الأحكام الفقهية مبيناً عقب كل منها، من أخرجه من أئمة الحديث كالبخاري ومسلم، ومالك، وأبي داود، وغيرهم موضحاً درجة الحديث من صحة أو حسن أو ضعف، مرتباً له على أبواب الفقه، وضمّ إلى ذلك في آخر الكتاب قسماً مهماً في الآداب والأخلاق والذكر والدعاء.

أمّا الشرح فالأصل كما يقوله الشوكاني هو «البدر التمام» للمغربي، اختصره

(۴۳۸)

محمد بن إسماعيل الأمير، فبين لغته وسبب الضعف فيما ضعفه الحافظ ابن حجر، إذ أنكره، أو وهمه أو أعلّه، وذكر ما يدلّ عليه الحديث من الأحكام الفقهية ومن قال بها من كبار المجتهدين صحابة وتابعين وأئمة المذاهب - رض - ومن خالفها مبيّناً نوع المخالفة ودليلها، ثم يقضي بالكتاب والسنة غير متحيز إلى مذهب من المذاهب^(١).

قال الشوكاني: وجرت له مع أهل عصره خطوب ومحن: منها في أيام المتوكل على الله القاسم بن الحسين، ثم في أيام ولده الإمام المنصور بالله الحسين بن القاسم، ثم في أيام ولده الإمام المهدي العباس بن الحسين، وتجمع العوام لقتله مرة بعد مرة حفظه الله من كيدهم، وكفاه شرهم وولاه الإمام المنصور بالله، الخطابة بجامع صنعاء فاستمر كذلك إلى أيام ولده المهدي - إلى أن قال: - وكانت العامة ترميه بالنصب مستدلين على ذلك بكونه عاكفاً على الأمّهات، وسائر كتب الحديث، عاملاً بما فيها، ومن صنع هذا الصنع رمت العامة بذلك لا سيما إذا تظهر بفعل شيء من سنن الصلاة كرفع اليدين وضمّهما (القبض والتكثف)^(٢).

هنا ملاحظات :

١ - إن ابن الأمير بلغ درجة الاجتهاد المطلق، ففرض الالتزام بمذهب خاصّ وقام يعمل برأيه وهو بغية كل طالب داع. لكن المظاهرة على مخالفة العامة لماذا؟! فإن رفع اليد وضمها الذي يعبر عنه في الفقه الإمامي بالتكثف أو قبض اليد اليسري باليمنى، كما هو التعبير الرائج اليوم، سنة وليس بفرض - لو لم يكن بدعة أموية -^(٣) أو ما كان من واجب ابن الأمير عقلاً ترك السنة، لدفع الفتنة.

(١) سبل السلام مقدمة المحقق: محمد بن عبد العزيز الخولي الطبعة الرابعة - ١٣٧٩، والبدر الطالع: ١٣٧/٢، برقم

(٢) الشوكاني: البدر الطالع: ١٣٤/٢.

٤١٧.

(٣) لاحظ: الاعتصام بالكتاب والسنة للمؤلف: ٦١.

وقد روي أنَّ الإمام الشافعي زار مرقد الإمام أبي حنيفة وصلى فيه ولم يَقْنُتْ، ثم سئل عن ترك القنوت مع أنه مذهبه، قال توقيراً للإمام فإنه لا يرى القنوت سائغاً. هذا هو عقل الإمام الشافعي وتديبره وليكن لنا أسوة:

٢- إنَّ الاختصار بما في بلوغ المرام من الروايات، في مقام الإفتاء شاهد صدق على أنَّ الرجل ترك مذهب أهل البيت تماماً، وفتتح على روايات أهل السنَّة وصار ينقض ويبرم في ظل أحاديثهم. ومن المعلوم أنَّ التظاهر بتلك الفكرة في الأوساط الزيدية يثير حفيظة الأكثرين وليس المروي عن أئمة أهل البيت، بأدنى مما روى عن الصحابة والتابعين.

٣- يبدو أنَّ ابن الأمير كان إنساناً ساذجاً متأثراً بكل تيار يصل إليه إذا رافق نفسيته، ولما بلغ إليه خروج محمد بن عبد الوهاب في نجد، ووقف على رأيه من تدمير آثار الرسالة والنهي عن التوسل والزيارة أخذ بترويج أفكاره ولم يقتصر بذلك وقد ألف كتاباً في ذلك المضمار أسماه «تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد» واسمه يحكى عن مدى تعصبه بالتوهُّب، قد أكثر عنه النقل السيد الأمين رحمته الله في كتاب كشف الارتياح ^(١)، وهذا يعرب عن ان ابن الأمير اغترَّ بمنهجه من دون دراسة وتحليل ثم إنَّه أنشأ قصيدة في مدح الداعي وهنأ به وقال:

سلام على نجد ومن حلّ في نجدٍ وإن كان تسليمي على البعد، لا يُجدي
إلى أن يقول:

وقد جاءت الأخبار عنه بأنَّه يُعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
ثم هو يتعاطف مع مقولة الحركة ومحتواها، ويقول في مدح محمد بن عبد الوهاب:

(١) كشف الارتياح: ١٠.

ويعمر أركان الشريعة، هادماً
أعادوا بها معنى «سواع» ومثله
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها
وقد سرّني ما جاءني من طريقة
ولما أتته الأنباء عن قائد الحركة بأنه يسفك الدماء، وينهب الأموال، ويكفر الأمة المحمدية
في جميع الأقطار، تراجع عن التأييد شكلياً لا من حيث المحتوى، وقال في قصيدة نقض فيها،
قصيدته الأولى، مستهلهها:

رجعتُ عن القول الذي قلتُ في النجدي
ظننت به خيراً وقلت عسى عسى
فقد خاب فيه الظنّ لا خاب نصحنا
ثم أخذ في ردّ شكل تطبيق المبدأ، فقال:
أبن لي أبن لي لماذا سفكت دماءهم
وقد عصموا هذا وهذا بقول: لا
وهذا لعمرى غير ما أنت فيه من
فمالك في سفك الدماء قطّ حجة
وقد صحّ لي عنه خلاف الذي عندي
نجد ناصحاً يهدي الأنام ويستهدي
وما كل ظنّ للحقائق لي مهدي
لماذا نهيت المال قصداً على عمد
إله سوى الله المهيمن ذي المجد
تجاريك في قتل لمن كان في نجد
خف الله واحذر ما تسرّ وما تبدي

لقد عذب عن ابن الأمير أنه هو الذي أحلّ سفك دمائهم حيث شبههم في قصيدته الأولى عبّاد «سواع» و «ود» وهل يكون دم الوثني! محترماً مصوناً.

إنّ الأمير ندم حين ما لا ينفعه الندم، وقد أظهر الندامة بعد سفك الدماء الطاهرة، وقتل النفوس الأبرياء، ونهب الأموال، وتدمير البيوت والخيام، بحجّة أنّهم يتوسلون بالنبي، أو يزورون قبره الشريف ومن قرأ تاريخ الوهابية الأثيمة يقف على أنّه أسس على قتل الآف من الرجال والنساء والأطفال، الذين كانوا يقولون: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، يصلّون، يزكون، ويحبّون ومانقمو منهم إلاّ أنّهم كانوا يعزّرون النبي الأكرم، ويمجّدون نبي التوحيد، ويتبرّكون بآثاره، كما كانت الصحابة متبركين بها.

وعلى كل تقدير فقد تخلّى ابن الوزير عن المذهب الزيدي وتحول إلى سلفي وهابي، وتسرع في تأييد موقف ابن عبد الوهاب، فلو كان مذهب السلف، الإخافة وسلّ السيف، وضرب الرقاب، وتدمير آثار الرسالة، وإنساء الأنبياء والأولياء عن الأذهان، وإثبات جهة الفوق والاستواء على العرش الذي هو فوق السموات والأرض، والجسمية والغضب والضحك واليد اليمنى والشمال، والأصابع والكف لله سبحانه بمعانيها اللغوية، فألف سلام الله على الخلف مع بدعه المزعومة، وتوسلاته المختلفة بزعمهم.

محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني

(۱۱۷۲ - ۱۲۵۰ھ)

أحد الشخصيات البارزة في اليمن الخضراء قد ترجم لنفسه في كتابه البدر الطالع وقال: نشأ بصنعاء فقرأ القرآن على جماعة من المعلمين، وختمه على الفقيه حسن ابن عبد الله الهبل، وجوّده على جماعة من مشايخ القرآن، بصنعاء ثم حفظ الأزهار للإمام المهدي، ومختصر الفرائض للعصيفري، والملحة للحريري، والكافية والشافية لابن الحاجب، والتهذيب للتفتازاني، والتلخيص للقزويني، والغاية لابن الإمام، وبعض مختصر المنتهى لابن الحاجب، ومنظومة الجزري، ومنظومة الجزاز في العروض وأداب البحث للعضدي ورسالة الوضع له أيضاً. وكان حفظه لهذه المختصرات قبل الشروع في الطلب، وبعضها بعد ذلك، ثم قبل شروعه في الطلب كان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التواريخ ومجاميع الأدب من أيام كونه في المكتب فطالع كتباً عدّة، ومجاميع كثيرة، ثم شرع في الطلب وقرأ على والده رحمه الله شرح الأزهار، إلى آخر ما ذكره من الكتب التي قرأها على مشايخه أو سمعها من أساتذته و - ذكر - أنه سمع البخاري من أوله إلى آخره على السيد العلامة علي بن إبراهيم، وسمع صحيح مسلم جميعاً وسنن الترمذي جميعاً وبعض موطأ مالك وبعض شفاء القاضي عياض على السيد العلامة عبد القادر بن أحمد، وكذلك سمع منه بعض جامع الأصول، وبعض سنن النسائي وبعض سنن ابن ماجة،

(۴۴۳)

وسمع جميع سنن أبي داود وتخريجها للمنزري، وبعض المعالم للخطابي - إلى أن قال: - وكذلك بعض المنتقى لابن تيمية على السيد القادر بن أحمد وكذلك سمع شرح بلوغ المرام^(١).

لقد ترك الشوكاني آثاراً في التفسير والفقه والحديث والكلام وهنا نذكر من آثاره ما يلي:

١ - فتح القدير في التفسير، وقد طبع في خمسة أجزاء جمع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير.

٢ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار في الحديث، والمنتقى تأليف الشيخ أبو البركات شيخ الحنابلة مجد الدين عبد السلام بن عبد الله الحرّاني (٥٤٢ - ٦٢١ هـ) جد ابن تيمية.

٣ - القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد.

٤ - إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والميعاد والنبوات، ردّ به على موسى بن ميمون الأندلسي اليهودي.

إنّ الإلمام بحياة الشوكاني دراسة وقراءة، أستاذاً وشيخاً، تعرب عن أنّه كان سلفي المذهب، متحرراً عن التقيد بمذهب أحد الأئمة، وكتابه «نيل الأوطار» يشهد على ذلك. وقد أوجد هزة في الأوساط اليمنية، وهو وإن أخذ من السلفية، بهذا الجانب، الجميل، ولكنّه تورط في مغبة لوازم التجسيم والتشبيه، وتتلخص عقائده في الأمور التالية:

أولاً: يرى حمل صفات الله تعالى الواردة في القرآن والسنة على ظاهرها من غير تأويل، وقد ألف رسالة في ذلك سماها: «التحف بمذهب السلف» ويذكر في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة - ٢٥٥) أنّ

(١) الشوكاني: البدر الطالع: ٢١٤/٢ - ٢١٧.

الكرسي جسم وردت به الآثار بصفته. ثم ذكر الأقوال الأخر.

وقال: والحق هو الأول، ولا وجه للعدول عن المعنى الحقيقي إلى مجرد خيالات وضلالات (١).

والمتتبع في تفسيره يجد أنه يقوي مذهب السلف في غالب المواضع حتى رؤية الله في الآخرة لو سلم كونها مذهب السلف.

ثانياً: لا يرى للمجتهد تقليد أئمة المذاهب الفقهية، وهو في تلك الفكرة مصيب مشكور، لكنه أفرط في تطبيق الآيات الدامة للمشركين في تقليدهم الآباء، على مقلدي أئمة المذاهب (٢). نحن نقدر كسر قيد الالتزام بالمذاهب الفقهية للمستطيع استخراج الأحكام عن أدلتها الشرعية، لكن المجتهد المطلق عبارة عن استوعب الأدلة واستقصاها ومنها الأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت التي رواها شيعتهم من زيدية وإسماعيلية وإمامية، لكن الأسف أن المتخرجين في حقول الفقه إما مقلد لأئمة الفقه أو خارج عن هذا الإطار، ولكنه ضارب عن أحاديث العترة، مع أنها أحد الثقلين.

ثالثاً: إن الرجل جمع بين القولين المتضادين، فمن جانب يرى أن الشهداء أحياء حقيقة لا مجازاً.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران - ١٥٤):

(١) الشوكاني: فتح القدير: ٢٧٧/١ - ٣٧٣، ط، دار المعرفة بالأفست بيروت، لبنان وكل ما نقله فهو من هذه الطبعة.

(٢) لاحظ فتح القدير، سورة الأعراف، تفسير قوله سبحانه: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَيْهَا...) (الآية ٢٨)

أي لا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله هم أموات بل هم أحياء، ولكن لا تشعررون بهذه الحياة عند مشاهدتكم لأبدانهم بعد سلب أرواحهم، لأنكم تحكمون عليها بالموت في ظاهر الأمر بحسب ما يبلغ إليه علمكم، الذي هو بالنسبة إلى علم الله كما يأخذ الطائر في منقاره من ماء البحر وليسوا كذلك في الواقع بل هم أحياء في البرزخ^(١).

ومن جانب آخر يرى التوسل بالأنبياء مخالفاً للذكر الحكيم وقد أفاض الكلام في الإنكار على التوسل عند تفسير قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس - ٤٩) فقد ذكر في تفسير الآية نفس ما ورثه من ابن تيمية ولا عق قصعته محمد بن عبد الوهاب^(٢). ولولا خوف الإطالة لأتيت بنص كلامه ليقف القارئ على وحدة النسج، وبما أننا أفضنا في الجزء الرابع من هذه الموسوعة الكلام في التوسل، نطوي الكلام غير أننا نذكر هنا نكتته وهي:

إن المتوسل لا يدعي أن النبي ﷺ يملك نفعه أو ضرره، حتى يقال: إنه لا يملك نفع نفسه ولا ضرره، فكيف بغيره، وإنما يقول: إن الأنبياء والصديقين والشهداء أحياء حسب ما قرره الشوكاني، والصلة بيننا وبينه موجودة، فنطلب منهم الدعاء كما نطلبه منهم في حال الحياة، وربما توسل بذواتهم ومقاماتهم، وذلك لاستمطار رحمته سبحانه، وجلب رضوانه، والمخاطب الحقيقي لقضاء الحاجة هو الله سبحانه والركائب مناخة على أبوابه سبحانه.

رابعاً: إن الشوكاني وإن كسر قيد الالتزام بمذهب الزيدية، ولكنه لم يتخل عنه تماماً في بعض الموارد من تفسيره فربما يذكر بعض الروايات الدالة على إمامة

(١) فتح القدير: ١٥٩/١.

(٢) فتح القدير: ٢٤٦/٢ - ٤٥٠.

علي عليه الصلاة والسلام، لكن بشكل هادئ، حيث ذكر في تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة - ٥٥) قولين:

أحدهما: إنها نزلت في حق عبادة بن الصامت، وثانيهما: أنها نزلت في حق علي، وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن ابن عباس، قال: تصدق علي بخاتم وهو راع. فقال: النبي ﷺ للسائل: «من أعطاك هذا الخاتم؟» قال: هذا الراكع، فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس، قال: نزلت في علي بن أبي طالب إلى آخر ما ذكره (١).

ويذكر في تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب - ٣٣) قولين:

الأول: أنها نزلت في زوجات النبي ﷺ، ثم قال: قال أبو سعيد الخدري ومجاهد، وقتادة إن أهل البيت المذكورين في الآية علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة، ومن حججهم الخطاب في الآية بما يصلح للذكور لا للإناث، وهو قوله: «عنكم، وليطهركم» ولو كان للنساء خاصة لقال: عنكن، يطهركن. وأجاب الأولون عن هذا التذكير باعتبار لفظ أهل كما قال سبحانه: ﴿أَتَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ وكما يقول الرجل لصاحبه: كيف أهلك؟ يريد زوجته أو زوجاته، فيقول: هم بخير. ثم إنه ذكر أدلة القولين وخرج بأن الحق شموله للطائفتين (٢).

ولعل هذا الجمع الذي لجأ إليه، كان مقتضى ظروفه، وإلا فكيف يمكن

(١) فتح القدير: ٣٥٠/٢.

(٢) فتح القدير: ٢٧٩/٤ - ٢٨٠.

القول بالجمع، وهو خرق للإجماع المركب أولاً، ومخالف للروايات المتضاربة من أن النبي الأكرم ﷺ جمع علياً وابنيه وزوجته تحت الكساء وقال: هؤلاء أهل بيت، ولم يجز لأُم سلمة أن تدخل تحت الكساء.

لكنه قد قصر في بعض المواضع، حيث لم يذكر نزول قوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة - ٣) في حق علي مع تضافر الروايات. وفسر إكمال الدين بإكمال ظهوره على الأديان كلها، وغلبته لها (١).

نعم، ذكر في تفسير قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة - ٦٧) قال: أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري، قال: نزلت هذه الآية على رسول الله يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال: وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٢).

وعلى كل تقدير فما يذكره في حق أئمة أهل البيت أثر من آثار نشأته بين الزيدية، ولكنه في مجال العقيدة سلفي، يتمسك بحرفية القرآن ويجوز الرؤية في الآخرة (٣). ويذهب في مجال الفقه إلى حجية كل صحابي من غير فرق بين المعلوم والمجهول، حتى ألف كتاباً باسم «القول المقبول في ردّ خبر المجهول من غير صحابة الرسول» (٤) ويصدر عن الصحاح والمسانيد ويخالف مذهب الزيدية

(٢) فتح القدير: ٦٠/٢.

(١) فتح القدير: ١١/٢.

(٣) فتح القدير: ٨٦/١ في تفسير قوله سبحانه: (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً).

(٤) نيل الأوطار: المقدمة (و).

كثيراً. وكتابه المعروف «السييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار» يعد ثورة عارمة على الزيدية في المجالات الفقهية. وإليك الكلام في هذا الكتاب.

قصة «السييل الجرار المتدفق» :

ألف أحمد بن يحيى بن المرتضى (٧٧٥ - ٨٤٥هـ) كتاباً باسم «الأزهار في فقه الأئمة الأطهار».

ثم شرحه باسم «الغيث المدرار». ألفه على مذهب الإمام الهادي الزيدي في الفروع، يقول المقدم لكتاب البحر الزخار في مقدمته: «والكتاب لشموله وتحقيقه، وبلاغة أسلوبه، وحسن تبويبه يعد من آيات الإمام (أحمد بن يحيى بن المرتضى) التي اختصه الله بها ومنحه إياه لنفع المؤمنين وانتشال الجاهلين من ظلام الخيرة إلى نور المعرفة والهدى»^(١).

وقد ألفه الإمام في السجن بين عام «٧٩٤ - ٨٠١هـ» وبما أن الكتاب باقة أزهار من الفقه الهادوي فيظن أنه راجع إليه بعد الخروج من السجن إلا إذا كانت المصادر فيه متوفرة وقد كان العمل عليه في المحاكم والأوساط العلمية.

ومن المعلوم أن فكرة التحرير من الفقه الهادوي، الذي غرس بذرتها ابن الوزير، وسقاها ابن الأمير، على طرف النقيض من محتويات الكتاب واشتهاره بين العلماء ولأجل ذلك قام الشوكاني بنقده بكتاب أسماه «السييل الجرار، المتدفق على حدائق الأزهار» فأثار بكتابه هذا، والاسم الذي سمّاه به حفيظة كثير من الزيديين قال في مقدمة الكتاب:

فإن مختصر الأزهار لما كان مدرس طلبة هذه الديار في هذه الأعصار ومعتمد لهم الذي عليه في عباداتهم ومعاملاتهم المدار، وكان قد وقع في كثير من

(١) مقدمة البحر الزخار: ١٨.

مسائله الاختلاف بين المختلفين من علماء الدين والمحققين من المجتهدين: أحببت أن أكون حكماً بينه وبينهم ثم بينهم أنفسهم عند اختلافهم في ذات بينهم، فمن كان أهلاً للترجيح ومتأهلاً للتقسيم والتصحيح فهو إن شاء الله سيعرف لهذا التعليق قدره ويجعله لنفسه مرجعاً ولما ينوبه ذخراً، وأما من لم يكن بهذا المكان ولا بلغ مبالغ أهل هذا الشأن ولا جرى مع فرسان هذا الميدان فهو حقيق بأن يقال له: «ماذا يغشك يا حمامة فادرجي» وقد طبع الكتاب في مجلدات أربعة قام بطبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بعد قيام الجمهورية العربية في اليمن. وذلك أيضاً في طريق أهدافه من هدم آثار الإمامة في اليمن ولو بيد علمائها.

وفي الختام نذكر تأليفه المفيد وهو «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع»، ألفه لغاية خاصة وهو أن الخلف ليس بأقل من السلف، ولا مسوغ للتقليد لأئمة الفقه بل يجب التحرر عن الالتزام بفقه إمام خاص، قال في مقدمته: فإنه لما شاع على ألسن جماعة من الرعا، اختصاص سلف هذه الأمة بإحراز فضيلة السبق في العلوم دون خلفها. حتى اشتهر عن جماعة من أهل المذاهب الأربعة تعذر وجود مجتهد بعد المائة السادسة كما نقل عن البعض، أو بعد المائة السابعة كما زعمه آخرون. وكانت هذه المقالة بمكان من الجهالة لا يخفى على من له أدنى حظ من علم، وأنزr نصيب من عرفان، وأحقر حصة من فهم، لأنها قصر للتفضل الإلهي، والفيض الرباني على بعض العباد دون البعض، وعلى أهل عصر دون عصر، وأبناء دهر دون دهر بدون برهان ولا قرآن على أن هذه المقالة المخدولة والحكاية المردولة تستلزم خلو هذه الأعصار المتأخرة عن قائم بحجج الله، ومترجم عن كتابه وسنة رسوله، ومبين لما شرعه لعباده، وذلك هو ضياع الشريعة بلا مرية، وذهاب الدين بلا شك وهو تعالى قد تكفل بحفظ دينه

وليس المراد حفظه في بطون الصحف والدفاتر، بل إيجاد من يبينه للناس في كل وقت وعند كل حاجة.

حداني ذلك إلى وضع كتاب يشتمل على تراجم أكابر العلماء من أهل القرن الثامن ومن بعدهم مما بلغني خبره إلى عصرنا هذا، ليعلم صاحب تلك المقالة أن الله وله المنة قد تفضل على الخلف كما تفضل على السلف، بل ربما كان في أهل العصور المتأخرة من العلماء المحيطين بالمعارف العلمية على اختلاف أنواعها، من يقل نظيره من أهل العصور المتقدمة كما سيقف على ذلك من أمعن النظر في هذا الكتاب وحلّ عن عنقه، عرى التقليد وقد ضمنت إلى العلماء من بلغني خبره من العباد والخلفاء والملوك والرؤساء والأدباء ولم أذكر منهم إلا من له جلالة قدر ونبالة ذكر وفخامة شأن دون من لم يكن كذلك (١).

وطبع الكتاب في جزئين يشتمل الجزء الأول على ٣٥٤ ترجمة للشخصيات العلمية والسياسية، وقد وقع الخطأ في أرقام تراجم الجزء الثاني فالظاهر منه أن الجزئين يحتوي على ترجمة ٥٩٦ شخصية وقد فرغ من تأليف الكتاب عام ١٢١٣هـ.

ثم إن النسابة المعروف اليمني محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة، ذيله بملحق، أتى فيه بترجمة ٢٤٠ شخصية من مشاهير اليمن لكن على وجه الاختصار، وقد ترجم من عثر عليه من تراجم من بعد القرن السابع إلى أثناء القرن الثاني عشر من رجال اليمن الميمون، ولم يسجل فيه تراجم الرجال الذين ذكروا في كتاب «نيل الأوطار من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث» ألفه في القاهرة عام ١٣٤٨هـ شكر الله مساعيه.

(١) الشوكاني: البدر الطالع: ٢/١.

الفصل الثامن

فرق الزيدية في كتب تاريخ العقائد

قد ذكر مؤرخو العقائد، للزيدية فرقاً بين مقتصر على الثلاثة، وإلى مفيض إلى ستة، وثمانية، وإليك نصوصهم حسب التسلسل الزمني في التأليف:

١ - قال الأشعري: «والزيدية» ست فرق:

فمنهم: الجارودية: أصحاب «أبي الجارود» وإنما سمّوا «جارودية» لأنهم قالوا بقول: «أبي الجارود» يزعمون أنّ النبي ﷺ نصّ على علي بن أبي طالب بالوصف لا بالتسمية، فكان هو الإمام من بعده وأنّ الناس ضلّوا وكفروا بتركهم الاقتداء به بعد الرسول ﷺ ثم «الحسن» من بعد علي هو الإمام ثم «الحسين» هو الإمام من بعد الحسن.

وافترقت الجارودية فرقتين: فرقة زعمت أنّ علياً نصّ على إمامة «الحسن» وأنّ الحسن نصّ على إمامة «الحسين» ثم هي شوري في ولد الحسن وولد الحسين فمن خرج منهم يدعو إلى سبيل ربه وكان عالماً فاضلاً فهو الإمام، وفرقة زعمت أنّ النبي ﷺ نصّ على «الحسن» بعد علي وعلى «الحسين» بعد الحسن ليقوم واحد بعد واحد.

وافترقت الجارودية في نوع آخر ثلاث فرق: فزعمت فرقة أنّ «محمد بن عبد الله بن الحسن» لم يمت وأنه يخرج ويغلب، وفرقة أخرى زعمت أنّ «محمد بن

القاسم» صاحب الطالقان حي لم يمت وأنه يخرج ويغلب، وفرقة قالت مثل ذلك «يحيى بن عمر» صاحب الكوفة.

والفرقة الثانية من الزيدية، «السليمانية»: أصحاب «سليمان بن جرير الزيدي» يزعمون أن الإمامة شوري وأنها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين، وأنها قد تصلح في المفضول وإن كان الفاضل أفضل في كل حال، ويثبتون إمامة الشيخين أبي بكر وعمر.

وحكى «زرقان» عن سليمان بن جرير أنه كان يزعم أن بيعة أبي بكر وعمر خطأ لا يستحقان عليها اسم الفسق من قبل التأويل، وأن الأمة قد تركت الأصلح في بيعتهم أيهما، وكان سليمان بن جرير يقدم على عثمان ويكفره عند الأحداث التي نقت عليه، ويزعم أنه قد ثبت عنده أن علي بن أبي طالب لا يضل ولا تقوم عليه شهادة عادلة بضلالة، ولا يوجب علم هذه النكتة على العامة إذ كان إنما تجب هذه النكتة من طريق الروايات الصحيحة عنده.

والفرقة الثالثة: من الزيدية: «البترية»: أصحاب «الحسن بن صالح بن حي» وأصحاب «كثير النواء» وإنما سموا «بترية» لأن «كثيراً» كان يلقب بالأبتر، يزعمون أن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة، وأن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ، لأن علياً ترك ذلك لهما، ويقفون في عثمان وفي قتلته ولا يقدمون عليه بالكفار، وينكرون رجعة الأموات إلى الدنيا، ولا يرون لعلي إمامة إلا حين بوبع، وقد حكى أن «الحسن بن صالح بن حي» كان يتبرأ من عثمان رضوان الله عليه بعد الأحداث التي نقت عليه.

والفرقة الرابعة من الزيدية: «النعيمية»: أصحاب «نعيم بن اليمان» يزعمون أن علياً كان مستحقاً للإمامة وأنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأن الأمة ليست بمخطئة خطأ أثم في أن ولت أبا بكر وعمر رضوان الله تعالى عليهما، ولكنها

مخطئة خطأً بيناً في ترك الأفضل وتبرأوا من عثمان ومن محارب علي وشهدوا عليه بالكفر.
والفرقة الخامسة من الزيدية: يتبرأون من أبي بكر وعمر ولا ينكرون رجعة الأموات قبل يوم
القيامة.

والفرقة السادسة من الزيدية: يتولون أبا بكر وعمر، ولا يتبرأون ممن برىء منهما، وينكرون
رجعة الأموات ويتبرأون ممن دان بها وهم «اليقوبية» أصحاب رجل يدعى «يعقوب»^(١).

٢ - قال المسعودي: إنَّ الزيدية كانت في عصرهم ثمانية فرق: أولها الفرقة المعروفة بـ
«الجارودية» وهم أصحاب أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي، وذهبوا إلى أنَّ الإمامة مقصورة في
ولد الحسن والحسين دون غيرهما، ثم الفرقة الثانية المعروفة بـ «المرئية»، ثم الفرقة الثالثة
المعروفة بـ «الأبرقية»، ثم الفرقة الرابعة المعروفة بـ «اليقوبية» وهم أصحاب يعقوب بن علي
الكوفي. ثم الفرقة الخامسة المعروفة بـ «العقبية» ثم الفرقة السادسة المعروفة بـ «الأبترية» وهم
أصحاب كثير الأبتري والحسن بن صالح بن حي. ثم الفرقة السابعة المعروفة بـ «الجريرية» وهم
أصحاب سليمان بن جرير. ثم الفرقة الثامنة المعروفة بـ «اليمانية» وهم أصحاب محمد بن يمان
الكوفي، وقد زاد هؤلاء في المذاهب وفرعوا مذاهب على ما سلف من أصولهم^(٢).

٣ - قال نشوان الحميري: اختلفت الزيدية ثلاث فرق: بترية وجريرية

(٢) المسعودي: مروج الذهب: ١٨٣/٢.

(١) الأشعري: مذاهب الإسلاميين: ٦٦ - ٦٩.

وجارودية. فقالت البترية: إنّ علياً عليه السلام كان أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأولاهم بالإمامة، وأنّ بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ، لأنّ علياً عليه السلام سلم لهما ذلك، بمنزلة رجل كان له حقّ على رجل فتركه له، ووقفت في أمر عثمان، وشهدت بالكفر على من حارب علياً، وسمّوا البترية، لأنّهم نسبوا إلى كثير النواء، وكان المغيرة بن سعيد يلقب كثيراً بـ «الأبتر».

وقالت الجريرية: إنّ علياً كان الإمام بعد رسول الله ﷺ وأنّ بيعة أبي بكر وعمر كانت خطأ لا يستحقّ عليه اسم الكفر، ولا اسم الفسوق، وأنّ الأمة قد تركت الأصلح، وبرئت من عثمان سبب أحداثه، وشهدت عليه وعلى من حارب علياً بالكفر.

وقالت الجارودية: إنّ رسول الله ﷺ نصّ على علي عليه السلام بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين، وإنّه أشار إليه ووصفه بالصفات التي لم توجد إلاّ فيه، وإنّ الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره، وإنّ رسول الله ﷺ نصّ على الحسن والحسين عليهما السلام بمثل نصّه على علي، ثم إنّ الإمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه، ولكن الإمامة شورى بين الأفاضل من ولد الحسن والحسين، فمن شهر منهم سيفه ودعا إلى سبيل ربّه وباين الظالمين، وكان صحيح النسب من هذين البطنين، وكان عالماً زاهداً شجاعاً، فهو الإمام.

وافترقت الجارودية في نوع آخر ثلاث فرق:

أ- فرقة زعمت أنّ محمد بن عبد الله النفس الزكية بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب لم يموت ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلاً، وأنّه القائم المهدي المنتظر عندهم، وكان محمد بن عبد الله خرج على المنصور فقتل بالمدينة.

ب- وفرقة زعمت أنّ محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين

ابن علي بن أبي طالب، حي لم يمت ولا يموت، حتى يملأ الأرض عدلاً، وأنه المهدي المنتظر عندهم، وكان محمد بن القاسم هذا خرج على المعتصم بالطالقان فأسره المعتصم، فلم يدر بعد ذلك كيف خبره.

وفرقه زعمت أن يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حي لم يمت، وأنه القائم المنتظر عندهم، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً، وكان يحيى بن عمر هذا خرج على المستعين، فقتل بالكوفة. هذه رواية أبي القاسم البلخي عن الزيدية، وليس باليمن من فرق الزيدية غير الجارودية، وهم بصنعاء وصعدة وما يليهما^(١).

دراسة حول فرق الزيدية:

قد تعرفت على كلمات المؤرخين في فرق الزيدية، فهي بين ما يحصرهم في ثلاث، إلى آخر يعدهم ست فرق، إلى ثالث يحسبهم ثمان فرق، وهذا الاختلاف يكشف عن وجود غيوم تلبّد سماء الواقع، ولكن الذي يهمنا هنا، مسألة أخرى، أن هذه الفرق، كلها قد بادت وذهبت أدراج الرياح مع بقاء الزيدية في اليمن، والذي يميز الزيدية عن سائر الفرق الإسلامية ليس شيء مما ورد في عقائد هذه الفرق وإنما هو عبارة عن القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ووجوب الخروج - الثورة - على الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة مع القول بتفضيل علي كرم الله وجهه وألويته بالإمامة وقصرها من بعده في البطنيين الحسن والحسين^(٢).

(١) نشوان الحميري: الحور العين: ١٥٥.

(٢) علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق: ١١ المطبوع عام ١٤٠٥ هـ ط. عمان.

ولا يوجد اليوم في اليمن بين الزيدية من المفاهيم الكلامية المنسوبة إلى الفرق كالجارودية، أو السليمانية، أو البترية أو الصالحية، إلا مفهوم واحد، وهو المفهوم العام الذي تعرفت عليه وهو القول بإمامة زيد والخروج على وجه الظلمة واستمرار الإمامة في بطن الحسين، وأنّها بالطلب والفضل وأما أسماء تلك الفرق والعقائد المنسوب إليهم فلا توجد اليوم إلا في بطون الكتب والمؤلفات في الفرق الإسلامية كالممل والنحل ونحوها.

فإذا كانت الحال في اليمن كما ذكره الفضيل شرف الدين فالبحث عن هذه الفرق من ناحية إيجابياتها وسلبياتها ليس مهماً بعد ما أبادهم الدهر، وإنّما اللازم دراسة المفهوم الجامع بين فرقهم، نعم هناك أمرين هامين يجب التنبيه عليهما:

١ - في تسميتهم بالزيدية:

إنّ مؤرخي العقائد يسمّونهم بالزيدية شأنهم شأن سائر الفرق التابعة لإمامها من غير فرق بين كونه إماماً في الأصول والعقائد كالشيخ الأشعري، أو إماماً في الفقه والأحكام كالحنفي والشافعي، فتصور لنا هذه التسمية (الزيدية) أنّ هذه الفرق تلقت أصولها وفروعها من إمامهم زيد الشهيد، كما أخذت الأشاعرة أصولها من الشيخ الأشعري، والحنفية من إمامها أبي حنيفة.

ولكن هذه التسمية بهذا المفاد خاطئة جداً، لأنّه لم تكن لزيد عقيدة خاصة في المسائل الكلامية حتى يكون أتباعه عيالاً له في هذا المجال، كما أنّه لم يكن له كتاب فقهي استدلالي حتى يرجع المقلّدون، إليه في الفروع.

نعم إنّ الثابت عن زيد الشهيد، أنّه كان يقول بالتوحيد والعدل شأن كل علوي يقتفي أثر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فليس القول بهذين الأصلين دليلاً على أنّهم اقتفوا زيدا في هذين الأصلين.

كما أنّ الثابت عنه في مجال الفقه يعود إلى المسند الذي تعرفت عليه، وهو لا يتجاوز عن نقل أحاديث فقهية، ولا يعلم منه مدى فقاھته واستطاعته في استخراج الفروع من الأصول، وعلى فرض التسليم بذلك فالفقهاء المعروفون بالزيدية ابتداء من الإمام أحمد بن عيسى، إلى الإمام القاسم الرّسّي، إلى الإمام يحيى الهادي، إلى الناصر الأطروش، حتى تصل النوبة إلى الإمام المجتهد يحيى بن حمزة والإمام المهدي بن المرتضى مؤلف «البحر الزخار» إلى غيرهم من فقهاء كبار، فهوّلاً لم يعلم من أحوالهم أنّهم اعتمدوا في فتاواهم على فتوى إمام مذهبهم زيد، بل المعلوم خلافه، فإنّ الفقه المعروف بالفقه الزيدي إنّما وصل إلى ما وصل من السعة نتيجة جهد هؤلاء الفقهاء الكبار، فهذا الفقه عطاء بحوثهم الشخصية التي ليس لها صلة بزيد.

ويؤيد ذلك: إنّ المذهب الزيدي يحرم التقليد على كل متمكن من أخذ الحكم من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أو غيرهما من الأدلة الشرعية، ولا يبيحه في الفروع إلّا لغير المتمكن من الاجتهاد، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النحل - ٤٣) (١).

فإذا كان الأمر كذلك فالعطاء الموجود في الفقه الزيدي وأصوله يرجع إلى رجال المذهب الزيدي على اختلاف طبقاتهم، وهم بين إمام في المذهب كالإمام القاسم بن إبراهيم المتوفى عام ٢٤٢ هـ وحفيده الإمام الهادي يحيى بن الحسين المتوفى عام ٢٩٨ هـ والإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي المتوفى عام ٣٠٤ هـ.

(١) علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيق: ١١.

إلى مخرّج للمذهب وهم الذين استخرجوا من كلام الأئمة أو احتجاجاتهم أحكاماً لا تتعارض مع الكتاب والسنة ومن رجال هذه الطبقة:

١- العلامة محمد بن منصور المردّي المتوفى حوالي عام ٢٩٠هـ.

٢- العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم المتوفى سنة ٣٥٣هـ.

٣- العلامة أحمد بن الحسين بن هارون الحسني المتوفى عام ٤١٦هـ.

٤- العلامة أبو طالب يحيى بن الحسين بن هرون الحسني المتوفى سنة ٤٢٤هـ.

إلى محصّل، وهم الذين اهتموا بتحصيل أقوال الأئمة وما استخرج منها، ونقلوها إلى تلامذتهم بطريق الرواية أو المناولة لمؤلفاتهم، منهم:

العلامة القاضي زيد بن محمد الكلاوي الجيلي الملقب بحافظ أقوال العترة.

وسياّتي تفصيل طبقات رجال المذهب الزيدي في خاتمة المطاف ضمن الأمر الثامن^(١).

فإذا كان المذهب الزيدي قد نضج في هذه الأعصار وتبلور في ظل جهود هؤلاء الفطاحل الأعلام، فهو عطاء علمائهم ومفكرّيهم في الكتاب والسنة وسائر القواعد الاجتهادية، ولا يمت إلى إمامهم زيد بصلة.

فعلى ذلك، فإنّ هؤلاء في فقههم قبل كونهم زيديين، رسيّون، انتساباً إلى الإمام الأوّل القاسم بن إبراهيم، وهادويون انتساباً إلى الإمام الثاني يحيى بن الحسين، أو ناصريّون انتساباً إلى الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي.

وممن يدعم تلك الفكرة عالم اليمن الحالي السيد مجد الدين المؤيدي في تقديمه على كتاب «الزيدية نظرية وتطبيق» يقول: فأما المذهب الفقهي المعروف المتداول بين أهل الفقه في اليمن فليس المراد به المذهب الزيدي كما يتوهم ولا مذهب جملة أهل البيت، بل المراد به في الأصل كما نص عليه الأعلام المحقّقون قواعد وأصول أخذوها من أقوال الإمام القاسم بن إبراهيم وأولاده وحفيده الهادي

(١) لاحظ ص ٥٢٤.

إلى الحقّ وولديه المرتضى والناصر عليهم السلام نصّاً أو تخريجاً، ثم توسعوا في ذلك فصاروا يذهبون على ما ترجح عندهم على مقتضى تلك القواعد وإن خالف نصّ الإمام الهادي إلى الحقّ عليه السلام، الذي هو إمام المذهب على التحقيق فضلاً عن غيره، ولهذا رجّح كثير من الأئمة الأعلام للمتابع أن يأخذ بالنص ويترك التخريج المخالف له ومنهم الإمام المجدد للدين المنصور بالله القاسم بن محمد فإنّه ضعف التخارج غاية التضعيف وبسط القول في ذلك بما فيه الكفاية في كتابه الإرشاد وكذا غيره من الأئمة عليهم السلام^(١).

والذي يثبت أنّ المذهب الزيدي حسيلة التفكير الحرّ في الكتاب والسنة ولا يمت إلى الإمام زيد، هو وجود الاجتهاد وعدم غلق بابهِ خلال العصور المتقدمة، من دون أن يتخذوا آراء الإمام الواحد حقاً غير قابل للחדش كما عليه الأحناف والشوافع والحنابلة والمالكية.

يقول الفضيل شرف الدين: العلم المميز للمذهب الزيدي على امتداد التاريخ الإسلامي هو التجديد المستمر دون التقيد باجتهاد فرد واحد من أئمتّه أو علمائه أو التمحور الفكري حول ما توصلوا إليه من اجتهادات. فإنّ المطلع المتتبع لتاريخ الفكر الزيدي يعلم بأنّه بقي منفتحاً على جميع المذاهب الإسلامية المعتبرة يأخذ منها ماله أساس ومستند من كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله ﷺ دونما تعصب، أو جمود، أو انغلاق، بل أنّ من قواعد المذهب عدم جواز التقليد عند المتمكنين من العلماء القادرين على استنباط الأحكام من الكتاب والسنة. وبذلك بقي المذهب وعلماءه روّاد تجديد وإصلاح يعملون لإيجاد حلول لمختلف قضايا الحياة المتجدّدة في كل العصور إيماناً منهم بأنّ الدين الإسلامي الحنيف الذي أنزل على خاتم الأنبياء ﷺ ليبلّغه إلى البشرية جمعاء هذا الدين قد

(١) تقديم السيد مجد الدين على كتاب الزيدية نظرية وتطبيق / و - ز .

جاء واسعاً رحباً ليستوعب مختلف قضايا البشرية في مختلف المجتمعات والعصور ويضع لها الحلول الإيجابية الناجعة، وإلا لما كان القرآن آخر الكتب السماوية المنزلة، ولما كان محمد خاتم الرسل والأنبياء وآخرهم حتى قيام الساعة^(١).

فإذا كان هذا هو الطابع الأول للمذهب الزيدي فمن المستحيل نسبه إلى الإمام الثائر زيد الشهيد الذي لم ترث منه الزيدية إلا بضع أحاديث من غير تحليل.

والكلام الحق إنَّ الزيدي عبارة عن من يقول بالعدل والتوحيد وإمامة زيد ابن علي بعد الأئمة، الثلاثة علي والسبطين عليه السلام ووجوب الخروج على الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب، هذا هو العنصر المقوم في كون الرجل زيدياً، وأما سوى ذلك مما يوجد في كتبهم فهو عطاء علمائهم المفكرين طيلة القرون.

وهناك من أعلام الزيدية من يصرّ على خلاف تلك النظرية، فيرى أنَّ إطلاق اسم الزيدية على أتباع الإمام زيد يرجع إليه مستنداً بقول الإمام محمد بن عبد الله النفس الزكية: «أما والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عموداً إذا اعوجَّ ولم ننحو إلا أثره ولم نقبّس إلا من نوره»^(٢).

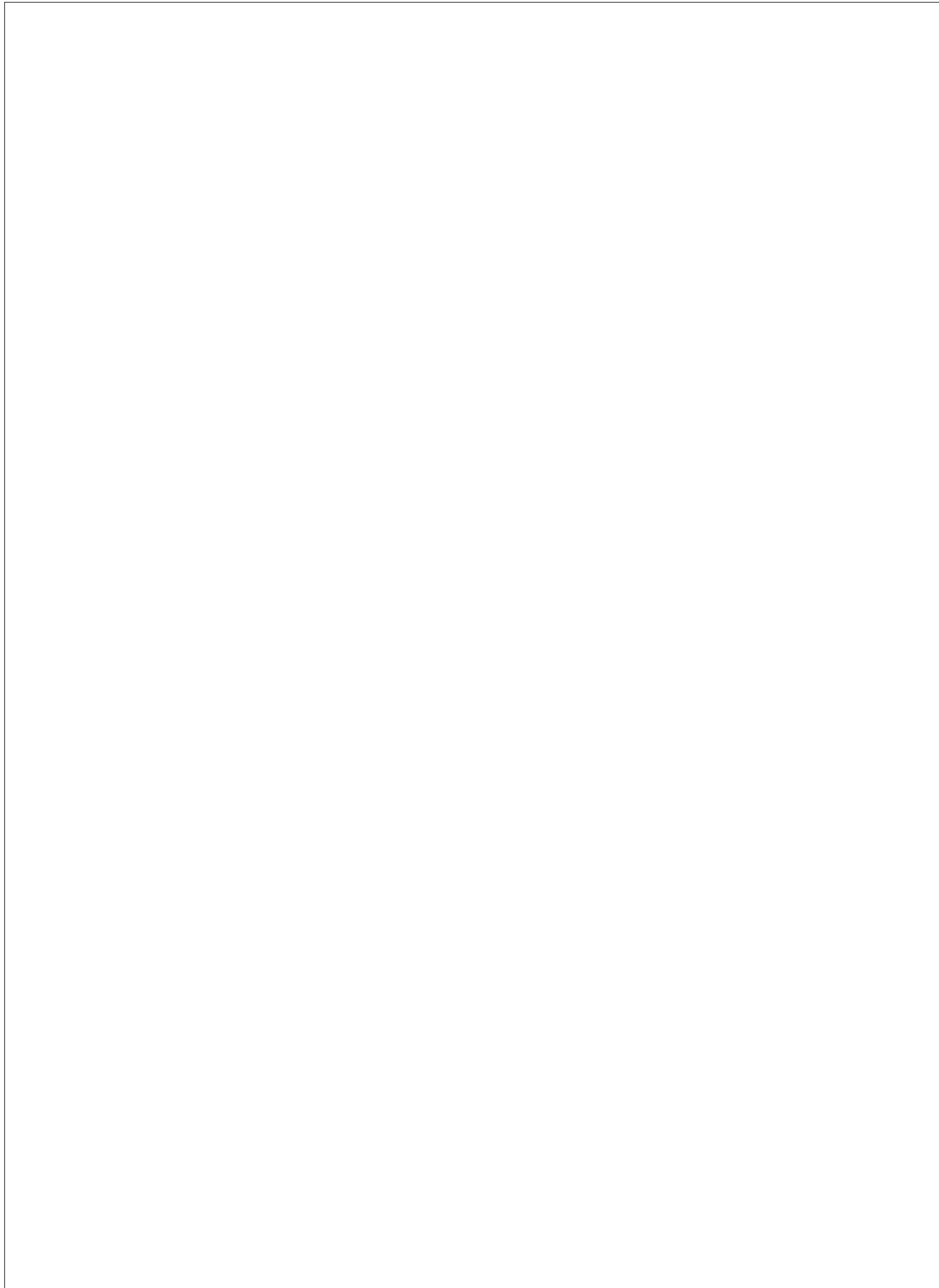
يلاحظ عليه: أنَّ النص لا يدلّ على وجود التسمية، كما لا يدلّ على أنَّ هناك منهجاً كلامياً أو فقهياً لزيد الثائر، وإنَّما يدلّ على اتباع أثره في أصل واحد وهو الثورة على الظالمين لإحياء ما اندثر من السنن، ونحن بدورنا نجلّ زيد الشهيد عن أن يفرق وحدة المسلمين وبالأخص شيعة جده أمير المؤمنين ويقسمهم إلى زيدي وغير زيدي فيوسع الصدع بدل رأيه، قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ

(١) الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية وتطبيقاً.

(٢) تقديم السيد مجد الدين على كتاب الزيدية نظرية وتطبيقاً/د.

يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿الأنعام - ٦٥﴾.

وفي نهاية المطاف إنني أرجح قول من يقول إن هذه النسبة لم يطلقها الإمام زيد على أتباعه ولا أطلقها في البداية أتباعه على أنفسهم، ولما جاء الثائرون بعد زيد، ناهجين منهجه، صارت اللفظة إشارة لمن يسلك مسلكه في مجال الخروج على الظلمة وإنقاذ المسلمين من كابوس الأمويين أو العباسيين، من دون أن يكون فيه دلالة على مذهب كلامي أو فقهي. وعلى ذلك فالزيدية شعار حرية وعزة وكرامة، وجهاد وتضحية في سبيل الله وليس شعاراً لمذهب خاص سوى ما عرفت من الإيمان بإمامة الإمام علي وسبويه عليه السلام.



الفصل التاسع

في عقائد الزيدية

قد ساقنا الغور في حياة زيد الثائر الشهيد، إلى الحكم بأنّه لم يكن صاحب منهج كلامي، ولا فقهّي فلو كان يقول بالعدل والتوحيد، ويكافح الجبر والتشبيه، فلأجل أنّه ورثهما عن أبيه وجده عن علي عليه السلام وإن كان يفتي في مورد أو موارد فقد كان يصدر عن الحديث الذي يرويه عن الرسول الأعظم عن طريق آبائه الطاهرين وهذا المقدار من المؤهلات لا يصير الإنسان، من أصحاب المناهج في علمي الكلام والفقه.

نعم جاء بعد زيد، مفكرون وعامة، وهم بين دعاة للمذهب، أو بناء للدولة في اليمن وطبرستان، فساهموا في إرساء مذهب باسم المذهب الزيديّ، متفتحين في الأصول والعقائد مع المعتزلة، وفي الفقه وكيفية الاستنباط مع الحنفية، ولكن الصلة بين ما كان عليه زيد الشهيد في الأصول والفروع وما أرسوه هؤلاء في مجالي العقيدة والشريعة منقطعة إلا في القليل منهما.

أين زيد ربيب البيت العلويّ، من القول بالأصول الخمسة التي تبناها واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، ومن جاء بعدهما من أعلام المعتزلة، حتى صارت مندسة في مذهب الزيدية، بلا زيادة ونقيصة إلى يومنا هذا؟

أين زيد الذي انتهل من المعين العذب العلويّ الذي رفض العمل بالقياس والاستحسان، من القول بأنّهما من مصادر التشريع الإسلامي كما عليه

المذهب الفقهي للزيدية؟

ومن أئمة بحياة أئمة أهل البيت ابتداءً بالإمام علي عليه السلام وانتهاءً إلى حياة الأئمة كالصادقين والكاظم والرضا، يقف على أنهم عليهم السلام في منتأى من القول بهذا وذاك، كيف وكان النزاع بينهم وبين مشايخ المعتزلة قائماً على قدم وساق وقد حفظت كتب الحديث والسير، لفيفاً منها، وكان الرفض للقياس والاستحسان والظنون التي ما أنزل بها من سلطان، شعار مذهبهم، به كانوا يُعرفون وبه كانوا يُميزون لكن - للأسف - نجد دخول هذه العناصر في مذهب الزيدية الذي ينتمي إلى أئمة أهل البيت، علي عليه السلام ومن بعده.

اتفقت الأمة الإسلامية ولا سيما الإمامية والزيدية على أن الرسول أوصى بالتمسك بالثقلين وأنه لا يعدل بهما إلى غيرهما، وشبه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أهل بيته بسفينة وقال: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وبالتالي أمر بركوبها في تمام الطريق، ولا يشك أحد في أن الباقرين والكاظمين من أئمة أهل البيت، ومع ذلك فقد فارقت الزيدية هؤلاء في حياتهم العلمية والعملية وبالتالي اقتدوا ببعض الأئمة دون البعض الآخر، وركبوا السفينة في بعض الطريق لا في جميعها وصار هذا وذاك سبباً لحدوث شقة كبيرة بين المذهب الزيدي، وما كان عليه متأخرو أئمة أهل البيت الذي وعاه عنهم شيعتهم من عصر الإمام علي إلى آخر الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، واشتهر باسم المذهب الإمامي.

ولا أغالي إذا قلت: إن المذهب الزيدي مذهب ممزوج ومنتزع من مذاهب مختلفة في مجالي العقيدة والشريعة ساقطهم إلى ذلك، الظروف السائدة عليهم وصار مطبوعاً بطابع مذهب زيد، وإن لم يكن له صلة بزيد إلا في القسم القليل.

ومن ثم التفت الزيدية في العدل والتوحيد، مع شيعة أهل البيت جميعاً، إذ

شعارهم في جميع الظروف والأدوار، رفض الجبر، والتشبيه، والجميع في التدين بدينك الأصليين عيال على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

كما أنهم التقوا في الأصول الثلاثة:

١ - الوعد والوعيد.

٢ - المنزلة بين المنزلتين.

٣ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

مع المعتزلة حيث أدخلوا هذه الأصول في مذهبهم، وحكموا بخلود مرتكب الكبيرة في النار إذا مات بلا توبة، وحرمانه من الشفاعة لأنها للعدول دون الفساق، فهي إذاً بمعنى ترفيع الدرجة لا الحط من الذنوب كل ذلك أخذاً بالأصل الأول، كما جعلوا الفاسق، في منزلة بين المنزلتين فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر بل هو فاسق، أخذاً بالأصل الثاني، ولكنهم تخطوا في الأصل الثالث وزعموا أنه أصل مختص بالمعتزلة والزيدية، مع أن الإمامية يشاركونهم في هذه الأصول عند اجتماع الشرائط، أي وجود دولة إسلامية يرأسها الإمام المعصوم أو النائب عنه باسم الفقيه العادل.

إنّ الزيدية التقت في القول بحجية القياس والاستحسان والإجماع بما هو هو، دون كونه كاشفاً عن قول المعصوم، وحجية قول الصحابي وفعله، مع أهل السنة ولذلك صاروا أكثر فرق الشيعة اعتدالاً - عند أهل السنة - وميلاً إلى التفتح معهم.

ولكنّ العلامة الفارقة والنقطة الشاخصة التي تميز هذا المذهب عما سواه من المذاهب، ويسوقهم إلى التفتح مع الإمامية والإسماعيلية هو القول بإمامة علي والحسين بالنص الجلي أو الخفي عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله والقول بأنّ تقدم غيرهم

عليهم كان خطأ وباطلاً.

هذا هو واقع المذاهب، وعموده الفقري، فقد أخذوا من كل مذهب ضغثاً.

نعم كانت عناية مشايخ الزيدية في العصور الأولى، بالنقل عن الصادقين والأخذ بقولهما أكثر من الذين جاءوا بعدهم. وهذا أحمد بن عيسى بن زيد، مؤلف الأمالي فقد أكثر فيها النقل عنهما وعن غيرهما من أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن أين هو من البحر الزخار لابن المرتضى (٧٦٤ - ٨٤٠هـ) أو سبل السلام للأمير محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني (١٠٥٩ - ١١٨٢هـ) أو الروض النضير للسباعي، أو نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار للشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ)، فإنهم لا يصدرون في عامة المسائل إلا ما شذ، إلا عما يصدر عنه فقهاء أهل السنة، فالمصادر الحديثية هي الصحاح والمسانيد، والحجج الفقهية بعد الكتاب والسنة، هي القياس والاستحسان، وكأنه لم يكن هنا باقر ولا صادق، ولا كاظم ولا رضا عليهم السلام ونسوا وتناسوا مقاماتهم وعلومهم.

نحن نأتي في هذه العجالة بأصول عقائدهم مستنديين إلى ما ألفه الإمام المرتضى في مقدمة البحر الزخار، مقتصرين على الرؤوس دون الشعب المتفرقة منها. وفي هذه القائمة لعقائدهم يتجلى مدى انتمائهم، للمعتزلة أو للسنة والشيعة، والنص لابن المرتضى بتلخيص منّا.

١ - صفاته عين ذاته، ويستحق بها صفاته لذاته لا لمعان (زائدة) خلافاً للأشعرية حيث يقول: «لمعان قديمة بذاته ليست إياه ولا بعضه ولا غيره».

وقد أشار بذلك إلى المعاني الزائدة التي أثبتها الأشعري وهي ثمانية مجموعة في قول بعضهم:

حياة، وعلم، وقدرة، وإرادة كلام وإبصار وسمع مع البقاء

٢ - لا يرى سبحانه، ولا يجوز عليه الرؤية وإلا لرأيناه الآن لا ارتفاع الموانع

الثمانية^(١). ولا اختص بجهة يتصل بها الشعاع.

٣ - ليس بذى ماهية: وعليه المعتزلة والزيدية وأكثر الخوارج والمرجئة.

٤ - حسن الأشياء وقبحها عقليان، وأكثر الزيدية على أنه يقبح الشيء لوقوعه على وجه من كونه ظلماً أو كذباً أو مفسدة إذ متى علمناه كذلك، علمنا قبحه.

٥ - مريد بإرادة حادثة: هو سبحانه مريد بإرادة حادثة. خلافاً للكلائية والأشعرية حيث قالوا بإرادة قديمة، وقالت النجارية بإرادة نفس ذاته، قلنا: إذاً للزم إيجاد جميع المرادات، إذاً لا اختصاص لذاته ببعضها.

٦ - متكلم بكلام: وكلام الله تعالى فعله الحروف والأصوات.

٧ - فعل العبد غير مخلوق فيه: وخالفت الجهمية وجعلت نسبته إلى العبد مجازاً كطال وقصر. وقالت النجارية والكلائية وضرار، وحفص: خلق الله وكسب للعبد، لنا وقوعه بحسب دواعيه وانتفاؤه بحسب كراهيته مستمراً بذلك يعلم تأثير المؤثر (العبد) سلمنا لزوم سقوط حسن المدح والذم، وسببه لنفسه، تعالى الله عن ذلك.

٨ - تكليف ما لا يطاق قبيح: وكانت المجبرة لا تلتزمه حتى صرح الأشعري بجوازه، لنا تكليف الضرير بنقط المصحف ومن لا جناح له بالطيران، معلوم قبحه ضرورة وقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَسِعَهَا﴾.

٩ - المعاصي ليس بقضاء الله.

١٠ - لا يطلق على الله أنه يضل الخلق.

١١ - الوعد والوعيد: وهو أصل في كلام المعتزلة والزيدية وقد عقد ابن المرتضى باباً وفرع عليه فروعاً والغاية المتوخاة منها، الحكم بخلود المسلم الفاسق في النار، وإن شئت قلت: خلود مرتكب الكبيرة الذي مات بلا توبة فيها ولم أعثر

(١) أشار في التعليقة إلى الموانع الثمانية فلاحظ.

على نصّ في كلام ابن المرتضى، ولكن صرّح به غير واحد من علمائهم ونأتى بنص العالم المعاصر الزيدي في كتابه «الزيدية نظرية وتطبيق» قال:

أمّا الزيدية وسائر العدلية فقالوا: من مات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة خالداً فيها أبداً، ومن مات كافراً أو عاصياً لم يتب فهو من أصحاب السعير خالداً فيها أبداً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن - ٢٣) وقوله: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ* يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (الانفطار - ١٦) وقوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة - ٨١) (١).

١٣ - مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر: بل فاسق وفي منزلة بين المنزلتين وهذا أحد أصول المعتزلة لكن الزيدية أدخلوه في الأصل السابق الوعد والوعيد، قال ابن المرتضى:
والفاسق (مرتكب الكبيرة) ليس بكافر، خلافاً للخوارج، ولا مؤمن خلافاً للمرجئة إذ هو مدح والفسق ذم فلا يجتمعان (٢).

١٤ - الإمامة تجب شرعاً لا عقلاً وعليه إجماع الصحابة.

١٥ - النص على إمامة عليّ والحسين: الأشعرية: لم ينص ﷺ على إمام بعده، وقالت الزيدية: بل نصّ على عليّ والحسين (٣) وقالت البكرية على أبي بكر.

١٦ - عقد الإمامة: وتعتقد الإمامة بالدعوة مع الكمال ولا تنعقد بالغبلة

(١) علي بن عبد الكريم: الزيدية نظرية وتطبيق: ٧٦ وقد أوضحنا عدم دلالة الآيات على ما يروونه في الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند البحث عن هذا الأصل عند المعتزلة فلاحظ.

(٢) عزب عن المرتضى إنّما لا يجوز الجمع بين المدح والذم إذا كان المبدأ واحداً أي إذا ذم ومدح لأجل ملاك واحد. دونما إذا كان المبدأ مختلفاً والحيثيات، متعددة فهو من حيث إيمانه في القلب ممدوح ومن حيث اقترافه المعصية مذموم.

(٣) وقال محقق الكتاب: ومنها قوله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وأبوهما خير منهما» رواه الأمير الحسين في كتاب الشفا ورواه الأمير الحسن بن بدر الدين في العقد الثمين.

خلاف الحشوية.

وأوضحه المحقق في هامش الكتاب وقال مع عدم المنازع فيفوز بذلك أو بأن تحصل له البيعة من الأكثرية مع وجود المنازع، وكل ذلك بعد سبق ترشيحه من ذوي الحل والعقد لمعرفة حصوله على الشروط المؤهلة له.

١٧ - معدن الإمامة البطنان: الزيدية: على أنّ معدن الإمامة البطنان، للإجماع على صحتهما ولا دليل على غيرهما، وقالت الإمامية: بل أولاد الحسين وقالت الأشعرية بل قريش.

١٨ - الإمامان في زمان واحد: أكثر الزيدية لا يصلح إمامان في زمان فقالت الكرامية والزيدية: يصح، لنا إجماع الصحابة بعد قول الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير وإذا عقد لاثنين في وقت واحد بطلا ويستأنف كنيح وليين.

١٩ - ومن اعتبر العقد: كفى بيعه واحد برضا أربعة من أهل الحل والعقد وقال أبو القاسم البلخي: يكفي واحد وإن لم يرض غيره، لنا لم يعقد عمر وأبو عبيدة لأبي بكر إلا برضا سالم وبشير وأسيد وبائع عبد الرحمن عثمان، برضا الباقيين (١).

٢٠ - الإمام بعد الرسول عليّ، ثم الحسن ثم الحسين عليهم السلام للأخبار المشهورة.

٢١ - القضاء في فذك صحيح خلافاً للإمامية وبعض الزيدية. لنا: لو كان باطلاً لنقضه علي ولو كان ظلماً لأنكره بنو هاشم والمسلمون. (٢).

٢٢ - خطأ المتقدمين على عليّ في الخلافة قطعي، لمخالفتهم، ولا يقطع

(١) أنظر كيف يستدل بفعل من ترك وصية الرسول حسب اعترافه على مسألة أصولية.

(٢) ولعله لم يبلغه قول علي عليه السلام في فذك: «نعم قد كانت في أيدينا فذك من كل ما أظلمته السماء، فشحت عليها نفوس قوم، وسخت عليها نفوس قوم آخرين ونعم الحكم الله» كما تبليغه خطبة الصديقة الطاهرة حول فذك التي كان بنو هاشم يحفظونها ويعلمونها أولادهم.

لفسقمهم إذ لم يفعلوه تمرداً بل لشبهة فلا تمنع الترضية عليهم لتقدم القطع بإيمانهم فلا يبطل بالشك فيه.

٢٣ - خطأ طلحة والزبير وعائشة قطعي لبغيهم على إمام الحق.

٢٤ - توبة الناكثين: الأكثر أنه قد صحت توبتهم، وقالت الإمامية وبعض الزيدية: لا.

٢٥ - الأكثر أن معاوية فاسق لبغيه، لم تثبت توبته فيجب التبري منه.

٢٦ - يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: بالقول والسيوف مع اجتماع الشروط قالت الحشوية: لا وقالت الإمامية: بشرط وجود الإمام لنا: «وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ» (آل عمران - ١٠٤) «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي» (الحجرات - ١٠).

هذه رؤوس عقائد الزيدية استخرجناها من كتاب القلائد في تصحيح الاعتقاد، المطبوع في مقدمة البحر الزخار ص ٥٢ - ٩٦ والمؤلف ممن يشار إليه بين علماء الزيدية، وهو مؤلف البحر الزخار، ومن أحد أئمة الفقه والاجتهاد في القرن التاسع.

النص الجلي أو الخفي على إمامة علي عليه السلام :

إن كتب تاريخ العقائد طفحت بهذا العنوان، فمثلاً نقلوا بأن الجارودية ذهبت إلى أن النبي صلى الله عليه وآله نَصَّ على إمامة علي بالوصف دون النص^(١) ومعنى هذا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قد بين الملامح العامة للإمام، وكان علي عليه السلام هو المصداق الوحيد لهذه الملامح.

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٦٧، البغدادي: الفرق بين الفرق: ٣٠.

وقال النوبختي عن الجارودية: إنّ النبي ﷺ نصّ على عليّ عليه السلام بالوصف دون التسمية، والناس مقصرون إذا لم يتعرفوا الوصف ولم يطلبوا الموصوف (١).

وربما يعبرون بأنّ النبي ﷺ نصّ على ولاية الإمام نصّاً خفياً غير جلي.

هذه الكلمات ونظائرها توجد، في التعبير عن المذهب الجارودي في مقام الإمامة.

وأما السليمانية أو الجريرية فأظهروا المرونة أكثر من الجارودية، فقد قالوا: إنّ الإمامة شوريّ وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأئمة، وأجازوا إجازة المفضول وأثبتوا إمامة أبي بكر وعمر، وزعموا أنّ الأئمة تركت الأصل في البيعة لها، لأنّ عليّاً كان أولى بالإمامة منهما، إلّا أنّ الخطأ في بيعتهما لم يوجب كفراً ولا فسقاً (٢).

والذي أظن - وظنّ الألمي صواب - أنّ النظرتين قد صدرتا تقيّة وصيانة لوجودهم بين أهل السنّة. ومع أنّ الزيدية يرفضون التقيّة كما سيوافيك، ولكنّهم عملوا بها حيث لا يشاؤون، فإنّهم قد عاشروا أهل السنّة في بيئة واحدة ومجتمع واحد تربطهم أحكام واحدة، حيث رأوا أنّ التعبير عن واقع المذهب أي وجود النصّ على الاسم وإن شئت قلت: وجود النصّ الصريح يستلزم تفسيق الصحابة، وهذا لا يتلائم وطبيعة حياتهم، فلذلك جعلوا من هذا التعبير واجهة لعقيدتهم الواقعية فجمعوا - حسب زعمهم - بين العقيدة والهدف في الحياة. كيف وأئمة أهل البيت عليه السلام عن بكرة أبيهم يرون النصّ على خلافة عليّ عليه السلام وهذا المميز لشيعة أئمة أهل البيت عن غيرهم. والذي يميز الشيعة عن غيرهم من الفرق هو هذا العنصر فقط، وما سوى ذلك عقائد كلامية مستخرجة من الكتاب

(١) النوبختي: فرق الشيعة: ٧٤.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين: ٦٨، البغدادى: الفرق بين الفرق: ٣٢.

(٤٧٣)

والسنة.

فإن كان ما ذكرناه مقبولا لدى القارئ وإلا فإن هذا النوع من التفكير تطرق إلى المذهب الزيدي في العصور السابقة عن طريق معاشرتهم مع معتزلة بغداد، الذين قالوا بأفضلية الإمام علي عليه السلام وجواز تقديم المفضول على الفاضل. وقد مرّ تحقيق القول في ترجمة حمزة بن عبد الله فلاحظ.

العقد الثمين في معرفة رب العالمين

تأليف الأمير الحسين بن بدر الدين محمد

(٥٨٢ - ٦٦٢)

بعد أن أخرجت عقائد الزيدية من كتاب البحر الزخار، وقفت على رسالة مختصرة باسم العقد الثمين في معرفة رب العالمين لمؤلفه العلامة الأمير الحسين بن بدر الدين محمد المطبوع باليمن، نشرته دار التراث اليمني صنعاء، ومكتبة التراث الإسلامي بصعده وهي من أوائل الكتب الدراسية في حقل أصول الدين والمؤلف من أجّل علماء الزيدية، وأكثرهم تأليفاً وتعد كتبه من أهم الأصول التي يعتمد عليها علماء الزيدية ويدرسونها كمناهج^(١) وإليك نصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المختص بصفات الإلهية والقدم، المتعالي عن الحدود والعدم، الذي لم يسبقه وقت ولا زمان، ولا تحويه جهة ولا مكان، جلّ سبحانه. دلّ على ذاته بما ابتدعه من غرائب مصنوعاته، وعجائب مخلوقاته، حتى نطق صامتتها بالإقرار بربوبيته بغير مدّود، وبرز مجادلاً لكل من عطل وألحد.

وصلواته وسلامه على سيدنا محمد الذي هو بالمعجزات مؤيد، وفي المرسلين مرجّب ومسوّد، وعلى آله الغرّ الهداة، والولاة على جميع الولاة، وعلى صحابته

(١) إقرأ ترجمته في: تاريخ اليمن الفكري: ٢٨٩/٣ و ٣٠٨، والاعلام: ٢٥٥/٢، التحف شرح الرلف: ١٧٨.

المكرّمين المؤيدين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

التوحيد

[الدلالة على أن الله تعالى خالق العالم]

أيّها الطالب للرشاد، والهارب بنفسه عن هُوة الإلحاد.

فإذا قيل لك: من ربك؟

فقل: ربي الله.

فإن قيل لك: بم عرفت ذلك؟

فقل: لأنّه خلّقي، ومن خلّق شيئاً فهو ربّه.

فإن قيل لك: بم عرفت أنّه خلّقك؟

قل: لأنّي لم أكن شيئاً ثم صرْتُ شيئاً، ولم أكن قادراً ثم صرت قادراً، و [كنت] صغيراً ثم صرت كبيراً، ولم أكن عاقلاً ثم صرت عاقلاً، وشاهدت الأشياء تحدث بعد أن لم تكن؛ فرأيت الولد يخرج ولا يعلم شيئاً، ثم يصير رضيعاً، ثم طفلاً، ثم غلاماً، ثم بالغاً، ثم شاباً، ثم كهلاً، ثم شيخاً. ثم رأيت نحو ذلك من هبوب الرياح بعد أن لم تكن، وسكونها بعد هبوبها، وطلوع الكواكب بعد أفولها، وأفولها بعد طلوعها، وظهور السحاب وزواله، وكذلك المطر والنبات والثمار المختلفة. وكل ذلك دلائل الحدوث.

وإذا كانت محدثة فلا بد لها من محدث، لأنّها قد اشتركت في الجسميّة، ثم افترقت هيئاتها وصورها؛ فننظر سماءً، وأرضاً، وثماراً، وأشجاراً، وأباراً، وبحوراً، وأنهاراً، وإنثاءً، وذكوراً، وأحياءً، وأمواتاً، وجمعاً، وأشتاتاً.

وكذلك ننظر إلى الأعراض الضروريات المعلومات، فإنّها اشتركت في كونها أعراضاً، ثم افتترقت وانقسمت بين شهوة ونفرة، وحياة وقدرة، ويبوسة ورطوبة، وطُعم ومكروهة ومحبوبة، وروائح شتى، وحرّ وبرد، ووجاء وفناء، وألوان متضادة على المحل، وموت يقطع الرزق والأمل.

فنعرف أنّه لا بد من مخالف خالف بينها، وأحدث ماشاهدنا حدوثه منها، وأنّه غير لها، لأنّها لا تُحدث نفسها، إذ الشيء لا يُحدث نفسه، لأنّه يُؤدّي إلى أن يكون قبل نفسه، وغيراً لها، وكذلك لا تصوّر أنفسها، ولا تخالف بين هيئتها، ولا يقع ذلك بشيء مما يقوله الجاهلون، من طبع أو مادة، أو فلك، أو نجم، أو علة، أو عقل، أو روح، أو نفس، أو غير ذلك مما يقولونه؛ لأنّ ذلك إن كان من قبيل الموجبات لم تخل: أن تكون موجودة، أو معدومة. والموجودة لا تخل: أن تكون قديمة، أو محدثة. ولا يجوز ثبوت ذلك لعلّة قديمة ولا معدومة، لأنّه لو كان كما زعموا لكان يلزم وجود العالم بما فيه في الأزل، واستغناؤه عن تلك العلل.

ولا يجوز أن يكون ثبوت ذلك لعلّة محدثة، لأنّها لا تخلو: إمّا أن تكون مماثلة لما تقدم [منها]، أو مخالفة [له]، إن كانت مماثلة وجب أن يكون معلولها متماثلاً، وفي علمنا باختلاف ذلك العالم دلالة على بطلان القول بأنّه عن علة مماثلة أو علل متماثلات.

ولا يجوز أن يكون لعلّة مخالفة، ولا علل مخالفة، لأنّها حينئذ تكون قد شاركت العالم في الاختلاف؛ الذي لأجله احتاج إليها، فيدور الكلام إلى ما لا يعقل ولا ينحصر من العلل.

فيجب الاقتصار على المحقّق المعلوم، والقضاء بأنّ الذي أحدثها وصوّرها، وخالف بينها هو الفاعل المختار، وهو الحيّ القيوم.

فصل [في أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ]

فإن قيل: ربك قادر، أم غير قادر؟

فقل: بل هو قادر؛ لأنَّه أوجد هذه الأفعال التي هي العالم، والفعل لا يصح إلا من قادر. أوجده تعالى لا بمماسَّة، ولا بآلة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

فصل [في أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ]

فإن قيل: أربك عالم، أم غير عالم؟

فقل: بل هو عالم، وبرهان ذلك ما نشاهده فيما خلقه من بدائع الحكمة، وغرائب الصنعة؛ فإن فيها من الأحكام والترتيب، ما يعجز عن وصفه اللبيب، وكل ذلك لا يصح إلا من عالم، كما أنَّ الكتابة المحكَّمة لا تصح إلا من عالم بها، وهو تعالى لا يختص بمعلوم دون معلوم، فيجب أن يعلم جميع المعلومات، على كل الوجوه التي يصح أن تعلم عليها.

وهو سبحانه يعلم ما أجنَّ الليل، وأضاء عليه النهار، ويعلم عدد قطر الأمطار، ومثاقيل البحار، ويعلم السرّ - وهو ما بين اثنين - وما هو أخفى - وهو ما لم يخرج من بين شفتين - ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] بعلمه لا يلاصقهم، وهو شاخص عنهم ولا يفارقهم.

فصل [في أَنَّ الله تعالى حي]

فإن قيل: أربك حي، أم لا ؟

فقل: بل حي، لأنَّه تعالى لو لم يكن حياً لم يكن قادراً، ولا عالماً، لأن الميِّت والجماد لا يفعلان فعلاً، ولا يحدثان صنعاً.

فصل [في أَنَّ الله تعالى قديم]

فإن قيل: أربك قديم، أم غير قديم؟

فقل: هو موجود لا أوَّل لوجوده؛ لأنَّه لو كان لوجوده أوَّل لكان محدثاً، ولو كان محدثاً لاحتاج إلى محدث، إلى ما لا يتناهى، وذلك محال، فهو قديم، قادر، حي، عليم، لم يزل ولا يزال، ولا يخرج عن ذلك في حال من الأحوال، لأنَّه لو لم يكن كذلك لم يكن له بدُّ من فاعل فعله، وجاعلٍ - على صفات الكمال - جعله، أو يكون لعلَّة، وقد ثبت أنَّه تعالى قديم؛ فلا يصح القول بشيء من ذلك.

فصل [في أَنَّ الله تعالى سميع بصير]

فإن قيل: أربك سميع بصير؟

فقل: أجل لأنَّه حيُّ كما تقدم، ولا يعتريه شيء من الآفات، لأنَّ الآفات لا تجوز إلا على الأجسام، وهو تعالى ليس بجسم، لأنَّ الأجسام محدثة كما تقدم، وهو تعالى قديم أيضاً.

فصل في أنّ الله تعالى لا يشبه الأشياء

فإن قيل: أربك مشبه الأشياء؟

فقل: ربّي لا يشبه الأشياء؛ لأنّ الأشياء سواء: جوهر، وعرض، وجسم. ولا يجوز أن يكون جوهرًا، ولا عرضًا؛ لأنّهما غير حيّين ولا قادرين، وهو تعالى حيّ قادر، ولأنّهما محدّثان وهو قديم ولا يجوز أن يكون جسمًا، لأنّنا قد بيّنا أنّه خالق الأجسام، والشّيء لا يخلق مثله، ولأنّ الجسم مؤلّف مصنوع، يفترق ويجتمع، ويسكن ويتحرّك، ويكون في الجهات، وتسبّقه الأوقات، وكل ذلك شواهد الحدوث، وقد ثبت أنّه تعالى قديم، فلا يجوز أن يكون محدّثًا بل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وإذا لم يكن جوهرًا ولا جسمًا ولا عرضًا لم يوصف بالكيف، ولا الأين، ولا الحيث، ولا البين، ولا الوجه، ولا الجنب، ولا اليدين، لم يقطعه بعد، ولم يسبقه قبل، ولم يجزّئه بعض، ولا جمعه كلّ، ليس في الأرض ولا في السماء، ولا حلّ في متحيّز أصلاً، ولا حدّه فوق ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا خلف، ولا أمام، ولا يجوز عليه المجيء ولا الذهاب، ولا الهبوط ولا الصعود.

كان قبل خلق العالم ولا مكان، ويكون بعد فناء العالم ولا مكان، وهو خالق المكان مستغن عن المكان، وخالق الزمان فلم يتقدمه زمان، ليس بنور ولا ظلام، لأنّ جميع ما ذكر فإن في القدم. ولأجل ذلك نقول: إنّّه لا يجوز أن يقال: هو طويل، ولا قصير، ولا عريض ولا عميق، ولا شويه ولا مليح، ولا أن يقال: هو يسترّ أو يغتم، أو يظنّ أو يهتم، أو يعزم، أو يؤلّم، أو يلتذّ أو يشتهي، أو ينفّر، لأنّ ذلك كلّ شواهد الوجود بعد العدم، ومنافٍ لما هو عليه من صفات الكمال والعظمة والجلال.

فصل [في آيات الصفات]

فإن قيل: إنه قد ذكر في القرآن: ﴿يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (المائدة: ٦٤)، وإن له جنباً، وعيناً، وأعيناً، ونفساً، وأيدٍ، لقوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْهُ أَيْدِينَا﴾ [يس: ٧١] ووجهها.

فقل: يده نعمته، ويده قُدرته، والأيدي هي: القدرة، والقوة أيضاً.
وجنباً في قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] أي: في طاعته.

ونفساً في قوله تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، المراد به: تعلم سرّي وغيبّي، ولا أعلم سرّك وغيبك.

ووجهه: ذاته، ونفسه: ذاته، وقوله تعالى: ﴿فَشَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] أي: الجهة التي وجهكم إليها.

وما ذكر من العين والأعين فالمراد به الحفظ والكلاءة والعلم.
وقوله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، استواؤه: استيلاؤه بالقدرة والسلطان، ليس كمثله شيء، ولا يشبهه ميت ولا حي.

فصل [في أن الله تعالى غني]

فإن قيل: أربك غني أم لا ؟

فقل: إنه غني لم يزل ولا يزال، ولا تجوز عليه الحاجة في حال من الأحوال، لأن الحاجة لا تجوز إلا على من جازت عليه المنفعة والمضرة، واللذة والألم، وهذه الأمور لا تجوز إلا على من جازت عليه الشهوة والنفرة، وهما لا يجوزان إلا على الأجسام؛ فيستتر الجسم بإدراك ما يشتهيهِ ويلتذ به، وينمو ويزداد بتناوله، ويغتم

بإدراك ما ينفر عنه ويتضرر به، وينقص بتناوله. وقد ثبت أنه تعالى ليس بجسم، بل هو خالق الجسم، فكيف يخلق مثل ذاته، أو تشاركه الأجسام في صفاته؟! بل لا يجوز عليه شيء من ذلك.

فصل [في أن الله لا يرى بالأبصار]

فإن قيل: أربك يرى بالأبصار، أم لا يرى؟

فقل: هذه مقالة باطلة عند أولي الأبصار، لأنه لو رئي في مكان لدل ذلك على خدوثة، لأن ما حواه محدودٌ محدث.

فإن قيل: إنه يرى في غير مكان. فهذا لا يعقل، بل فيه نفي الرؤية، وقد قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فنفي نفيًا عامًا لجميع المكلفين، و [الجميع] أوقات الدنيا والآخرة.

وقال الله تعالى لموسى - لما سأله الرؤية - ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ولم يسأل موسى ^{عليه السلام} الرؤية لنفسه، بل عن سؤال قومه، كما حكاها الله في قصص قومه: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [النساء: ١٥٣]، ولو سألتها لنفسه لصعق معهم. ولما لم يقع منه خطيئة إلا سؤاله لهم الرؤية من دون إذن، قال لربه عز وجل: ﴿اتَّهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

فصل [في أن الله تعالى واحد]

فإن قيل: أربك واحد لا ثاني له، أم لا؟

فقل: بلى هو واحد لا ثاني له في الجلال، متفرد هو بصفات الكمال؛ لأنه لو

كان معه إله ثان لوجب أن يشاركه في صفات الكمال على الحد الذي اختصّ بها، ولو كان كذلك لكان على ما قدر قادراً، ولو كان كذلك لجاز عليهما التشاجر والتنازع، ولصح بينهما التعارض والتمانع، ولو قدرنا هذا الجائز لأدى إلى اجتماع الضدين من الأفعال، أو عجز القديم عن المراء، وكل ذلك محال، تعالى عنه ذو الجلال؛ لقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (الأنبياء: ٢٢)، ولقوله عزّ قائلًا: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦] فتبين أن الخلق يشهد بإله واحد، وأنه ليس هناك خلق ثانٍ يشهد بإله ثان، وهذا واضح؛ فإنّ هذا العالم دليل على إله واحد وهو الذي أرسل الرسل، وأوضح السبيل.

ويُدل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿وَالْهَكْمَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١].

(العدل)

[فصل في أن الله تعالى عدل حكيم]

فإن قيل: أربك عدل حكيم؟

فقل: أجل، فإنه لا يفعل القبح ولا يخلّ بالواجب من جهة الحكمة، وأفعاله كلّها حسنة.

وإنما قلنا: إنه لا يفعل القبيح لأنه إنّما يقع ممن جهل قبحه، أو دعتة حاجة إلى فعله وإن علم

قبحه، وهو تعالى عالم بقبح القبائح؛ لأنّها من جملة المعلومات

وهو عالم بجميعها كما تقدم، وغني عن فعلها كما تقدم أيضاً، وعالم باستغنائه عنها، وكل من كان بهذه الأوصاف فإنه لا يفعل القبيح، ألا ترى أن من ملكه ألفي ألف قنطارٍ من الذهب؛ فإنه لا يسرق الدانق، لعلمه بقبح السرقة، وغناه عن أخذ الدانق، وعلمه باستغنائه عنه، وكذلك لو قيل للعاقل: إن صدقت أعطيناك درهماً، وإن كذبت أعطيناك درهماً، فإنه لا يختار الكذب - في هذه الحال - على الصدق، [وهما] على وتيرة واحدة، وطريقة مستمرة، ولا علة لذلك إلا ما ذكرناه.

فصل [في أن أفعال العباد منهم] ^(١)

فإن قيل: هل ربك خلق أفعال العباد؟

فقل: لا يقول ذلك إلا أهل الضلال والعناد، كيف يأمرهم بفعل ما قد خلق وأمضى، أو ينهاهم عن فعل ما قد صوّر وقضى، ولأنّ الإنسان يلحقه حكم فعله من المدح والثناء، والذم والاستهزاء، والثواب والجزاء، فكيف يكون ذلك من العلي الأعلى؟! ولأنّه يحصل بحسب قصده ودواعيه، وينتفي بحسب كراهته وصرفه على طريقة واحدة، ولأنّ الله تعالى قد أضاف أفعال العباد إليهم، فقال:

﴿يَكْسِبُونَ﴾، و ﴿يَمْكُرُونَ﴾، و ﴿يَفْعَلُونَ﴾، و ﴿يَصْنَعُونَ﴾، و ﴿يَكْفُرُونَ﴾، و ﴿يَخْلُقُونَ﴾^(١)، ونحو ذلك في القرآن كثير، ولكنه تعالى أمر تخييراً، ونهى تحذيراً، أقدرهم على فعل الضدين، وهما النجدين، ومكنهم في الحالين، لم يمنعه عن فعل المعاصي جبراً، ولا قهرهم على فعل الطاعات قهراً،

(١) التعبير موهم للتفويض وهنا تفرق الزيدية عن الإمامية، فإن لأفعال العباد عند الإمامية نسبتين: نسبة إلى الله سبحانه، ونسبة إلى العبد، ولأجل وجود النسبة، فأفعالهم منسوبة إليهم بالمباشرة وهم الفاعلون حقيقة، وإلى الله سبحانه بنحو من النسب إمّا بالتسبيب، أو اللطف منها، ولأجل ذلك روى عن الأئمة (عليهم السلام) أنه: «لا جبر ولا تفويض».

ولو شاء لفعل كما قال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [يونس: ٩٩] يريد به مشيئة الإجماع لا مشيئة الاختيار، لأنه لو أكرههم لم يكونوا مكلفين، ولَبَطَل الغرض ببعثة المرسلين.

فصل [في أن الله لا يعذب أحداً إلا بذنبه]

فإن قيل: ربك يعذب أحداً بغير ذنبه؟

فقل: لا يعذب أحداً إلا بذنبه؛ لأن عقاب من لا ذنب له ظلم، والظلم قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

فصل [في أن الله لا يقضي إلا بالحق]^(١)

فإن قيل: أربك يقضي بغير الحق؟

فقل: كلا، بل لا يقضي بالكفر والفساد، لما في ذلك من مخالفة الحكمة والسداد، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [غافر: ٢٠]، فلا يجوز القول بأن المعاصي بقضاء الله تعالى وقدره بمعنى الخلق والأمر، لأنها باطل، ولأن إجماع المسلمين منعقد على أن الرضى بالمعاصي لا يجوز، وإجماعهم منعقد على أن الرضا بقضاء الله واجب، ولا مخلص إذاً من ذلك إلا بالقول بأن المعاصي ليست بقضاء

(١) العنوان حسن جداً، لكن إخراج المعاصي عن مجال قضائه وإرادته سبحانه يستلزم التفويض الممقوت، فالحق أن كل ما يوجد في الكون من حسن وجميل، وإيمان وكفر، وطاعة وعصيان، ليس خارجاً عن قضائه وعلمه وإرادته لكن على وجه لا يستلزم الجبر ولا يسلب الاختيار. والتفصيل يطلب من محله.

الله؛ بمعنى أنه خلقها، ولا أنه أمر بها، وأما أنه تعالى عالم بها فهو تعالى عالم بها، لأنها من جملة المعلومات، وعلمه بها لم يحمل العبد على فعلها، ولم يجبره على صنعها كما تقدم.

فصل في أن الله لا يكلف أحداً فوق طاقته^(١)

فإن قيل: هل ربك يكلف أحداً فوق طاقته؟

فقل: لا، بل لا يكلف أحداً إلا ما يطيق؛ لأن تكليف ما لا يطاق قبيح، وهو تعالى لا يفعل القبيح، فقد قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، والوسع: دون الطاقة، وقال: ﴿إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: ٧].

فصل في أن الله لا يريد شيئاً من القبائح^(١)

فإن قيل: أربك يريد شيئاً من القبائح؟

فقل: إنه تعالى لا يريد شيئاً منها، فلا يريد الظلم، ولا يرضى الكفر، ولا يحب الفساد، لأن ذلك كله يرجع إلى إرادة القبيح، وإرادة القبيح هي قبيحة، وهو تعالى لا يفعل القبيح. ألا ترى أنه لو أخبرنا مخبر ظاهره العدالة، بأنه يريد الزنا والظلم لسقطت عدالته، ونقصت منزلته، عند جميع العقلاء، ولا علة لذلك إلا أنه أتى قبيحاً، وهو إرادة القبيح.

وقد قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧١].

وقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١].

(١) مضى الكلام فيه في التعليقة السابقة.

فصل [في أن الله لا يفعل ما هو مفسدة]

فإن قيل: فهل ربك يفعل لعباده ما هو مفسدة؟

فقل: كلا، بل لا يفعل إلاّ الصّلاح، ولا يبلوهم إلاّ بما يدعوهم إلى الفلاح، سواء كان ذلك محنة أو نعمة؛ لأنّه تعالى لا يفعل إلاّ الصّواب والحكمة كما تقدم، فإذا أمرضهم وابتلاهم أو امتحنهم بفوت ما أعطاهم، فلا بُدّ من اعتبار المكلفين؛ ليخرج بذلك عن كونه عبثاً، وقد نبّه على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا هُمْ يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٦]، ولا بُدّ من العوّض الموقفي على ذلك بأضعاف مضاعفة، ليخرج بذلك عن كونه ظلماً، وقد ورد ذلك في السنّة كثيراً، والغرض الاختصار.

(النبوة)

فصل [في معرفة النبي ﷺ]

فإن قيل: فقد أكملت معرفة ربك، فمن نبيك؟

فقل: محمد ﷺ.

فإن قيل: فما برهانك على ذلك؟

فقل: لأنّه جاء بالمعجزة عقيب ادّعاءه النبوة، وكل من كان كذلك فهو نبي صادق.

فإن قيل: فما برهانك على أنّه جاء بالمعجزة عقيب ادّعاءه النبوة؟

فقل: المعلوم ضرورة أنّه كان في الدنيا قبيلة تُسمّى قريش، وأنّ فيهم قبيلة تسمّى: بنو هاشم، وأنّه كان فيهم رجل اسمه: محمد بن عبد الله، والمعلوم ضرورة

أنه ادعى النبوة، وأنه جاء بالقرآن بعد ادعاء النبوة، وأنه مشتمل على آيات التحدي، وأنه كان يتلوها على المشركين ويسمعونها وهم التّهاية في الفصاحة، والمعلوم ضرورةً شدةً عداوتهم له. وإنما قلنا: بأنه معجز لأنه تحداهم على أن يأتيوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم على أن يأتيوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم بأن يأتيوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك؛ لأنهم لو قدروا على معارضته - مع شدة عداوتهم له وعلمهم بأن معارضته بمثل ما جاء به تبطل دعواه - لما عدلوا عنها إلى الشاق من محاربته، التي لا تدل على بطلان دعواه، فدل ذلك على كونه معجزاً. ولأن القرآن مشتمل على الإخبار بالغيوب المستقبل، وعلى الإخبار عن الأمور الماضية، فكان الأمر على ما أخبر في الماضي والمستقبل، فدل ذلك على كونه معجزاً، لا يقدر عليه أحد من البشر.

وله معجزات كثيرة تقارب ألف معجزة، نحو: مجيء الشجرة إليه، وجريها على الماء كالسفينة، وسير الشجرة، وإحيائه الموتى، وتسبيح الحصى في يده، ونحو ذلك كثير، وإنما قلنا بأن من كان كذلك فهو نبي صادق؛ لأن إظهار المعجز على أيدي الكذابين قبيح، وهو تعالى لا يفعل، وإذا ثبت صدقه وصحت نبوته، وجب تصديقه فيما أخبرنا به عن الأنبياء والمرسلين قبله، ووجب القضاء بصحة نبوتهم وتصديق رسالتهم، وهذا واضح.

فصل [في معرفة القرآن]

فإن قيل: فما اعتقادك في القرآن؟

فقل: اعتقادي أنه كلام الله تعالى، وأنه كلام مسموع محدث مخلوق.

فإن قيل: فما دليلك على ذلك؟

فقل، أمّا قولي: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى، فلقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، المعلوم أن الكلام الذي سمعه المشركون ليس بشيء غير هذا القرآن، ولأنّ المعلوم ضرورة أنّ النبي ﷺ كان يدين ويخبر بذلك، وهو لا يدين إلاّ بالحق، ولا يخبر إلاّ بالصدق، لأنّ ظهور المعجز على يديه قد استأمن وقوع الخطأ فيما يدين به، وظهور الكذب فيما يخبر به.

وأمّا قولي: إِنَّهُ مَسْمُوعٌ فَذلك معلوم بالحسّ ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن: ١) والمعلوم ضرورة أنّ ذلك المسموع هذا القرآن.

وأمّا قولي: إِنَّهُ مُحَدَّثٌ؛ فَلأنّهُ فعل من أفعاله تعالى، والفاعل متقدم على فعله بالضرورة، وما يتقدمه غيره فهو مُحَدَّثٌ، ولأنّ بعضه متقدم على بعض، وذلك يدل على أنّه مُحَدَّثٌ، ولقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]، والذكر هو القرآن، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي شرف لك ولقومك.

وأمّا قولي: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ؛ فَلأنّهُ مُرَتَّبٌ مَنْظُومٌ على مقدارٍ معلومٍ موافقٍ للمصلحة. بهذه الصفة المنزلة جاز وصفه بأنه مخلوق، ولما رواه عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ أنّه قال: «كان الله ولا شيء ثم خلق الذكر»، والذكر هو القرآن كما تقدم.

ثم قل: وأعتقد أنّه حق لا باطل فيه، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١ و ٤٢].

ثم قل: وأعتقد أنّه لا تناقض فيه ولا تعارض ولا اختلاف، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

(الإمامة)

فصل في إمامة الإمام علي عليه السلام

فإن قيل: من أول الأئمة بعد رسول الله ﷺ، وأولى الأمة بالخلافة بعده بلا فصل؟

فقل: ذلك أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب.

فإن قيل: هذه دعوى، فما برهانك؟

فقل: الكتاب، والسنة، وإجماع العترة.

أما الكتاب، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، ولم يؤت الزكاة في حال ركوعه غير علي عليه السلام، وذلك أن سائلاً سأل على عهد رسول الله ﷺ في حال ركوع علي في الصلاة، وذلك في مسجد النبي ﷺ، فلم يعطه أحد شيئاً، فأشار إليه عليه السلام بخاتمه وهو راکع ونواه زكاة، فأخذه السائل، فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية على رسول الله ﷺ في الحال، فكانت في علي عليه السلام خاصة دون غيره من الأمة. وهي تفيد معنى الإمامة لأن الولي هو: المالك للتصرف، كما يقال هنا: ولي المرأة، وولي اليتيم، أي المالك للتصرف عليهما.

وأما السنة، فخير الغدير، وهو قوله ﷺ: «أستأولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله»، فقال له عمر: بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

وروينا عن المؤيد بالله بإسناده إلى الصادق جعفر بن محمد الباقر أنه سُئِلَ

عن معنى هذا الخير، فقال: سئل عنها - والله - رسول الله ﷺ فقال: «الله مولاي أولى بي من نفسي لا أمر لي معه، وأنا ولي المؤمنين أولى بهم من أنفسهم لا أمر لهم معي، ومن كنت مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معي، فعلي مولاه أولى به من نفسه لا أمر له معه».

وإذا ثبت ذلك فإنه يفيد معنى الإمامة: لأننا لا نعني بقولنا: فلان إمام إلا أنه أولى بالتصرف في الأمة من أنفسهم، ولأن لفظ المولى لا يفهم منه إلا مالك بالتصرف، كما يقال: هذا مولى العبد، أي المالك للتصرف فيه، وهذا يفيد معنى الإمامة كما تقدم.

ومما يدل على ذلك من السنة: (خبر المنزلة) وهو معلوم كخبر الغدير، وهو قوله ﷺ لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانيي بعدي»، فاستثنى النبوة، فدل ذلك على شموله لخصال الفضل كلها، ومن جملتها ملك التصرف على الأمة، وأنه أولى الخلق بالتصرف منهم، وذلك معنى الإمامة كما تقدم.

وأما الإجماع فإجماع العترة منعقد على ذلك.

فصل في إمامة الحسين

فإن قيل: لمن الإمامة بعد علي عليه السلام؟

فقل: هي للحسن ولده من بعده، ثم هي للحسين من بعد أخيه عليه السلام.

فإن قيل: فما الدليل على إمامتهما؟

فقل: الخبر المعلوم، وهو قول النبي ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير

منهما»، وهذا نص جلي على إمامتهما، وفيه إشارة إلى إمامة

أبيهما، لأنه لا يكون خيراً منه إلا إمام شاركه في خصال الإمامة وزاد عليه فيها، فيكون حينئذ خيراً منه، وهذا واضح، والإجماع منعقد على أنه لا ولاية لهما على الأمة في زمن النبي ﷺ، ولا في زمن علي عليه السلام إلا عن أمرهما، وأنه لا ولاية للحسين في زمن أخيه الحسن إلا عن أمره، فبقيت الإمامة مخصوصة بالإجماع.

فصل [في الإمامة بعد الحسنين] ^(١)

فإن قيل: لمن الإمامة بعدهما؟

فقل: هي محصورة في البطينين ومحظورة على من عدا أولاد السبطين، فهي لمن قام ودعا من أولاد من ينتمي نسبه من قبل أبيه إلى أحدهما، متى كان جامعاً لخصال الإمامة، من: العلم الباهر، والفضل الظاهر، والشجاعة، والسخاء، وجودة الرأي بلا امتراء، والقوة على تدبير الأمور، والورع المشهور.

فإن قيل: ما الذي يدل على ذلك؟

فقل: أمّا الذي يدل على الحصر فهو أن العقل يقضي بقبح الإمامة، لأنها تقتضي التصرف في أمور ضارة من القتل، والصّلب، ونحوهما، وقد انعقد إجماع المسلمين على جوازها في أولاد فاطمة عليها السلام، ولا دليل يدل على جوازها في غيرهم، فبقي من عداهم لا يصلح، ولأنّ العترة أجمعت على أنّها لا تجوز في غيرهم، وإجماعهم حجة.

وأما الذي يدل على اعتبار خصال الإمامة التي ذكرنا فهو إجماع المسلمين.

فإن قيل: فسروا لنا هذه الخصال.

فقل: أمّا العلم، فإنّه يكون عارفاً بتوحيد الله وعدله، وما يدخل تحت ذلك،

(١) الإمامية قائمة بالنص بعدهما إلى الإمام الثاني عشر، فالمخالفة بين الطائفتين واضحة في هذا المقام.

وأن يكون عارفاً بأصول الشرائع وكونها الأدلة، وهي أربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، والمراد بذلك أن يكون فهماً في معرفة أوامر القرآن والسنة ونواهيها، وعامهما، وخاصهما، ومجملهما، ومبينهما، وناسخهما، ومنسوخهما، عارفاً بمواضع الوفاق، وطُرُق الخلاف في فروع الفقه، لئلاً يجتهد في مواضع الإجماع، فيتحرى في معرفة القياس والاجتهاد، ليتمكنه ردّ الفرع إلى أصله.

وأما الفضل، فأن يكون أشهر أهل زمانه بالزيادة على غيره في خصال الإمامة أو كأشهرهم. وأما الشجاعة، فإنه يكون بحيث لا يجبن عن لقاء أعداء الله، وأن يكون رابط الجأش وإن لم يكثر قتله وقتاله.

وأما السخاء، فأن يكون سخياً بوضع الحقوق في مواضعها. وأما جودة الرأي، فأن يكون بالمنزلة التي يُرجعُ إليه عند التباس الأمور. وأما القوة على تدبير الأمور، فلا يكون منه نقص في عقله، ولا آفة في جسمه، يضعف لأجل ذلك عن النظر في أمور الدين وإصلاح أحوال المسلمين. وأما الورع، فأن يكون كافاً عن المقبحات، قائماً بالواجبات.

فرع [في طريق معرفة مواصفات الإمام]

فإن قيل: فما الطريق إلى إثبات كونه على هذه الخصال؟
فقل: أما كونه عالماً فيحصل العلم به للعلماء بالمباحثة والمناظرة، ويحصل لغيرهم من الأتباع العلم بكونه عالماً بوقوع الإطباق والإجماع على كونه كذلك.
وأما سائر الخصال فلا بد من حصول العلم بكونه عليها، وإن كان غائباً، فإنه يحصل العلم التواتري بذلك، وكذلك حكم العلم إذا كان غائباً، فإن طريق

العلم به الأخبار المتواترة للعلماء وغيرهم، وإن كان حاضراً فلا بد من حصول العلم بكونه جامعاً لها، لأنها من أصول الدين، فلا يأخذ بالأمارات المقتضية للظن بكونه جامعاً لها.

فصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فإن قيل: فماذا تدين به في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

فقل: أدين الله تعالى أنه يجب الأمر بالمعروف والواجب والنهي عن المنكر؛ لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وإنما قلنا: إنه يجب الأمر بالمعروف والواجب؛ لإجماع المسلمين أنه لا يجب الأمر بالمعروف المندوب، فلم يبق إلا القضاء بالأمر بالمعروف والواجب مع الإمكان وإلا بطلت فائدة الآية، ومعلوم خلاف ذلك، وقلنا: يجب النهي عن كل منكر لإجماع المسلمين على ذلك؛ ولأن المنكرات كلها قبائح فيجب النهي عنها جميعاً مع الإمكان، كما يلزم الأمر بالمعروف والواجب مع الإمكان.

(المعاد)

فصل في الوعد والوعيد

فإن قيل: فماذا تدين به في الوعد والوعيد؟

فقل: أدين الله بأنه لا بد من الثواب للمؤمنين إذا ماتوا على الإيمان مستقيمين، ودخولهم جنات النعيم: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ .

وأدين الله بصحة ما وعد به من سعة الجنة، وطيب مساكنها، وسرورها الموضوعة، ومأكليها المستلذة المستطابة، وفواكهها الكثيرة التي ليست بمقطوعة ولا ممنوعة، وأنهارها الجارية التي ليست بمستقذرة ولا أسنة، ولا متغيرة ولا أجنة، وملابسها الفاخرة، وزوجاتها الحسان الطاهرة، والبهية الناصرة، ونحو ذلك مما بينه الله تعالى في كتابه المجيد، وهو حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأدين الله تعالى أنه لا بد من عقاب الكافرين في جهنم بالعذاب الأليم، وشراب الحميم، وشجرة الرزق طعم الأليم، وأنهم يخلدون فيها أبداً، ويلبسون ثياباً من نار، وسراويل من القطران، كلما نضجت جلودهم بدلهم الله جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب، وكل ذلك معلوم من ضرورة الدين.

فصل [في أهل الكبائر]

فإن قيل: ماذا تدين به في أهل الكبائر سوى أهل الكفر؟

فقل: أسميهم: فساقاً، ومجرمين، وطغاة، وظالمين، لإجماع الأمة على تسميتهم بذلك، ولا أسميهم كفاراً على الإطلاق، ولا مؤمنين^(١)؛ لفقد الدلالة على ذلك.

وأدين الله تعالى بأنهم متى ماتوا مُصرّين على الكبائر فإنهم يدخلون نار جهنم، ويخلدون^(٢) فيها أبداً، ولا يخرجون في حال من الأحوال، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ

(١) عند الإمامية أنهم مؤمنون ولإيمان درجات ومراتب وقد أوضحنا الحال في الجزء الثالث من هذه الموسوعة عند الكلام عن الأصل الرابع للمعتزلة: المنزلة بين المنزلتين.

(٢) عند الإمامية أنهم غير مخلصين وقد أوضحنا الحال في الجزء الثاني عند الكلام في الوعد والوعيد عند المعتزلة.

المُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿الزخرف: ٧٤﴾، والفاسق عاصٍ، كما أَنَّ الكافر عاصٍ، فيجب حمل ذلك على عمومهم، إِلَّا ما خَصَّتْهُ دلالة. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٦٩]. وإجماع العترة على ذلك، وإجماعهم حجة.

فصل [في صفة المؤمن وما يجب في حقه]

فإن قيل: فمن المؤمن، وما يجب في حقه؟

فقل: المؤمن من أتى بالواجبات، واجتنب المُقَبَّحات، فمن كان كذلك؛ فإننا نسميه: مؤمناً، ومسلماً، وزكياً، وتقياً، وبراً، وولياً، وصالحاً، وذلك إجماع، ويجب: إجلاله، وتعظيمه، واحترامه، وتشميطه، وموالاته، ومودته، وتحريم: معاداته، وبُغْضه، وتحظر: نميمته، وغيبته، وهو إجماع أيضاً، ومضمون ذلك أن تُحِبَّ له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، وبذلك وردت السنة.

فصل [في صفة الكافر]

فإن قيل: فمن الكافر؟

فقل: من لم يَعْلَمْ له خالقاً، أو لم يَعْلَمْ شيئاً من صفاته التي يتميز بها عن غيره، من كونه قادراً لذاته، عالماً لذاته، حياً لذاته، ونحو ذلك من صفاته المتقدمة، فمن جحد شيئاً من ذلك أو شك أو قلد، أو اعتقد أنه في مكان دون

مكان، أو أنه في كل مكان، أو شك في ذلك، أو اعتقد له شريكاً أو أنه يفعل المعاصي أو يريدّها، أو يشك في شيء من ذلك، أو جحد رسول الله ﷺ، أو ردّ ما علّم من الدين ضرورة باضطراب أو شك في شيء من ذلك، فهو كافر بالإجماع، ويجوز أن نسميه: فاجراً، وفاسقاً وطاغياً، ومارقاً، ومجرماً، وضالماً، وأثماً، وغاشماً، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة من أفعاله بلا خلاف.

وإن كان يُظهرُ الإيمان ويبطنُ الكفر، جاز أن نسميه مع ذلك: منافقاً، بالإجماع.

ومن كانت هذه حالته - أعني غير المنافق - جاز قتله وقتاله، وحصره، وأخذ ماله، وتجب معاملته بنقيض ما ذكرنا أنه يجب من حقّ المؤمن، وقد ذكرنا أحكامه مفصلة في (ثمرات الأفكار في أحكام الكفار).

فصل [في صفة الفاسق]

فإن قيل: فمن الفاسق وما حكمه؟

قلنا: أمّا الفاسق فهو مُرتكبُ الكبائر سوى الكفر، نحو الزاني، وشارب الخمر، والقاذف، ومن فرّ من زحف المسلمين غير متحرفٍ لقتال ولا متحيزٍ إلى فئة، وتاركُ الجهاد بعد وجوبه عليه، وتاركُ الصلاة، والصيام، والحج، مع وجوب ذلك عليه، غيرُ مُستحلٍّ لتركه ولا مستخفٍّ، والسارق من سرق عشرة دراهم - أي قفلة - فما فوق بغير حق، ونحو ذلك من الكبائر، فمن فعل ذلك أو شيئاً منه، فإنه يجوز أن نسميه بالأسماء المتقدمة قبل هذه في الكافر، إلّا لفظ: الكافر، والمنافق، فإنّ ما عداهما إجماع أنه يجوز تسميته به، وأمّا المنافق فلا بد من دلالة تدل على

جواز إطلاقه عليه، وأمّا لفظ: الكافر، فمنعه كثير من العلماء، وأجاز إطلاقه جماعة مع التنبيه، فقالوا: هو كافر نعمة، وهو الصحيح؛ لأنّه مروي عن علي عليه السلام، وهو إجماع العترة، ولموافقة الكتاب.

وأمّا حكمه فحكم الكافر فيما تقدم إلّا القتل والقتال، وأخذ الأموال فلا يجوز إلّا بالحق، ولا يجوز قتله على الإطلاق، وكذلك حصره فلا يجوز بحال من الأحوال.

فرع [في الفرق بين فعل الله وفعل العبد]

فإن قيل: ما الفرق بين فعل الله وبين فعل العبد؟

فقل: فعل الله جواهر وأعراض وأجسام، يعجز عن فعلها جملة الأنام، ومضمونه أنّ كلما وقف على قصد العبد واختياره تحقيقاً أو تقديراً فهو فعله، ومالم يكن كذا فليس بفعله.

فصل [في أنّه لا بد من الموت والفناء]

ثم قل أيّها الطالب للنجاة: وأدين الله تعالى بأنّه لا بد من الموت والفناء، والإعادة بعد ذلك للحساب والجزاء، والنفخ في الصور، وبعثرة القبور، والحشر للعرض المشهور، والإشهاد على الأعمال بغير زور، ووضع الموازين، وأخذ الكتب بالشمال واليمين، والبعث والسؤال للمكلفين، وأن ينقسموا فريق في الجنّة وفريق في السعير، وكل ذلك معلوم من ضرورة الدين، وأنّه لا بد من المناصفة بين المظلومين والظالمين، لدلالة العدل بيقين.

فصل [في الشفاعة]

فإن قيل: ما تقول في الشفاعة؟

فقل: أدين الله تعالى بثبوتها يوم الدين، وإنما تكون خاصة للمؤمنين ^(١) - دون من مات مصرّاً من المجرمين على الكبائر - ليزيدهم نعيماً إلى نعيمهم، وسروراً إلى سرورهم، ولمن ورد العَرْضُ وقد استوت حسناته وسيئاته، فيشفع له النبي ﷺ؛ ليرقى درجة أعلى من درجة غير المكلفين من الصبيان والمجانين، وإنما قلنا: إنه لا بد من ثبوتها، لقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩]، قيل: هو الشفاعة، وقال ﷺ: «من كذب بالشفاعة لم ينالها يوم القيامة».

وأما أنها تكون لمن ذكرناها، فلقوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠]، وقول النبي ﷺ: «ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨] كل ذلك يدل على ما قلنا. وتم بذلك ما أردنا ذكره للمستترشدين، تعرّضاً منّا لثواب رب العالمين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. وصلّ اللهم وسلم على محمد صفيك وخاتم أنبيائك، وعلى آله سفن النجاة آمين. وتوفنا مسلمين آمين اللهم آمين.

(١) أراد بالمؤمنين العدول وعند الإمامية يعم العادل والفاسق وقد بينا الدليل في الجزء الثالث عند الكلام في الشفاعة عند المعتزلة.

وهذه المواضع الثلاثة، هي من مواضع الاتفاق بين المعتزلة والزيدية.

مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم

وهناك رسالة أخرى في عقائد الزيدية باسم «مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم» للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص المتوفى عام ٦٠٠هـ - ٥٠٠هـ على كل تقدير فالرسالة تنتمي إلى النصف الأول من القرن السابع كالرسالة السابقة وهي معروفة بالثلاثين مسألة، وقد حققها الدكتور محمد عبد السلام كفا في أستاذ الآداب الإسلامية بجامعة القاهرة وجامعة بيروت العربية وقوم نصّها بالعثور على مخطوطات في مكتبة المتحف البريطاني بلندن، ولها نسخ في مكتبات أوروبا يقول المحقق: «والظاهر من كثرة عدد النسخ أنّ هذه الرسالة كانت ذائعة بين أتباع المذهب الزيدي ولا عجب في ذلك فهي تلخص معتقداتهم تلخيصاً وافياً في صفحات قلائل»^(١).

إنّ تعاصر المؤلفين وتقارب مضامين الرسالتين، ورغبة القراء إلى الاختصار حفزتنا إلى نشر الرسالة الأولى فقط.

الفصل العاشر

في أمور متفرقة

الأول: حلقات المناظرة بين الإمامية والزيدية :

يشهد التاريخ على أنّ حلقات المناظرة كانت تنعقد في الجامعات وبيوت الشخصيات في عصر الشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣هـ) ويشارك فيها الإمامي والزيدي والمعتزلي وغيرهم، وكان الشيخ يناظر كل هذه الفرق، ببلاغة تثير إعجاب المشاركين.

وقد ذكر السيد المرتضى (٣٥٥ - ٤٦٣هـ) قسماً من هذه المناظرات في كتابه «الفصول المختارة» الذي اختاره من كتاب «العيون والمحاسن» لأستاذه الشيخ المفيد، وقد طبع الأول دون الثاني.

ونذكر هنا أجوبة الشيخ للاعتراضات الثلاثة التي طرحها أحد شيوخ الزيدية المعروف بالطبراني ويدور الجميع على محاور ثلاثة.

إنّ الإمامية حنبلية من جهات ثلاث:

١ - يعتمدون على المنامات كالحنابلة.

٢ - يدعون المعجزات لأكابرهم كالحنابلة.

٣ - يرون زيارة القبور مثلهم.

وإليك الاعتراضات والأجوبة بنصهما.

قال الشيخ: كان يختلف إليّ حدث من أولاد الأنصار ويتعلّم الكلام فقال لي يوماً: اجتمعت البارحة مع الطبراني شيخ من الزيدية، فقال لي: أنتم يامعشر الإمامية حنبلية وأنتم تستهزئون بالحنبلية، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: لأنّ الحنبلية تعتمد على المنامات وأنتم كذلك، والحنبلية تدّعي المعجزات لأكابرها وأنتم كذلك، والحنبلية ترى زيارة القبور والإعتكاف عندها وأنتم كذلك، فلم يكن عندي جواب أرتضيه، فما الجواب؟

الجواب على الاعتراض الأول:

قال الشيخ أدام الله عزّه: فقلت له: أرجع فقل له: قد عرضتُ ما ألقيته إليّ على فلان، فقال لي: قل له إن كانت الإمامية حنبلية بما وصفت أيها الشيخ فالمسلمون بأجمعهم حنبلية والقرآن ناطق بصحة الحنبلية وصواب مذاهب أهلها، وذلك أنّ الله تعالى يقول: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (يوسف: ٤ - ٥).

فأثبت الله جلّ اسمه المنام وجعل له تأويلاً عرفه أوليائه عليهم السلام وأثبتته الأنبياء ودان به خلفاؤهم وأتباعهم من المؤمنين واعتمدوه في علم ما يكون وأجروه مجرى الخبر مع اليقظة وكالعيان له. وقال سبحانه: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف - ٣٦).

فنبأهما عليهما السلام بتأويله وذلك على تحقيق منه لحكم المنام، وكان سؤالهما له مع جهلهما بنبوته دليلاً على أنّ المنامات حقّ عندهم، والتأويل لأكثرها صحيح

إذا وافق معناها، وقال عز اسمه: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عَجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضِرٍ وَأُخْرُ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبِرُونَ* قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ (يوسف: ٤٣ - ٤٤) ثم فسرهما يوسف عليه السلام وكان الأمر كما قال.

وقال تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمِرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢) فأثبتنا عليه السلام الرؤيا وأوجبا الحكم ولم يقل إسماعيل لأبيه عليه السلام يا أبت لا تسفك دمي برؤيا رأيتها فإن الرؤيا قد تكون من حديث النفس، وأخلط البدن وغلبة الطباع بعضها على بعض كما ذهب إليه المعتزلة.

فقول الإمامية في هذا الباب ما نطق به القرآن، وقول هذا الشيخ هو قول الملأ من أصحاب الملك حين قالوا: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ ومع ذلك فإننا لسنا نثبت الأحكام الدينية من جهة المنامات وإثما نثبت من تأويلها ما جاء الأثر به عن ورثة الأنبياء عليهم السلام.

الجواب على الاعتراض الثاني :

فأما قولنا في المعجزات فهو كما قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص - ٧).

فضمّن هذا القولُ تصحيح المنام إذ كان الوحي إليها في المنام، وضمّن المعجز لها لعلمها بما كان قبل كونه.

وقال سبحانه في قصة مريم عليها السلام: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًا* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا* وَجَعَلَنِي

مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (مريم - ٢٩ - ٣١) فكان نطق المسيح عليه السلام معجزاً لمريم عليها السلام إذ كان شاهداً ببراءة ساحتها. وأم موسى عليه السلام ومريم لم تكونا نبيين ولا مرسلين ولكنهما كانتا من عباد الله الصالحين. فعلى مذهب هذا الشيخ كتاب الله يصح الحنبلية.

الجواب على الاعتراض الثالث :

وأما زيارة القبور فقد أجمع المسلمون على وجوب زيارة رسول الله ﷺ حتى رووا «من حجَّ ولم يزره متعمداً فقد جفاه ﷺ» وثلم حجته بذلك الفعل»، وقد قال رسول الله ﷺ: «من سلم عليَّ من عند قبري سمعته، ومن سلم عليَّ من بعيد بلغته» سلام الله عليه ورحمته وبركاته وقال ﷺ للحسن عليه السلام: «من زارك بعد موتك أو زار أباك أو زار أخاك فله الجنة».

وقال أيضاً: في حديث له أول مشروح في غير هذا الكتاب: «تزوركم طائفة من أمتي تريد به بَرِّي وصلّتي فإذا كان يوم القيامة زرتها في الموقف فأخذت بأعضادها وأنجيتها من أهواله وشدائده».

ولا خلاف بين الأئمة أنّ رسول الله ﷺ لما فرغ من حجة الوداع لاذ بقبر درس فقعد عنده طويلاً ثم استعبر ف قيل له: يا رسول الله ما هذا القبر؟ فقال: هذا قبر أُمِّي أمنة بنت وهب سألت الله في زيارتها فأذن لي.

وقال ﷺ: «قد كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها وكنت نهيتكم عن ادّخار لحوم الأضاحي ألا فادخروها».

وقد كان أمر في حياته ﷺ بزيارة قبر حمزة عليه السلام وكان عليه السلام يلم به وبالشهداء، ولم تنزل فاطمة عليها السلام بعد وفاته ﷺ تغدو إلى قبره وتروح لزيارته وكان أهل بيته والمسلمون يثبرون على زيارته وملازمة قبره ﷺ فإن كان ما تذهب إليه الإمامية من زيارة مشاهد الأئمة عليهم السلام حنبلية وسخفاً من الفعل،

فالإسلام مبني على الحنبلية ورأس الحنبلية رسول الله ﷺ، وهذا قول متهافت جداً يدل على قلة دين قائله وضعف رأيه وبصيرته.

ثم قال له: يجب أن تعلم أن الذي حكيت عنه قد حرّف القول وقبحه ولم يأت به على وجهه، والذي نذهب إليه في الرؤيا أنها على أضرب: فضرب منه يبشر الله به عباده ويحذرهم. وضرب تهويل من الشيطان وكذب يخطر ببال النائم. وضرب من غلبة الطباع بعضها على بعض، ولسنا نعتمد على المنامات كما حكاها لكننا نأنس بما نبشر به، ونتخوف مما نحذر منها ومن وصل إليه شيء من علمها عن ورثة الأنبياء ﷺ مَيِّز بين حق تأويلها وباطله ومتى لم يصل إليه شيء من ذلك كان على الرجاء والخوف.

وهذا يسقط ما لعله سيتعلق به في منامات الأنبياء ﷺ من أنها وحي لأن تلك مقطوع بصحتها وهذه مشكوك فيها مع أن منها أشياء قد اتفق ذوو العادات على معرفة تأويلها حتى لم يختلفوا فيه ووجدوه حسنا.

وهذا الشيخ لم يقصد بكلامه الإمامية ولكنه قصد الأمة ونصر البراهمة والملاحدة، مع أنني أعجب من هذه الحكاية عنه وأنا أعرفه يميل إلى مذهب أبي هاشم ويعظمه ويختاره، وأبو هاشم يقول في كتابه «المسألة في الإمامة»: إن أبا بكر رأى في منام كان عليه ثوباً جديداً عليه رقمان ففسره على النبي ﷺ فقال له: إن صدقت رؤياك تبشر بخير (فستخبر بولدين خ) وتلي الخلافة سنتين، فلم يرض شيخه أبو هاشم أن أثبت المنامات حتى أوجب بها الخلافة وجعلها دلالة على الإمامة. فيجب على قول هذا الشيخ الزيدي عند نفسه أن يكون أبو هاشم رئيس المعتزلة عنده حنبلياً بل يكون عنده أبو بكر حنبلياً بل رسول الله ﷺ لأنه صحح المنام وأوجب به الأحكام، وهذا من بهرج المقال (١).

(١) السيد المرتضى: الفصول المختارة: ١٢٨ - ١٣٢.

الثاني: وجود المزاملة بين الطائفتين:

إنَّ السبر في التاريخ يثبت بأنَّ المزاملة العلمية والاجتماعية بين الشيعة الزيدية والشيعة الإمامية في الأعصار السابقة كانت وطيدة. وكانت كل طائفة تعرف ما عند الطائفة الأخرى من العقائد والأحكام، والأدب والشعر. وكانت المجالس المنعقدة في الجامعات والبيوت تحتفل بهما معاً. فكان يدور بينهما النقاش والإفادة والاستفادة، ويظهر ذلك من كتاب الشيخ المفيد أعني الفصول المختارة. كما يظهر أيضاً من الرجوع إلى كتابه أوائل المقالات على أنَّ له رسالة خاصة في عقائد الجارودية من الزيدية.

كل ذلك يعرب عن صلة وثيقة بين الطائفتين. ولا إشكال أنَّ الصلة كانت لصالحهما. ولكن لانعلم في أي عصر ضعفت هذه الصلة إلى أن كادت أن تنقطع.

فلأجل ذلك لانكاد نرى زبدياً في جامعة النجف الأشرف وسائر حوزات الشيعة الإمامية وبالعكس إلّا نادراً. كما لا نرى أي صلة بين الطائفتين في الكتب المؤلفة في العصور الأخيرة من عصر ابن المرتضى إلى يومنا هذا.

ولعلَّ الأجواء والظروف السياسية قد أوجدت تلك الهوة ما بينهما فخرست الطائفتان علمياً وأدبياً إذ هما صنوان يقومان على جذور واحدة.

اسأله سبحانه أن يعيد الوحدة ما بين المسلمين عموماً، وبين الطائفتين خصوصاً.

الثالث: نشر الثقافة الزيدية :

إنَّ الزيدية - بحق - تركت ثروة علمية في جميع مجالات العلوم الإسلامية خصوصاً في الأدب والكلام والفقه، وتراثهم الباقي، وفهارس مكتباتهم يشهد على ذلك بوضوح. ولعلَّ أحد العلل في تطور علومهم خصوصاً في الفقه عدم التزامهم بالأخذ بالمذاهب الفقهية المعروفة وإن كانوا متأثرين بالفقه الحنفي.

فوجود الاجتهاد واستمراره في حياتهم من عصر القاسم الرسيّ إلى يومنا هذا ضخّم ثقافتهم، وأعطى لها أبعاداً كثيرة.

غير أنَّ من المؤسوف عليه عدم اطلاع المسلمين على تلك الثقافة لأنَّها صارت محصورة في اليمن وما والاها.

وقد قام العلامة الباحثة السيد أحمد الحسيني دام علاه بفهرسة كتبهم بعد رحلتين إلى اليمن الخصيب فجاء مجهوده مطبوعاً في أجزاء ثلاثة ذكر فيها أسماء (٣٣٤٦) من كتبهم المختلفة حسب الحروف الأبجدية وأردفها بالفهارس العامة أهمها فهرس أسماء المؤلفين فقد ذكر أسماء المؤلفات حين التعرض لأسماء المؤلفين وبذلك يغني الإنسان عن ملاحظة كل كتاب في محله. ومن حسن الحظ أنَّ مكتبة الجامع الكبير بصنعاء تحفل بمخطوطات كثيرة للزيدية فعلى المهتمين بالتراث الإسلامي السعي في تصويرها قبل أن تندثر.

وللتعرف على الشخصيات الزيدية وعلى ثقافتهم وكتبهم لا محيص من الرجوع إلى كتبهم المختلفة في التراجم والرجال والتاريخ.

ومن هذه الكتب ما نذكره فيما يلي والكل مخطوط لم ير النور:

- ١ - نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر: تأليف يوسف بن يحيى الحسني الصنعاني (١١٢١هـ) ترجم فيه لمائة وأربعة وتسعين من شعراء الشيعة المتقدمين والمتأخرين منهم.
- ٢ - نشر العرف لنبللاء اليمن بعد الألف: تأليف السيد محمد بن محمد زبارة الحسني الصنعاني ١٣٨٠ هـ ترجم لأعلام اليمن في القرون الأربعة بعد الألف الهجري إلى سنة ١٣٧٥ هـ وقد أسمى لكل قرن اسماً.
- ٣ - مطلع البدور ومجمع البحور: تأليف القاضي أحمد بن صالح أبي الرجال الصنعاني (ت ١٠٩٢هـ) وهو في أربعة أجزاء تشتمل على أكثر من ١٣٦٠ ترجمة.
- ٤ - نشر كتاب الحدائق الوردية: لحميد الدين المحلي نشرأ جديداً يناسب روح العصر. إلى غير ذلك من الكتب التي تعرّف أئمة الزيدية وشخصياتهم. نعم ألفت في العصور الأخيرة كتب في تاريخ اليمن لها قيمتها، وللمؤلفين أجرهم.

الرابع: صيغة الحكومة الإسلامية لدى الزيدية:

إنَّ للحكومة الإسلامية حسب ما يعطي الإمعان في الكتاب والسنة وسيرة المسلمين أسساً وأركاناً ثلاثة لكلِّ شأنه ومكانته:

١ - السلطة التشريعية :

للسلطة التشريعية مراحل ثلاث بعضها بيد الله سبحانه، والبعض الآخر موكل إلى الأمة الإسلامية في ضمن شرائط:

١ - التشريع والتقنين لله خاصة بالأصالة فلا شارع ولا مقنن سواه ولا يحق لأحد - كان من كان وبلغ ما بلغ من العلم والثقافة والمكانة الفكرية والاجتماعية - أن يشرع حكماً أو يحلّ حلالاً أو يحرم حراماً فكل ذلك موكل إلى الله سبحانه، إذ الحكم، حكمان: إلهي وجاهلي ولا ثالث لهما فإذا لم يكن معزواً إليه، فهو حكم جاهلي قال سبحانه: ﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة - ٥٠).

نعم هناك مرحلتان: مفوضتان إلى فريق من الأمة لهم صلاحيات خاصة وهما:

١ - مرحلة التشخيص: أي استنباط الحكم الإلهي من الكتاب والسنة، فهي للفقهاء العدول، يبذلون جهدهم لفهم حكم الله واستخراجه من الأدلة الشرعية.

٢ - مرحلة التخطيط وتبيين برامج البلاد حسب الضوابط الإسلامية وهي للخبراء وذوي الإطلاع من الأمة وهذا ما يصطلح عليه اليوم بالمجلس النيابي.

والفرق بين صيغة الحكومة الإسلامية والأنظمة البشرية الغربية والشرقية، هو أنَّ سلطة التشريع بيد الله سبحانه فيها دون تلك الأنظمة إذ فيها بيد وكلاء

الشعب فالمجلس النيابي عندهم مجلس التقنين والتشريع وعند المسلمين مجلس التخطيط والتنظيم في ضوء قوانين السماء.

٢- السلطة التنفيذية :

المراد بالسلطة التنفيذية في مصطلح اليوم هو هيئة الوزراء وما يتبعها من دوائر ومديريات منتشرة في أنحاء البلاد ومهمتها تنفيذ ما يقرره مجلس الشورى من تصميمات وقرارات ومخططات في شتى حقول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وبالتالي يقع على عاتقها مهمة إدارة البلاد بصورة مباشرة، لها ألوان وصيغ في الأنظمة البشرية وأما لونها في الحكومة الإسلامية فليس إلا كون السلطة - إذا لم يكن هناك نص من الله سبحانه على شخص خاص - موضع رضا الأمة لأنها تتسلم زمام السلطة المباشرة على نفوس الناس وأموالهم وأرواحهم، ولولا الرضا لعاد إلى الاستبداد المبعوض عند الشرع والعقل وقد بسطنا الكلام حول السلطة التنفيذية وصلاحياتها من التخصص، والوثاقة، والزهد، والعدل، وكونها موضع رضا الأمة في كتابنا: «مفاهيم القرآن»^(١).

٣- السلطة القضائية:

إن القضاء يلعب دوراً كبيراً في تبديل الاختلاف إلى الوئام، والتنازع إلى التوافق وبالتالي ينشر العدل ويصون الحقوق والحرمان، غير أنه لا يصلح ذلك المقام إلا لفريق من الشعب يتمتعون بالبلوغ والعقل والإيمان والعدالة وطهارة المولد والعلم بالقانون الإلهي والذكورة، سليم الذاكرة، وعندئذ يحقق القاضي أهدافه السامية.

(١) مفاهيم القرآن : ٢ / ٢٠٥ - ٢١٠ .

لا استبداد في الحكومة الإسلامية :

وما ذكرناه يوقف الإنسان على صورة بسيطة من الحكومة الإسلامية المتجلية في نظرية الإمامة أو الخلافة وليس فيها أي استبداد وسلب الحريات، وأمّا تخصيص التشريع باللّٰه سبحانه، فلاّنه سبحانه أعرف بمصالح عباده، ولأنّ التقنين سلطة على الأموال والنفوس وهي فرع وجود الولاية عليهما، ولا ولاية لأحد على أحد إلاّ الله سبحانه، فلاّجل ذلك خصّ التشريع به سبحانه، وأمّا المرحلتان الباقيتان أعني الإفتاء والتخطيط، فيقوم به فريق منهم، لهم صلاحيات وقابليّات. فالإفتاء وإن كان رهن شروط ولكنه لا يشترط فيه رضا الأمّة، لأنّه مقام علمي، يتوقف على حيازته ويكفي ثبوت الصلاحية له، اقترانه بتصديق الخبراء.

نعم التصدي للتخطيط، رهن رضا الأمّة وتحقيق الرضا وتجسيدها يتبع مصالح العصر وشعور الأمّة.

وأما السلطة التنفيذية، فلو كان الحاكم منصوباً من الله سبحانه، فهو المتبع، كما في مورد الرسول، والإمام المنصوص بعده، وإلاّ فالسلطة لفريق من الأمّة، يتمتع بصفات وقابليات مذكورة في السنّة، أهمها كونها موضع رضا الأمّة، ويتجسد رضاهم بصورة مختلفة مذكورة في محلّها. ومثلها السلطة القضائية فلا يصلح لها إلاّ فريق لهم صفات ومؤهلات، وتنتهي سلطته، إلى رضا الأمّة الذي يتجسد بصور شتى.

نظرية الإمامة لدى الزيدية :

إنّ المطروح لدى الزيدية من الإمامة غير ما ذكرنا ولو كان الملاك لتبيين مذهبهم ما ذكره كتاب العقائد من غيرهم، وابن المرتضى من أنفسهم، فنظام الإمامة في غير مورد المنصوص عليه عندهم، أمر لا يلائم روح الكتاب والسنّة ولا

متطلبات العصر، لأنهم القائلون بإمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن والحسين (بالتنصيب السماوي) وزيد بن علي وإمامة كل فاطمي دعا إلى نفسه وهو على ظاهر العدالة ومن أهل العلم والشجاعة وكانت بيعته على تجريد السيف للجهاد^(١).

وقال الشهرستاني: إنهم (الزيدية) يعتبرون في نظام الإمامة أتباع كل فاطمي عالم، شجاع، سخي، خرج بالإمامة، سواء كان من أولاد الحسن أو من أولاد الحسين عليه السلام وربما جوّزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة^(٢).

ويقول ابن المرتضى وتنقد بالدعوة مع الكمال.

الإمعان في كتب الزيدية حول الإمامة أو ما حرروه بأقلامهم، يعرب عن أن دعائم الإمامة عندهم ثلاثة:

١ - الوراثة: كون الداعي فاطمياً.

٢ - الدعوة إلى الإمامة.

٣ - الخروج بالسيف.

ولكن باب المناقشة فيها مفتوح.

أمّا المبدأ الأول فإذا كان الإمام منصوباً من قبل الله فالمتبع أمره فاطمياً كان أو لا، وإن كان أمره سبحانه في غير الإمام علي عليه السلام منطبقاً عليه، لكن لا بملاك كونهم فاطميين بل بملاكات خاصة أهلتهم لأن يكونوا أولي الأمر، وواجبي الطاعة قال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء - ٥٩).

(١) المفيد أوائل المقالات: ٣٩، طبعة جماعة المدرسين.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل: ١ / ١٥٤.

وإذا كان غير منصوص فاللازم كون الإمام ذا قابليات تؤهله لشغال منصب الإمامة سواء أكان فاطمياً أم لا، فالإصرار على هذا المبدأ خصوصاً فيما إذا كان غير الفاطمي أبصر وأعلم، وأتقى وأزهد وأوقع في القلوب، غير صحيح.

ثم إنَّ المبدأ الثاني والثالث يثيران الرغبة والطمع في كل فاطمي يرى نفسه عادلاً، وعالمًا وشجاعاً فعند ذلك ينتهي الأمر إلى النزاع والتشاجر وربما - لا سمح الله - إلى إراقة الدماء.

وحاصل الكلام: أنَّ مكافحة الاستبداد ورفض ابتزاز أمر الأمة بلا رضا منها، رهن أحد أمرين:

١ - أن يصدر من الله الرحمن الرحيم على عباده، الواقف على مصالحهم ومفاسدهم، تنصيب على ولاية أحد، كالنبي الأعظم وأئمة أهل البيت عند الشيعة.

٢ - مشاركة الشعب في بناء النظام حتى يكون مورد رضاهم بنحو من الانحاء ولا شيء ثالث، وإلا فلو لم يكن هذا ولا ذاك كثر الطالب وزادت الدعوة وربما ينتهي إلى حروب دامية، وما ذكره الإمام يحيى بن الحسين لحسم النزاع لا يفيد شيئاً حيث قال: إن تشابهها في العلم فالإمامة لأورعهما وإن تشابهها في الورع والعلم، فالإمامة لأزهدهما، وإن تشابهها في ذلك كله فالإمامة لأسخاهما، وإن تشابهها فلاشجعهما، فلاأرحمهما....

إنَّ ما ذكره من الضابط لحسم مادة الخلاف لو كانت مفيدة فإنَّما تفيد في رفع النزاع في إمامة المسجد، لا في رفع النزاع في الزعامة الكبرى، إذ كل يزعم أنَّه، أعلم، وأورع، وأزهد، وأسخى، وأشجع، وربما يحلف عليه ويجمع المجموع...

فلأجل ذلك المأزق الذي يواجهه فكرة الإمامة لدى الزيدية عاد المفكرون

من متأخريهم إلى طرح الفكرة بشكل يلائم روح العصر ويقول أحد الكتاب:

أما الزيدية فلمهم طريقان لاختيار الإمام بعد المنصوص عليهم:

١ - ترشيح الشخص العارف من نفسه، الأهلية بواسطة منشور - الدعوة - يوضح فيه موجبات الدعوة وأهليته للقيام بالإمامة ومنهج عمله فيها.

وعند ذلك يجتمع العلماء والزعماء والمثقفون - رجال الحل والعقد - ويصلون لمناقشته واختياره ان كان غير معروف لديهم، ويتشاورون فيما بينهم في موضوع كفاءته ومكانته، فإذا ارتضوه بعد ذلك بايعوه وإلا عدلوا إلى غيره.

٢ - يُرشح رجال الحل والعقد واحداً لمن يرونه صالحاً لهذا المنصب العظيم، وإذا وافقهم على ترشيحه بايعوه وإلا عدلوا إلى غيره^(١).

ولعل هذه الأطروحة التي قدمها الفاضل المعاصر تزيج بعض النقاش حول النظرية، ويصورها تصويراً هادئاً قابلاً للتجسيد كما أن المعلق على البحر الزخار، طرح نظرية الإمامة بالشكل التالي معلقاً على قول ابن المرتضى «وتنقد بالدعوة مع الكمال» قوله: مع عدم المنازع فيفوز بذلك أو بأن تحصل له البيعة من الأكثرية مع عدم وجود المنازع، كل ذلك بعد سبق ترشيحه من ذوي الحل والعقد لمعرفة حصوله على الشروط المؤهلة له^(٢).

إن ما نقلناه عن العلمين وإن كان يهون الخطب في مسألة الإمامة، لكن التاريخ يشهد على أن السيرة جرت على سيادة من غلب، ولم يكن ترشيح الشخص، أو ترشيح رجال الحل والعقد واحداً من الصلحاء إلا حبراً على ورق إلا

١١ - الزيدية نظرية وتطبيق: ١١٨.

(٢) ابن المرتضى: مقدمة البحر الزخار: ٩٢.

في فترات قليلة.

هذا وما مثله أعطت حجة للوسائل الإعلامية أن تتهجم على نظام الإمامة بأنه حكومة استبدادية تسلب فيها الحريات بإرادة الفرد السائس، ويرافق دائماً بالضغط على الشعب، وتثني على الجمهورية بأن فيها ضماناً على الحريات المعقولة ولم تزل الحرب الإعلامية قائمة على قدم وساق تدعمها المعسكرات الغربية والشرقية المحاربة لكل نظام ديني قائم في أي قطر من أقطار العالم، إلى أن أُجج نار الحرب المبيرة لكل رطب ويابس، في بلد فقير كاليمن التي لا تملك إلا جمال الطبيعة وانتهت إلى انتصار المخالفين في ظل القوات المكثفة التي كانت وراءها الجمهورية العربية المتحدة، في أيام جمال عبد الناصر فسقط نظام الإمامة سياسياً وحكومياً وإن كانت القلوب المؤمنة متنبئة بها.

فالمرجو من الله سبحانه أن يوفق المسلمين لتوحيد الكلمة كما وفقهم لكلمة التوحيد، ويجمع شملهم، ويثير شعور المفكرين إلى واجبهم تجاه الحكومة الإسلامية إنه بذلك قدير وبالإجابة جدير.

الخامس: المحاربة بين الطائفتين من الشيعة:

إنَّ الزيدية والإسماعيلية، من الفرق الشيعية، وبينهما مؤتلفات ومفترقات، وقد اتفقت الطائفتان، على أنَّ تحقيق القيادة الإسلامية بعد رحيل النبي الأعظم ﷺ ليس بالبيعة والاختيار، ولا للأمة فيها حظ ولا نصيب شأن كلِّ مورد سبقت مشيئته على إرادة الأمة ومشيئتها، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (الأحزاب - ٣٦) بل تحقيقها بالنص من الرسول ﷺ على فرد من أحاد الأمة وقد اتفقتا على أنَّ النص صدر منه في علي عليه السلام وابنيه: الحسن والحسين عليهما السلام، غير أنَّ الزيدية قالت باستمرارها بعد الحسين السبط عليه السلام بالخروج والدعوة وقد تمثلت الضابطة في بادئ بدئها بخروج الإمام زيد، ثم ابنه يحيى وهكذا، لكن الإسماعيلية قالت باستمرار النص الإلهي بعد الحسين على إمامة زين العابدين فابنه الإمام الباقر، فالإمام الصادق، وبعده ابنه إسماعيل الذي هو مهدي الأمة عندهم وسيوافيك تفاصيل عقائدهم في الجزء الثامن المختص بفرق الشيعة الباقية.

وطبيعة الحال كانت تقتضي سيادة الوئام والالتحام بين الفرقتين والتعايش الهادئ في البيئات التي تحتضن كلتا الفرقتين، كاليمن الخصيب وجنوب الجزيرة كحضر موت ونجران ولكن خاب الظن وخسر، لأنَّ تاريخ اليمن دموي يحكي عن كون الحرب لم تنزل بينهما سجالات - تبديد البلاد والعباد وتهلك الحرث والنسل - قروناً كثيرة.

إنَّ أئمة الزيدية وإن خرجوا بالسيف وأعلنوا الجهاد، ولكن لم يكن جهادهم مع المشركين والكافرين بل كانت مع إخوانهم الإسماعيلية (القرامطة) وهذا هو الإمام الهادي مؤسس الدولة الزيدية في اليمن في أواخر القرن الثالث،

فقد قدم اليمن وقد غطتها القرامطة والباطنية فجرى له معهم نيف وثمانون وقعة^(١) ثم بدت الحروب بين الطائفتين في زمن المتوكل على الله (المطهر بن يحيى) وبعده الإمام يحيى بن حمزة المؤيد بالله (٦٦٩ - ٧٦٩هـ) وكان الانتصار في أغلب الوقائع مع الزيدية، وفي النهاية لم تجد الإسماعيلية بداً من اللجوء إلى الجبال، والتحصن بها حفظاً لشؤونهم الدينية.

ومن جرّاء هذه الفتن والحروب المدمّرة، صارت حياة الطائفتين في أغلب العصور، حياة دموية تأكل الحرب أخضرهم ويابسهم وربما تشعل فتيل الحرب بين مدعيين للإمامة من الزيدية، باعتضاد كل بقبيلته وأسرته، وقد انتهت الخلافات القبلية إلى ظهور الجمهورية فأطاحت بالإمامة على الإطلاق وقالت: لا زيد ولا عمرو، ولا إبراهيم ولا إسماعيل.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال - ٢٥).

(١) التحف شرح الزلف : ٦٤ .

السادس: في الصلة بين الزيدية والمعتزلة:

كانت الصلة العلمية بين الزيدية والمعتزلة موجودة، منذ ظهرت على صفحة الوجود، حيث إنَّ كلتا الطائفتين يرون العدل والتوحيد من الأصول، ويكافحون الجبر والتشبيه، حتى أنَّ الإمام «مانكديم» المستطهر بالله أحمد بن الحسين بن أبي هاشم المتوفى عام ٤٢٥هـ تتلمذ على القاضي عبد الجبار المعتزلي المتوفى عام ٤١٥هـ وكتب ما أملاه الأستاذ، حول الأصول الخمسة وقد طبع بهذا الاسم ولم يخالفه إلا فيما يرجع إلى الإمامة (١).

ولما قامت ملوك الغزاة وسلاطين السلاجقة بتحريك الحنابلة والحشوية، بإبادة المعتزلة وقتلهم وتسعير النار في مكباتهم وآثارهم وفي عقر دارهم، عمد بعض الزيدية، بنقل ما أمكن من كتبهم من العراق إلى اليمن منهم القاضي عبد السلام (٥٥٠ - ٥٧٣هـ) فقد نقل المغني للقاضي عبد الجبار، والأصول الخمسة، وغيرهما من الآثار الكلامية لهم من العراق إلى اليمن وكانت اليمن تحتضن بها إلى أن نشرتها أخيراً البعثة العلمية المصرية بعد الفحص في مكبات اليمن، وللزيدية فضل حفظ بعض تراث المعتزلة من الاندثار والانطماس. ولولاهم لكانت مصيرها، مصير سائر الآثار للمعتزلة. قاتل الله العصبية العمياء.

(١) راجع مقدمة الأصول الخمسة بقلم محققها ص ٢٩ وقد ضبط وفاة «مانكديم» سنة ٤٢٥هـ والتحف شرح

السابع: عصارة من رسالة أحد المعاصرين الزيديين:

إنَّ السيد العلامة بدر الدين الحوثي الحسني اليماني، -الذي زار قم وزارنا في مؤسستنا، وهو الشخصية العلمية الفريدة للزيدية حالياً بعد السيد العلامة مجد الدين المؤيدي مؤلف التحف في شرح الزلف، نشر كتيباً باسم «الزيدية في اليمن» بيّن فيه ملامح مذهب الزيدية وعقائدهم ومصادره الكبرى في مختلف العلوم، وقدم لها الأستاذ علي أحمد الرازحي وقد أهدى نسخة إلينا نقتبس منها ما يلي:

الزيدية عنوان لطائفة عظيمة من طوائف المسلمين كان لها حضورها الملموس في ميداني الفكر والبسالة تحت ظلال قائدها العظيم الإمام زيد بن علي شهيد الحق والعدل والكرامة. ولئن كان لكل طائفة معالم بارزة تتميز بها وتعرف من خلالها، فإنَّ للزيدية معالم بارزة يراها لها الموالم والمخالف الذي لم يُعم التعصب عين بصيرته:

أحدها: وهو أولاهها: المنزلة المنيفة التي يتبوأها العقل عندها حيث تجعله الحاكم الذي لا يتعقبه أي حاكم غيره، والحجّة التي بها استحق الإنسان الخطاب من ربّ العالمين، ومن خلاله استوحت أصول عقيدتها حين أقصاه الآخرون وصغروا عظيم منزلته.

ثانيهما: احترام آراء الآخرين من المخالفين لها في الأصول والفروع وعرضها عرضاً رقيقاً بعيداً عن أي تجريح أو تبديع أو تضليل حتى لكأنّ كتبها رياض غناء مما يخولها أن تكون تراثاً لكل الطوائف.

الثالث: صيحتها في وجه الظلم والاستبداد، والقهر، وسحق الكرامات حين

تحوّلت الخلافة إلى ملك عضوض، وحين تغيرت وشوهت بعض مفاهيم الإسلام الناصعة على يدي حكام متسلطين لا يمتلكون أي شرعية^(١).

يقول السيد بدر الدين: إنّ الحركات العلمية ظهرت في اليمن بفضل الإمامين الهادي وجده القاسم، وبما أنّ الزيدية لا يلتزمون التقليد للهادي بل كلّ من تمكن من الاجتهاد، عمل بالدليل، ظهر بعض الخلافات بينهم، كما ظهر من بعضهم الميل إلى المعتزلة في غير مسألة الإمامة وحصل من بعضهم إنكار ذلك لكن العقائد الأصلية الهامة لا يظهر بينهم فيه خلاف.

ثم إنّ المؤلف أتى بأصول عقائد الزيدية التي منها التوحيد، والعدل والنبوات وصيانة القرآن من التحريف، والإيمان بالآخرة والبعث بعد الموت والشفاعة التي هي زيادة خير إلى خير، لا إنقاذ أحد من النار والإمامة التنصيبية إلى السبط الشهيد، ثم جاء دور الدعوة والخروج وتحقيق بزيد النائر ومن سار على دربه...

وقد قام المؤلف بتعريف الكتب والمصادر وقال:

وأهم كتبهم: كتب الهادي والقاسم.

منها: كتاب الأحكام، والمنتخب والمجموعة الفاخرة التي تجمع عدّة رسائل للهادي، ومن محاسن الكتب وأنفعها كتب القاسم بن إبراهيم وهي كتب صغار بعضها في مجموع القاسم. ومن مراجع الزيدية (في الفقه) شرح التجريد للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني المدفون ببلنجا^(٢)، ومن مراجعهم في علم الكلام، حقائق المعرفة

(١) الزيدية في اليمن، قسم المقدمة ٣ - ٥.

(٢) المعروف اليوم بلنجرود وقبره موجود هناك.

للإمام أحمد بن سليمان وهو من أئمة الزيدية.

ومنها: كتاب الأساس للإمام القاسم بن محمد وهو من أئمة الزيدية. وقد طبع الكتاب.

ومن مراجع الزيدية في الأخير في الفقه شرح الأزهار وحواشيه.

ومن مراجع الزيدية في الحديث ما تضمنه شرح التجريد (للهاروني).

وكتاب أمالي أحمد بن عيسى ومجموع زيد بن علي، وأمالي أبي طالب المسمى بـ «تيسير

المطالب»، وأمالي المرشد بالله وكتاب الاعتصام للإمام القاسم بن محمد.

ومن مراجعهم في التاريخ: «بلوغ الأماني» للسيد يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد،

ومن كتبهم في أسانيد الكتب بلوغ الأماني في إسناد كتب من آل من أنزلت عليه المثاني.

ومن كتبهم في الردّ على المخالفين: الشافي للإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة وهو كتاب

عظيم مطبوع، وفرائد اللثالي في الردّ على المقبلي للمنصور بالله محمد بن عبد الله الوزير وهو مجلد

ضخم.

ومن مراجع الزيدية في أصول الفقه: كتاب بداية العقول شرح غاية السؤال تأليف الحسين بن

الإمام القاسم بن محمد وهو مطبوع، وشرح الكافل.

ومن مراجع الزيدية في التفسير: كتاب المصاييح، تفسير الشرقي وهو كبير غير مطبوع، ولهم

مؤلفات في التفسير يتعسر تحصيلها فيميل الطلاب لقراءة الكشف.

ثم أشار السيد بدر الدين ببعض الفروع التي اتفقت فيها الزيدية مع الإمامية وقال:

ومن مذاهبهم في الفقه أنّ مسح الخفين لا يجزي في الوضوء، ومسح الخمار

لا يجزي في الوضوء، وأنّ مس الذكر لا ينقض الوضوء، ومن مذهبهم الأذان بحَيّ على خير العمل ولا يقولون: الصلاة خير من النوم ولا يجعلون الكف على الكف في الصدر في الصلاة، ولا يؤمنون بعد الفاتحة، وتثنية الأذان إلاّ التهليل في آخره وكذا الإقامة. ومن مذهبهم الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة في الفاتحة وفي السورة وأنّ الصلاة جماعة لا تصح بإمامة الفاسق، ومن في حكمه، وأن لا يعتدوا بجمعة الظلمة، وأنّ التكبير على الجنازة خمس، وأنه لا يصلّي على الميت الفاسق، والمذهب السائد عندهم في الزكاة أنّه لا يجوز تسليمها إلى الظلمة إلّا كرها.

ومن مذاهب الزيدية استحباب صيام يوم الشك بنية مشروطة، ومن مذهبهم أنّها لا تجب طاعة الظلمة ولا تجوز معاونتهم ولا موالاتهم، ويجب عندهم اتباع أهل البيت عليهم السلام عملاً بحديث الثقلين: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنّ اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ومن مذهبهم في الصحابة أن فيهم الصالحين ومنهم من غير وبدل، وفيهم منافقون فيجرح من ظهر فيه الجراح، ولا ينزلون منزلة المعصومين ولا يتبعون فيهم طريقة العامة الذين يقدسونهم على الإطلاق، والمذهب السائد في الزيدية هو اجتناب كتب العامة أو عدم اعتمادها في الغالب اتّهماً لكثير من روايتهم من الفئة الباغية والخوارج والدعاة إلى بدعتهم ولكنهم يأخذون منها ما يوافق الحقّ تأكيداً واحتجاجاً على المخالف، ومنهم من يرى قبول رواية كافر التأويل وفاسق التأويل ولكن لا يعتمد على ما في تلك الكتب على حد اعتماد كتب أهل الحق^(١).

(١) الزيدية في اليمن: ١٤ - ١٥.

هذا هو كلام السيد بدر الدين وهو بكلامه هذا يتفتح على الإمامية وكان ليف من الزيدية عبر التاريخ على هذا الطريق، رحم الله الماضين من علمائنا وحفظ الله الباقيين منهم.

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر: ١٧-١٨).

الثامن: في طبقات رجال المذهب الزيدي :

وكما كان لكل مذهب، أعلام، فللمذهب الزيدي أيضاً أعلام منقسمة إلى الطبقات التالية:

١ - طبقة المؤسسين.

٢ - طبقة المخرجين.

٣ - طبقة المحصلين.

٤ - طبقة المذاكرين.

وقد اقتبسنا هذا التقسيم مما ذكره الكاتب المعاصر الزيدي علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين في كتابه: «الزيدية نظرية وتطبيق» فقد قسّم أعلام المذهب الزيدي إلى الطبقات التالية:

طبقة المؤسسين: وتساوى هذه الطبقة إمام المذهب في نظر المذاهب الأخرى، ومن هذه الطبقة:

١ - الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام مات شهيداً سنة ١٢٢هـ

٢ - الإمام القاسم بن إبراهيم مات سنة ٢٤٢هـ

٣ - حفيده الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم وهو المؤسس للمذهب في اليمن مات سنة ٢٩٨هـ

٤ - الإمام الناصر الأطروش الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهو المؤسس للمذهب الزيدي في خراسان مات سنة ٣٠٤هـ

الطبقة الثانية: طبقة المخرجين للمذهب: وهم الذين استخرجوا من كلام الأئمة أو احتجاجاتهم بواسطة القياس أو المفهوم، أحكاماً لا تتعارض مع الكتاب والسنة لا جملة ولا تفصيلاً، ومن رجال هذه الطبقة:

١ - العلامة محمد بن منصور المرادي مات سنة ٢٠٠هـ ونيف وتسعين.

٢ - العلامة أبو العباس أحمد بن إبراهيم مات سنة ٣٥٣هـ

٣ - العلامة الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون الحسني مات سنة ٤١٦هـ

٤ - العلامة الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني مات سنة ٤٢٤هـ

٥ - العلامة علي بن بلال الأملي مولى الإمامين المؤيد بالله وأبي طالب.

٦ - العلامة أحمد بن محمد الأزرقى الهدوي.

والطبقة الثالثة: طبقة المحصلين: وهم الذين اهتموا بتحصيل أقوال الأئمة وما استخرج منها ونقلوها إلى تلامذتهم بطريق الرواية أو المناولة لمؤلفاتهم، ومن رجال هذه الطبقة:

١ - العلامة القاضي زيد بن محمد الكلاوي الجيلي الملقب بحافظ أقوال العترة وهو من أتباع المؤيد بالله.

٢ - العلامة السيد علي بن العباس بن إبراهيم راوي إجماعات أهل البيت، مات سنة ٣٤٠هـ تقريباً.

٣ - العلامة القاضي الحسن بن محمد بن أبي طاهر الرصاص، مات سنة ٥٨٤هـ

٤ - العلامة الإمام الحسين بن بدر الدين، مات سنة ٦٦٢هـ

٥- العلامة زيد بن علي بن الحسن بن علي البيهقي، مات في تهامة في عهد الإمام أحمد بن سليمان وهو في طريقه إلى مكة المكرمة.

٦- العلامة القاضي جعفر بن أحمد بن عبد السلام البهلولي، مات سنة ٥٧٣هـ

٧- العلامة الإمام عبد الله بن حمزة، مات سنة ٦١٤هـ

والطبقة الرابعة، طبقة المذاكرين: وهم الذين راجعوا أقوال من تقدّمهم وبلغتهم بالرواية وفحصوها سنداً ومتناً وعرضوها على أصول المذهب وقواعده المستمدة من صرائح الكتاب والسنة ثم أقرّوا ما توافق معها واعتبروه هو المذهب، وما لم يوافقها لم يعتبروه مذهباً للفرقة الزيدية، وكان في نظرهم رأياً خاصاً بصاحبه غير معاب عليه لا اعتبار أنّ كل مجتهد في الفروع مصيب^(١). ومن رجال هذه الطبقة:

١- العلامة القاضي محمد بن سليمان بن أبي الرجال الصعدي، مات سنة ٧٣٠هـ

٢- العلامة القاضي عبد الله بن زيد العنسي، مات سنة ٦٦٧هـ

٣- العلامة القاضي يحيى بن حسن البحيح، وقد عاصر الإمام يحيى بن حمزة.

٤- العلامة الإمام يحيى بن حمزة، مات سنة ٧٤٩هـ

٥- العلامة الإمام عز الدين بن الحسن المؤيدي، مات سنة ٩٠٠هـ

٦- العلامة القاضي محمد بن يحيى حنش، مات سنة ٧١٧هـ

٧- العلامة القاضي يوسف بن أحمد بن عثمان الثلاثي، مات سنة ٨٣٢هـ

(١) لعله يريد: أنه مأجور وإلا فالحق واحد فكيف يكون الكل مصيباً.

٨- العلامة الإمام أحمد بن يحيى بن المرتضى، مات شهيداً بالطاعون سنة ٨٤٠هـ.

ومعظم رجال طبقات المذهب الزيدي من العلماء المجتهدين. ولذلك فلا يصدق عليهم القول بأنهم في مستوى طبقة مجتهد المذهب لأن هذه الطبقة لا تظهر دائماً إلا بين رجال المذاهب التي لا توجب الاجتهاد على المتمكن منه وليس كذلك المذهب الزيدي. وبالتجوز يمكن أن يوجد في طبقات المذهب من هو في درجة المجتهد المنتسب. أما الأكثر فهم في درجة المجتهد المطلق. وقد ظهر من هؤلاء بعد طبقة المذاكرين الكثير ومنهم: الإمام يحيى شرف الدين مات سنة ٩٦٥هـ والإمام القاسم بن محمد مات سنة ١٠٢٩هـ والإمام محمد بن إسماعيل الأمير مات سنة ١١٨٢هـ والإمام عبد القادر بن أحمد عبد القادر بن الناصر شرف الدين مات سنة ١٢٠٧هـ وغيرهم.

وكانت كل المؤلفات الزيدية لا تقتصر على ذكر القول المختار لديها، وإنما تجمع كل الأقوال المشهورة للأئمة والعلماء: أي أنها مؤلفات أممية وموسوعات لما تؤلف فيه. لذلك فالقول المختار للمذهب إنما كان يؤخذ من أفواه المشائخ ويتناقل بالرواية، حتى جاء القاضي حسن بن أحمد الشيباني رحمه الله مات سنة ١١٦٩هـ فوضع كلمة (مذهب) في كتابه شرح الأزهار على القول المختار للمذهب تمييزاً له عن سائر أقوال الأئمة والعلماء الزاخر بها كتاب شرح الأزهار المعروف واستحسن هذه العلامة سائر العلماء في عصره. ولمكانته في العلم والتقوى تلقفها عنه الطلاب، وصارت نسخه من أهم المراجع في ذلك عند الطلاب. كما ذكره المؤلف المؤرخ السيد محمد زباره رحمه الله في ملحق البدر الطالع ص ٦٨^(١).

(١) علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين: الزيدية نظرية و تطبيق: ١٦ - ١٨.

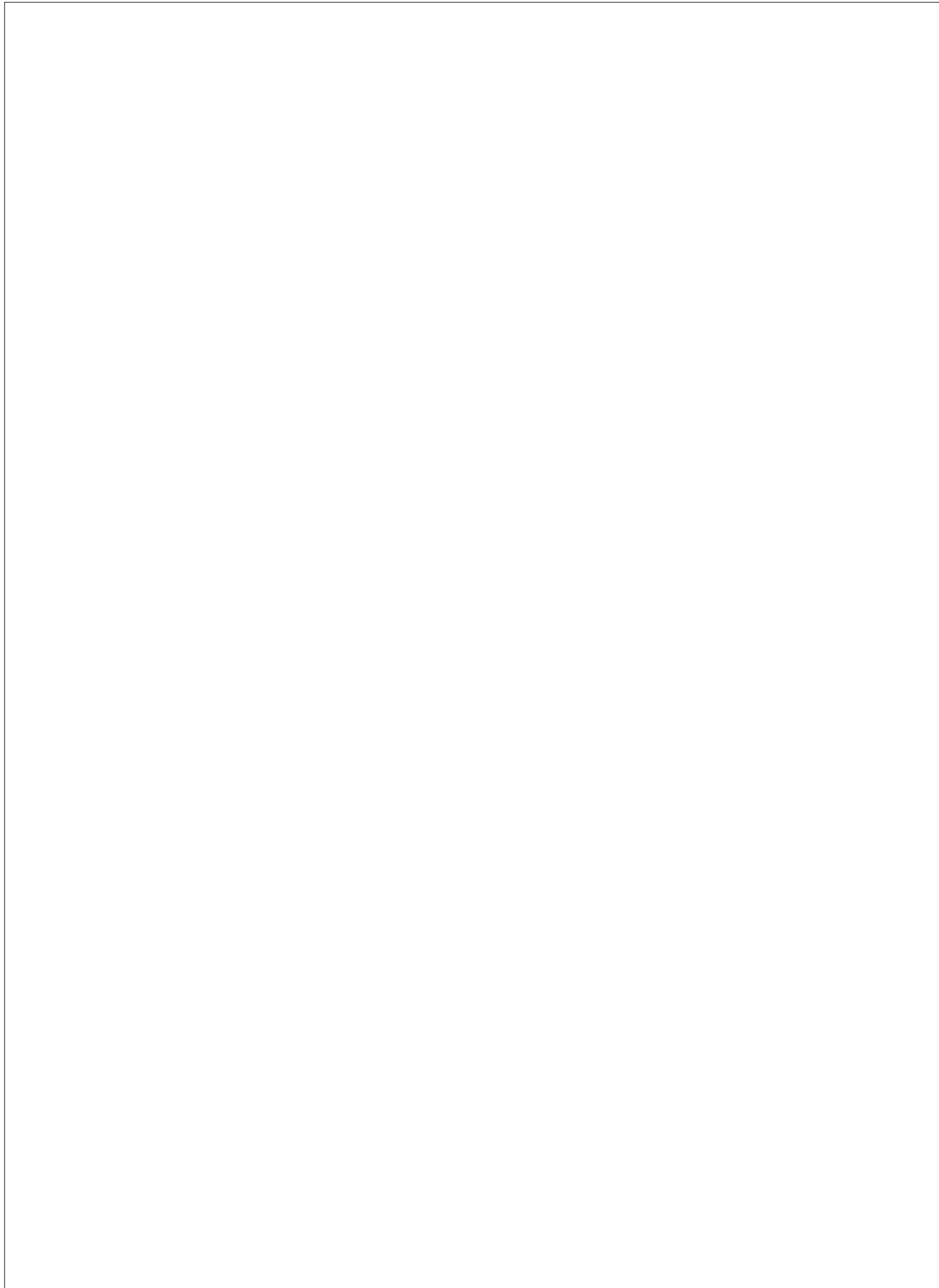
بلغ الكلام إلى هنا عشية يوم العشرين من ربيع الأول من شهر عام ١٣١٦ هجرية.
بقي الكلام حول الفرق الباقية من الشيعة وأهمها: الإسماعيلية وبعدها الفطحية والواقفية
والنصيرية وسنقوم - بإذن الله - بدراسة مذاهبهم في الجزء الثامن وبه تتم أجزاء هذه الموسوعة
المباركة إن شاء الله.

تم هذا الجزء بيد مؤلفه جعفر السبحاني ابن الفقيه الشيخ محمد حسين السبحاني التبريزي.
وأرجو من الله سبحانه أن يجعله خير وسيلة للصلة بين الطائفتين المتمسكتين بالثقلين كتاب الله
وأهل البيت أمين رب العالمين.

الفهارس

فهرس مصادر الكتاب
فهرس الموضوعات

(٥٢٩)



فهرس مصادر الكتاب

- نبدأ تبرّكاً بالقرآن الكريم.

(حرف الألف)

- ١- الاتقان: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ٩١١هـ) دار ابن كثير، بيروت.
- ٢- الأخبار الطوال: الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (م ٢٨٢ هـ) دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٠ م.
- ٣- الاختصاص: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ أو ٣٣٨ ٤١٣هـ) تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.
- ٤- إرشاد المفيد: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ أو ٣٣٨ ٤١٣هـ) قم المقدسة ١٤٠٢هـ.
- ٥- الأساس لعقائد الأكياس: الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي (٩٦٧ ١٠٢٩هـ) منشورات التراث الإسلامي، الجمهورية اليمنية، صعدة، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- ٦- الاستبصار: شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ٤٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية، إيران ١٣٩٠هـ.
- ٧- الاستيعاب: أبو عمرو يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٣٦٣-٤٦٣هـ)، دار نهضة مصر، القاهرة.
- ٨- الإشارات: الشيخ الرئيس ابن سينا (م ٤٢٨هـ) طبع إيران.

- ٩- الاعتصام بالكتاب والسنة: جعفر بن محمد حسين السبحاني (تولد ١٣٤٧هـ مؤلف هذا الكتاب) نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة ١٤١٤هـ.
- ١٠- الاعتصام بحبل الله المتين: الإمام القاسم بن محمد بن علي (٩٦٧-١٠٢٩هـ) مكتبة اليمن الكبرى ١٤٠٨هـ.
- ١١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: الرازي: محمد بن عمر الخطيب (٥٤٤ ٦٠٦هـ) منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ.
- ١٢- الأعلام: خير الدين الزركلي (١٣١١-١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٤هـ.
- ١٣- أعلام الوري: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١ ٥٤٨هـ) طبع إيران.
- ١٤- أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت.
- ١٥- الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين (٢٨٤ ٣٥٦هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٦- الأمالي: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) المكتبة الإسلامية، طهران.
- ١٧- الأمالي: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ ٤٦٠هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠١هـ.
- ١٨- الإمام زيد: محمد أبو زهرة (م ٣٩٦ هـ) دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ١٩- الإمام الصادق: محمد أبو زهرة (م ٣٩٦ هـ).
- ٢٠- الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية: أحمد محمود صبحي، المطبوع عام ١٤١٠هـ.
- ٢١- الإمامة والسياسة: ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (م ٢٧٦ هـ) مطبعة

مصطفى محمد، مصر.

- ٢٢- الانتصار: الشري ف المرتضى: علي بن الحسين (٣٥٥ ٤٣٦ هـ) أفست منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة، عن منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٩١ هـ
- ٢٣- أوائل المقالات: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز ١٣٧١ هـ

(حرف الباء)

- ٢٤- بحار الأنوار: العلامة: محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣ هـ
- ٢٥- البحر الزخار: أحمد بن يحيى بن المرتضى (٧٦٤ ٨٤٠ هـ) دار الحكمة اليمانية، صنعاء، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ
- ٢٦- بحوث في الملل والنحل: جعفر بن محمد حسين السبحاني (تولد ١٣٤٧ هـ مؤلف هذا الكتاب) منشورات لجنة إدارة الحوزة العلمية، قم المقدسة.
- ٢٧- البداية والنهاية: ابن كثير: الحافظ أبو الفداء (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ١٤٠٢ هـ
- ٢٨- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢ - ١٢٥٠ هـ) دار المعرفة، بيروت.
- ٢٩- بغية الوعاة: جلال الدين السيوطي (٨٤٩ ٩١١ هـ) المكتبة العصرية، بيروت.
- ٣٠- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذارى المراكشي، مطبوعات بريل ١٩٤٨ م.
- ٣١- بين يدي الساعة: الدكتور عبد الباقي (المعاصر).

(حرف التاء)

٣٢- تاريخ الأدب العربي: دكتور عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٤ م.

٣٣- تاريخ الإسلام: الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (م ٧٤٨ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية - ١٩٩١ م.

٣٤- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٥- تاريخ التراث العربي: فؤاد سزكين، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة ١٤١٢ هـ

٣٦- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير الطبري (م ٣١٠ هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٣٧- التاريخ الكبير: البخاري: إسماعيل بن إبراهيم (م ٢٥٦ هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٨- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (٥٠٠ ٥٧٣ هـ) دار التعارف، بيروت ١٣٩٥ هـ

٣٩- تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة (م ١٣٩٦ هـ) دار الفكر العربي، بيروت.

٤٠- تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (من علماء القرن الثالث الهجري) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨٤ هـ.

٤١- تاريخ اليمن الفكري: أحمد بن محمد الشامي

٤٢- التبصير في الدين: أبو المظفر الإسفرائيني (م ٤٧١ هـ) بيروت ١٤٠٣ هـ

٤٣- التحف شرح الزلف: مجد الدين بن محمد بن منصور الحسني المؤيدي، المعاصر مفتي اليمن.

٤٤- تذكرة الحقاظ: أبو عبد الله: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨ هـ) دار
احياء التراث العربي، بيروت.

٤٥- تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي: أبو المظفر: يوسف بن فرغلي بن عبد الله البغدادي
(٥٨١-٦٥٤ هـ) مؤسسة أهل البيت، بيروت ١٤٠١ هـ

٤٦- تفسير زيد بن علي: زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (م ١٢٢).

٤٧- تفسير فرات: الكوفي: أبو القاسم فرات بن إبراهيم (من أعلام الغيبة الصغرى) طهران
١٤١٠ هـ

٤٨- التنبيه والرد: أبو الحسين الملطي الشافعي: محمد بن أحمد (م ٣٧٧ هـ) تقديم وتعليق
محمد زاهد بن الحسن الكوثري، طبع ١٣٨٨ هـ

٤٩- تنقيح المقال: عبد الله المامقاني (١٢٩٠-١٣٥١ هـ) النجف الأشرف ١٣٥٠ هـ

٥٠- التهذيب: الشيوخ الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥-٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلامية،
طهران ١٣٩٠ هـ

٥١- تهذيب التهذيب: العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢ هـ) دار الفكر، بيروت
١٤٠٤ هـ

٥٢- تهذيب الكمال: جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (٦٥٤-٧٤٢ هـ) مؤسسة
الرسالة، بيروت ١٤٠٦ هـ

(حرف الثاء)

٥٣- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد التميمي (م ٣٥٤ هـ) دائرة المعارف العثمانية،
حيدر آباد، الهند ١٣٩٣ هـ

٥٤- ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق،
طهران.

(٥٣٥)

٥٥- ثورة الحسين: محمد مهدي شمس الدين (المعاصر)، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم المقدسة.

(حرف الجيم)

٥٦- جامع الأصول: ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد (٥٤٤ ٦٠٦ هـ) دار الفكر، بيروت ١٤٠٣ هـ

(حرف الحاء)

٥٧- الحقائق الوردية: الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي (م ٦٥٢ هـ) الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ

٥٨- حكام اليمن المؤلفون المجتهدون: عبد الله محمد الحبشي، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ

٥٩- الحور العين: الحميري: سعيد بن نشوان (م ٥٧٣ هـ) طهران ١٣٩٤ هـ بالأفسييت.

(حرف الخاء)

٦٠- الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي (م ٥٧٣ هـ) مؤسسة الإمام المهدي، قم ١٤٠٩ هـ

٦١- الخصال: الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) منشورات دار النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة ١٤٠٣ هـ

٦٢- الخطط المقرزية: تقي الدين المقريزي (م ٨٤٥ هـ) دار صادر، بيروت.

(حرف الراء)

٦٣- رَأب الصدع: أحمد بن عيسى بن زيد بن علي (١٥٧ ٢٤٧ هـ) تحقيق العلامة علي بن إسماعيل بن عبد الله المؤيد الصنعاني، دار النفائس، بيروت ١٤١٠ هـ

٦٤- الرجال: ابن داود: الحسن بن علي الحلبي (من أعلام القرن السابع الهجري) طهران ١٣٤٢ هـ

٦٥- الرجال: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ ٤٦٠ هـ) النجف الأشرف ١٣٨١ هـ

٦٦- الرجال: أبو عمرو الكشي (من علماء القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، كربلاء العراق.

٦٧- الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢- ٤٥٠ هـ) بيروت ١٤٠٩ هـ

٦٨- الرد والاحتجاج ضمن رسائل العدل والتوحيد: الإمام الهادي يحيى بن الحسين (٢٢٠ ٢٩٨ هـ) منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان.

٦٩- روضات الجنات: محمد باقر الخونساري (م ١٣١٣ هـ) طهران ١٣٩٠ هـ

٧٠- الروض النضير: شرف الدين الحسين بن أحمد السياغي (١١٨٠ ١٢٢١ هـ) مكتبة المؤيد، الطائف، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ

٧١- رياض السالكين: السيد علي خان الحسيني الشيرازي (١٠٥٢ ١١٢٠ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة ١٤٠٩ هـ

٧٢- رياض العلماء وحياض الفضلاء: الميرزا عبد الله أفندي التبريزي (من أعلام القرن الثاني عشر) منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم المقدسة ١٤٠١ هـ

(حرف الزاي)

- ٧٣- زيد الشهيد: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١هـ)
- ٧٤- زيد الشهيد: السيد عبد الرزاق المقرم المعاصر ، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٥٥هـ أفسيت منشورات الشريف الرضي، قم ١٤١١ هـ
- ٧٥- الزيدية: أحمد محمود صبحي، منشورات الزهراء للاعلام العربي، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ
- ٧٦- الزيدية في اليمن: بدر الدين الحوثي الحسني اليماني، وهو كتيب صغير يبيّن فيه أصل زيدية اليمن وعقائدهم.
- ٧٧- الزيدية نظرية وتطبيق: علي بن عبد الكريم الفضيل شرف الدين، عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

٧٨- الزينة: أبو الحاتم أحمد بن حمدان الرازي، تحقيق الدكتور عبد الله سلّوم السامرائي.

(حرف السين)

- ٧٩- سبل السلام في شرح بلوغ المرام: محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٥٩ هـ)
- ١١٨٢هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت ١٣٧٩ هـ
- ٨٠ السرائر: ابن ادريس الحلبي: أبو جعفر : محمد بن منصور بن أحمد (م ٥٩٨ هـ) مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة ١٤١٠ هـ
- ٨١ السنّة والشيعة: محمد رشيد رضا (م ١٣٥٤ هـ).
- ٨٢ سير أعلام النبلاء: الذهبي: أبو عبد الله: شمس الدين محمد بن أحمد (٦٧٣- ٧٤٨ هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩ هـ
- ٨٣ السيرة النبوية: ابن هشام: عبد الملك بن أيوب الحميـري (م ٢١٣ أو ٢١٨ هـ) دار التراث العربي ، بيروت.

(حرف الشين)

- ٨٤ شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلي (١٠٣٢ ١٠٨٩ هـ) دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ
- ٨٥ شرح الأصول الخمسة: عبد الجبار القاضي المعتزلي (م ٤١٥ هـ) طبع مصر.
- ٨٦ شرح التجريد في فقه الزيدية: المؤيد بالله أحمد بن الحسين بن هارون (٣٣٣-٤١١ هـ) صنعاء، جامع النهرين، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ
- ٨٧ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هـ) دار احياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٧٨ هـ

(حرف الصاد)

- ٨٨ الصحيح: البخاري: محمد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦ هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي، مصر ١٣١٤ هـ
- ٨٩ الصحيح: مسلم بن الحجاج القشيري (م ٢٦١ هـ) مؤسسة عز الدين، بيروت ١٤٠٧ هـ
- ٩٠ الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي (٨٩٩-٩٧٤ هـ) مكتبة القاهرة، مصر ١٣٨٥ هـ

(حرف الطاء)

- ٩١- الطبقات الكبرى: محمد بن سعد (م ٢٣٠ هـ) دار صادر، بيروت ١٣٨٠ هـ

(حرف العين)

- ٩٢- العقد الثمين في تبين سيرة الأئمة الهادين: الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان (٥٦١ هـ) الطبعة الحجرية. ٦١٤ هـ

- ٩٣- العقد الثمين في معرفة رب العالمين: الأمير الحسين بن بدر الدين محمد (٥٨٢ ٦٦٢هـ)
منشورات مكتبة التراث الإسلامي صعدة، ودار التراث اليمني صنعاء، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
- ٩٤- العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦ ٣٢٨هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- ٩٥- عمدة الطالب: ابن مهنا: جمال الدين أحمد بن علي (م ٨٢٨هـ) النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ.

- ٩٦- عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري (م ٢٧٦هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٩٧- عيون أخبار الرضا: الشيخ الصدوق (م ٣٨١هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٤ هـ.
- (حرف الغين)

- ٩٨- الغارات: ابن هلال الثقفي (م ٢٨٣هـ) دار الكتاب الإسلامي، قم ١٤١١ هـ.
- ٩٩- الغدير: العلامة عبد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ١٣٩٠هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧ هـ.

- (حرف الفاء)
- ١٠٠- فتح القدير: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد الصنعاني (١١٧٢ ١٢٥٠هـ) دار المعرفة بالأفست بيروت لبنان.
- ١٠١- فرحة الغري: عبد الكريم بن طاووس، النجف الأشرف ١٣٦٨ هـ.
- ١٠٢- الفرق بين الفرق: البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (م ٤٢٩هـ) دار المعرفة، بيروت.

١٠٣- فرق الشيعة: النوبختي: الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري) دار الأضواء، بيروت ١٤٠٤ هـ

١٠٤- فرق وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار الهمداني (م ٤١٥ هـ) دار المطبوعات الجامعية، القاهرة ١٩٧٢ م.

١٠٥- الفصول المختارة من العيون والمحاسن: الشيخ المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ أو ٤١٣٣٣٨ هـ) منشورات مكتبة الداوري، قم ١٣٩٦ هـ

١٠٦- الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي (م ٨٥٥ هـ) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٨١ هـ

١٠٧- الفهرست: ابن النديم: محمد بن إسحاق (٢٩٦ ٣٨٥ هـ) القاهرة ١٣٤٨ هـ

١٠٨- الفهرست: الطوسي: محمد بن الحسن (٣٨٥ ٤٦٠ هـ) جامعة مشهد، إيران ١٣٥١ هـ

هـ

(حرف القاف)

١٠٩- قاموس الرجال: التستري: محمد تقي (١٣٢٠ ١٤١٦ هـ) طهران ١٣٩٧ هـ

١١٠- القواعد: الشهيد الأول: محمد بن مكي (٧٣٣ ٧٨٦ هـ) منشورات مكتبة الداوري، قم المقدسة، إيران.

(حرف الكاف)

١١١- الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٧ هـ

١١٢- الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (م ٦٣٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

١١٣- كشف الارتياح: السيد محسن الأمين (م ١٣٧١ هـ) منشورات مكتبة الحرمين، قم المقدسة، الطبعة الثانية ١٣٨٢ هـ

١١٤- كشف الظنون: الكاتب الحلبي، مطبعة العالم، الطبعة الأولى ١٣١٠ هـ

١١٥- كشف الغمة: الاربلي: علي بن عيسى (م ٦٩٣ هـ) دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥ هـ

١١٦- كفاية الأثر: علي بن محمد الخزاز القمي (من أعلام القرن الرابع الهجري) منشورات بيدار، قم ١٤٠١ هـ

١١٧- الكواكب الدرية: لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي الحدادي المصري (م ١٠٣١ هـ).

(حرف اللام)

١١٨- لسان العرب: العلامة ابن منظور: محمد بن مكرم (٦٣٠- ٧١١ هـ) قم المقدسة ١٤٠٥ هـ

هـ

١١٩- اللهوف: السيد ابن طاووس، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، أفتت، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة ١٤١٢ هـ

(حرف الميم)

١٢٠- مثير الأحزان: ابن نما الحلبي (٥٦٧- ٦٤٥ هـ) منشورات مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة ١٤٠٦ هـ

١٢١- المجدي في الأنساب: علي بن محمد العلوي العمري النسابة (من أعلام القرن الخامس الهجري) منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدسة ١٤٠٩ هـ

- ١٢٢- المحصول في علم الأصول: جعفر بن محمد حسين السبحاني (تولد ١٣٤٧ هـ مؤلف هذا الكتاب) منشورات مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة ١٤١٥ هـ
- ١٢٣- مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور: محمد بن مكرم (٦٣٠ ٧١١ هـ) دار الفكر، بيروت ١٤٠٤ هـ
- ١٢٤- مرآة العقول: محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ١٤٠٤ هـ
- ١٢٥- مروج الذهب: المسعودي: علي بن الحسين (م ٣٤٥ هـ) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٥ م.
- ١٢٦- مستدرک الوسائل: النوري: الحسين بن محمد تقي (١٢٥٤ ١٣٢٠ هـ) مؤسسة آل البيت، قم ١٤٠٧ هـ
- ١٢٧- المسند: أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ) دار الفكر، بيروت.
- ١٢٨- مسند الإمام زيد: زيد بن علي بن الحسين (١٢٢ ٧٦ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢٩- مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم: المعروف بـ «الثلثين مسألة»: أحمد بن الحسن الرصاص (م ٦٥٦ هـ) تقديم الدكتور محمد عبد السلام كفافي ١٤٠٨ هـ
- ١٣٠- معجم البلدان: الحموي: ياقوت بن عبد الله (م ٢٦٢ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩ هـ
- ١٣١- معجم رجال الحديث: السيد الخوئي: أبو القاسم الموسوي (م ١٣١٧ ١٤١٣ هـ) بيروت ١٤٠٣ هـ
- ١٣٢- مفاهيم القرآن: جعفر بن محمد حسين السبحاني (تولد ١٣٤٧ هـ مؤلف هذا الكتاب) قم المقدسة ١٤٠٤ هـ
- ١٣٣- مقاتل الطالبين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ ٣٥٦ هـ) مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة.

١٣٤- مقالات الإسلاميين: الأشعري: علي بن إسماعيل (م ٣٢٤ هـ) الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ
 ١٣٥- مقتل الحسين: الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (م ٥٦٨ هـ) مطبعة
 الزهراء، النجف الأشرف - ١٣٦٧ هـ

١٣٦- المقدمة: عبد الرحمان بن محمد بن خلدون (م ٨٠٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت
 ١٣٩٨ هـ

١٣٧- الملل والنحل: الشهرستاني: محمد بن عبد الكريـم (٤٧٩ ٥٤٨ هـ) دار المعرفة،
 بيروت ١٤٠٢ هـ

١٣٨- مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ ٥٨٨ هـ)
 المطبعة العلمية، قم المقدسة.

١٣٩- من لا يحضره الفقيه: الشيخ الصدوق (م ٣٨١ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٩٠ هـ

١٤٠- منهاج السنة: ابن تيمية (٦٦١ ٧٢٨ هـ) طبع مصر.

١٤١- المنية والأمل: ابن المرتضى: أحمد بن يحيى (م ٨٤٠ هـ)، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ

١٤٢- ميزان الاعتدال: أبو عبد الله: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣-٧٤٨ هـ) دار
 المعرفة، بيروت.

(حرف النون)

١٤٣- النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم: أحمد بن علي المقرئ الشافعي، مكتبة
 الأهرام، مصر.

١٤٤- النظرية السياسية: محمود البغدادي (المعاصر) منشورات المعاونة الثقافية للمجمع
 العالمي لأهل البيت عليهم السلام قم المقدسة ١٤١٥ هـ

١٤٥- نكت البيان: السيد علي خان المشعشي الحويزي (م ١٠٨٨ هـ)، ألفه عام ١٠٨٤، موجود في مكتبة الملا علي الخياباني التبريزي.

١٤٦- نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٤٠٤٣٥٩ هـ) بيروت ١٣٨٧ هـ

١٤٧- نور الثقلين: العروسي الحويزي: عبد علي بن جمعة (م ١١١٢ هـ) مطبعة الحكمة، قم إيران.

١٤٨- نيل الأوطار: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (١١٧٢ ١٢٥٠ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.

(حرف الواو)

١٤٩- الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (٦٩٧ ٧٤٤ هـ) انتشارات جهان، طهران ١٣٨١ هـ

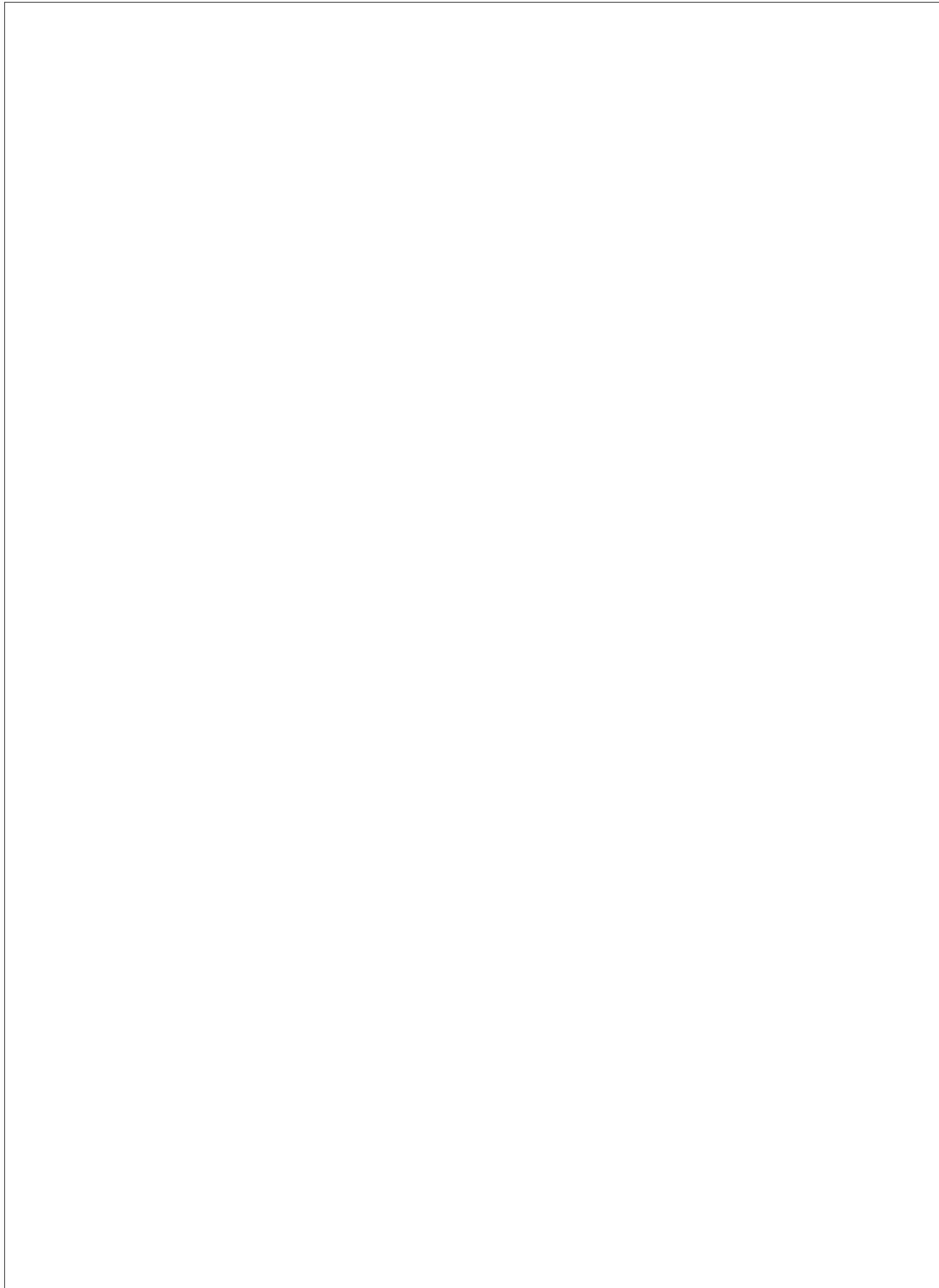
١٥٠- وسائل الشيعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣- ١١٠٤ هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٣ هـ

١٥١- وفيات الأعيان: ابن خلّكان: أحمد بن محمد (٦٠٨ ٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة ١٣٦٤ هـ

١٥٢- وقائع الأيام: علي بن عبد العظيم الخياباني التبريزي (١٢٨٢- ١٣٦٧ هـ) منشورات مكتبة قرشي، تبريز ١٣٨١ هـ

(حرف الياء)

١٥٣- اليمن عبر التاريخ: أحمد حسين شرف الدين، القاهرة ١٩٦٤ م.



فهرس الموضوعات

٣	مقدمة
٥	القسم الأول:
٥	فهرس إجمالى لفصول القسم الأول، الأربعة عشر
٧	الفصل الأول
٧	فرق الشيعة بين الحقائق والأوهام
١٠	الغلاة ليسوا من المسلمين:
١٢	فرق الغلاة
١٣	الأولى: البيانية:
١٤	الثانية: الجناحية:
١٤	الثالثة: الحربية:
١٥	الرابعة: المغيرية:

١٥	الخامسة: المنصورية:
١٦	السادسة: الخطابية المطلقة:
١٧	السابعة: الخطابية المعمرية:
١٧	الثامنة: الخطابية البزيعية:
١٧	التاسعة: الخطابية العميرية:
١٧	العاشر: الخطابية المفضلية:
١٨	الحادية عشرة: السبائية
١٨	الثانية عشرة: المفوضة
٢٠	موقف الأئمة من الغلاة:
٢١	المغيرة بن سعيد في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام
٢٣	أبو زينب وأتباعه في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام
٣٠	الكيسانية والإبهامات المحدقة بها فرق الكيسانية معتقدهم :
٣١	الإبهامات حول هذه الفرقة :
٣١	١ الاختلاف في المسمى بكيسان :
٣١	٢ الاختلاف فيمن نصب محمداً الحنفية للإمامة :
٣٢	٣ الاختلاف في مبدأ قيادته :
٣٢	٤ الاختلاف في كونه حياً أو ميتاً :
٣٢	٥ اختلافهم في كونه حياً كرامة أو عقوبة :
٣٢	٦ الاختلاف في الإمام بعد أبي هاشم :
٣٣	٧ الاختلاف في المعتقد :

٤٢	فرق الشيعة بين الصحة والاختلاق
٤٧	قالوا: منهم الكاملة:
٤٨	ومنهم المحمدية:
٤٩	ومنهم: الباقرية والجعفرية:
٥١	ومنهم: الناوسية:
٥٣	الفرق الواقعية للشيعة بعد رحيل الإمام الصادق عليه السلام
٥٣	الأولى: السميطة:
٥٤	الثانية: الفطحية:
٥٤	الثالثة: الإسماعيلية:
٥٥	الرابعة: الواقفية:
٥٧	الفصل الثاني
٥٧	حياة زيد في عصر الأئمة الثلاثة
٥٧	حياته في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام :
٥٨	نسبه الوضاح :
٥٩	ميلاده :
٦١	القول الحق في ميلاده :
٦٦	مواصفاته الخلقية :
٦٩	حياته في عصر الإمام الباقر عليه السلام :
٧٣	حياته في عصر الإمام الصادق عليه السلام :

٧٥	الفصل الثالث
٧٥	في خطبه، وكلماته وأشعاره، ومناظراته وعبادته
٧٥	ما أثر عنه من المواعظ والحكم
٨١	رسالة زيد إلى علماء الأُمَّة قبيل خروجه
٩٣	مناظراته :
٩٦	أشعاره :
١٠٢	عبادته
١٠٥	الفصل الرابع
١٠٥	مشايخه وتلاميذه في الحديث والتفسير
١٠٦	مشايخه :
١٠٧	تلامذته:
١٠٨	مشاهير أصحابه الذين أخذوا عنه العلم :
١١١	حديث المنتمين إلى زيد :
١١٣	الثناء عليه ممزوجاً مع المغالاة :
١١٤	المغالاة في علمه وفقهه :
١١٩	الفصل الخامس
١١٩	الآثار العلمية الباقية عن زيد
١١٩	المجموع الفقهي
١١٩	المجموع الحديثي

١٢١	تفسير غريب القرآن :
١٢٣	الصفوة :
١٢٤	رسالته إلى علماء الأئمة :
١٢٥	منسك الحج أو مناسك الحج
١٢٧	الفصل السادس
١٢٧	دراسة مسند الإمام زيد سنداً ومضموناً
١٢٨	أ: عبد العزيز بن إسحاق بن البقال :
١٣٠	ب: أبو القاسم علي بن محمد النخعي الكوفي :
١٣٢	ج: سليمان بن إبراهيم بن عبيد المحاربي :
١٣٢	د: نصر بن مزاحم المنقري العطار :
١٣٣	هـ: إبراهيم بن الزبرقان :
١٣٤	و: أبو خالد، عمرو بن خالد :
١٣٧	الرواية عن زيد بن علي في الكتب الأربعة :
١٣٨	كتاب الطهارة
١٤٢	أحكام الشهيد
١٤٣	كتاب الصلاة
١٤٧	في الضمان
١٤٨	في الربا
١٤٨	في الخمر

١٤٨	في النكاح
١٤٩	في الطلاق
١٥٠	في الحدود
١٥١	في الديات
١٥٢	في القصاص
١٥٣	ما لا يختص بباب
١٥٥	الفصل السابع
١٥٥	هل كان زيد معتزلي المبدأ والفكرة
١٥٩	كلام بعض المعاصرين من الزيدية :
١٦٣	الفصل الثامن
١٦٣	هل كان زيد إماماً في الأصول والعقائد، والفروع والأحكام؟
١٦٦	عقائد زيد حسب استنباط أبو زهرة ومناقشته
١٦٦	١. مرتكب الكبيرة :
١٦٦	٢. رأيه في القدر :
١٦٧	٣. رأيه في البداء :
١٦٨	٤. الرجعة والمهدي :
١٧٠	٥. لا معجزة للأئمة :
١٧٢	٦. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :
١٧٣	٧. الصفات ليست غير الذات :
١٧٧	هل كان لزيد مذهب فقهي خاص ؟

١٨١	الفصل التاسع
١٨١	هل دعا إلى نفسه أو دعا إلى الرضا من العترة
١٨٣	كلمات لزيد تعرب عن موقفه:
١٨٥	اعترافه بإمامة الإمام الصادق عليه السلام :
١٨٩	نصوص الإمامية في تفسير خروجه:
١٩٥	الفصل العاشر
١٩٥	موقف أئمة أهل البيت من خروج زيد وجهاده
١٩٥	خروج زيد في روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام
٢٠٣	الفصل الحادي عشر
٢٠٣	الخط الثوري المدعم من قبل أئمة أهل البيت
٢٠٨	الخط الثوري الثابت لأئمة أهل البيت عليهم السلام :
٢١٥	الفصل الثاني عشر
٢١٥	موقف علماء الشيعة من جلاله ووثاقة زيد الشهيد
٢١٩	بين أباة الضيم وحماة الذل :

٢٢٥	الفصل الثالث عشر
٢٢٥	الثورات الناجمة عن ثورة الإمام الحسين
٢٢٦	أبابة الضيم وأخبارهم
٢٢٦	ثورة الإمام الحسين عليه السلام
٢٢٧	الخصومة بين الحسين عليه السلام والحاكم الأموي كانت مبدئية
٢٢٧	مناشدة هاشم وأمّية
٢٣٣	دوافعه نحو الثورة :
٢٣٥	نجاح الإمام الحسين عليه السلام في ثورته :
٢٤١	١. ثورة أهل المدينة وإخراج عامل يزيد
٢٤٣	٢. ثورة عبد الله بن الزبير
٢٤٦	٣. ثورة التوابين في الكوفة
٢٥٠	مسير التوابين :
٢٥٨	٤. ثورة المختار
٢٦٠	مغادرته مكة إلى الكوفة :
٢٦٢	ميزة ثورة المختار :
٢٦٨	قتل المختار بجيش مصعب بن الزبير :
٢٧٠	٥. ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث

٢٧٧	الفصل الرابع عشر
٢٧٧	ثورة زيد بن علي بن الحسين كانت استمراراً لثورة الحسين
٢٧٨	تنبؤ النبي وعترته عليهم السلام بقتله :
٢٨١	ما أثر عنه من قول قبل الخروج وأوانه :
٢٨٤	توطین النفس على الشهادة :
٢٨٧	حول الأحداث الجزئية الدافعة إلى الخروج :
٢٨٧	١. اتهامه بأخذ الجائزة من خالد القسري :
٢٨٩	٢. التخاصم في الأوقاف :
٢٩٣	٣. ردّ زيد على تجرؤ هشام :
٢٩٤	زيد الثائر في الكوفة :
٢٩٦	من بايع زیداً من المحدثين والفقهاء :
٣٠١	دعائه :
٣٠٢	تحذيره عن القيام :
٣٠٣	أعذاره تجاه الناصحين :
٣٠٤	المؤامرة على زيد من الداخل :
٣١٠	الكوفة في مخاض الثورة :
٣١١	الحيلولة بين الناس وزيد :
٣١٢	خطبه في حث المبايعين على القتال :
٣١٧	تكتيب الكتائب والهجوم على الكوفة والحيرة :
٣٢٣	الرأي العام في استشهاد زيد

٣٢٧	القسم الثاني:
٣٢٧	فهرس إجمالي لفصول القسم الثاني، العشرة
٣٢٩	الفصل الأول
٣٢٩	عرض إجمالي للتأثرين بعد الإمام زيد
٣٣٢	قائمة التأثرين بعد زيد الشهيد :
٣٣٧	الفصل الثاني
٣٣٧	أصحاب الانتفاضة
٣٣٧	رموز أصحاب الانتفاضة
٣٣٧	١. يحيى بن زيد بن علي
٣٤١	يحيى بن زيد والصحيفة السجادية :
٣٤٧	٢. عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب
٣٥١	٣. محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب
٣٥٥	تفرّق إخوة محمد في البلاد :
٣٥٧	٤. إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن
٣٦٠	٥. عيسى بن زيد التأثر
٣٦٢	٦. الحسين بن علي الفخّي
٣٦٣	٧. محمد بن إبراهيم طباطبا
٣٦٦	٨. محمد بن محمد بن زيد بن علي
٣٦٧	٩. محمد بن القاسم بن علي بن عمر

٣٦٩	الفصل الثالث
٣٦٩	أئمة الزيدية ودولتهم في اليمن
٣٦٩	١. يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا
٣٧١	سلسلة أئمة الزيدية في اليمن:
٣٧٩	الفصل الرابع
٣٧٩	أئمة الزيدية ودولتهم في طبرستان
٣٧٩	مؤسسي الدولة الزيدية في طبرستان
٣٨٢	الفصل الخامس
٣٨٢	الدولة الزيدية في المغرب
٣٨٢	الادارة:
٣٨٢	١. إدريس بن عبد الله المحض:
٣٨٤	٢. إدريس بن إدريس بن عبد الله المحض:
٣٨٧	الفصل السادس
٣٨٧	الأعلام المجتهدون من الزيدية
٣٨٩	١. أحمد بن عيسى بن زيد بن علي

- ٣٩١ ترجمة محمد بن منصور الكوفي المرادي مؤلف الأمالي
- ٣٩٣ ٢. القاسم الرسي
- ٣٩٥ ٣. يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي
- ٤٠١ ٤. الناصر للحق، الأطروش أبو محمد الحسن بن علي أولاده
- ٤٠٢ ٥. الإمام المرتضى أبو القاسم محمد بن يحيى
- ٤٠٣ ٦. الناصر لدين الله أحمد بن يحيى ابن الحسين
- ٤٠٤ ٧. الإمام السيد المؤيد أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون
- ٤٠٧ ٨. الحاكم الجشمي
- ٤٠٨ ٩. أبو سعيد نشوان بن سعيد الحميري
- ٤٠٩ مؤلفاته:
- ٤١١ ١٠. الإمام المنصور بالله: عبد الله بن حمزة بن سليمان
- ٤١٨ ١١. المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي
- ٤٢٠ ١٢. أحمد بن يحيى بن المرتضى المهدي لدين لله مؤلف البحر الزخار
- ٤٢٤ آثاره المعروفة :
- ٤٢٤ ١. البحر الزخار الجامع لمذاهب الأمصار
- ٤٢٤ ٢. كتاب الأزهار في فقه الأئمة الأطهار :
- ٤٢٤ نظرة في كتاب طبقات المعتزلة:
- ٤٢٨ ١٣. الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد علي مؤلف كتابي: الاساس، والاعتصام

٤٣٣	الفصل السابع
٤٣٣	شخصيات زيدية ذات اتجاهات خاصة
٤٣٤	١. ابن الوزير محمد بن إبراهيم
٤٣٨	٢. ابن الأمير: محمد بن إسماعيل
٤٤٣	٣. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني الصنعاني
٤٤٩	قصة «السيل الجرار المتدفق»:
٤٥٣	الفصل الثامن
٤٥٣	فرق الزيدية في كتب تاريخ العقائد
٤٥٣	١. الجارودية
٤٥٤	٢. السليمانية
٤٥٤	٣. البترية
٤٥٤	٤. النعيمية
٤٥٧	دراسة حول فرق الزيدية:
٤٥٨	في تسميتهم بالزيدية:
٤٦٥	الفصل التاسع
٤٦٥	في عقائد الزيدية
٤٧٢	النص الجلي أو الخفي على إمامة علي عليه السلام:
٤٧٥	نقل عقائد الزيدية عن المصدرين
٤٧٥	١. العقد الثمين في معرفة رب العالمين للأمير الحسين بن بدر الدين
٥٠٠	٢. مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم

٥٠١	الفصل العاشر
٥٠١	في أمور متفرقة
٥٠١	الأول: حلقات المناظرة بين الإمامية والزيدية :
٥٠٦	الثاني: وجود المزاملة بين الطائفتين:
٥٠٧	الثالث: نشر الثقافة الزيدية :
٥٠٩	الرابع: صيغة الحكومة الإسلامية لدى الزيدية:
٥٠٩	١. السلطة التشريعية :
٥١٠	٢. السلطة التنفيذية :
٥١٠	٣. السلطة القضائية:
٥١١	لا استبداد في الحكومة الإسلامية :
٥١١	نظرية الإمامة لدى الزيدية :
٥١٦	الخامس: المحاربة بين الطائفتين من الشيعة:
٥١٨	السادس: في الصلة بين الزيدية والمعتزلة:
٥١٩	السابع: عصارة من رسالة أحد المعاصرين الزيديين:
٥٢٤	الثامن: في طبقات رجال المذهب الزيدي :
٥٢٩	فهارس الكتاب
٥٣١	فهرس مصادر الكتاب
٥٤٧	فهرس محتويات الكتاب